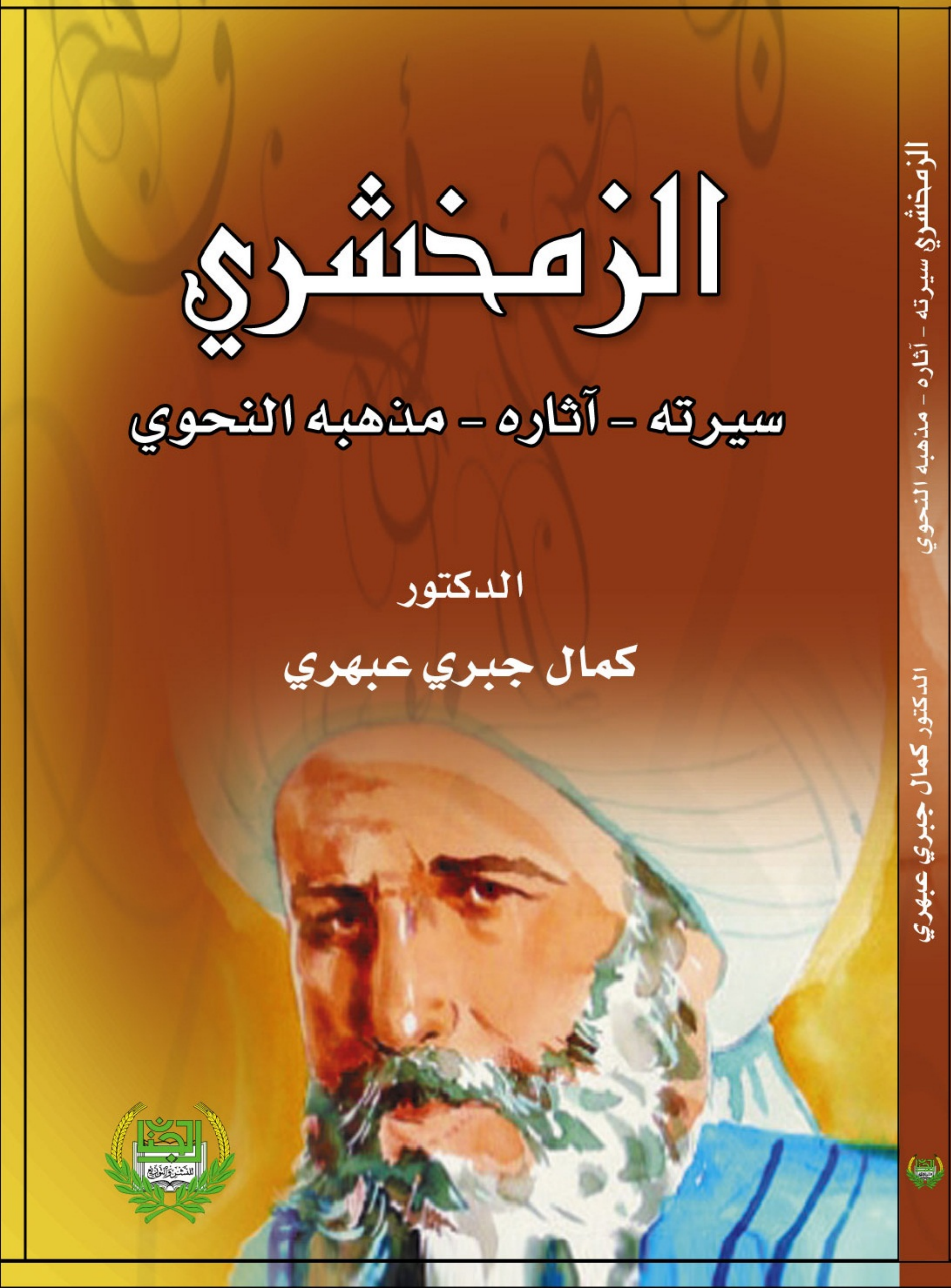

الزمخشري
سيرته - آثاره - مذهبه النحوي
الدكتور
كمال جبري عبهري
الزمخشري سيرته - آثاره - مذهبه النحوي
الدكتور كمال جبري عبهري

الزمخشري

سيرته - آثاره – مذهبه النحوي

الطبعة الأولى

٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤)

٠٠٠٠٠

عبهري، كمال جبري

الزمخشري – سيرته – اثاره – مذهبه النحوي / كمال جبري عبهري / عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

( ) ص

ر.أ: ٢٠١٤

....

- ❖ اعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الاولية
- ❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978 – 9957 – 551

دار الجنان للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي (التوزيع - المكتبة) المملكة الأردنية الهاشمية

تلفاكس٢/٠٠٩٦٢٦٤٦٥٩٨٩١ ص. ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي

مكتب السودان ــ الخرطوم ٠٠٢٤٩٩١٨٠٦٤٩٨٤

E- mail :dar_ jenan@yahoo.com

الزمخشري

سيرته - آثاره — مذهبه النحوي

الدكتور

كمال جبري عبهري

فهرس الموضوعات

الباب الأول

حياة الزمخشري وثقافته

لمحة عن

طبيعة بيئة الزمخشري وعصره

يُعتبر إقليم خوارزم[1] – موطن الزمخشري – واحداً من خمسة أقاليم، تقع في آسيا الوسطى، فيما وراء نهر جيحون، وهذه الأقاليم هي: الصغد، وعاصمتاها: بخارى وسمرقند، وصغانيان، وفرغانة،والشّاشُ التي يُطلقِون عليها طَشْقَند، ثم إقليم خوارزيم الذي يسمونهاليوم: خيوة أوكيوة[2]، ويبدو ان اقليم خوارزم هذا، كان أشهر هذهالاقاليم جميعا، فقد ذكرو: أنه ناحيةِ مشهورة،وسيعة الرقعة [3]، كثيرة الضياع [4]، ذات مدن وقرى كثيرةعامرة بالاسواق[5]، جامعةٍ لأشتاتِ الخيرات[6]، يجلب منها الرقيق والأغنام والأوبار والبطيخ وغيرذلك[7].

وذكروا أيضاً، أنها كان جانبٍ عظيم من العلم والثقافة، تشيع فيه الثقافة الإسلامية،ويكثرفيه العلماء والفقهاء الذين كانوا يتمتعون بقسطٍ وافرٍ من تقدير سَوادالناس و إحترامهم[8]،وحين زاره إبن بطوطة وجد اهله يمتازون بالكرم، وحسن المعشر، و طيب الخلق، وحب الغرباء،وكثرة التعبد[9] .

أما عن مناخهِ فقد حكوا: انه شديد البرودة، يجمُد به نهر جيحون في فصل الشتاء، فيمشي عليه الناسُ والدوابُ، وقد زاره ياقوت الحمويّ فذكرأن البرد يبلغ به حدَاً تسقط من جرّائهاطراف الإنسان أحياناَ[10]. وقد بالغَ الزمخشري في الثناء على إقليم خوارزم، والإشادة

---

[1] خوارزم اوله بين الضمة والفتحة، ولالف مستقرة مختلسة، ليست بألف صحيحة، وبعد هاراء مفتوحة .
انظر: معجم البلدان / ٣/ ٧٩- ومراصد الاطلاع/ ١/ ٤٨٧.

[2] ضحى الاسلام / ١/ ٢٥٩

[3] آثار البلاد وأخبار العباد / ٥٢٥

[4] معجم البلدان/ ٣/ ٤٧٦

[5] آثار البلاد / ٥٢٠-٥٢١ – ومعجم البلدان / ٣/ ٤٧٦

[6] آثار البلاد / ٥٢٥

[7] الثعلبي/ لطائف المعارف / ٢٢٦-٢٢٧

[8] المقدسي / أحسن التقاسيم / ٢٨٤

[9] مهذب رحلة ابن بطوطة / ١/ ٢٦٨

[10] معجم البلدان / ٣/ ٤٧٦- وانظر أيضا: وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩

بأهله وبخيراته، يقولُ في ربيع الأبرار[(١)]: " . . بخوارزم فضائل لاتوجد في غيرها من سائر الأَقطار، وخصال محمودة لاِنتفق في غيرها من الأنصار . . . . وأهلها لهم السَّداد ُ والدِّيانةُ، والوفاء والأ مانة . . وثمارها أطيبُ الثِّمارِ وأشهاها.. وهواؤها أصحُّ هواءٍ، وماؤها أعذب ماء.

وليس هذا فحسب، بل إِنه ساقَ عدداً من الأَحاديث النبوية، والآثار المرفوعة إِلى الصحابة والتابعين تُبْرِزُ فَضْلَها وكرامتها، من ذلك مثلا، أنه أوردَ حديثاً عن أبي هريرة، أن رسول الله قال[(٢)]: " طوبى لمن بات ليلة في خوارزم، وطوبى لمن وقعَ عليه غُبارُ خوارزم، وطوبى لمن صلَّى ركعتيْنِ في خوارزم " إِلى غير ذلك، وقد رجعنا إِلى كتبِ الأَحاديث المعتبرة، فلم نَعْثُرْ فيها على شيءٍ مما قالَ البتة .

ولعلَّ أهمَّ مدن وقرى خوارزم، وأبعدها ذكراً، وأكثرها شهرة:

- الجرحانية، أو: كُرْكَانج – كما يُسَمِّيها الخوارزميون آ نذاك – وكانت يومئذ عاصفةَ الإِقليم، وأَعْظَم مدينة فيه، وبها توفى جار الله الزمخشري، إِثْرَ رجوعه من مكة المكرمة.

- وخِيوق: التي كان اهلها على مذهب الشافعي،وانفردت بهذه الوجهة المذهبيةعن سائر اقليم خوارزم الذي تمذهب بمذهب ابي حنيفة النعمان[(٣)].

- وخوارزم: التي كانت من اشهر مدن الإقليم في القرنين: الخامس والسادس الهجريين [(٤)]ثم: زمخشر: تلك القرية الكبيرةالجامعة التي كانت قريبة من مدينة خوارزم، ثم امتدت كلٌ منهما فتداخلتا واصبحتا مدينة واحدة[(٥)] .

والى قرية زمخشر هذه ينسب صاحبنا: جار الله محمود بن عمر، إذ يقال له الزمخشري وقد غلبت عليه هذه النسبة حتى اصبحت عَلَمَاً عليه . وزمخشر هي التي عناها ابن وهَاس في شعره حين مدح جار الله بقوله[(٦)]: جميع قرى الدُنيا سِوى القريةِ التي تبَواها داراً فِداء زَمَخشَرا.

---

(١) ربيع الابرار / ١/ ٣٤٩

(٢) انظر:ربيع الابرار / ١/ ٣٤٩-٣٥٠، تجد فيه عدة أحاديث من هذا القبيل

(٣) معجم البلدان/ ٣/ ٥٠٣- ومراصد الاطلاع / ٤٩٨.

(٤) (٢) معجم مااستعجم / ٢/ ٥١٥ – ومعجم البلدان / ٣/ ٤٧٤- ووفيات الأعيان / ٥/ ١٧٠- ومراصد الاطلاع / ١/ ٤٨٧

(٥) إنباه الرواة / ٣/ ٢٦٥- وآثار البلاد / ٥٣.

(٦) مقدمة ديوان الزمخشري / الظاهرية/ ورقة٢- ومراصد الاطلاع / ٢/ ٦٦٩.

الحياة السياسية :

وخضع إقليم خوارزم لحكم ثلاث دولٍ متتابعة :

أولاها : الدولة السامانية: _ التي حكمت خوارزما بينسنتي: ٢٦١-٣٨٩هـ، واتخذت من مدينة بخارى عاصمة لها،ثم تهاوى سلطانها على يد: محمود سبكتكين الغزونوي،سنة٣٨٩هـ(١) .

وثانيهما : دولة السلاجقة: التي استطاعت ان تبسط نفوذها على جلَ البلاد الإسلامية، وكان عهد عضد الدولة الب ارسلان عهد نمُو وارتقاءِ وتقدَمٍ، إذ اضطَلع وزيره نظام المُلك بامر التدبير والاصلاح فاتّسع نفوذ الدولة بفضل حكمته الإدارية وحنكته السياسية، وانتعش امر النشاط العلمي انتعاشاً واضحاً،حيث تمَ إنشاء المدارس النظامية في بغداد سنة:٤٥٨ هـ(٢)

وقد عاصر ابو القاسم الزمخشري من ملوك آلسلجوق(٣):

جلال الدين ابا الفتح ملكاشاه	٤٦٥-٤٨٥-هـ
ناصر الدين محموداً	٤٨٥-٤٨٧-هـ
ركن الدين ابا المظفر بركيا روق	٤٨٧-٤٩٨-هـ
غياث الدين ابا شجاع محمداً	٤٩٨-٥١١-هـ
معز الدين ابا الحارث سنجر	٥١١-٥٢٢-هـ

وثالثهما : الدولة الخوارزمية: التي حكمت خوارزم، ما بين سنتي:٤٩١-٦٢٨-هـ وقد أسَسها: محمد بن انوشتكين، وكان محمد هذا قد عيَن حاكماعلى خوارزم سنة:٤٩٠هـ من قبل الأمير حَبَشيَ أحد قادة بركيا روق السلجوقي – وتلقَب بلقب: خوارزمشاه، ثم استاثر شاهات خوارزم بالحكم بعد ذلك، ووسَعوا دائرة ملكهم، وحققَوا الانتصار على السلاجقة، وملكوا البلاد بعدهم وظلموا كذلك حتى تمكن المغول من دولتهم ومن غيرها(٤).

وقد عاصرالزمخشري هذه الدولةمنذ تاسيسها، وأدرك من شاهاتها:

نوشتكين : ٤٧٠-٤٩٠ – هـ

(١) تاريخ العبر/٣/ ٦٥٦- ٦٥٨، وانظر أيضا: تاريخ الامم الاسلامية / ٤١٦- ٤١٧

(٢) انظر: الكامل في التاريخ / ١١/ ٦٧- ٨٢، وتاريخ العبر / ٣/ ٩٧٣ – وتاريخ الامم الاسلامية / ٤١٨، ودولة آل سلجوق / ١١٠

(٣) انظر / دولة آل سلجوق / ٤٦، ٧٦، ٨١، ٢١٠،١٠٩، ٢٩٤- والزمخشري / ١٠

(٤) الكامل في التاريخ / ١١/ ٦٧- والذهبي/ العبر في تاريخ من غبر/ ٣/ ٣٢٧- والدولة لخوارزمية والمفعول / ١٩ن وتاريخ الامم الاسلامية/ ٤٥١- ودائرة المعارف الاسلامية/ ٩/ ٦-٧.

قطب الدين محمداً : ٤٩٠-٥٢١ - هـ

اتسز : ٥٢١-٥٥ - هـ

وتوثقت صلته بالسلطان: اتسز، وعاش سبع عشرة سنة في عهده، حرَرله فيها كتاب: مقدمة الادب، فقد جاء في مقدمة الكتاب[١]: ٠٠ وقد رسم لي امره العالي – زيدا علواً– بتحرير نسخة من كتاب مقدمة الأدب لخزانة كتبه المعمورة، فعملت على امتثال رسمه، وجعلت الكتاب موسوما باسمه، لأن هذا الكتاب قد اصاب قبولا من القلوب، وهبَ في البلاد مهبَ في البلاد الصبا و الجنوب،فاردت لو يزال مذكورا في كل مكان وزمان، ويكون اسمه العزيز جارياعلى كل لسان، والله موفقه لما يرفع الذكر الجميل، ويكسب الثواب الجزيل ..

الحياة الثقافية :

وعلى الرغم من الصراع السياسي المستمر، فإنالحركة العلمية قد تقدمت تقدماً سريعاً، إذ تنافس سلاطين هذه الدول في تقريب العلماء و الادباء، والاستئثار بهم، وإعلاء شأنهم، وذا كان صيت الويهيين قد ذاع لأنهم قدَروا العلماء واللأدباء حق قدَرهم، وانزلوهم منازلهم من الاحترام، فإن السامايني‍ين كانو ايضاً مثلهم، فكان نوح بن منصور الساماني يقدَر العلماء ويقربهم ويؤثر استخدامهم في ادارة الشئون الدولة، فحين تناهت إليه شهرة الصاحب بِن عباد وزير آل بويه، كتب إليه يستقدمه الى بخارى ليفوض أمر وزارته[٢].

ورعى السلاجقة شئون العلوم والآداب رعايةً جادَة، فاسَسوا المدارس النظامية التي اشرفت على انشائها وتنظيمها واختيار مدرسيها، ووزيرهم: نظام الملك[٣]. وقد حدد السبكي بلاداً ذكر ان نظام الملك انشأ في كل بلد منها مدرسة عظيمة[٤]، و الحق بكل مدرسةمنها مكتبة، والحق بكل مكتبة غرفةاو اكثر لنسخ الكتب[٥].

وسار شاهات خوارزم على سنن من قبلهم، ومن عاصرهم من السلاطين، فأعمروا تصورهم بالشعراء والكُتَاب من عرب وفرس،، ونشطوا في فتح المدارس و تنظيمها، و السهر

---

[١] مقدمةالادب / ٣أ- ب.

[٢] الزمخشري الامم الاسلامية/ ٤٢٦

[٣] الكامل في التاريخ / ١٠/ ٥٥- ودولة آل سلجوق/ ٧٤ – وتاريخ الام السلامية/٤٢٦

[٤] طبقات الشافعية / ٣/ ١٣٧

[٥] المكمتبات في الاسلامية/ ١٤٩

على خدمتها، على الرغم من ان بعضهم كالسلطان: محمد بن تكش، كان تركيا، قليل المعرفة بالعربية [(١)]

وقد سجل الزمخشري بعض كتبه مثلا من أمثلةرعاية شاهات خوارزم للعلم وللعلماء، يقول اثناء تقديمه لكتابه (مقدمة الادب)[(٢)]: .. والذي اصطفاه الله في زماننا لنصرة الأدب، وقذف في قلبه الرغبة في كلام العرب، الأميلر الأجلَ .. أبو المظفَر،أتسزين خوارزمشاه .. فغاية لذّته في مجالسة الأفاضل . وقصارى لهوه في منادمة الأماثل، ولا يزال ظل كرمه عليهم ممدودا .. وصلاته وخلعه مترافةً، عندهم متوالية . ..

وبهذه الرعاية أصبح إقليم خوارزم مهيَأً تماما لتخريج جماهير غفيرة من العلماء والأدباء، وغدا من أشهر أقاليم بلاد فارس في القرنين الخامس و السادس الهجريين يقول ياقوت[(٣)]:.. والذين ينسبون اليها من الأعلام و العلماء لا يحصون..

وقد أحدث العلماء الذين نشأوا في هذا الأقليم أثراً واضحاً في الفكر الاسلامي الى امدٍ بعيد، وتركوا مؤلفاتٍ كثيرةً في اللسانين: العربي و الفارسي جميعا، فالشاعر رشيد الدين الوطواط – صديق السلطان أتسِز – مثلا ألف بالعربية والفارسية كتباً ورسائل، وكان ينشىء في حالة واحدة بيتاً بالعربية من بحر، وبيتا بالفارسية من بحر آخر، و يمليهما معاً[(٤)]. ومن رسائله ماكتبه لجار الله الزمخشري[(٥)].

لقد حاز جـار الله دام جماله	فضائل فيها لايشق غباره
تجدد رسم الفضل بعد اندثاره	بآثار جار الله، فالله جاره

ثم أَتبَع البيتين برسالةٍ نثريةيُثنى فيها على الزمخشري، ويعدَد مآثره، و يتمنى أن يكون من تلاميذه .

وكانت خوارزم و المناطق المجاورة لها مركز مذهب معين في البلاغة و النقد في القرن السادس هجري، إذ تأثر الخوارزميون بالفلسفة و المنطق وعلم الكلام. ويرى أحمد مطلوب أن

---

(١) الزمخشري

(٢) مقدمة الادب/ ٣أ

(٣) (١) معجم البلدان / ٣/ ٤٧٩- وانظر: تاريخ بغداد / ٨م ٣٦٧- واحسن التقاسيم/ ٢٨٤

(٤) محمد زغلول سلام/ الادب في العصرالايوبي/ ٩٨- والزمخشري/ ١٧

(٥) معجم الادباء / ١٩/ ٢٩

هذا الاتجاه ليس في الواقع الاَ أمتداداً لبلاغة عبد القاهر الجرجاني، ت: ٤٧١هـ، الذي رفع لواء تحكيم المقاييس النحوية و المنطقية في دراسة البلاغة والنقد، وكانت نظرية النظم – التي لم تكن إلا توخي معاني النحو – أهم ما تميَيز به هذا الرجل الذي أرسى أُسس البلاغة، وجعلها علماً له أصوله وقواعده، وربطها بنظريته ربطاً وثيقاً حينما تحدَث عن: اللفظ و المعنى و الصَور البيانية و السَرقات و إعجاز القرآن الكريم[١].

وأثرعبد القاهر في: علم البلاغة تأثيراَ كبيراً، فتبعه خلق كثير، و كان من أشهر الذين شايعوه في الأقاليم الشرقية من العالم الاسلامي، جار الله الزمخشري، فقد كان كتاب ك الكشاف عن حقائق التنزيل تطبيقاً جيداً لقواعد البلاغة وأصولها[٢]

وبهذا يبدولنا أن إقليم خوارزم الذي نشأ فيه أبو القاسم و كان يزخر بالعلماء و الأدباء و و يلتقي فيه أعيان العالم[٣]. ومن هنا، لميعد غريبا أن ينبغ فيه رجل كالزمخشري، وأن يبلغ شأوا بعيدا في المجال العلمي، فيصنف مصنفاتٍ قيِّمة في علوم: التفسير و الحديث و النحو و اللغة وغيرها .

الاعتزال :

وكان الطابع الغالب على الاتجاه العلمي في اقليم خوارزم، هو الدراسات العقلية و إذ كان لعلوم الفلسفة و المنطق و الكلام به شأن كبير و فعوام خوارزم كلهم متكلمة ويبحثون بحثا صحيحا[٤]، و لهذا وجدت آراء المعتزلة التي نقلت الى هذا الاقليم في القرن الخامس الهجري، قبولا وحظوةً من جلِّ أهله حتى إنه لينذر أن يوجد خوارزمي غير معتزلي[٥]، فأهل جرجانية مثلا، كانوا كلهم معتزلة، و الغالب عليهم ممارسة علم الكلام، حتى في الاسواق و الدروب[٦]

[١] التمهيد لكتاب: البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن/ ٩- وانظر: الزمخشري/ ٢٠.
[٢] التمهيد لكتاب البرهان الكاشف/ ١٠
[٣] دائرة المعارف الاسلامية/ ٩/ ٧
[٤] آثار البلاد/ ٣٧٨
[٥] دائرة المعارف الاسلامية/ ٩/ ٧- والزمخشري/ ٢٤
[٦] آثار البلاد / ٥٢٠- وانظر: معجم الادباء / ٦/ ١٥٤- والادب في العصر الايوبي/ ١٠٠- ١٠١.

يقول الزمخشري في ربيع الأبرار– في معرض تَعْليقهِ على وَصْف ابن سَمْقَة لخوارزم[1]"ولقد أحسنَ ابن سمقة في جميع ما نَمَقهُ، ولكنه أخلَ برأس فضائلها، وهو ما رُزِقتهُ من المذهب السَديدِ، مَذهبِ أهل العَدلِ والتوحيد .. فقد أزهر فيها ماشاء الله من السَرجِ ِ، وأطا لَ فيها ألسِنة الحجُجَ .

ونشأ مذهب الاعتزال – أول ما نشأ– في مدينة البصرة، في أواخر القرن الاول للهجرة، وارتبط ظهور هذا المذهب الفكرى باسم: "واصل بن عطاء " وبالحادثه المشهورة التي حدثت بينه وبين أستإذه: " الحسن البصري " في مسجد البصرة، حينما اختلفا في حكم: " مرتكب الكبيرة "، وأدّى هذا الاختلافُ في الرأي في اعتزال "واصل " حلقة أستإذه، واستقلاله بشخصيته الفكرية، وتصدٌ رهِ من ثمَ للتدريس تحت سارية من سَوارى المسجد، حيث انضمَ إ ليه صَديقُه: "عمروبن باب " [2] .

ويتفق النعمان القاضي مع احمد أ مين في أن: ظهوَر بِذْرةِ الاعتزال يرجع إلى بدء التيارات إلاسلاميةِ التي بدأت منذ أن تولى علي بن أبي طالب أمر الخلفة، إذ أصبح العتزال اصطلاحاً سياسياً يعني: الابتعادَ عن الصراع الناشب بين عليٍ وخصومه، وتَجَنُبِ الانغماس في الفتنه، بالميل الى أحدِ الطرفَيْنِ، والاستمساك بالحَيْدَةِ، دون مناصرة فريق على فريق، أوإبداء رأيٍ في الحكم على أحَدِ الطرفين . وإطلاقُ التَسمْيةِ على مدرسة: " واصل " و"عمرو "، إنما كان إِحياء للاسم القديم، ابتكاراً[3].

ويذهب ابن المرتضى المعتليُ الى أبعد من ذلك بكثير، حين ينفرد من بين سائر العلماء – حتى علماء المعتزلة – بإرجاع أمِر مذهَبِالاعتزال إلى الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم –[4].

ونحن وان كنا نَتَفِقُ مع أولئك الذين يقولون[5]: إن بذرةَ الاعتزال قد نبتَتْ في تُربةِ حلقةً "الحسن "، فأنه يصعبُ علينا أن نتفقَ مع الذين يُرْجعون أمرَ مذهب الاعتزال الى الرسول الكريم، وإلى بدء التيارات الإسلامية التي بدأت منذ عهد عليٍ .

---

(1) ربيع الابرار/ ١/ ٣٥٢– ٣٥٣.

(2) انظر الملل والنحل / ١/ ٥٠– ٥١– والفرق بين الفرق/ ٩٨– وفجر الاسلام/ ٢٩٠– وادب المعتزلة/ – ١٠٨– والفرق الاسلامية في العصر الاموي/ ٢٩٣، ٢٩٨

(3) فجر الاسلام/ ٢٩١– والفرق الاسلامية في العصر الاموي/ ٢٩٨– وانظر ايضا: أدب المعتزلة/ ١١١.

(4) المنيه والامل/ ٤– ٥، ١١– وانظر: الفرق الاسلامية في العصر الاموي/ ٣٠١.

(5) الملل والنحل / ١/ ٥٠– ٥١– والفرق بين الفرق / ٩٨

كما أنه من العسير علينا أيضاً أن نَقْتنعَ بأنَ مذهب الاعتزالِ قد أطلِقَ لمجرد انفصال "واصل" من حلقة أستإذه، وانتقاله من سارية الى سارية و فحين نقرأ- مثلا – أن جار الله الزمخشري من أهل الاعتزال، فهذا يعني – كما نفهم – أن الاعتزال مذهب و أو بمعنى آخر ك حزب سياسي و ذو افكار محددة تمذهب به الزمخشري و و تبني افكاره، وألزم نفسه التقيد بها، والعمل بنصوصها، و بذل الوسع و الطاقة لنشرها، والتصدي لخصومها .

ومن هنا، فنحن نرى أن الاعتزال حزبُ سياسي تحزَب به قطاعٌ كبيرٌ من علماء الامة ومفكريها و وهو حزب يقوم على فلسفة معينة، ومنهج فكريٌ مخصوص و له أسلوب متميزٌ في التفكيرو في تناول المسائل الحادثة، و القضايا الجادةَ على المجتمع الاسلامي آنذاك . فواصل بن عطاء – مؤسس هذا المذهب – رأى في " مرتكب الكبيرة " رأياً يخالف رأي أستإذه، و أعتبر رأيه هو وحده الصواب، فكان طبيعياً – و الحالة هذه – أن ينفصل عن حلقة أستإذه، و أن يتصدر حلقة أخرى . و دفعه واقعهُ الجديدُ الى الفكر والبحث، و أخَذَ يتَبَنَى أحكاما شرعية في المسائل الطارئة، و يبدي رأيه في الاعمال السياسية، فتكوُنت لديه حصيلة فكريةٌ، و كثرت الأحكام المتبَنَاه، وكَثُر تبعا لذلك المؤمنون بها . وكان " واصل" مهياً لقيادة حزبِ سياسيِّيقوم على أساس الفكر الاسلامي، فقد توفَر له من ذكاءِ العقل، وقوة النفسَ، و دقَة الفهْم، وعمق الثقافة، و القدرة على الاقناع و التأثير، مما جعل منه شخصية ً قيادية ً، وقد وصف صديقه عمرو بن عبيدٍ بقوله: [(1)]ليس أحدُأعلم بكلام غاليةِ الشيعة، وما رقة الخوارج، وكلام الزنادقة و الدهرية المرجئة، و سائر المخالفين والرد عليهم، منه ". وحين أصبح فكِرَ أصحاب " واصل" لافتا للنظر، اتُجهوا بفكرهم هذا وجهةٍ سِياسَيَة، و أصبحوا يتطلعون الى تحقيق سيادة أفكارهم على المجتمع الاسلامي برمته، وقد تحققت لهم هذه السيادة ُ فعلاً في عهد المأمون و المعتصم ثم الواثق، إذ اعتنق هؤلاء الخلفاء أفكارهم، و طبقوها على المجتمع، وجَدَ وا في معاقبة من يخالفها . ويعضدنا فيما نذهب اليه أن مذهب الاعتزال يقوم أساساً على أصول خمسة،يتفرَع من كلَ اصلِ منها مسائل كثيَرةُ، وهذه الأصول هي: التوحيد، و العدل، و الوعد، والوعيد، و المنزلة بين المنزلتين، و الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، [(2)] فمن آمن بهذه الأصول جميعا ً، وصدَق بها تصديقا جازماً عن يقينٍ ،

---

(1) المنية والامل / ١٨- وانظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي / ٠٦٨

(2) للتوسيع في دراسة هذه الاصول،انظر:الكشكول / ١/ ٣٢٣،٤٤٤ – والملل والنحل / ١/ ٥٠-٥٣ – والانتصار / ١٣-١٤،٤٣- وفجرالاسلام / ٢٩١- ٦٩٢ –وتاريخ التربية الاسلامية / ٨٥ – ودأب المعتزلة / ٣٣١ -١٥١ – والفرق الاسلامية في العصر الأموي / ٣٠٩- ٣١٧ – ودائرة المعارف الأسلامية / ٥ / ٥٣٥ .

و تبنّاها ودافع عنها، إستحق أن يكون معتزليا . أما الخلاف فيمايتفرع من هذه الاصول فلا شيء فيه، وقد حدث مثل هذا الخلاف فعلاً، فأخبار المعتزلة تنصُ على إنهم جميعا قد اتفقوا على الأصول، ثم انفردت كلُ فرقةٍ من فِرقهم بأحكامٍ فرعية[١]، فقد رووا أن النظام – وكان رأساً في الاعتزال – قد إنفرد بماسائل[٢] و أن أحمد بن حائط رأس الفرقة الحائطية قد انفرد بمسائل[٣] ، وأن جار الله الزمخشري قد انفرد هو الآخر بمسائل[٤].

يضاف إلى ذلك أيضاً أن الخلاف بينهم و بين أهل السنةقد تركز- أكثر ما تركز - حول خمس مسائل هي خلق القرآن والقدرة، و الجرح والتعديل، و مسألة الرؤية، ثم مسألة الشفاعة، وقد تصدى لهم الباقلاني السنيَّ . فنقضَ أقوالهم في كلِ مسألة منها[٥] ، من هذا، يتبين تماماً أن أمر الاعتزال لم يكن مجرد انفصالِ تلميذٍ من حلقة أستاٍذه، وانما هي فكرة تستند إلى أصول .

وكان المعتزلة فرسان المناظرة والجدل[٦] ، فهم الذين أوجدوا علم الكلام في الاسلام، وهم أول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم في الدين[٧] ، إذ درسوا الفلسفة والمنطق اليونانين دراسة شاملة، وصبغوهما صبغة إسلامية، ثم استعانوا بهما على تقعيد قواعدهم، ووضع أصولهم، وأسباب جدلهم[٨].ومن هنا فأنهم مَجَدوا العقل، واعتزوابه أيَمَا اعتزاز، واعتبروه مرجعاًاساسياً في تحسين الاشياء وتقبيحها،وجعلوا لها السيادة فيالحكم على سائر الأشياءوالافعال . وقد جرهم سلطانُ العقل هذا إلى إنكارما صح من الأحاديث النبوية التي تُناأصو أ صولهم وقواهم المذهبية،ونهجوفي تفسير آيات الرؤية نهجاً لغوياً مَحْضاً ، ليتخلصوا من الورطة التي أوقعهم بها اللفظ ظاهرُ اللفظ الكريم،ففسروا النظر إلى الله بالى الله بالرجاءوالتوقع للنعمة والكرامة[٩].

---

[١] أدب المعتزلة / ١٣٢

[٢] الوافي بالوفيات / ٦ / ١٥ /، ١٧ .

[٣] الوافي بالوفيات / ٦ / ٠٠٣ – ٣٠ – وانظر أيضاً: أثر القرآن في تطور النقد العربي / ٧٠ – ٠٧١

[٤] الدراسات النحوية عند الزمخشري / ٢١٧ .

[٥] الانصاف / ٧٠،٧١، ١٤٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٤، – وانظر أيضا: أزهارالريـاض / ٣ / ٣٠٠/ ٣٢٥، وق أورد صاحب الازهار شعرا كثيرا مما تهاجى به المعتزلة و أهل السنة، منه شعر في هجاء الزمخشري،

[٦] أزهار الرياض / ٣/ ٧٨/

[٧] فجر الاسلام / ٣٠٠

[٨] الوافي في الوفيات م٦/ ١٤/ ١٥/ – وانظر الانتصار / ٤١ – و الكشكول م١م٣٢٣- وضحى الاسلام م١/ ٣٥٩ .

[٩] تاريخ التمدن الاسلامي م٣/ ١٥٨/ ١٥٩/

ومهما يكن من أمر هؤلاء المعتزلة، فأنهم قد تركو خزائن العلم و الأدب غنية بإنتاجهم، وأثروها بتفاسيرهم للقرآن الكريم، و بتحليلاتهم للأحداث التاريخية، ودراساتهم للحيوان لدلالته على قدرة الله الى غير ذلك من: شعر و مراسلات. و يكفيهم فخراً صحيفة لـ بشرِبن المعتمر في البلاغة، وما ألفه الجاحظ في موضوعاتٍ شتى، لم يكن ليستطيع أن يؤلف فيها لولا الاعتزال، إلى أدب البوييهيين، و الصاحب بن عباد و وابن العميد، ومن كان في بلاطهما من الأدباء، إلى مناقشات القاضي عبد الجبار، غلى أدب الزمخشري [1] .

وكان من ضمن أدباء المعتزلة قوم من النحاة دعوا إلى القياس في اللغة، وبلغوا فيه شأنهم بعيدا، ورموا من ذلك الى: إثراء اللغة . و التوسع فيها و كأبي على الفارسي و تلميذه ابن جني . أما أبو علي فكان يقولك ما قيس على كلام العرب و فهو من كلام العرب و فإذا أعربت العرب لفظةً أعجميةً و أجريت عليها أحكام الإِعراب وعددَتها من كلام العرب، و أجزَت الاشتقاق منا .

وأما ابن جنى، فأراد أن يضع للغة أصولا كما لعلم الفقه، وأصول لعلم الكلام، فوضع " الاشتقاق الكبير " و يعني به: أصولَ الكلمة، وتقليبها على وجوهها المختلفة، كأن تأخذ كلمةً: " كلم " مثلاً وتحولها الى: ملكَ، ومَكلَ، ولكَمَ، وَكمَلَ، ولَمكَ، ثم تمعِن النَظَرَ فيها لتنظر: هل هذه الحروف إذا جمعت دلَت على القوة[2]. ؟

يقول صاحب الحور العين [3]: " ولهم من التصانيف الموضوعات و الكتب و المؤلفات في: دقائق التوحيد و العدل و التنزيه لله عزوجلَ مالا يقوم به سواهم، ولا يوجد يمشي على آثارهم، ولهم في معلرفة المقالات و المذاهب المبدعات تحصيلُ عَظيمٌ، وحفظٌ عجيبٌ و وغرضُ بعيد، لا يقدر عليهم غيرهم، ينقدُون المذاهبَ كما ينقدُ الصَيارف الدنانير و الدراهم .

ولكن مما يؤسف له حقاً، إنه لما دالت دولتهم، وكُرهو ا من جمهرة علماء الأمة، دالت مع ذلك مصنفاتهم أيضاً، إذ أصبح الناسُ يتقربون الى الله بحرقها [4]، ومن ثمَ، لم يستطع الزمن أن يحتفظ ألأ بالقليل منها، فكان هذا العبث العابث سبباص رئيساً في ضَياع هذه الكنوز الدفينة وهدرها، وحرمان التراث الإسلامي منها .

---

[1] ظهر الاسلام/ ٦١:٤- ٦٢/ ١/ ٢٢٢- وانظر أيضا: السوطي / طبقات المفسرين / ورقة: ٨.

[2] ظهر الاسلام/ ٤/ ٦١

[3] الحور العين / ٢٠٦

[4] ظهر الاسلام/ ٤/ ٥٩.

الفصل الأول

نسبه وسيرته

- اسمه و نسبه
- نشأته وسيرته

اسمه ونسبه:

ذكر الدكتور أحمد الحوفي أن أسمه [1]: محمود بن عمر بن احمد، ثم قال[2]: " ولم أجد في نسبه ذكرا وثيقا لأحد بعد هذا الجد " ، وقالت الدكتورة بهيجة الحسيني [3]: " هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد أبن أحمد"، أما أبن خلجان فقال[4]: " هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري"، وقد وجدنا أن أوفى نسب للزمخشري هو ذلك الذي ذكره صاحب هدية العارفين، فقد قال [5]: " هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر، الشهير بالزمخشري "

وقد ولد الزمخشري هذا – كما قال ابن اخته أبو عمروعامر بن الحسن السمساريَ- بزمخشر خوارزم يوم الاربعاء السابع و العشرين من رجب سنة سبع وستين و اربعمائة[6]: وكان مولده في عهد السلطان جلال الدنيا و الدين أبي الفتح ملكشاه الذي يقاس عهده في عظمته و فخامته بأزهر عهود الدولة الاسلامية، حيث إزدهرت التجارة و الصناعة، وزهت الأداب و الفنون . وكان يعاونه في ادارة شئون الدولة وزيره نظام الملك، الذي يعدَ- بحق أقدر وزراء الاسلام طراَ . [7].

وأخبار أسرة الزمخشري قليلة قلة محيرة، فالمصادر التي عنيت بامره، و أفاضت في الاخبار عنه، وعن مكانته العلمية، وجهدتفي استقصاء مؤلفاته، صمتت عن أخبار أسرنه و ذويه و وكل

---

[1] الزمخشري / ٣٥، وكذا في معجم الأدباء / ١٩ / ١٢٦ .

[2] الزمخشري / ٣٥

[3] المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ٧، و كذا في بغية الوعاة / ٢/ ٢٧٩، والاعلام/٨/ ٥٥، و: من تاريخ النحو:١٣٧ .

[4] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٨، وكذا في نزهة الالبا / ٢٧٤، و الانساب /٦/ ٣١٥/ وانباه الرواة /٣/ ٢٦٥/ و البداية والنهاية/ ١٢/ ٢١٩ /و شذرات الذهب /٤/ ١١٨، و النجوم الزاهرة /٥/ ٢٧٤، و اللباب في تهذيب الانساب /٢/ ٧٤، و البحر المحيط /١/ ١٠، و شرح شواهد الكشاف / ٤ /٣٠٧، و النظم القرآني في كشاف الزمخشري /٣، و الدراسات اللغوية و النحوية عند الزمخشري / ١٠

[5] هدية العارفين /٢/ ٤٠٣

[6] انباه الرواة /٣/ ٢٦٦، و انظر: معجم الادباء /١٩/ ١٢٧، ووفيات الاعيان /٥/ ١٧٣، و الانساب /٦/ ٣١٥، والكامل/ ١١/ ٩٧/ ، وشذرات الذهب /٤/ ١١٨ وفيه أنه ولد في ١٧ رجب، و اللباب في تهذيب الانساب /٢/ ٧٤، و الجواهر المضية/ وورقة ٢٠٩، وابن الداودي – وطبقات المفسرين / ورقة ١٦٠، و طبقات الفقهاء الحنفية / ورقة ٣٤، ومفتاح السعادة / ورقة ١٩٣ .

[7] منهج الزمخشري في تفسير القرآن /٢٣، و المحاجاة / مقدمة التحقبق /٧ .

ما وجد ناه عن هذه الاسرة أن أباه عمر كان إماما بقرية زمخشر[1]، وكان الفقر قد تمكن منه وضيق عليه، فقال: أعلَمه يعني ابنه محمودا – الخياطة، لأنه صار زمناً مبتلى، فقال محمود الزمخشري لأبيه: احملني الى البلد و اتركني بها، فحمله أبوه الى البلد، وكان الله رزقه خطاً حسنا و فكفاه الله رزقه [2] .

ومن هنا، فقد بادرنا الى تسقُط أخبارها في آثار الزمخشري نفسه، فعرفنا من آثاره ومؤلفاته أنه قد نشأ في أسرة فقيرة مغمورة، قليلة الحظ في الحياة الدنيا . وعرفنا أيضا أن اسرته هذه كانت على جانب وافر من التقوى و التقيد بأحكام الشرع الاسلامي الحنيف[3].

ويحدثنا الزمخشري نفسه عن تقوى أمه ورفقها بالحيوان و ورقة عاطفتها في سياق حديثه عن سبب قطع رجله فيقول [4]: كنت في صباي أمسكت عصفورا وربطته بخيطٍ في رجله، فأ َفلَت من يدي فأدركته وقد دخل في خرقٍ، فجذبته، فأنقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله ....

وينبئنا شعره أن مؤيدالملك (ت:٤٩٤ هـ) قد سجن والده وهو في ريعان شبابه، ونراه –لذلك – يستعطفه و يتوسل اليه أن يطلق سراحه، و أن يفكَ قيوده، فيقول [5]:

أكْفى الكُفاةِ مؤيد الملُك الذي ... خضَع الزَمانُ لعزَةِ وجلالَهِ
ارحمْ أبي لشبابه و فضَله ... وارحَمه للضعفاءِ من أطفاله
ارحمْ أسيراً لو رآه من العدى ... أقساهم قلباً لرقَ لحاله
يشكو قيوداً قصَرت من خطوهِ ... وسلاسلاً حكمت بضيقِ مجاله
ما ضرَ مثلك لو عفا عنه فمِنْ ... دَأبِ الكريم العفوَ عن أمثاله
هَبَ أنه مِمَنْ أساء فما له ... غلبَ الرزانةَ منك سوء فِعالهِ

---

[1] قال الزمخري –رحمهالله –: هي قرية مجهولة من قرى خوارزمي تسمى زمخشري، وسمعت ابي– رحمه الله تعالى – يقول: اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها فقيل له: زمخشر، وسأل عن اسم كبيرها فقيل له: رداد، فقال: لا خير في شرورد . ولم يلعم بها .– الكشاف / مقدمة شرح شواهد الكشف / ٤ / ٣٠٧ – .

[2] طبقات النحويين واللغويين / ٣١٥، ومفتاح السعادة / ورقة ١٩٤ .

[3] ديوانه / ورقة ٨٤، ٨٥ – الدار، ومفتاح السعادة / ورقة ١٩٤ .

[4] وفيات الأعيان / ٥ / ١٦٩ ، وانباء الرواة / ٣ / ٢٦٨ .

[5] ديوانه / ورقة ٩٦ – الدار ، ٢١٠ – ٢١١ – ظ .

ولم يكشف لنا شعر الزمخشري عن سبب سجن والده، ومع هذا فنحن نتفق مع الدكتور مصطفى الجويني في أنه ربما سجن لسبب سياسي [(١)]، ودليلنا على ذلك أن البيت الأخير يصرح بأن والد الزمخشري قد أساء لمؤيد الملك، وأغلب الظن أن تكون هذه الاساءه أساء سياسية، فقد كان يؤم الناس في جامع زمخشر، وربما عرَض – في أثناء خطبته– بسياسة مؤيد الملك الذي يصفه ابن الأثير بسؤ السيرة والسياسة [(٢)]، وهذا التعريض يصلح أن يكون سبباً لسجنه والبطش به.

ويبدو أن والد الزمخشرى قد مات من اثر سَجْنِه، فقد سُجِنَ شاباً ومات وهو قريبُ عهدٍ بالشباب[(٣)] فالزمخشري يبكيه ، ويشيد بورعه وتقواه وزهده، ويذكر عَوَهْ وضيق ذات بده حين يقول[(٤)]:

فقدتـهُ فاضِلاً فاضَتْ مآثـرهُ	العلم والأدب المأثـور والـورِعْ
لم يألُ مـا عاشَ جداً في تقاه سرى	أنَا لحريصَ علـى دنياُ مُنخَـدِعُ
صامَ النهارَ وقـامَ الليلَ وهو شَجٍ	مِنْ خَشْيَةِ اللهِ كابي اللونِ مُمْتَقِعُ
مـن المُروْةِ فـي علياءَ مُتسَّـع	صدراً وإنْ لم يكن في المالِ مُتَّسعُ
قريبُ عهدٍ بوَخْطِ الشيبِ عارِضُهُ	إثْر الشَّبابِ ووجفُ الليل مُتبَّعُ

ويدل شعره على أنه فقد أباه وهوعنه بعيد، ويبدوأن ذلك قد حدث حين كان يطلب العلم في بخارى، إذا كان الوالد والولد، يُحِسّان بلذعة الفراق، وكان الوالد يتصبَّر وَيتَحمَّل شظفَ الحياة رغبة في تعليم ابنه وتهذيبه [(٥)]، يقول الزمخشري [(٦)]:

يا حَسْرتا أنني لم أَروِ غُلَّتَـه	تِـي بزَمـانٍ فيه نَجْـتَمِعُ
قد كنتُ أشكو فِراقاً قبلُ منقطعاً	وكيف لي بعدَهُ بالعيشِ مُنْتفَعُ

ويحدثنا الزمخشري أيضا عن موت جده وأخيه وعمه وخالَيْهِ، فيقول [(٧)]:

---

(١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٥

(٢) الكامل في التاريخ / ١١/ ٩٦

(٣) منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٦

(٤) ديوانه / ورقة ٧٢ ـالدار، ١٥٥ـظ

(٥) منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٦

(٦) ديوانه / ورقة ٧٢ ـ الدار، ١٥٥ ـ ظ

(٧) ديوانه / ورقة ٩٩ ـ الدار، ٢١٥ ـ ٢١٦ ظ

مـا للنَّوائبِ لا يَنْـفَكُّ دَيْدَنُهـا ـَشِمَي وهِجِّيرُها قَهْري وإذا لالـي [1]
أودَتْ بجَدِّي وما أَبْقَتْ أَخي وطَوَتْ عمي، وصادَتْ بأسبابِ الردى خالي

ويقول في موضع آخر [2]:

يا خيرَ خـالَيْنَ إني بعدَ فَقْدِكُما مِنْ لَوْعةٍ وأَسىً في شَرِّ خالَيْنِ
وانّ فُرقَةَ خَالٍ واحدٍ حَطمَتْ ظَهْرِي، فكيفَ إذا فارقْتُ خالَيْنِ

وهكذا، نجد أن أخبار أسرة الزمخشري قليلة، فكل ما عرفناه عنها أنها تجمع بين الفقر والتقوى، وأنها على صلة بالعلم ولأدب، وعرفنا أيضا أن بعض أعضاء هذه الأسرة قد رحلوا عن الدنيا في حياة الزمخشري.

وتوفي الزمخشري في مدينة جرجانية ـ قصبة خوارزم ـ ليلة عرفة من سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة، عن عمر يناهز احدى وسبعين سنة [3] وأربعة اشهر وأثني عشر يوما [4]، ودفن بظاهر خوارزم، وأقيمت على قبره قبّة مرّبها ابن بطوطة في اثناء رحلته التي قام بها الى تلك البلاد [5] .

واتفق الذين نقلوا أخبار الزمخشري على سنتي: مولده ووفاته الاّ ابن كثير، فقد ذكر انه توفي سنة: ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة عن ست وسبعين سنة [6]، وهذا القول يعني ـ في رأي ابن كثير ــ أنه ولد في سنة: اثنتين وستين وأربعمائة، وهو مخالف لما ذكره ابن اخت الزمخشري وابن العماد الحنبلي، وغيرهما [7] .

---

[1] عشمي: يقال عَشِمَ عَشَماً وتَعَشَّم:يَبَس،ورجل عَشَمة: يابِسٌ من الهزال، وعجوز عَشَمة:كبير هرم يابس، وقيل: هو الذي تقارب خطوه وانحنى ظهره . اللسان / مادة عشم والهِجّيرى: كثرةُ الكلام والقول السّيِءِ، وقيل اسم من هَجَر: إذا هـذَى. اللسان / هجر

[2] ديوانه / ٢٤٦ ــ ظ

[3] وفيات الأعيان / ٥/ ١٦٩، والأنساب / ٦/ ٣١٥، والكامل في التاريخ / ١١/ ٩٧، وشذارات الذهب / ٤/ ١٢١، وأزهار الرياض / ٣/ ٧٨، وبغية الوعاة / ٢/ ٢٨٠، والجواهر المضية / ورقة ٢١٠، واللباب / ٢/ ٧٤، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٦ .

[4] السيوطي / طبقات المفسرين / حشية ورقة:٣١، بخط: حسين لابن الحاج علي .

[5] منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٤٢،ومقدمة كتاب: أعجب العجب في شرح لامية العرب / ١٠

[6] البداية والنهاية / ١٢/ ٢١٩

[7] إنباء الرواة / ٣/ ٢٦٦، وشذرات الذهب / ٤/ ١٢١.

نشأته وسيرته

كان نظام الملك – وزير آل سلجوق – يحب العلم، ويصطفي النابهين من العلماء فتوفر الآباء على تعليم أبنائهم حتى يحظوا بالمناصب العلية التي كان يقسمها درجات، ويرشح لكل بحسب فضله وعلمه . يقول العماد الأصفهاني[1]: " وفي أيامه نشأ للناس أولاد نجبأ، وتوفر على تهذيبِ الأبناء الاباء ليحضروهم في مجلسه، ويحظوا بتقريبه، فانه كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل، ومن وجد في بلدة قد تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة، ووقف عليها وقفا، وجعل فيها دار كتب".

ومن ثمّ نشأ في عصره طبقات الكتّاب المجيدين الذين ولوا المناصب العالية، بسط نظام الملك عليهم حمايته فوفرلهم الرزق، ووسّع عليهم العيش، وأمنهم غوائل الزمن، لينصرفوا الى علمهم ولا يشغلوا بمأكلهم، يقول العماد الأصفهاني[2]: " . . ولم يزل بابه مجمع الفضلاء، وملجأ العلماء، وكان ناقدا بصيرا ينقب عن احوال كل منهم، ويسأل عن تصرفاته وخبرته، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاّه، ومن رآه مستحقا لرفع قدره رفعه وأعلاه، ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب له ما يكفبه من جدواه، حتى ينقطع الى الى افادة العلم ونشره، وتدريس الفضل وذكره، وربما سيَره الى أقليم خال من العلم ليحلَي به عاطلة و ويحيي به حقه و يميت باطله .... وهذه التوسعة على العلماء والأدباء جعلت فرضا على الدولة، عليها أن تؤديه اليهم أبداً، ليظلوا دوما في مأمن من عوارض الزمن[3] .

---

[1] تاريخ آل سلجوق / ٥٤

[2] نفسه / ٥٤– ٥٥

[3] منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٤

وفي ظلال هذا المناخ العلمي الملائم درج جار الله في بلدة زمخشر، وبها طلب العلم وهو صغير[1]، ثم جدَ في طلبه في البلاد المجاورة، فرحل الى مدينة بخارى، و أتم فيها تعليمه على أيدي أساتيذ كبار .

وكانت بخارى – حينئذ – مثابة المجد، وكعبة الملك، و مجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض و و موسم فضلاء الدهر[2]. فقد يكون والده قد رفع به الى بخارى ليثقف العربية والأدب، فيحظى – بعد ذلك – بالمناصب التي كان يرقاها كل نابغ في عهد نظام الملك .

وما من شك في أنه قد ثقف ايضاً – فيما ثقف هناك – الحديث و فوالده رجل فقيه، والوزير الذي يرعى العلم محدث يروى الحديث و يبني المدارس لتعليمه، وينص شعر الزمخشري نفسه على انه قد نبغ في كثير من العلوم في سن مبكرة، ففي ديوانه قصيدة لامية يمدح بها نظام الملك – وكانت الولة الخوارزمية ما تزال في نشأتها ولاية تابعة لآل سلجوق – وينوه له فيها بفضله وعلمه، ويشيد بتفوقه في علمي النحو والنقد، و يشير إلى جهوده في مجالي: الآمالي و التصنيف، ومطلع الفصيدة[3]

ومما شَجاني أنض غُرُ مناقبـــي	تغنَى بها الرُكبَانُ بين القَوافِــل
وطَارَتْ إلى أقصى البلادِ قَصائدي	وسارَتْ سَيرَ النِيرَاتِ رسائلـي
وكمْ آمالٍ لي وكمْ مـن مـصَنفِ	أصَابَ بها ذهنيَ محضرَ المفاصـل
ولي في دَقيقش النحو و النقد منطقٌ	إذا قُلتُــه لم أبقِ قولاً لقائـلِ
غَـنِي ّمـن الأَدابِ لكننَـي إذا	نظرتُ فما الكفِ غير ض الأناملِ

فإذا عرفنا ان نظام الملك قد قتل في سنة: ٤٨٥ هجري[4]، تبين لنا بوضوح أن الزمخشري قد قال هذه القصيدة وعمره ثماني عشر سنة .

ويبدو أن تمكنه من بعض العلوم في هذه السن المبكرة قد اوجد لديه آمالا كبـارا، ومطـامع فسيحة المدى، يستشرف بعينيه مستقبلا ينعم فيه بسلطان و مرتبة عالية و فوسَع دائرة اتصالاته بكبار رجال الدولة في عهد السلطان ابي الفتح ملكشاه، ومدحهم ونال نوالهم و ولكن لم يكن

---

(1) الحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ٩

(2) يتيمة الدهر م٤ / ١٠١

(3) منهج الوخشري في تفسير القرآن م٢٧ .

(4) ديوانه / ورقة: ٩٤ – الدار و ٢٠٥ – ظ

المال مرماه فحسب، و انما السلطان ايضاً، فقد رأى أصحاب المناصب دونه من العلم، ودونه في الخلق[1]، يدل ذلك قوله[2]:

فيا ليتني أصبَحتُ مستَغنِياً و لم أكُنْ فخرَ خورزم رئيسَ الأفاضِلِ

وسعى الزمخشري – أول ما سعى – الى توثيق صلته بنظام الملك و واتخذ من علمه وفضله اللذين يعتبرهما وشيحتين من وشائح النسب التي تربطه بنظام الملك وسيلتينِ لبلوغ مبتعاه ويظهر هذا السعي واضحا من خلال قوله[3]:

ومَا حَقَ مثلي أنْ يكونَ مضيَعاً وقد عظُمَتْ عند الوَزيرِ وَسائلي
وأعْظَمُها أني نسيبُ نصابـهِ إذا عُرِضَتْ أنسابُ هذي القبائِلِ

يقول الدكتور مصطفى الجويني[4]: .. ففي أغلب الظن أن الضبيَ – يعني أستاذ الزمخشري – وصله بنظام الملك و لأنه وجده خيرتلاميذه في العلم، ثم خير تلاميذه في الدعاية للاعتزال من بعده فأراد رفعة شأنه، و أن يقوى من نفوذه بأن يصله بالسلطان، فوصله – أول ما وصل – بنظام الملك و ذلك الوزير الذي كان يقرب العلماء، ويبسط عليهم حمايتهخ، و يغدق من اموال الدولة عليهم، و يجعل ذلك حقا مرسوما لهم ويوليهم المناصب و الدرجات العالية كفاء علمهم و أدبهم . اتصل الزمخشري إذن بنظام الملك، وقال فيه مدحا كثيرة، و نال انعمة، وتغنى بشكره، ونحن نخالف الدكتور الجويني في رأيه و ونرجح ان الزمخشري قد فشل في توثيق صلته بنظام الملك.

---

[1] تاريخ دولة آل سلجوق / ٧٥، وانظر ك المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ٧

[2] منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٣٢

[3] ديوانه ورقة: ٩٤ – الدار، ٢٠٦ – ظ

[4] منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٣٢

ودليلنا على ذلك قول الزمخشري نفسه[1]:

أَحَظِّيَ منقوصٌ ولستُ بناقصٍ ... و كَمْ كاملٍ حظّاً و ليسَ بكَامِلِ

فلا ترضَ يا صَدر الكُفاة بأن تُرى ... أعَاليَ قـومٍ أُلحقـوا بأسافِلِ

ولا تَجْعلوني مثلَ هَمْـزة وَاصِلٍ ... فَيسقِطها حذفٌ ولاراءِ واصلِ

ولِمَ أدرِ أنَ الأرذَلينَ يَرونَ مـا ... تمنَوا و أنّي لستُ أحظى بِطائِلِ

فَوقِعْ إلى هـذا الزمـانِ فأنه ... غُلامكَ يجعلني كبعضِ الأرإذلِ

فنظام الملك أهمل الزمخشري ولم يلتفت إليه، وسبب هذا الإهمال – فيما يظن أن الزمخشري كان معتزلي الاعتقاد و معتزا باعتزاله و متحمسا له، مجاهرا به، ناشرا لافكاره، في حين كان نظام الملك سني المذهب و المعتقد .

ويلوح لنا سبب آخر و هو غرور الزمخشري وتعاليه، وتنويهه بعلمه وأدبه، واشادته بتفوقه على أقرانه و وتعريضه بالعلماء الذين نالوا حظوة لدى نظام الملك وغيره و ابرازه تقصير نظام الملك في استبعاده وتقديم غيره و وهذا مسلك مرفوض عند الوزراء وذوي السلطان .

ومن يستص ديوان شعره يجد أنه كان يعاني من أزمة نفسية حادة، فبعد أن فشل في الوصول الى بلاط نظام الملك تنازعته عاطفتان: أولاهما تملي عليه البقاء في وطنه خوارزم وتحمل ما يلقي فيها من شظف العيش وهوان الجاه . وتدفعه الثانيه الى التحول عن وطنه ومسقط رأسه الى بلد آخر ينشد فيه: تحقيق المال والجاه جميعا.

وانتصرت العاطفة الثانية في نفس الرجل، فعقد العزم على شد الرحال الى بلد آخر فيه ما يصبو اليه . و شعره بدخيلة نفسه حينما قال[2]:

أَحبُّ بـلادِ اللهِ شَرْقاً ومغرِبا ... إليَّ التي فيهـا غُذِيتُ وليدا

ولكنْ تُواسي بالكَـرامةِ غيرُهَا ... وهذى أرى فيه الهوانَ عتيدا

وما منزِلُ الإذلالِ للحُرِّ مَنْزِلاً ... وإن كانَ عَيْشُ الحُرِّ فيه رغيدا

سأرحلُ عنها ثُمَّ لستُ براجع ... وأضرِبُ مرمىً في البلادِ بَعِيدا

وحطَّ الزمخشري رحاله في خراسان، واتصل هناك بمجير الدولة أبي الفتح علي ابن الحسين الأردستاني – نائب تاج الدولة على ديوان الانشاء، وكاتب الرسائل في عهد السلطان أبي الفتح

---

[1] ديوانه ورقة ٩٤ – الدار و ٢٠٦ –ظ و انظر ك كتاب بدائع الملح / ١٧٠ أ

[2] ديوانه / ورقة ٣٧ – الدار، ٨٠ – ظ

ملكشاه – وكان أوحد زمانه، ونسيج وحده [1]، ومدحه، وأهاب به أن يقرأ كتابيه: " شرح أبيات كتاب سيبويه " و " الأنموذج "، فقال [2]:

نَطاسِيَ آمـالٍ مِرَاضٍ وجَابِرٌ لكسرِ مَهِيضات الخُطوبِ الفَوادحِ
فليتَ رحـالي أُلقِيتْ بغِنائـه فأرتـعَ فـي نَعْمائهِ غير نَازح
ويقدحُ زَنْداً وارياً مـن مَناقِبي إذا صَلَدَتْ كـلَّ الزّنادِ لِقَادح
وفي شرح أَبياتِ الكتاب لبعضِ ما يُرى في صفاتي مُجْملا أىّ شَارحِ
وأنموذجـاً أَنْفذْتُ فيه يَضمُّـهُ رجـاء أرى فيه وجوه المَناجح
أُراقَبُ من عين الوَزيرِ اطِّلاعَــ عليه وحَسْبي منه لمحةُ لامِـح

وينطق هذا الشعر بتهالك الزمخشري على الدنيا، وسعيه الحثيث إلى كسب الجاه والنفوذ، ورغبته الجامحة في ملازمة مجير الدولة [3]. ويصرح أيضا باهدار كرامة العلم والعلماء عل أعتاب ذوى الجاه من السلاطين والوزراء من لفّ لفّتهم .

ولم يقف طمو الزمخشري عند مجير الدولة، بل تجاوزه إلى مؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك – رئيس ديوان الانشاء في عهد السلطان أبي الفتح ملكشاه الذي يقول فيه العماد الأصفهاني [4]: " ولم يكن في أولاد نظام الملك أكفى منه، وكان أوحد العصر بليغا في النظام والنثر " – ومدحه في عدة قصائد، كشف له فيها عن أمله في شغل منصب كبير يتلائم مع كفائته العلمية " [5] .

---

[1] تاريخ الدولة آل سلجوق / ٥٨، وانظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٣٣ والزمخشري / ٣٨ .

[2] ديوانه / ورقة ٢٢ – الدار، ٤٩ – ٥٠ – ظ

[3] قيل: إن مجير الدولة قد خلع عليه وأعطاه فرسا وألف دينلر . – انباه الرواة / ٣/ ٢٦٧–

[4] تاريخ دولة آل سلجوق / ٧٨ – ٧٩

[5] ديوانه / ورقة: ٢١، ٢٣، ٣٣، ٣٤، ٨٨، ٩٦،١٠٦ – الدار

ويبدو أن الزمخشري لم يحقق اهدفه في خرسان، فنحن لم نجد في أخباره وآثاره مايدل على أن أصحاب النفوذ هناك قد احتفوا به وقرّبوه، وأعزوا جانبه ورفعوه . وهذا يفّسر لنا سر ارتحاله الى مدينة " أصفهان " – عاصمة السلاجقة " – ومدح ملكها: محمد بن أبي الفتح ملكشاه، الذي كان مشهورا بالعدل ةالشجاعة وحسن السيرة [(١)] .

وتمضى فترة كبيرة من الزمن لم نسمع للزمخشري في أثنائها مدحا لسلطان، حتى آل الملك الى معز الدين سنجر السلجوقي، فمدحه بقصيدة جيميّة طويلة يظهر فيها الافتعال والمبالغة[(٢)].

وخفت صوت الزمخشري وغاض ذكره، ولم يسمع الاّ بعد حين في خوارزم حين اتصل بخوارزم شاه، محمد بن نوشتكين(ت: ٥٢١هـ)ومدحه[(٣)]،ونصّ في مقدمة كتابه [(٤)]:" مقدمة الأدب على رعاية ابنه: أَتْسِزِ للعلماء والأدباء لأنه أمر بنسخ هذا الكتاب لخزانته.

وصاحب هذه المعاناه النفسية مُعَاناة أخرى جسدية، فأخبار تنص على إحدى رجليه كانت مقطوعة، ولكن هذه الأخبار لم تتفق على سبب قطعها فقد قال طاش كبرى زاده [(٥)]: "وفي سبب قطعها اختلافات منها: أنه سقط من السطح حين كان صغيرا، فانكسرت رجله وانثنت، فقطعوها .

ومنها: أنه سافر ببلاد خوارزم وقد أصابه ثلج كثير وبرد شديد، فسقطت منه رجله، وكان يمشي في جاون خشب، ومنها: أنه أصابه خراج رجله فقطعها، ووضع عوضها رجلا من خشب، ومنها: أنه سقط عن دابَّةٍ، فانكسرت رجلهُ،وأفضى الى أمر أوجب قطعها.

وقال ابن خلكان [(٦)]: . . وسمعت من بعض المشايخ أن احدى رجليه كانت ساقطة، وأنه كان يمشي في جاون من الخشب، وكان سبب سقوطها: أنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثج كثير وبرد شديد في الطرق، فسقطت منه رجله . . . والثلج والبرد كثيرا ما يؤديّ في الأطراف في تلك البلاد فتسقط، خصوصا خوارزم، فانها في غاية البرد،ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت اطرافهم بهذا السبب" .

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق / ٨١، وانظر: الزمخشري / ٤٠، وديوان الزمخشري / ٨٥ – الدار .

(٢) ديوانه / ورقة: ١٩، ٢٠ – الدار .

(٣) ديوانه / ١٥، ١٧٩- ١٨٠ – ظ .

(٤) مقدمة الأدب / ٣ أ

(٥) مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤ .

(٦) وفيات الاعيان / ٥ / ١٦٩ – ١٧٠، وانظر: إنباه الرواة / ٣/ ٢٦٨، وشذرات الذهب / ٤ / ١١٨، والعِبَر في خبر من غَبر/ ٤/ ١٠٦، وجرجى زيدان / تاريخ آدب اللغة العربية / ٣/ ٤٧ .

وحدّثوا أن الزمخشري– حين دخل بغداد، واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني، ساله عن سبب قطع رجله فقال [١]: " دعاء الوالدة: وذكر حكاية رجل العصفور التي ذكرناها [٢] ثم قال: فلما وصلت الى سن الطلب، رحلت الى بخارى لطلب العلم، سقطت عن الدابة في أثناء الطريق، فأنكسرت رجلي، وعمَلت علي عملا أوجب قطعها، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال فيظن من يراه انه اعرج[٣].

وعندما غدا الزمخشري إمام عصره، وشاع ذكره في الأوساط العلمية، وطبق ذكره آفاق الدولة الاسلامية، وصارت تشدُ اليه الرحال من جميع الامصار، كان طبيعياً – والحالة هذه – أن يتحوط لأمانته في العلم و وأن يحرص على سمعته بين العلماء، فيسدُ الثغرة التي يمكن أن ينَفَذ اليه الحسادُ وخصومه، ويقطع دابر الشك الذي يمكن أن يخامر نفوس شيوخه وتلاميذه وسائر معاصريه . ومن هنا، بادر الى اتخاذ دليل يدل على حسن سيرته ونقاء سريرته،فكان يحمل بيده محضرا فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة قطع رجله و خوفا من أنْ يُظن مَنْ لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة[٤].

وفي ديوانه ما يدل على أن حادث قطع رجله قد ترك أثراً عميقاً في نفسه حين قال[٥]:

ولا يرْعَكَ الكَسِرُ في جنَاحَهِ   قَرينَةٌ السَيفِ في الطرف
تَمثلوا الأَحنفَ في الحلم ومَا   غَضَ من الأحْنَفِ عارضٌ الحنَف [٦]

ولعل هذه العاهة الجسمية التي آلمت به كانت أهم الأسباب التي جعلته يعزف عن الزواج و يصرف النظر عن التفكير فيه . وربما عاضد هذا السبب سبب آخر و هو أن الزمخشري عاش أزمة نفسية حادة – كما بينا – من جراء فقره، وضيق ذات يده و و سدّ أبواب الحكام وذوي النفوذ في وجهه و فكأنما رأى أن الزواج سيكون عبئا جديدا يضاف الى حصيلة أعبائه و فآثر

---

[١] معجم الأدباء / ١٩ / ١٢٧، ووفيات الاعيان / ٥٦/ ١٦٩ – ١٧٠، وانباه الرواة /٣/٢٦٨ وبغية الوعاة /٢ / ١٧٩ – ٢٨٠، وأزهار الرياض /٣/ ٧٨، ومفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤

[٢] انظر: ص: من هذا البحث

[٣] مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وشرح شواهد الكشاف / ٤ / ٣٠٨

[٤] وفيات الأعيان / ٥ / ١٦٩

[٥] ديوانه / ١٦٦ – ظ، وانظر: بدائع الملح / ٨ ب

[٦] الحَنَف: في القدمين إِقبال كل واحدة منهما على الاخرى بإبهامهما، وقيل هو انقلاب القدم حتى يصير بطنها ظهرها، وقيل ك هو ميلٌ في صدر القدم، وقد حنف خنفا، وبه سمي الاعنف ين قيسٍ لحنفٍ كان في رجله . اللسان / حنف

العوزبة كما فعل بعض من سبقه من العلماء و الأدباء من أمثال كمحمد بن جرير الطبري، وأبي حيّان التوحيدي [١] و وصاحب المعرذة، وغيرهم.

وقد بسط الزمخشري مسالة عزوفه عن الزواج في شعره ونثره، وناقشها نقاشا عقلياً على غرار مناقشته لمسائله العلمية و الفقهية، واتّخذ من الواقع الموجود دليلا يستند اليه في اصدار حكمه على المسالة، ثم اتّخذ من حكمه هذا مبررا لتصرفه و فهو قد تصفّح واقع الأسر في عصره و فتبين له ان الأباء والامهات يجهدون انفسهم في تربية ابنائهم، ويبذلون جهودهم لتوجيههم وجه صحيحة، ولكن أكثر هؤلاء الأبناء يفشلون في تحقيق ما يتطلع االيه اباؤهم، ويعيشون في زوايا الحياة إذلة عاجزين عن إدراك النجاح. ومن هنا، فقد حكم على نفسه بالعزوبة، وآثر أن يعيش حياة شبيهة بحياة المسيح عليه السلام،أو كما يقول [٢]

تصفّحتُ أولادَ الرجالّ فلم أكدْ ... أُصادفُ من لا يفضَحَ الأمُّ و الأبا
رأيتُ أباً يشقى لتربية ابنهِ ... ويسعى لكي يُدعى مكيساً ومنجبا أراد به
النشأ الأغَرّ فما درى ... أيوليه حجراً أم يعليّه منَكبا
أخو شقوةٍ ما زال مركب طفله ... فأصبح ذاك الطفلُ للناس مركبا
لذاك تركتُ النسلِ واخترتُ سيرةً ... مسيحيّةً أحسنُ بذلك مذهبا

ومما يلفت النظر أنه قد آثار المسألة نفسها في موضع آخر من ديوانه، ودافع عن عزوفه عن أمر الزواج، وزاد على ذلك أنه جعل الأبناء جنود فساد، وحمّل الاباء جرائر الأبناء و كما يقول[٣]:

قَبيحٌ بمثلي و البنون كما أرى ... جنودُ فسادٍ ليسَ في الألف مُصلِحُ
إذا ارتكبَ الابنُ الخليعُ فضيحةٍ ... فذاك لعمرُ الله للأبِ أفضحُ
وكلّ صنيعٍ ليس للنفعِ جالبا ... وجرّ وجوهَ الضرِ فالترك اروح

---

[١] الزمخشري / ٩٦
[٢] ديوانه / ورقة: ٧ الدار – ١٦ – ١٧ ظ
[٣] ديوانه / ورقة: ٢٥ – الدار – ٥٦ ظ

ثم هو يعتبر رعاية الزوجة و القيام عليها شقاء أي شقاء فيقول[1]: ما ادري ايهما أشقى: أمن يعوم في الأمواج، أم من يقوم على الأزواج ؟ .

ويرى الزمخشري أن تصنيف الكتب، وتهيئة التلاميذ الذين يحسنون روايتها ونقلها آثر لديه من البناء، ذلك أن الأب لايامن ان يغدو الابن عاقا، أما الكتاب فانه لا يعرف العقوق، بل يرفع صاحبه ويحقق له النجاح في الحياة الدنيا، ثم هو لا يخذله في الحياة الاخرة يقول:

وحسبي تصانيفي وحسبي رواتها　　　بنين بهم سيقت إلي مطالبي
إذا الأب لم يأمن أبن عقوقه　　　ولا أن يعق الابن بعض النوائب
فإني منهم آمن وعليهم　　　وأعقابهم أرجوهم للعواقب

ويقول في موضع آخر.

بني فاعلم بنات فكري	حصانهم أمة الدراسة
أبناء صدق لهم نفوس	وصفن بالفضل و النفاسة
بر صريح بلا عقوق	خلق سجيح بلا شكاسة
ما نسل قلبي صلبي	من قاس رد النهي قياسه

ونحن لم نستطع ان نكتم دهشتنا حين اطلعناعلى شعر الزمخشري، وقرأنا فيه رأيه في الزواج، فلم تطمئن نفسنا الى هذا التصرف،ولم نقتنع بما أصدر من أحكام في هذه المسألة، أما أولا فأن العزوف عن الزواج والانجاب ولا يقبل من مسلم يستطيع الباءة، فاأحرى ألا يقبل من إمام عصره وعلامة دهره، وهو من هو في منهجيه التفكير، وفي علوم: الأصول والفقه و التفسير و الحديث فالاسلام يرفض الرهبنة، ويرغب بالزواج و يحث عليه، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومثل هذا الحديث لا يخفى على عالم حجة كالزمخشري .

وأما ثانياً، فإن النظر الى الابناء نظرة اتهام وريبة، و الحكم عليهم بالفشل واعتبارهم مصدر شقاء وتعاسة لآبائهم و أمهاتهم، وتحميل الآباء جريرة الأبناء، كل ذلك يعتبر من قبيل التشائم، وهو أمر لا يقره الاسلام، بل ويرفضه وينهى عنه، ومثل هذا لا يخفى على مفسر عالي الكعب في مجال التفسير .

---

[1] نوابغ الكلم م ٢٦١ أ (ضمن مجموع)

وأما ثالثاً فإنه حكم على الابناء حكماً شاملاً من خلال تصرفات فردية تحدث من بعض الأبناء، ومثل هذه الاحكام مرفوضة شكلاً ومضموناً، إذ كان عليه ان يتزوج، وان يعد للأبناء عدة تعين على تربية صالحة، وتوجههم وجهة صحيحة، ويبذل جهده في تعليمهم و بناء شخصياتهم، و أما النتائج فلا يعتبر مسئولا عنها، بل هي بيد الله و أي عليه أن يربط السباب بالمسببات فحسب . ومن هنا، فنحن نعتبر الزمخشري مخطئا في حكمه على الزواج، وفي تهربه من مسئوليته وفي حكمه على الأبناء و الباء و ذلك ان حكمه يناقض سنة الحياة وناموس الكون، فسنة الحياة تشدذُ الرجل الى المرأة، وتشدذ ث المرأة الى الرجل شدّاً طبيعياً، فالجنس غريزة غرزها الله تعالى في الانسان، وجعل هذه الغريزة الطبيعية في حاجة الى إشباع . كما أن الإنجاب يعتبر صدىً لغريزة النوع التي تعتبر جزءاً لا يتجزءا من الانسان . وأغلب الظن أن عزوف الزمخشري عن الزواج و انما كان نتيجة عقدة ترسبت فب أعماق نفسه، فأحسّ َ نتيجة ذلك بالنقص و وشك في قدرته على القيام بأعباء الزواج فأسقط ذلك كله على ألابناء، تلكم العقدة هي عاهة العرج التي داهمته في ريعان شبابه فأحدثت في نفسه شرخا قوياً، أعقبه صراع عنيف و أدى الى ما أدى اليه العزوف عن الزواج . ثم حدث تحول خطير في حياته بعد ان أُرىِ ِ في بعض إغفاءات الفجر كأنما صوّت به من يقول له: يا أبا القاسم: أجل مكتوب: وأمل مكذوب . وقد أفشى الزمخشري نفسه سرّ هذا التحول في مقدمة مقاماته حين قال [١]:فلما إصيبت – يعني نفسه – في مستهل شهر الله الاصم [٢] الواقع في سنة ثنتي عشرة بعد الخمسمائة بالمرضة الناهكة [٣] التي سماها، المنذرة، كانت سبب غنابته وفيئته و وتغير حاله وهيئته، واخذْه ِ على نفسه الميثاق لله إن من عليه بالصحة أن لايطأ بأخمصه عتبة السلطان، ولا واصلِ بخدمة السلطان إذياله وان يربأ بنفسه و لسانه عن قرضٍ فيهم، ورفع العقيرة في المدح بين ايدهم [٤] و أن يَعَفّ عن ارتزاق عطيّاتهم و إفتراض صِلاتهم [٥]...

و يجدُّ في اسقاط أسمه من الديوان ومحوه، وان يعنف نفسه حتى تقيء ما استطعمت في ذلك فيما خلالها في سني جاهليتها .. ويتبتل إلى ربه و يتنسك، ويجعل مسكنه لنفسه حبسا،

---

[١] مقامات الزمخشري / ٥-٦

[٢] كانوا يسمون شهر رجب ك الاصم لان السلاح لايتقعقع فيه، ولذلك سموه: منصل الاسنة

[٣] نهكه المرض – وهو الفصيح – ونهكه وانهكه كغذا بلغ منه، ومنه: فلان ينهك في العدو، وشجاع ناهيك .

[٤] عقرت رجل رجلٍ فرفعها وهو يصيح و فضرب رفع العقيرة مثلا في التصويت .

[٥] فرضُ العطاء ك رسمه و وفروض الجند ك مراسمهم و افترضه ك أخذه .

و لايريم [١] عن قراره ما لم يضطره أمرٌ ذو خيرٍ، لا يجد الصالح بُداً من توليه بخطوةٍ، والأ يدّرسُ من العلوم التي بصددها الا ما هو مهيب [٢] بدراسة الهدى .... وحين شفاه الله من مرضه شخص الى بغداد، فسمع من بعض علمائها، وناظر بعضهم[٣]، ثم سمت نفسه وجدّتْ في التخلص من أدران الدنيا وشوائب ذنوبها، فتطلعت في سنة: ٥١٦ هجري الى زيارة مكة و الاقامة في بيت الله الحرام و مجاورة الله زمنا ينقطع فيه للعبادة و الطاعة و التصنيف و سمى نفسه: جار الله، و في ذلك يقول [٤]:

يا من يسافر في البلاد منقّبا ... اني الى البلدِ الحرامِ مُسافِرُ
سأروحُ بين وفود مكَة وافداً ... حتى إذا صدروا فما انا صادرُ
بِفِناءِ بيتِ الله أَضرِب قبّتي ... حتى يحلّ بي الضَريح القابرُ
حسبي جوار الله، حسبي وحده ... عن كل مفخرةٍ يعدّ الفاخرُ

وتوثقت صلته في مكة المكرمة بأميرها أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس، الشريف الحسني، وكان ابن وهاس ذا فضل غزير، وصاحب تصانيف مفيدة، وقريحة في النظم و النثر مجيدة، [٥] . فعرف لذلك قدر الزمخشري، فرحب به و أعلى من شأنه، ومدّ له يد العون، و أقبل على الاستفادة منه و أشار عليه بتصنيف كتاب الكشاف في التفسير حتى انه حدث نفسه – في مدة غياب الزمخشري عن الحجاز – أن يفد عليه بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض [٦]، ونشطه لتصنيف ما صنف و وتأليف ما الّف [٧]، فتغيرت نفسية الزمخشري الطامعة الحاقدة الثائرة، واستحالت الى نفس راضية مطمئنة قد انبسط عليها سلطان الدين الاسلامي، فنقى سريرتها، وصفى مزاجها من كل حقدٍ وغيٍ وتهالك على الدنيا. واستفاد الزمخشري ايضا من ابن وهاس واخذ عنه [٨]، و اطمأنت

---

[١] لا يريم ك لا يبرح، يقال ك رام المكان،
[٢] أهاب به الى كذا: دعاء اليه، وهو من أهابه الراعي بالإبل لما فيها من الارباب
[٣] الزمخشري / ٤١، وانظر: تاريخ أبي الفدا م ٣/ ١٦
[٤] ديوانه ورقة ك ٤٣ – الدار . ٩٣ – ظ
[٥] معجم الادباء / ١٤ / ٨٥، وانظر: الجاجا بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق م ١٢
[٦] مقدمة الكشاف / ١/ ٢٠/ –٢١، وانظر: ديوانه / ١٦٢ / ١٦٤ – ظ
[٧] إنباء الرواة م٣/ ٢٦٨
[٨] نفسه / ٣/ ٢٦٨

نفسه اليه، فأحبه وأخلص له، وصنعه على عينيه . ومدحه بقصائد تنبيء عن شيء كثير من الحب و الود و العاطفة، ومن ذلك قوله[1]:

ولولا ابن وهاسٍ و سابغ فضله رعيت هشيماً و استقيتُ مصرّدا

وفي اثناء مقامه بالحجاز، طوّف في جزيرة العرب، وزار كل بقعة من بقاع أرض العرب يقول [2]: ووطئت كل تربة في أرض العرب، واتصل بآل زرير في أرض همدان باليمن، ومدحهم [3]، ثم شاقته خوارزم فارتحل اليها بعد حولين كاملين، وابتسم له فيها الزمن، إذ كان فيها بيت ملك يؤسسه محمد نوتشكين الملقب بخوارزمشاه ٠ ت: ٥٢١ هجري،وقد كان قبل والياً عليها في عهد بركيا روق، و أمّره سنجر من بعده، فظهرت كفايته وشهامته، ويظهر أن الزمخشري نال عنده حظوة، فهوة يمدح فيه رعايته العلم و الأدب، إذ يقول [4]:

وقد خدمتُ بشئيينِ استوى بهما أمر الملوك ودان السيفُ و القلَمُ
للكتب هذا و هذا للكتائب فـي يوميْ ندىً وردىً راعٍ و منتقمُ
أي الملـوك تلقت في مجالسـه غرائب العلم و الاداب و الحكمُ

وحين توفي محمد خوارزمشاه، ظل الزمخشري على مكانته عند ابنه أتسِز(ت: ٥٥١ هجري) الذي مدّ ظلال الأمن و أفاض العدل [5]، وحرر له نسخه من كتابه: مقدمة الادب كما بينا من قبل . ولم تطل إقامة جار الله في موطنه، فما فتيء ان دبّ في نفسه الشوق الى مكة المكرمة، و الحنين الجارف الى الكعبة المشرفة، فبدأ يلوم نفسه على الرحيل عنها، و التحول عن ربوعها، وصوّر هذا اللوم في صورٍ شعرية تفيضُ عاطفةً و تقىً و وتكشفُ عن نفسٍ تقيةٍ قد شفها الشوق، وعن قلبٍ كبيرٍ قد امتلاء بالخوف و الرهبة، وعن عقل قد وجد لذّة في الايمان اليقيني و العبادة الواعية [6] .

ولهذا، لم يجد بداً من تجديد العزم على العودة الى رحاب الله فقيل له: قد زيجيت أكثر عمرك هناك . فما الموجب ؟ فقال: القلب الذي لا أجده هاهنا [7].

---

[1] ديوانه / ورقة ١: الدار . وانظر ايضا: ورقة: ٧٨، ٨٠ والنجوم الزاهرة / ٥/ ٢٧٤

[2] أساس البلاغة / مادة ترب

[3] ديوانه / ٢٤٠ – ظ

[4] ديوانه / ٢٣٢ / ٢٣٣ – ظ، وورقة: ١١٠ – الدار

[5] الكامل في التاريخ / ١٠ / ٩٣- ٩٣- و انظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٣٩

[6] ديوانه / ورقة: ٧٨، ٧٩، ١١٥ – الدار، وانظر: بدائع الملح / ٤٧ ب، ٥٥ ب، ٥٦ ب، ٥٨ أ ز

[7] أنباه الرواة /٣/٢٦٦ .

بهذا يكون أبا القاسم وقد وطّن نفسه وروضها على انه لم يخلق الا للدين الاسلامي، ولم يوجد الا لخدمته [(١)]، وعاد الى جوار الله في مكة، ولكنه عرّج على بلاد الشام أولا، فأقام فيها فترة وجيزة، حيث مدح تاج الملوك طغتكين – صاحب دمشق – وكان مدحه له خالياً من أمارات الزلفي و الاستعطاء، و خالصا لوجه الله تعالى . لأنه كان معروفا بعدائه للباطنية حيث أنه قتل منهم ستة الاف، كما انه قد جهد في حماية المسلمين من خطر الصليبيين، إذ قام بجمع العرب و الترك من المسلمين لصدهم عن دمشق، ومكنه الله من إلحاقه الهزيمة بهم في سنة ٥٢٣ هجري [(٢)] . ثم مدح ابنه شمس الملوك الذي خلف اباه: ٥٢٦ هجري [(٣)] .

وشخّص ابو القاسم الى مكة في السنة نفسها، فأقام فيها ثلاث سنين، جدّد فيها لقاءه بالامير وهّاس، ولقي منه ما كان يلقاه من تقدير وإكبار . وفي أثناء إقامته هذه منّ َ الله عليه بتصنيف كتاب الكشاف، ولقي من ابن وهّاس تشجيعاً ورعاية و يسّرا عليه إنفإذ مهمنه [(٤)]، يدل ذلك على قوله: [(٥)]

وتمّ لي الكشافُ ثمّ ببلـدةٍ ... بها هَبَطَ َ التنزيلُ للحق كاشفا
وكان ابن وهّاسٍ لجنبيّ فارشاً ... كما تفعلُ الامّ ُ الحَفيّة لاحقاً
وأنفقَ في إتمامه من تـلادة ... ثقيلاتِ وزنٍ في البلاد خَفائِفا

واطمأنت نفسه الى جوار الله، ودخلت السكينة الى قلبه، فأودع شعره ما كان يستشعر من إيمانٍ وفرحةٍ على شاكلة قوله [(٦)]:

أنا الجارُ جارُ اللهِ مكة مركزي ... ومضربُ اوتادي ومعقِدُ أطنابي
وما كـان الا زورةً نهضتي الى ... بلادٍ بها أوطانُ رهطي و أحبابي
كررت الى بطحـاءِ مكة راجعاً ... كأني ابو شبلين كرّ الى الغاب
ومَنْ كان في بعض المحاريبِ راكعاً ... فَلَلكعبةُ البيتُ المحرم مِحرابي

---

(١) المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ١٢

(٢) منهج الزمخشري في تفسير القرآن م ٣٩ – ٤٠ – وانظر الكامل في التاريخ / ١٠ / ٢٣٤و الزمخشري ٤٥

(٣) ديوانه / ورقة: ٣٨، ٩٨ – الدار .

(٤) مقدمة الكشاف / ١ / ٢٠ / ٢١

(٥) ديوانه / ١٧٢ - ٢٧٣ – ظ

(٦) ديوانه / ورقة: ٥ – الدار ١١ – ظ

وكأنّ الزمخشريّ قد أحسّ ّ بدنو أجله حين أخذت منه السّن، وتقمقع الشنّ، وناهز العشر التي سمّتها العرب دقاقة الرقاب [1]، فلإذ بحرم الله وبيته ورغبت اليه نفسه أن يموت في جوار الله و فأستغرق في عبادة الله – جلذت قدرته – منصرفا اليه بكلّيته [2] ك ولدّت بحرم الله المعظم و وبيته المحرّم و طلّقت ما وزرني بتاً . وكفتّ ذيلي عنه كفتا و ما بي من همّ الأ ّ خويصتي، وما يلهيني الا النظر في قصتي، انتظر داعي الله صباح مساء، وكأني به و قد امتطيت الآله الحدباء و قد وهنت مني العظام، ووهنت القوى، وقلة الصحة وكثر الجري ......

وتعتبر الفترة الزمنبة التي ثاب بها الى نفسه، فترة غنية في التصنيف العلمي، فقد صنذف فيها كتابيه: المفصل في النحو [3]، و الكشاف على حقائق التنزيل [4]، اللذين أشهراه شهرة فائقة، وأعليا ذكره بين علماء عصره ومن بعدهم، كما صنّف فيها جلّ مؤلفاته واشهرها كالمقامات و أطواق الذهب و الرسائل وغيرها [5] .

وتحلق حوله فتيان مكة ينهلون من معين علمه الثرذ، وقصده طلاب العلم من سائر أرجاء العالم الاسلامي ياخذون عنه حتى قال قائلهم [6]:

أمكةَ هلْ تَدرينَ مإذا تضمّنت   بمقدم جارِ الله منك الاباطحُ
به وإليه العلمُ يُنْمىَ و ينتمي   وفيه لأربابِ العلومِ المناجحُ
محطّ رحال الفاضلين فلم يزل   يحطّ اليه الرحلُ غادٍ ورائِـحُ

وعلى الرغم مما أفاء الله عليه هدوء نفسي، وجاورة لبيت الله الحرام، و أمنٍ لعادياتِ الزمن، وعلى الرغم مما حقق من آمال عريضةفي ربوع مكة و فقد فاض في نفسه الشوق الى وطنه و ورغب في العودة اليه و وكأنه نسي ما لاقاهفيه من شظف العيش و الفقر والحرمان، ونسي أيضاً أنه لم تفتح له فيه برعمة من براعم أماله و أمانيه، و لكن الوطن عزيز، بل هو فوق كل عزيز، واتخذ جار الله سمته الى خوارزم، وفي طريقه اليهما مر ببغداد، وقرأ بعض كتب اللغة عن أبي منصور الجراليفي [7]، ثم غذ السير الى خوارزم، وأقام فيها ينتظر، حيث فجأته المنية ليلة عرفة سنة ثمان وخمسمائه للهجرة في مدينة جرجاني .

---

[1] الكشاف / ١ / ٢١

[2] ازهار الرياض / ٣/ ٢٨٢

[3] تم تأليفه بين ك ٥١٣ – ٥١٥ – هجري

[4] شرع بتأليفه بين ك ٥٢٦ – هجري و فرغ منه في سنة ٥٢٨ هجري

[5] المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ١٣

[6] أزهار الرياض / ٣/ ٢٨٢ / و ما بعدها، و انظر: الطبقات السنية / ٤١٨ أ

[7] وفيات الاعيان / ٢/ ٣٤٠

ويخبرنا ابن خلكان[١]، انه سمع من بعض فضلاء حلب أن الزمخشري ّ أنشدَ هذه الابيات و أوصى ان تكتبَ على لوح قبره ك:

يا منْ يرى مَدّ َ البعوض جناحها   في ظُلمة الليلِ البهيم الأليلِ
ويرى عروقَ نيَاطِها في نحرها   والمخّ في تلك العظام النّحّلِ
إغفر لعبدٍ من تاب من فرطاته   ما كان منه من الزمان الاول

وقيل: أنه أوصى أن يكتب على قبره أبياتٌ أخرى غيرها [٢]: و رثاء بعضهم بابيات، ومن جملتها: [٣]

فأرضُ مكة تذري الدمع مقلتها   حزنا لفرقة جار الله محمودِ

---

[١] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧٣

[٢] شرح شواهد الكشاف م٤/ ٣١٠

[٣] وفيات الاعيان م ٥/ ١٧٣

الفصل الثاني

معالم شخصيته

- شخصيته
- تقيّدهُ بالفكرِ الإسلاميّ

شخصيته :

اختلف العلماء في تحديد مفهوم الشخصية، فأطلقها أكثرهم على مجموعات الصفات الجسمية و العقلية و الخلقية التي يتصف بها الإنسان، سواء أكانت حسنة أم قبيحة، وقالوا: أن الإنسان كثيرا ما يتميز عن غيره بالطابع العام لهذه الصفات، وجعلوا لهذه الشخصية مصدرين: الفطرة و التربية، ثم قالوا: انه لا يمكن الاعتماد على الهبات الفطرية وحدها، لأن ذلد يجعل الإنسان ضحية الظروف، و يفقد التربية أثرها في بناء العظماء من رجال العلم و الأدب و الدين و الفن . وجرهم الى هذه البحث عن عناصر اساسية تقوم عليها الشخصية فحصروها بالذكاء، و الجاذبية و المشاركةالوجدانية، و الشجاعة، و الحكمة و التفائل و والتواضع و وقوة البيان و الثقة بالنفس و الاعتماد عليها، و اعتدال المزاج، و المظهر العام للجسم، وحسن الهندام[1]، و انطلقوا من ثمّ الى تطبيق ما قالوا على الاشخاص، وجعلوا العناصر التي تواضعوا عليها قياساً، وحكموا عليهم من خلالها.

ومن يمعن النظر في العناصر المذكورة، يجد انها تتركز – أكثر ما تتركز- على الصفات الجسدية والخلقية، وهذ الصفات لا تكفي لتحديد معالم شخصية الإنسان، ولا ترقى لأن تكون مقياساً يحكم من خلاله على الأشخاص، ومن هنا فإنا نخالف ما ذهبوا إليه جملة وتفصيلاً، ونرى أن الشخصية في كل إنسان تتألف من عقليته ونفسيته جميعاً، ولا دخل لشكله ولا لجسمه وهندامه، فمن السطحية أن يظن أحد أنها عامل من عوامل الشخصية أو أنها تؤثر على الشخصية، ذلك أن الإنسان يتميز بعقله وسلوكه وحده هو الذي يدل على ارتفاعه و انخفاضه.

ولما كان سلوك الإنسان في الحياة بحسب مفاهيمه، فإنه يكون مرتبطا بهذه المفاهيم ارتباطا حتميا لا يكاد ينفصل عنها، ونعني بالسلوك: أعمال الإنسان التي يقوم بها لأشباع غرائزه أو حاجاته العضوية، فهو لذلك يسير حسب الميول الموجودة لديه للإشباع سيراً حتمياً، وعليه تكون مفاهيم الإنسان وميوله هي قوام شخصيته . والمفاهيم معان للافكار لا للألفاظ والتراكيب، فاللفظ: كلام يدل على معان قد تكون موجودة في الواقع، وقد لا تكون، أما المفاهيم فإنها تتكون من ربط الواقع بالمعلومات، أو من ربط المعلومات بالواقع، ويبلور هذا التكوين حسب القاعدة أو القواعد التي يجري عليها قياس المعلومات و الواقع حين يتم الربط

---

[1] انظر: الزمخشري / ٦٤/ وفي علم النفس / ٣/ ٣٧٠ ونظريات الشخصية / ٢١- ٢٩- وما بعدها، و الذكاء / ٤٤٢ / ٤٤٦ ونظريات التعلم / ٦٤ – ٠٦٨ .

بينهما، أي: حسب إدراكه للواقع و المعلومات عند الربط بينهما، فتوجد بذلك – للشخص عقلية تفهم الألفاظ و الجمل ، وتدرك المعاني بواقعها المشخّص و تصدر حكمها عليه . وعلى ذلك فالعقلية: هي الكيفية التي يجري عليها عقل الشيء، أي: إدراكه وبعبارة أخرى هي الكيفية التي يربط فيها الواقع بالمعلومات، أو المعلومات بالواقع بقياسها الى قاعدة واحدة أو قواعد معينة، ومن هنا يأتي اختلاف العقليات كالعقلية الإسلامية، والعقلية الشيوعية والعقلية الرأسمالية، و العقلية الفوضوية، والعقلية الرتيبة . أما نتائج هذه المفاهيم فإنها هي التي تعين سلوك الإنسان نحو الواقع المدرك . وتعين له نوع الميل لهذا الواقع من حيث: الإقبال عليه أو الإعراض عنه، و تجعل له ميلاً خاصاً وذوقاً معيناً.

أما الميول: فهي الدوافع التي تدفع الإنسان للإشباع، مربوطة بالمفاهيم الموجودة لديه عن الأشياء التي يراد منها أن تشبع، وهذه الميول وحدها هي التي تكوّن نفسية الإنسان، فالنفسية إذن: هي الكيفية التي تربط فيها دوافع الاشباع بالمفاهيم، فهي مزيج من الارتباط الحتمي الذي يجري طبيعياً في داخل الإنسان بين دوافعه و المفاهيم الموجودة لديه عن الأشياء مربوطة بمفاهيمه عن الحياة. ومن هذه العقلية و النفسية جميعاً تتكون الشخصية، فالعقل و الادراك وإن كان مفطوراً مع الإنسان، ووجوده حتميّ لدى كل انسان، فان تكوين العقلية يجري بفعل الإنسان، كما أن الميول، وان كانت مفطورة عند الإنسان، ووجودها حتميّ لدى كل انسان، فإن تكوين النفسية يحدث بفعل الإنسان أيضاً . ولما كان وجود قاعدة أو قواعد يجري عليها قياس المعلومات و الواقع حين الربط، هو الذي يبلور المعنى فيصبح مفهوماً، ولما كان الامتزاج الذي يحصل بين الدوافع و المفاهيم هو الذي يبلور الدافع فيصبح ميلاً، كان للقاعدة أو القواعد التي يقيس عليها الإنسان المعلومات والواقع حين الربط الأثر الأكبر في تكوين النفسية وتكوين العقلية، فإن كانت هذه القاعدة أو القواعد التي يجري عليها تكوين العقلية، هي نفس القاعدة أو القواعد التي يجري عليها تكوين النفسية، وجدت عند الإنسان شخصية متميزة بلون خاص، وإن كانت غير ذلك، كانت عقلية الإنسان غير نفسيته، لأنه – حينئذ – يقيس ميوله على قاعدة أو قواعد موجودة في الأعماق فيربط دوافعه بمفاهيم غير المفاهيم التي تكونت بها عقليته،فيصبح شخصية ليس لها مميز، مختلفة متباينة، أفكاره غير ميوله، لأنه يفهم الألفاظ والجمل، ويدرك الوقائع على وجه يختلف عن ميله للاشياء .[1]

---

[1] انظر ك الشخصية الاسلامية / ١/ ٥/ ١٢

ومن خلال هذا التحديد لمعالم الشخصية ننطلق الى جار الله فنقول: إنه كان شخصية إسلامية متميزة كل التمييّز، فقد اتخذ من العقيدة الإسلامية قاعدة فكرية بنى عليها أفكاره وكوّن على أساسها مفاهيمه عن الحياة، فتكونت عقليته على هذه العقيدة. ووجد لديه مقياس صحيح للأفكار، أمن به زلل الفكر، ثم جعل ميوله كلها على أساس المبدأ الإسلامي، وجعله وحده مقياساً عاماً للإشباعات جميعاً.

وقد نقذرنا في المصادر التي نقلت أخبار أبي القاسم، و استقرأنا الكتب التي ترجمت له و حملت آثاره، فلم نعثر فيها جميعا على وصف لصفاته الجسدية و ملامحه، اللهم إلا ما كان من أمر قطع رجله وعرجه، وما قاله الاندلسيّ، في مقدمته لشرح كتاب المفصل [1]: وكان أربعة من الرجال، فعرجه لم يقصدوا فيه التوصيف، بل نقلوه باعتباره عاهة مستديمة و علامة فارقة كما نقلوا خبر عمي أبي العلاء المعري و بشار بن برد وغيرهما . و هذا يعزز ما نذهب اليه من ان شكل الإنسان و لياقته البدنية و صفاته الجسدية لا علاقة لها بالشخصية، ولا تدخل في اطار مفهومها، و من هنا، نجد أن كتب التراجم قد خلت – بصفة عامة – من الاوصاف الجسمية للعلماء، وصرفت همها إلى عقلياتهم و آثارهم وطرائق تفكيرهم، أما ما وجدناه في دائرة المعارف الإسلامية من أن الزمخشري كان فطناً حادّ الذكاء، صاحب خلق مرهف الحسّ [2]، فإنه كلام عام يصلح أن يطلق على كل إنسان نبغ في العلم و وتفوّق على أقرانه، وذاع صيته وكثرت آثاره.

وكان الزمخشري حنفياً متكلماً، ميّالاً إلى عمق التفكير – وتقليب وجهات النظر [3]، وتمحيص الآراء، وكان معجباً بأبي حنيفة النعمان – صاحب الرأي و القياس – ومتمذهباً بمذهبه حتى أصبح من أئمة الحنفية [4]، وكان يرى أن العقل صاحب السلطان و الحجة. وليس أدلّ على ذلك من قوله كتابه "أطواق الذهب" [5]: امش في دينك تحت راية السلطان، ولا تقنع بالرواية عن فلان و فلان، فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه، و ما

---

(1) شرح المفصل / ٢ ب

(2) دائرة المعارف الاسلامية / ٣٤٧/٥، وانظر ايضا: بغية الوعاء / ٢م٢٧٩، و الزمخشري / ٦٧ .

(3) الزمخشري م ٦٨

(4) شذرات الذهب م ٤/ ١٢١

(5) اطواق الذهب / ١٦ب / ١٧ أ .

العنز الجرباء تحت الشمأل البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل، و من تبع في أصول تقليده، ضيّع وراء الباب المرتج اقليده ... ان كانت للضلال أم فالتقليد أمّه .

لهذا، لم يكن غريباً أن يتوجه أبو القاسم وجهة المعتزلة، وأن يعتقد معتقدهم، فقد كانوا أرباب كلام، و أهل الفلسفة و المنطق، وأصحاب الجدل و الحجاج . و من هنا، وجدت أفكارهم صدىً قويا في عقليته، فحمل هذه الأفكار و ودعا الناس الى حملها، وجاهر بها[١]، وقد نقلوا عنه أنه كان إذا قصد صاحبا أستأذن عليه في الدخول أن يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزليّ بالباب،[٢] وليس غريباً أيضاً أن يدوّن أفكار الاعتزال التي يتبناها، وينافح عنها ويفتخر بها في كتبه ومؤلفاته [٣] وقد بذل مجهوداً كبيراً، وتحمل عناءً شاقاً في تفسير الآيات القرآنية على مقتضى مذهب الاعتزال من الأصول الخمسة التي يقوم عليها المذهب [٤] . من ذلك على سبيل المثال – ان في القرآن الكريم آيات يدل ظاهرها على الاختيار، وأن العبد يخلق أفعال نفسه، وآيات يدل منطوقها على أن الله خالق كل شيء . والتوفيق بينهما يبدو متعبا جدا حتى أن المتكلمين قد حاروا في ذلك وقالوا: إن هذا من الأسرار التي لا يمكن الوصول إليها، وإن العقل البشري لا يستطيع ادراك سرّها، وإن كان بعض علماء الصوفية كمحي الدين بن عربي، و الغزالي رأوا أنهم أدركوا ذلك عن طريق الكشف [٥] .

ومهما يكن من أمر، فان الزمخشري قد عانى معاناة كبيرة في التوفيق و وتفسير الايات تفسيرا ينسجم مع مفاهيم الاعتزال، والأصول التي يقوم عليها معتقد المعتزلة، كنفي السحر، و أنه ليس قلبا لطبائع الاشياء، و انما هو لعب بأعين الناظرين و عقولهم، و كعدم رؤية الجنّ و وغير ذلك [٦]. وقد ذكر ابن خلكان [٧]، أن الزمخشريّ أول ما صنف كتاب الكشاف كتب استفتاح الخطبة " الحمد لله الذي خلق القرآن " ويقال: انه قيل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب به أحد فيه، فغيره بقوله " الحمد لله الذي جعل القرآن " و"جعل " عندهم بمعنى:خلق" . ورأيت في كثير من النسخ: "الحمد لله الذي أنزل القرآن "، وهذا إصلاح الناس لا إصلاح

---

[١] شذرات الذهب م٤/ ١٢١، و العبر في خبر من غبر / ٤/ ١٠٦، وتاريخ آداب اللغة العربية / ٣/ ٤٧

[٢] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧٠، وبغية الوعاة / ٢/ ٢٧٩ ومفتاح السعادة م ورقة ١٩٣ .

[٣] الكشاف / ١/ ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٦٣٥-٢/ ٧٢، ٧٥، ٨٠، ٩٥، ١١٦، ٣١٧، ٤٥٨ -٤/ ١٩٥، ٢٢٨.

(٤) – هي التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، و المنزلة بين المنزلتبن، و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر

[٥] ظهر الاسلام / ٤ / ٥٣/

[٦] نفسه / ٤/ ٥٤

[٧] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧٠، انظر ك الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / ١ / ٣

المصنف" . ونفى صاحب كشف الظنون هذه الدعوة بقوله: [1] " قال بعض الطلبة، وأثبته بعض المعتنين بالكشاف في تعليق له عليه: أنه كان في الأصل كتب "خلق" مكان أنزل " و أخيراً غيره المصنف أو غيره حذراً عن الشناعة الواضحة . وهذا قول ساقط جدا ً، وقد عرضته على أستاذي فأنكره غاية الإنكار، و أشار إلى أن هذا القول بمعزل عن الصواب لوجهين: أحدهما: أن الزمخشري لم يكن أهلاً لأن تفوته اللطائف المذكورة في: "أنزل" وفي: "نزل" في مفتتح كلامه، ووضع كلمة خالية من ذلك.

الثاني: أنه لم يكن يأنف من انتمائه الى الاعتزال، وانما كان يفتخر بذلك . و أيضاً أتى عضيبه بما هي صريح في المعنى، إذ قال: أنشأ ه كتابا ساطعا بيانه،ولم يبال بأنه قبيح . وقد رأيت النسخة التي بخط يده بمدينة السلام مخبئة في تربة الأمام أبي حنيفة خالية من أثر كشط و إصلاح".

ورجعنا إلى بعض النسخ المطبوعة فوجدنا أنه يفتتح بعبارة [2]: " الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزّله بحسب المصالح منجماً، و جعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً" .

وكان طبيعياً أن يؤثر اتجاه الزمخشري الفكري في آثاره العلمية خاصة، وأنه لم يكن من سواد المعتزلة، وإنما كان شيخاً من شيوخهم، بل أنه كان خاتمة شيوخهم – كما يقولون-[3] ومن هنا، فإننا لا نفاجأ حين تطالعنا آراؤه الاعتزالية في الكشاف، وفي المفصل، وفي غيرهما من مصنفاته .

ولسنا – هنا – بصدد الحديث عن منهج الزمخشري في تفسيره: " الكشاف"، ولكن هذا لا يمنع أن نسوق مثالاً أو أكثر نعضد بها وجهة النظر التي نذهب إليها . فهو حين تناول تفسير قوله تعالى [4]: " ولما جاء موسى لميقاتنا فكلمه ربه، قال ربي أرني أنظر اليك؟ قلت معنى: أرني نفسك: اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر اليك و اراك ... فإن قلت كيف طلب موسى – عليه السلام – ذلك وهو من أعلم الناس بالله و صفاته، وما يجوز عليه وما لا يجوز، و بتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك لبعض الحواس، وذلك إنما يصح فيما كان في جهة، وما

---

[1] كشف الظنون / ٢/ ٣١٥ .

[2] الكشاف م ١/ ٣ / ٥

[3] الموسوعة العربية الميسرة / ٩٢٦ .

[4] سورة غالاعراف / ١٤٣/ والكشاف / ٢/ ١١١/ -١١٦ وانظر ايضا تفسيره للايات التالية – البقرة / ٢-٣-آل عمران / ٨-١٩٣ – النساء / ٣١-٤٨-٩٣-١٦٥ – المائدة / ٤١-٦١-الانعام -/ ١٠٣ – الاعراف _ / ١٨٠ – الانفال – ٢٢- التوبة / ١١٥ – الاسراء / ٩- ١٠- ٨٨-طه / ٥- ٨٨- الزمر / ٥٣- ٦٧ – الزخرف / ٣٣ – ٣٥ – الشمس / ٧-٨- ١٠- وانظر ايضا: ظهر الاسلام / ٢/ ٥٤ – ٥٧ – و الزمخشري / ١١٩ – ١٦٦ .

ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ولا تراني: تأكيد و بيان، لأن النفي منافه لصفاته، فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله: " ولكن أنظر الى الجبل " بما قبله ؟ قلت: اتصل به على معنى أن النظر اليّ محال فلا تطلبه، ولكن عليك بنظر آخر، وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل ... وكيف أفعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من علم أثره كأنه – عزوعلا – حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبه الولد اليه ..... ثم قال: فلما أفاق من صعقته قال: سبحانك أُنَزِهَكَ مما لايجوز عليك الرؤية وغيرها، تبتُ اليك من طلب الرؤية، وأنا من المؤمنين بأنك َلست بمرئي ّ ولا مدرك بشيء من الحواس ... فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرجف الجبل بمطالبيها وجعله دكّا، وكيف اصعقهم ولم يحل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر، وكيف سبّح ربه ملتجئاً إليه وتابَ من إجراء تلك الكلمة على لسانه، وقال: أنا أول المؤمنين . ثم تعجب من المتّسِمين بالاسلام الُمتّسمين بأهل السنة ِوالجماعة كيف اتّخذوا هذه العظيمة مذهباً، ولا يغرنك تستّرهم بالبلفكة، فأنه من منصوبات أشياخهم...

وفسّر الإغواء بالتكليف بناء على قاعدة التحسين و التقبيح العقليين، فقد قال في تفسير قوله تعالى [١]: " قال فبما اغويتني لأقعدنَّ َ لهم صراطك المستقيم:" وأنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفا ً، و التكليف من أحسن أفعال الله . قال ابن المنير: [٢] " ذهب الى ان الاغواء هو التكليف بناء على قاعدة التحسين والتقبيح " ويذهب في كثير من الآيات الى إعتبار نصّها من قبيل المجاز أو الاستعارة أو التشبيه [٣] ويؤولها تأويلاً يتفق مع وجهة نظره، وطراز تفكيره .

وهكذا حاول الزمخشري تطبيق آراء المعتزلة في كشافه، مما آثار موجة عارمة من النقد و المعارضة ممن عاصروه وممن جاءوا بعده من أهل السنة و الجماعة . وغدا الكشاف محوراً لكثير من الدراسات و التعليقات و الردود في بلاد إسلامية كثيرة، لعل أهمها كتاب ك الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير الإسكندري المالكي [٤] . وفي كتاب الاتقان في علوم القرآن [٥]: " قال البلقيني: استخرجت من اعتزالا بالمناقيش،

---

[١] سورة الاعراف / ١٦، و الكشاف / ٢/ ٦٩ /

[٢] الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / ٢ / ٦٩ – ٧٠"

[٣] ظهر الاسلام / ٤/ ٤١/ ٤٢/ ٤٣/ وانظر أيضا: الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٢٠٩ – ٢١٩ .

[٤] محمد زغلول سلام / الآداب في العصر الايوبي / ٩٩ / وانظر: ظهر الاسلام / ٢/ ٤٣

[٥] الاتقان في علوم القرآن / ٢/ ١٩٠ .

وقال السيوطي [1]:... وقد صنفوا – يعني المعتزلة – تفاسير على أصول مذهبهم .. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، يـدسّ البـدع في كلامـه – و أكثـر النـاس لا يعلمـون – كـصاحب الكشاف ونحوه، حتى انه يروج على خلقٍ كثيرٍ من أهل الـسنة كـثيرٌ مـن تفاسـيرهم الباطلـة، ووقعت بعض آرائه النحوية تحت تأثير مذهب الاعتزال أيضا، فوجه هذه الآراء توجيهاً يتّفـقُ مع وجهة نظره الاعتزالية، فهو يقول في تفسير قوله تعالى [2]: ونودوا أن تلكم الجنـة أرثتموهـا بما كنتم تعلمون: "بسبب أعمالكم لا بالتفضيل كما تقول المبطلة ".

قال صاحب الانصاف [3]: " يعني بالمبطلة قوما سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام: " لا يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله ولكن بفضلٍ منه ورحمة .. وهؤلاء هم أهل السنة . قال التصريح [4]: باء التعويض، وتسمى باء المقابلة، قال المغني: ومنه " ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون [5]، وانما لم نقدّرها باء السببية كما قالت المعتزلة .. وذكر ابن مالك و ابن هشام و السيوطي و غيرهم [6]: أن " لن " عند الزمخشري تفيد التأبيد في الأنموذج، وأن ذلك حمله عليه إعتقاده المعتزلي . قال ابن مالك [7]: وحمله على ذلك اعتقاده في [8]:" لن تراني ": أن الله لا يُرى وهو باطل . وردّهُ غيره بأنها لو كانت للتأبيد لم يقيّد نفيها باليوم [9]: فلن أكلم اليوم إنسيا، وقال ابن هشام [10]: ولا تفيد "لن" توكيد النفي خلافاً للزمخشري في كشافه، ولا تأبيده خلافاً له في أنموذجه، وكلاهما دعوى بلا دليل .

وقال السيوطي [11]: " وذهب الزمخشري في أنموذجه الى أنها – يعني: لن " تفيد تأبيد النفي . قال: فقولك لا أفعله أبدا ومنه قوله تعالى [12] ط لن يخلقوا ذباباً . وحين نظرت في الانموذج،

---

(1) الاتقان في علوم القرآن / ٢/ ١٧٨ .

(2) سورة الاعراف / ٤٣، و الكشاف / ٢/ ٨٠

(3) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / ٢ / ٨٠

(4) التصريح على التوضيح / ٢ / ١٢ ، وانظر ك المغني / ١ / ١٠٤ .

(5) سورة النحل / ٣٢

(6) التصريح / ٢/ ٢٢٩، وانظر: شرح الأشموني / ٣/ ٢٧٨

(7) همع الهوامع / ٢/ ٤ /

(8) سورة الاعراف / ١٤٣

(9) سورة مريم / ٢٦

(10) المغني / ١/ ٢٨٤ .

(11) همع الهوامع / ٢/ ٤

(12) سورة الحج / ٧٣

لم أجد فيه ما أدّعى هؤلاء و أولئك، والذي فيه: ولن نظيرة " لاً لنفي المستقبل، ولكن على التأكيد " [1] وهذا القول يلتقي مع قوله في الكشاف حين فسّر قوله تعالى [2]: " لن يخلقوا ذبابا " " لن أخت "لا" في نفي المستقبل، الآأن تنفيه مؤكداً: وتأكيده ههنا: الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا " .

ويلتقي أيضاً مع قوله في المفصّل [3]: "ولن للتأكيد ما تعطيه "لا" من نفي المستقبل، تقول لا أبرح اليوم مكاني، فإذا وكّدت وشدّدت قلت لن أبرح اليوم مكاني، وعقّبَ السخاوي على رأي الزمخشري بقوله [4]: " وقال قوم: إنها للتأبيد لما كانت تنفي المستقبل، فما من زمان الاّ وهي تتناوله، فظنوا أنها للتأبيد وليس كذلك، لأنها لو كانت للتأبيد لم يصح أن تقول لك لن أقومَ يوم الخميس، ونحو ذلك " .

وتظهر على كتاب المفصّل في صنعة الأعراب مسحة منهج المعتزلة في البحث العلمي واضحة جلية . و يتضّح ذلك – أول ما يتضّح – في مقدمة الكتاب حين أعلن عن تعصبه للعرب، و تفضيله للعربية [5] – مع أنه غير عربي – وحمل على الشعوبية، وهو موقف اتّخذه المعتزلة في وقت مبكر من حياة الدولة الاسلامية حين تصدّوا للزنادقة و الشعوبيين و سائر الفرق الاسلامية .

ويتضح أيضاً في تنظيم الكتاب وتقسيمه ومنهجيته، واعتماده على القياس، وردّه الآراء التي تخالف القاعدة النحوية التي يتبناها، فهو يقيم بحثه النحويّ في المفصّل على عمد ثلاثة: الاسم والفعل والحرف . يقوم مصطفى الجويني [6]: .. فالمعتزلة عنوا باللغة وتناولوها تناولا يستطيعون أن يفيدوا منه في ناحيتهم الكلامية الجدلية، وهم قد درسوا المنطق والفلسفة، فليس عجيبا أن يكون تناولهم اللغة والنحو على أساس علميٍ منطقي منظم .

وهناك أخبار تدل على أن الزمخشري قد ترك مذهب الاعتزال ورجع عنه، وثاب الى مذهب أهل السنة والجماعة، فقد قرأت في حاشية كتاب: طبقات المفسرين للسيوطي[7]: وفي شرح

---

(1) الانموذج(ضمن مجموع) / ٧٢ ب، وانظر: شرح الأنموذج للأردبيلي / ١٧١ أ

(2) الكشاف / ٣/ ٢٢

(3) المفصّل / ٢/ ٩٣٦ – ٩٣٧

(4) المفصّل شرح المفصّل م٥/ ١٢٠ ب .

(5) كان لايستخدم لغته الفارسية إلاّ في تعليم المبتدئين . دائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٤

(6) منهج الزمخشري في تفسير القرآن م٢٨

(7) طبقات المفسرين / ورقة ك ٣١ الحاشية

صدر الشريعة قال: إن الزمخشري العلاّمة رجع من مذهبه الى مذهب أهل السنة و الجماعة، وسبب الرجوع مذكور في الكتب ممّا لا يخفى على انسان".

وفي أزهار الرياض [(١)]: " وذكر بعضهم انه تاب و ويأبى ذلك تصريحه في كشافه بما خالف السنة جهاراً فأنه لو صحّ ذلك لمحاه، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتحاه ويكاد يلتقي مع هذا الخبر قول الزمخشري نفسه [(٢)]:

إذا سألوا عـن مذهبي لم أبح بـه ... وأكتمـه ، كتمانه لـي أسلَمَ
فإن حنفياً قلتُ ، قالـوا بأنني ... أبيح الطلاّ وهـو الشراب المحرّمُ
وإنّ مالكيّاً قلتُ، قالـوا بأنني ... أبيحُ لهم أكل الكلابِ وهمُ همُ
وان شافعياً قلتُ ، قالـوا بأنني ... أبيحُ نِكاحَ البنتِ و البنتُ محرّمُ
وان حنبلياً قلتُ ، قالـوا بأنني ... ثقيلُ حلـوليٌّ بغيضُ مجسّمُ
وان قلتُ من أهل الحديثِ وحزبهِ ... يقولون تيسٌ ليسَ يدري ويفهمُ
تعجّبتُ من هـذا الزمان و أهلهِ ... فما أحدٌ من ألسُنِ الناس يسلمُ

فإن صحّ الخبر، وان صدق الزمخشري في شعره و فان رجوعه من مذهب الاعتزال الى مذهب أهل السنة، أو على الأقل تستّره على مذهبه وكتمانه له – كما يصرّح شعره – انما حدث في السنوات القليلة الأخيرة من حياته، و بعد رجوعه من مكة الى خوارزم تلك الرجعة التي قُبضَ فيها، ذلك أنه فرغ من تأليف الكشاف في سنة: ٥٢٨ هجري، وفيه من آراء المعتزلة، وتوفي بعد ذلك بعشر سنين . على أنن بحثتُ في المراجع التي تناولت واقع المعتزلة وخصومهم، وعنيت برؤوسهم ورجالهم، فلم أجد خبراً آخر يعضد الخبر الذي أوردته عن ترك الزمخشري لمذهب الاعتزال، ومن هنا،فأنني أتحفّظ في القطع بأنّ أبا القاسم قد تخلى عن مذهبه الفكري، وتهاون في فكرةٍ من أفكاره و معتزا بها، مطمئناً إلى صحتها و مروّضاً نفسه الولاء لها .

تقيّدهُ بالفكرِ الإسلاميّ :

أنت نفس أبي القاسم – بعد أن تم نضجه العلمي – أمارة له لاسعي وراء المال والجاه والشهرة، فقد كان الرجل فقيرا محروما، ونظر من حوله، فرأى المال في عصره تتداوله أيدي

---

(١) أزهار الرياض / ٣/ ٢٨٣

(٢) شرح شواهد الكشاف / ٤ / ٣١٠ .

المتسلطين، ويحتكره من واتاهم الحظ بالمناصب. ورأى أيضا أن الجاه والشهرة من نصيب المقربين الى الحكام، والمتزلفين الى أصحاب النفوذ.

ونظراً إلى نفسه فتبين له أن لديه من الذخيرة العلمية والأدبية، ومن المواهب والكفاية ما تقاصرت عنه همم أولئك الذين ينعمون بالمناصب، ويرتعون بالمال، ويستمتعون بنشوة الشهرة، فحدثته نفسه أن يتزلف كما تزلّف غيره، وسوّلت له أن يركب بحور الشعر، وأن يستغل العلم لتحقيق مبتغاه. ومن هنا، فانه بادر الى مدح نظام الملك بقوله(١).

أَشكو الزمانَ ولا أَرى ليَ مشِيكاً ... ممن يـرى شَعَثي ورِقَّةَ حالي

يا حسرتا مَن لي بِصفقةِ رابـحٍ ... في مَتجرٍ والفَصلُ رأسُ المَالِ

يا ويحَ أهلِ العِلمِ كيف تأخَّروا ... والسَّبقُ كلُّ السَّبقِ للجُهَّالِ

نراه يُصرِّحُ بطلَب المال تصريحاً واضحاً حين يقول(٢):

لم أدر أَنَّ الأرذلين يَرونَ ما ... تَمنَّوا وأني لستُ أخظى بطائلَ

فوقِع إلى هذا الزمانِ فانه ... غلامُكَ يَجعَلني كبَعضِ الأرذالِ

وسَخِطت نفس الزمخشري من الحياة التي ضنَّت عليه بنوالها، وسخرت من الظروف التي تواطأت عليه فحرمته مما هو أهل له، وبرِمَت بالزمن الذي لم يهَشَّ له، في حين سخا هذا الزمن على من هم دونه علما وأدباً، وكان كثيراً ما يفزعُ إلى شعره ونثره فينفّسُ بهما عن مكنون نفسه، ويودعهما ما يكتوي به من نارِ الظلم، وما يُقاسِي من ألم الحرمان، وفي ذلك يقول(٣):

خليليَّ هل تُجدي عليَّ فضائلي ... إذا أنا لم أُرفَع على كُلِّ جاهل

---

(١) ديوانه / ورقة: ٩٥- الدار، ٢٠٧-٢٠٨-ظ، وانظر أيضا: ٢٠٩

(٢) ديوان/ ورقة: ٩٤- الدار ، ٢٠٦ – ظ ، وانظر: الطبقات السنية / ٤٢١ أ

(٣) ديوانه / ورقه: ٩٤ – الدار.

وكان الرجل يُحِسُّ بعلوَّ كعبه، وذيوعِ صيتهِ،ويسمعُ وَصفَ الناس له بالتفوق في النحو، للغة والبلاغة وغيرها [١]، ثم يتلمَّسُ ما حقَّقَ في دنياه من هذه الأوصاف والنعوت فيفىء الى الهمِ واليأس، وتنَكَسِرُ نفسهُ. وبقي هذا دَيدَنُه دون أن تلتئمَ عرى عقليته ونفسيته الى أن بلغ الخامسة والأربعين من عمره، وعلى وجه التحديد سنة: ٥١٢ هـ ، فقد مرض مرضة ناهكة أحدثت تحولا خطيرا في حياته، وانقلابا شاملا عمَّ جوانب نفسه، ذلك أن المرضة لاقبال على الآخرة وثوابها.

وثابت نفس أبي القاسم الى ربها تَنشُد رضاه، يدل على ذلك أن حالِ القناعةِ والزهد لاقبال على الآخرة وثوابها، وثابت نفس أبي القاسم الى ربها تَنشُد رضاه، وتطمع في مغفرته، يدل على ذلك قوله في مقامه الخمول[٢]: "يا أبا القاسم، يا أسفي على ما أَمضيتَ من عمرك، في طلب أن يُشادَ بذكرك، ويشارَ إليك بأصابع بني عصرك، عنيت على ذلك طويلا ، فما أغنيتَ عنك فتيلا[٣] حسبتَ أنَ من ظَفِرَ بذاك فقد استصفى [٤] المجدَ بأغباره[٥]،واستوفى الفخر أصباره[٦]، وقدرت الشارةالبهية هي الجمال، وأن الشهرة في الدنيا هي الكمال، وما أدراك يا غافل ما الكامل، الكاملُ هو العاملُ الخاملُ، الذي هو عند الناس منكور، هو عند الله مذكو......" وهكذا، تمكن الاسلام من شغاف قلبه، وتحكمّ في سلوكه وبصرفاته. وبرز تقيّده في الشرع تقيدا دقيقا وشاملا حتى غدا ظاهرا، ولم يجد خصومه من أهل السنه وغيرهم ما يشين شخصيته الاسلاميه سوى مذهب الاعتزال، قال عنه ابن حجر العسقلاني: " انه صالح لكنه داعية إلى الاعتزال".

وكان الزمخشري من الورع وقيام الليل وتدريس العلم عي الرتبة العليامنضبطا أوامر الله ونواهيه. ونأي بنفسه عن الوقوع في الإثم، وتسامى بها عن ارتكاب الحرمات وجنبها مزالقَ الشهوةِ والشوائب ، يدل على ذلك قوله في الخمر:

أستغفرُ اللهَ أَني قد نَسبتُ تها ولـم أكـن لحمياهـا بذواقِ
ولم يَذُقها أَبي كلاَ ولا أَحَدٌ من أُسرتي، واتِفاقُ الناسِ مِصدَاقي

[١] انظر مقامات الزمخشري/ ٩٨
[٢] مقامات الزمخشري/ ١٧١-١٧٢
[٣] الفتيل: ما شق النواة من نحو الشعرة ، وقيل: هو ما تفتلته تين اصبعيك.
[٤] استطفى الشئ: أخذه كله.
[٥] بأغباره: بأجمعه، والأغبار: جمع غبر وهو بقية اللبن في الضرع.
[٦] أصبار الاناء: حروفه وأعليه

ومن مظاهر تقواه وحرصه على التقيد بأحكام الشرع أنه عزا قطع رجله الى دعاء والدته، و أنه كان يحتفظ بمحضرٍ فيه شهادة خلق كثير يشهدون أنها لم تقطع لريبةٍ [١]، ونجد أيضاً أنه ألّف بعض مؤلفاته تقرّبا الى الله، وطمعاً في رضاه، يقول في مقدمة كتابه: الفائق في غريب الحديث [٢]: فأية نفس كريمة ونسمة زاكية نور الله قلبها بالايمان والايقان، مرّت على هذا التبيان والاتقان، فلا يذهبنّ عليها أن تدعولي بأن يجعله الله في موازيني ثقلاً ورجحاناً و يثيبني عليه روحاً وريحاناً "، بل نراه يستشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمؤلفيه: الفائق والكشاف، فيقول [٣]:

فهل تتلقاني شفاعة أحمـــدٍ وعفـو كـريم للاساءة ماحِص

وهل يكشف الكشّافُ والفائقُ العمى إذا تُليتُ يوم القضاء القصائِصُ

يمدُ الكتاب النـــورَ والسنة والسنا متى لَخصت في الجامعين اللخائِصُ

ويضاف إلى هذه المظاهر مظهر آخر، هو أنه وقف كل كتبه على مشهد الامام أبي حنيفة، و لم يبق إلا القرآن [٤] . وحج الوخشري مرات، أقام في البلد الأمين سنوات، وسمى نفسه: جار الله ثم إنكبّ على التصنيف في جوار الله، وتدل مصنفاته على تقواه ومخافته من الله، وتفيض بأمارات الطاعة و العبادة والحض عليهما، فهو قد عاهد نفسه الاّ يدرّس من العلوم الاّ ما هو مهيب بدراسه الى الهدي، رادع له عن مشايعة الهوى و مجد عليه في علوم القراءات و الحديث وأبواب الشرع من عرف منه أنه يقصد بارتياده وجه الله تعالى، ويرمي به الغرض الرجع الى الدين و ضاربا صفحا عما يطلبه ليتخذه أهبة للمباهاه، وآلة للمنافسة، ووسيلة الى الخطوة عند الخائضين في غمرات الدنيا [٥].وتضمنت مقاماته أيضاً معاني إسلامية تفيض بالتقوى، وتذكّر بالآخرة، من ذلك قوله في مقامة التقوى[٦]: يا أبا القاسم و العمر قصير و والى الله المصير و فما هذا التقصير ؟ إن زبرج [٧]:الدّنيا قد أضلذك، و شيطانُ الشهوة قد استنزلّك ... ألا إنّ الأحجى[٨]، بك أن تلوذ بالركن الأقوى، ولا ركن أقوى من ركن التقوى .

---

[١] وفيات الأعيان / ٥/ ١٦٩

[٢] مقدمة: الفائق في غريب الحديث / ١ / ٢-٣

[٣] ديوانه / ورقة: ٦٦ – الدار ،

[٤] ديوانه / ١٧٣ –ظ

[٥] مقامات الزمخشري م ٨/٧

[٦] نفسه / ١٥/، وانظر ايضا: ١٧ – ١٩ – ٢٢ – ٢٥ – ٢٩ – ٤٦ –٥٣

[٧] الزبرج: الزخرف و وهو من أسماء الذهب،

[٨] الاحجى: الأثبت، من:حجا إذا ثبت و والحجى: العقل . شرح المقمات م ١٥

ويقول في تقديمه لكتاب: "أطواق الذهب "[1]: "... ورقّيتني الى رتبة القناعة وهي الرتبة العليا، وزهدتّني في الحرص على زخرف الدنيا و ... وحلّيتني بدملج الفخر وسواره و حين شرّفتني بحجٍّ بيتك وجواره ... وأرغب اليك أن تجعل عقيدتي و طويتي وبديهتي ورويّتي وما خط بناني، وما خطر بجناني وكل ألفته من أقوالي أوكلمي خالصةً لوجهك من أجلك ز وذكر يوسف الأشتياني في شرح الأطواق [2]: أن الزمخشري كان يطوف ببيت الله الحرام فإذا فرغ من الطواف ألّف مقالة، ثم يقوم و يطوف وينشيء مقالة، وما زال على ذلك الى أن بلغت المئة كاملة .

ودفعته شخصيته الاسلامية المستنيرة التي وعت الفكر الاسلامي، وضبطت سلوكها بمفاهيمه، وتقيدت بنصوصه، الى مناواة أعداء الاسلام، والمخالفين لعقيدته، فتصدى لتيار الشعوبية الضيقة التي تحاول احياء القوميات، و أظهر تعصبه الشديد للعرب و العربية . فقد قدم لكتاب المفصّل بقوله[3]: " الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية و وجبلني على الغضب للعرب و العصبية، و أبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم و أمتاز و أنضوى الى لفيف الشعوبية و أنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم الاّ الرّشق بألسنة اللاعنين والمشق بأسنة الطاعنين .... ولعل الذين يغضون من العربية، و يضعون من قدرها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها، حيث لم يجعل خيرة رسله و خير كتبه في عجم خلقه . ولكن في عربه – لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج، وزيغاً عن سواء المنهج، ويبدو هذا التعصبللعرب أيضا في كتابه ك نوابغ الكلم 'إذ يقول فيه [4]: العرب نبعٌ صُلب المعاجم، والغربُ مثل الأعاجم ...[5] .

ويجعل العرب خير الأمم جميعاً، ويدفع الشعوبيّن بالضلال و الركون إلى وساوس الشيطان و ويصفهم بالحمق في قوله [6]:

على ظهرها لم يخلق الله امّةً ... تناسبهم في خصلة أو تلابسث
أجلّ رسولٍ منهم وبلسنهم ... أجلّ كتابٍ فاعتبر يـا منافسُ
وقل للشعوبيين إن حديثكم ... أضايلُ من شيطانكم ووساوسُ

---

[1] أطواق الذهب / ٢ب م ٣أ
[2] قلائد الادب في شرح أطواق الذهب / ٩
[3] المفصّل في صنعه الاعراب / ١م١م٢-٣
[4] نوابغ الكلم (ضمن مجموع ٩ م ٢٥٦
[5] النبع ك شجر صلب تتخذ منه القسيّ و الغرب: شجرٌ ضعيف رخو
[6] ديوانه: / ورقة: ٦١ – الدار – ١٣٢ – ظ

لكم مذهبٌ فسلّ يغرُّ بمثله أشايبُ حمقى لا الرجالُ الأكايسُ

وهكذا كان الزمخشري من أقوى المعارضين لمذهب الشعوبية الذي يفضلّ العجم على العرب كل شيء، و كان من أكثر غير العرب منافحة عن العرب ولسانهم، وفصاحة لغتهم و بلاغتها .

وقد دوّن هذا في جلّ كتبه، يقول مصطفى الجويني [1] .... فلعل أسرته الديّنة وبيئته المسلمة التي كانت في نزاع دوما مع جيرانهم الكفار نضحاً عن الإسلام ثم ما اتسم به عصر الزمخشري من نزاع بين المسلمين و الصليبين وحروب تستعر بينهم باسم الدين و الى جانب عربية أستإذه وخُلُقه، ولعل هذا كله اصلَ في اعماق نفس الزمخشري حب العرب: دينهم و علمهم و اوطانهم، فصار غسلاميا خالصاً .

ويبدو لنا أن أبا القاسم – وهو رجلٌ أعجمي – يبالغ كثيراً في تعصبه للعرب والعربية، ويتجاوز القصد حين يكيل الثناء كيلاً لعدنان و أبنائه، وقحطان و أحبائه، ولشعرائهم وخطبائهم الذين سحروا الناس ببلاغتهم [2] . ولا نراه صادقا مع نفسه حين يفضّل العرب على العجم في كل شيء [3]، أما أولا، فلأنه لا يخفى عليه – كعلاّمة – أنّ مثل هذا التعميم مرفوض في الاسلام و ذلك أن الزمخشري – كعالم من علماء الحديث – يعلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: لا فضل لعربي على أعجميٌ الاّ بالتقوى .

وأما ثانياً: فلان الزمخشري نفسه يشيد في كتابه: ربيع الابرار بفضل خوارزم و أهلها ويجعلها خير بقاع الدنيا، ويضفي عليها هالة ضخمة القدسية، ويستشهدُ على ذلك كله بالأخبار وآثار المرفوعة الى الرسول الكريم والى الصحابة و التابعين [4] .

أما إذا عنى العجم أولئك الذين خرجوا عن مبدأ الاسلام و وتنكروا لعقيدته، واجترؤا على نظامه، وخالفوا أحكامه، ودعوا الى إحياء قومياتهم، وتعصبوا لأجناسهم، كالزنادقة و الدهرية و الشعوبية والزرادشتية وغيرها فقد صدق مع شخصيته . ذلك أن المعتزلة – وهو شيخ من شيوخهم – قد أخذوا على أنفسهم بمهمة الدفاع عن العقيدة – و مناوءة خصومها، و أعدوا لكل هؤلاء السلاح الذي ينفذ فيهم – ويصمي قلوبهم .

---

(1) منهج الزمخشري في تفسير القرآن م٣٠

(2) مقدمة الفائق في غريب الحديث / ١/ ١١

(3) الزمخشري / ٩٠

(4) ربيع الابرار / ١/ ٣٤٢

على أن إيمان الزمخشري بعقيدة الاعتزال – فكرة وطريقة،وتبنّيه مذهب أبي حنيفة النعمان في القواعد العامة [1]، قد جعلا منه شخصية اسلامية مميزة لها وجهة نظر محددة في تناول الحكام . فهو إن كان يتبنّى الأصول التي تقوم عليها فكرة الاعتزال، فأنه كان شخصية فقهية متميزة في الفروع، ومع أنه كان يسير على القواعد العامة لمذهب أبي حنيفة فأنه كان يخالف الأحناف في كثير من المسائل .

وقد صرّح شعرهُ ونثره بأنه كان يسند دينه الإسلامي، وإعتقاده الاعتزالي ومذهبه الفقهي بمذهب أبي حنيفة، من ذلك قوله [2]:

أسندُ ديني واعتقادي ومذهبي — الى حُنفا أختارهم وحنائفـا

حنفيَةٌ أديانُهـم حَنَفـيّـة — مَذاهبهم، لا يبتغون الزعانِفا

في الأطواق[3] رضي الله عن العلماء الخاشعين من الله وحسابه، جمعوا إلى الدين الحنيفي العلم الحنفي، وإلى العلم الحنفيّ الحلم الأحنفيّ، فنفوسهم رواسي الحلم، وقلبهم معادن العلم ...

وعلى الرغم مما كان بين أصحاب المذاهب الأربعة [4] من خصومه على مرّ العصور، وعلى الرغم مما بينهم من إختلاف في المسائل الفرعية، فإن الزمخشري لم يتعصب للأحناف، ولم يقس مخالفيهم، بل كان يورد آراءهم، ويرجّح رأى مذهب على رأي مذهب آخر [5] وربما يتبنى رأيا يراه قويا، فقد تبنىّ رأى الشافعية حين فسّر قوله تعالى:" ويسألونك عن المحيض، قل إذى، فاعتزلوا النساء في المحيض، ولا تقربوهن حتى يطهرن"، إذ قال: ".....فذهب حنيفة إلى أنَّ يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل، وفي أقل الحيض يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة. وذهب الشافعي الى أنه لا بقربها حتى تطهر وتطَهَّر فتجمع بين الأمرين، وهو قول واضح، ويعضه قوله: "فأن تطهرن".

---

[1] بغية الوعاة / ٢/ ٢٧٩

[2] ديوانه / ورقة / : ١٦٩ – ظ

[3] أطواق الذهب / ١٨ ب – ١٩ أ

[4] هي: مذهب الشافعي و أبي حنيفة النعمان، و أحمد بن حنبل، ومالك .

[5] الزمخشري ٩١

أما قسوة الزمخشري على أهل السنة والجماعة، وتسفيه آرائهم، واتّهامهم بالكفر فمردُّهُ أن اهل السنة قد خاصموا المعتزلة منذ ظهورهم، واعتبروهم فرقه خارجة عن المِلَّةِ، وحرضوا عليهم ونابذوهم[١]. ولم يسلم الزمخشري نفسه من هذا الإذى، فطالما تناولته السنة حداد، وطالما تنكروا له وخاصموه، واعتبروا الاعتزال سبّة الصقت بجنبينه[٢].

ومن ينظر في كتاب: " الانصاف فيما تضمنَّه الكشاف من الاعتزال" لابن المنِيّرِ الاسكندري، أن الزمخشريَّ قد تَعَّرض لشئ كثير من الشتم والإذى.

ومن هنا، فقد تصدَّة أبو القاسم لأفكارهم وآرائهم، وكال لهم بمكيالهم نفسه، واتّهمهم بالكفر مثل ما اتهموه واتهموا شيخوخه. من ذلك – مثلا – أنه قال أنه قال في تفسير قوله تعالى[٣]: ان الدين عند الله الاسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الاّ من بعد ما جاءهم العلم، بغيا بينهم، ومن يكفر بآيات الله، فان الله سريع الحساب"، "قوله: " ان الدين عند الله الاسالم " جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى، لأن قوله[٤]: لا إله 'لاّ الله " نوحيد، وقوله[٥]:" قائما بالقسط: تعديل، فاا أردفه قوله: " إنَّ الدينَ عند اللهِ الاسالم" فقد إذن أن الاسالم هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شئ من الدين.

وفيه: أن من ذهب ألى تشبيهٍ ، أو ما يؤدى اليه كاجازة الرؤية، أو ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام". وقد رد عليه الاسكندري بمثله من القسوة والتكفير[٦].

وإذا كان ايمان أبي القاسم ايمانا جدلياً، أعنيك إيمانا عن طريق العقل والمنطق والقياس والمقدمات والنتائج، فان ايمان المتصوّفه لم يكن كذلك البتّة، أما أولا، فان المتصوفة كانوا يدينون بالجبر صراحة، فقد روى عن أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاّء قوله[٧]:" من استوى المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحّدٌ لايرى ألاّ واحدا " . على حين كان المعتزلة يعتقدون الحرية والاختيار.

---

[١] انظر كتاب: ازهار الرياض/ ٣/ ٢٣٥ – ٢٩٣

[٢] آثار البلاد وأخبار العباد / ٥٣٣ ، وأزهار الرياض/ ٣/ ٢٨٣

[٣] سورة آل عمران/ ١٩، الكشاف/ ١/ ٤١٨

[٤] سورة آل عمران/ ١٨

[٥] سورة آل عمران/ ١٨

[٦] الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال/ ١/ ٤١٨

[٧] الرسالةالقشيرية/ ٢٠

وأما ثانيا: فغن المتصوفةَ يؤمنون بالحُب الالهي غير متعلِقين برغبةٍ في ثواب أو رهبة من عقاب. أما الزمخشري وأمثاله من المتكلمين والفقهاء فلا يؤمنون بمثل هذا، ويَرون أنَ الحُبَّ بهذا المعنى يكون بين الأشخاص الماديين، ولا يكون بحال بين العبد وخالقه، فالمحبة من العبد: الطاعة، ومن الخالق: الثواب[1].

وأما ثالثا: فان المتصوّفة قد غالوا في تقدية النبيّ – عليه السلام – مغالاةً لم يعرِفها المسلمون الأولون، ولم يقَّرها المعتزلة[2]. وأما رابعاً: فإنَّ المتصوّفة يعتقدون في الولاية والأولياء اعتقاداً خاصاً، فالأولياء في نظرهم وطبقات[3]، ولهم كرامات[4]، أما المعتزلة فلا يعترفون بالولاية على هذا النحو، لأن المسلمين المتقين يُعتَربون – من وجهة نظرهم – أولياءَ الله وأحباه. وأما خامسا: فان المتصوفة يتخذون من وجدانهم والهامهم وسياه للمعرفة، في حين يجعل المعتزله وسيلتهم للمعرفة ما يستنبطونه من القرآن والسنة[5].

من هذا كله، يتراءى لنا– من غير شك – أن الاعتزال والتصوّف يسيران في خطين متوازيين لا يلقيان البتّة، وأنهما مختلفان في طراز التفكير، وفي وجهات النظر، وفي التصرّفات والسلوك. من هنا، فان هذا الاختلاف البين يصلح أن يكون مسوغاً قويا يستغله الزمخشري وأمثاله لتسفيه آراء المتصوفة والتشهير بهم، من ذلك –مثلا– قوله في تفسير تعالى[6]: " يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن جينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبونه، إذلة على المؤمنين، على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولايخافون لومة لائم". "محبة العباد لربهم طاعة وابتغاء مرضاته،وألا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم، ويعظمهم ، ويثني عليهم، ويرضى عنهم.

وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله، وأمقتهم للشرع، وأسوؤهم طريقة – وان كانت طريقنهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا– وهم الفرقة المفتعلة المتفعّلة نم الصوف – يعني: المتصوفة – وما يدينون به المحبة والعشق، والتغني على كراسيهم – خربهاالله –

---

(1) ظهر الاسلام / ٤/ ٥٦،٥٧

(2) الزمخشري / ٩٣

(3) انظر: الرسالة القشيرية/ باب الكرامات / ١٥٨-١٦١

(4) الرسالة القشيرية / ٢٢

(5) الزمخشري / ٩٣

(6) سورة المائدة / ٥٤، والكشاف / ١/ ٦٢١- ٦٢٢٢، وانظر / ١/ ٦٢١-٦٢٣ ودفاع ابن المنير الاسكندري عنهم.

وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عند دك الطيور، فتعالى الله عنه علوا كبيراً".

ومن سخريته بهم وتندره بكلامهم قوله معقبا على تفسير قوله تعالى(١): "هوالذي يريكُم البرقَ خوفاً وطمعاً، وينشِئ السحاب الثِقالَ، ويسبح بحمده والملائكة من خيفته، ويرسل الصَّواعق فيصيب بها الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم".

وهكذا، كان ازمخشري شخصية أسلامية قوية، ترتكز عقليته على مبدأ الاسلام، وتستند الى المفاهيم الاسلامية جملة وتفضيلا، وتميل نفسيته الر الأفكار الاسلامية، وتدور مع الاسلام حيث دار، فحقٌ لهذه الشخصية الفذة أن تتركَ آثار بصماتها واضحة على جبين ثقافة الاسلامية، وأن تتخذ لها مكانا مرموقا في تاريخ العلم والأدب، وأن تشغِل العلماءَ الباحثين في دراستها واستقراء أبعادها.

---

(١) سورة الرعد/ ١٢،١٣ والكشاف / ٢/ ٣٥٣

الفصل الثالث

اساتذته وتلاميذه

- أساتذته
- تلاميذه
- معاصروه

أساتذته:

أقبل الزمخشري على العلم وهو صغير، فاستقى علمه وثقافته من معين بعض كبار العلماء في عصره، وعزز ذلك بالاقبال على مؤلفات العلماء الذين سبقوه، فنهل من معينها علماً كثيرا، وثقافة واسعة، مما أهله لأن يكون فخر وهو في ريعان شبابه. وقد أخذ العلم – أول ما أخذ – عن والده الذي كان اماما في قرية زمخشر، وذا معرفة العلم والأدب المأثور[١]، ثم تلقى مادته العلمية عن شيوخ ذوي مكانة علمة مرموقة، وهؤلاء هم:

- أبو مضر، محمود بن جرير الضبي الأصبهاني النحوى ت:٥٠٧

يقولون: انه كان فريد عصره، ووحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطلب، يضرب به المثل في أنواع الفضائل[٢].أقام أبو مضر في خوارزم مدة، فانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه، وأخذواعنه علما كثيرا، وتّخرج عليه جماعة من الأكابر في: النحو واللغة، منهم الزمخشري. وأبو مضر هذا هو الذي أدخل معتقد الاعتزال إلى خوارزم وأشاعه فيها، فاجتمع عليه الخلق لجلالته، وتمذهبوا بمذهبه، وكان أبو القاسم الزمخشري واحدا منهم[٣]. وقيل ان أبا مضر توسم في الزمخشري الذكاء وتلجدّ والجدارة، فتعهد بعمله، ورعاه بماله، وأخذ يعدّه ليخلفه في التدريس[٤].

قال مصطفى الجُويبي[٥]: "فالضَّبي كان مبرزاً في: علم اللغة والنحو، وقد انتفع الزمخشري بمقدرة أساتذه في هذه الناحية، وأسهم التلميذ من جانبه بنشاط عظيم في اللغة والنحو، بل انا لنلمح في الحقيقة منهجا طريفا في البحث النحوي عند الزمخشري، ولعلّ هذا المنهج، وهذا الأسلوب في تناول النحو ومعالجته من روح أستإذه" .

قال: "ولن نكون مبالغين تعبيرا ان قلنا ان الضبّي كان شديد العصبية للاعنزال، ذو حميّة في نشره وإذاعنه خوارزم، وهذه الروح المتعصبة المتحمسة بثها في نفس تلميذه الزمخشري... ومكن

---

[١] ديوانه/ ١٥٥–ظ، وانظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن/ ٢٦

[٢] بغية الوعاة/ ٢/ ٢٧٦

[٣] معجم الأدباء / ١٩/ ١٢٣ – ١٢٤، ووفيات الأعيان / ٥/ ١٦٨ ، وشذرات الذهب / ٤/ ١١٩ ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٧–٢٨ ، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٥ والمحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق/ ٩، ومقدمة كتاب اعجب العجب في شرح لامية العرب/ ١١ .

[٤] الزمخشري / ٤٨ –٤٩

[٥] منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٨–٢٩

لأن يؤثر الضبيّ هذا التأثير في نفوس الناس ما وهبهُ من خُلُقٍ فاصل ، وأدبٍ جملت به نفسه، وعون للناس فيما ينوبهم من نوائب، ويحزبهم من مصائب، فعاون علمه وخلقه على أن يؤثر هو في الناس ويبلغ غرضه منهم، وأن يتأثروا به ويفيدوا منه العلم والأدب. وأثّرت هذه الشخصية العالمية المتأدبة على نفس الزمخشري، فيشـأ صورة ثانية من أستإذه".

غير أن أبا مضر- مع علمه الواسع- لم يعرف له مصنف مذكور، ولا تأليف منثور، قال ياقوت: ولست أعرف له- مع نباهة قدره وشياع ذكره- مصنفا مذكورا، ولا تأليفا مأثورا، الا كتابا يشمل على نتف وأشعار وحكايات، سماه: زاد الراكب"[1].

وكان الزمخشري محبا لأستإذه، وفيا له، معترفا بفضله، وانك لتلمس اجلاله واكباره له واضحا في ديوانه، فقد رثاه في عدة قصائد ومقطوعات[2] منها قصيدة عدّتها احدى وستون بيتا، يختمها بقوله[3]:

فذاكَ فريدُ العَصرِ حَقًّا فلَن ترى عيونُهُم من بعده مثله حُــرا

ومن مراثيه المشهورة له التي تناقلتها كتب الأدب والتراجم[4]:

وَقائلةٍ مــا هذه الدُّررُ التي تَساقطُ من عينيك سِمطَينِ سِمطَينِ
فقلتُ هو الدرَّ الذي كانَ حَشا أبو مُضرٍ إذني تساقَك مِـن عيني

- أبو بكر، عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري ت:٥١٨ هـ من أهل يابرة، من بلاد غربي الأندلس، روى عن أبي الوليد الباجيّ"[5].

---

(١) معجم الأدباء / ١٩/ ١٢٤.

(٢) ديوانه/ ورقة: ٥٦،٦٤- الدار، وانظر: بداشع الملح/ ٧٥ب

(٣) ديوانه/ ورقة:٥٦ ،٥٧ ، وانظر: إنباه الرواة / ٣/ ٢٦٧

(٤) بدائع الملح/ ١٧٥أ-ب ، وشرح المفصل للأندلسي / ورقة ١، ومعجم الادباء/ ١٩/ ١٢٤، ووفيـات الاعيـان/ ٥/ ١٧٢، وانباه الؤواة/ ٣/ ٢٦٧ ، ومفتاح السعادة / ورقة ١٩٤ وانظر: ديوانه / ٢٤٣ -ظ

(٥) أزهار الرياض / ٣/ ٧٦، وبغية الةعاة/ ٢/ ٤٦ ، وطبقات المفسرين للسيوطي / ١٥، والمحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق/ ١٠، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٦

وعن جماعة الأعلام، وكان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله، ماهرا في النحو، حافظا للتفسير قائما عليه، ذاكراً للقصص المتعلقة به، وذلك كان الغالب عليه(١).

شرح رساله ابن أبي زيد، وردّ علة بن حزم (٢)، وكانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه، وبسببه ارتحل اليه الزمخشري من خوارزم لقراءته عليه(٣). وحلّق به للعامة باشبيلية وغيرها فكانت العامة تنثال على مجلسه(٤).

قال أبو عبد الله محمد بن غازي في كتابه: "رسالة الاشارات الحسان": هوشيخ محمود الأعرج الزمخشري، قرأ عليه كتاب سيبويه بمكة- شرّفها الله تعالى- ، سمعت ذلك من شيخنا الأستإذ سيدي أبي عبد الله الكبير"(٥). وله مصنفات منها في التفسير كتاب كبير، ومنها في: الفقه وأصوله، ومنها ردّ على ابن حزم. استوطن مصر وقتا ثم رحل الى مكة فجاوربها الى أن توفاه الله بها(٦).

- **ابن الجواليقي، موهوبُ بن أحمد ين الخَضر بن محمد، أبو منصور بن أبي طاهر اللغوي ت:٥٣٩ أو ٥٤٠ هـ**

كان إماماً في فنون الأدب، وكان في اللغة أمثل منه في النحو. صحب الخطيب التبريزي، وسمع الحديث من أبي القاسم بن البسرىّ، وأبي طاهر بن أبي ابصّقر. وروى عنه الكندّي وابن الجوزىّ(٧).

كان بعد ثقةً ديناً، غزير الفضل، وافرالعقل، مليح الخطّ والضبط، درّس الأدب في النظامية التريزي، واختصّ بامامة المقتفى. وكان متواضعا، طويل الصمت، من أهل السنة،لايقول الشئ الاّ بعد التحقيق، ويكثر من قول: " أدرى"(٨). قال أبو اليمن الكندىّ(٩): "قدم علينا – يعني:

---

(١) أزهار الرياض/ ٣/ ٧٧

(٢) البحر المحيط / ٤/ ٣٧٢ ، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة/ ١١١، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٦.

(٣) أزهار الرياض/ ٣/ ٧٦-٧٧، والبلغية في تاريخ ائمة اللغة/ ١١١

(٤) أزهار الرياض / ٣/ ٧٧، وانظر: بغية الوعاة/ ٢/ ٤٦ ، ونفخ الطيب / ٢/ ٢١، ومعجم المؤلفين/ ٦/ ٥٦.

(٥) أزهار الرياض/ ٣/ ٧٦-٧٧

(٦) أزهار الرياض / ٣/ ٧٧

(٧) بغية الوعاه/ ٢/ ٣٠٨ ، وانظر: وفيات الأعيان / ٥/ ٣٤٢

(٨) بغية الوعاه/ ٢/ ٣٠٨ ، وانظر: انباه الرواة / ٣/ ٣٣٥ ، ووفيات الاعيان/ ٥/ ٣٤٢

(٩) بغية الوعاه/ ٢/ ٣٤٠

الزمخشري – بغداد سنة ثالث وثالثين وخمسمائة ورأيته عند شيخا أبي منصور الجواليقي- رحمه الله تعالى- مرتين، قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيرا لها، لأنه لم يكن له، على ما عنده من العلم – لقاء ولا رواية، ولئن ما صح ما ذكره الكندي يكون الزمخشري قد طلب الاجازة وهو في السادسة و الستين من عمره، وفي هذا الخبر دلالة على أنه لم يكن يأنف من الجلوس جلسة الطالب ليستزيد ن العلم، مع أنه قد زار بغداد، وناظر بها و ألّف جلّ كتبه .

ولابن الجواليقي مصنفات انتشرت عنه و منها: شرح أدب الكاتب، وما تلحن فيه العامة و والمعرب، وتتمة درة الغواص، وغير ذلك [١] . وكان رحمه الله – من مفاخر بغداد [٢] .

- **أبو الخطاب ناصر – وقيل: نصر – بن أحمد بن عبدالله بن البطر**

لم تُعن به كتب التراجم على شهرته و جلال قدره، وقد أعياني البحث عن أخباره دون أن أظفر بشيء يشبع الفضول ويشفي الغليل . وقد نظرت في كتاب ك الزمخشري فوجدت الحوفي يذكر أنه لم يعثر له على ترجمة في كتب التراجم و الطبقات:[٣] . وقد اقتصر من ترجم الزمخشري على ذكر اسمه، قالوا: سمع الحديث من ابن البطر البخاري[٤].

ويبدو أن ابن البطر هذا كان ذائع الصيت في علم الحديث، مشهوراً بروايته، فقد تلمذ له كثير من العلماء، وسمعوامنه الحديث . ورووا عنه هؤلاء: أبو تمام محمد بن هبة الله ابن محمد بن احمد الهاشمي الخطيب، ومحمد بن هبة الله بن محجمد بن يحيي الشيرازي الكبير – وكان احد المعيدين بالمدرسة النظامية – وابن الأبنوسي الشافعي، وابن السمين البغدادي احمد ابن علي الخباز، والوديسي الضرير، و أبو الطاهر السلفي [٥]، ومن هنا، فليس غريبا أن يرتحل الزمخشري الى بخارى ليسمع منه ، ويأخذ عنه .

---

[١] انباه الواة / ٣/ ٣٣٥ وبغية الوعاه / ٢/ ٣٠٨، و البلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٧٠ .

[٢] وفيات الاعيان / ٥ / ٣٤٢ و وانباه الرواة / ٣/ ٣٣٥ و وانظر أخباره في ك معجم الادباء / ١٩ / ٢٠٥، وشذرات الذهب / ٤/ ١٢٧، والاعلام / ٨/ ٢٩٢، ومعجم الؤلفين / ١٣ / ٦٣ .

[٣] الزمخشري / ٤٩

[٤] أنظر العبر في تاريخ من غبر / ٤/ ١٠٦، وشذرات الذهب / ٤ / ١١٨، وطبقات المفسرين لابن الداودي / ١٦٠، وطبقات المفسرين للسيوطي / ٤١ و والدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري م ١٦، والمحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ١٠ .

[٥] الوافي بالوفيات / ٥/ ١٥٥ / ١٥٧ / ٣٥٨ / -٧-/ ٧٢ / ١١٤ / ٢٠٦ / ٢٠٧ / ٣٢٥ / ٣٥٢ /

- **أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري :**

أيب نبيل شاعر مصنف، مؤدّب أهل خوارزم في عصره ومخرجهم وشاعرهم ومقدّمهم، أخذ عنه الزمخشري [(١)]، ذكره أبو أحمد محمود أرسلان في تاريخ خورزم فقال ك مات ابو علي الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ثنتين و أربعين عاما وأربعمائة و هو شيخ ابو القاسم الزمخشري قبا ابي مضر، وله نظم ونثر [(٢)] . وكذا في البغية وهو غريب جدا، لأن الزمخشري ولد سنة: ٤٦٧ هجري، أي بعد موت أستإذه بخمس وعشرين سنة .وقال ياقوت في معجم الادباء [(٣)]، و السيوطي في بغية الوعاة [(٤)]، حين ترجما للزمخشري انه أخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن مظفر النيسابوري، في حين أن الذين ترجما له، انما هو الحسن بن مظفر و لا،: علي بن المظفر .

فهو يذكر في ترجمة الزمخشري باسم،أبي الحسن علي بن المظفر، ثم يترجم له باسم: الحسن بن المظفر، وهو وهم مركب، إذ توهما في تلمذته له ثم عادا فتوهما في اسمه ايضا . وقد ذكره السيوطي في طبقات المفسرين أيضا بأسم: أبي الحسن علي بن المظفر [(٥)]، وكذا قال ابن الدودي في طبقات المفسرين [(٦)]، وصاحب طبقات الفقهاء الحنفية [(٧)] . ومثل هذا الوهم وقَع فيه السيوطي مرة أخرى في بغية الوعاة حين ترجم للمطرزيّ فقال [(٨)]: أخذ عن الزمخشري .. وكان يقال: هو خليفة الزمخشري ... مع أنه ذكر أن المطرّزي ولد في رجب سنة: ثمان و ثلاثين وخمسمائة و وهي السنة التي توفي فيها أبو القاسم الزمخشري، ومعنى هذا ا: أن المطرزي أخذ عن الزمخشري وعمره حوالي خمسة أشهر، فأي كلام هذا ؟ !، ولعل مصدر هذا الوهم ما ذكره ياقوت الحموي من أن المطرزي سمي: خليفة الزمخشري [(٩)]، اقترنت الخلافة بالتلمذة والقراءة

---

(١) بغية الوعاه / ١ م ٥٢٦

(٢) معجم الادباء / ١٩ / ١٩١ / ١٩٢ / وبغية الوعاة / ١/ ٥٢٦ : وانظر الزمخشري / ٥٠

(٣) معجم الادباء / ١٩ / ١٢٧

(٤) بغية الوعاة / ٢/ ٢٧٩

(٥) طبقات المفسرين للسيوطي / ٢٠

(٦) طبقات المفسرين لابن الداودي / ١٦٠

(٧) طبقات الفقهاء الحنفية / ورقة / ٣٤، وأنظر: الدراسات النحية و اللغوية عند الزمخشري م١٧

(٨) بغية الوعاة / ٢ / ٣١١

(٩) معجم الادباء / ١٩ / ٢١٢ / ٢١٣

عليه ومما عزز هذا الوهم ان المطرّزي سار على نهج الزمخشري، فكان رأسا في الاعتزال، وانتحل مذهب أبي حنيفة في الفروع .

- **أبو منصور، نصر الحارثيّ:**

ذكر بعض الذين ترجموا للزمخشري أنه أخذ – فيمن أخذ عنهم – عن أبي منصور الحارثي، ولقبوا أبا منصور هذا: بشيخ الاسلام [١] وقد بحثت عن أخباره في كتب التراجم فلم أجد فيها شيئا، اللهم الاّ قول لطاش كبرى زاده [٢]: " وكان أبو منصور يأخذ من الزمخشري علم التفسير ويقرأ عليه، وكان الزمخشري يأخذ منه علم الأصول " .

ورجعت الى كتاب الدكتور أحمد الحومي الذي خصصه للحديث عن الزمخشري وجهوده العلمية، فوجدت أنه يقول عن أبي منصور [٣]: " لم أعثر له ترجمة في كتب الطبقات والتراجم " .

- **أبو سعد الشَّقَّاني:**

في معجم الأدباء [٤]: " الشقاني " – بفتح الشين وبكسرها على الصحيح، وبتشديد القاف – نسبة الى قرية من قرى نيسابور . وفي بغية الوعاة [٥]: " الشفاني" – بالفاء – وهو تحريف .

قال الدكتور أحمد الحُوفي [٦]: ولم أَجِدْ فيمن يعرف بهذه النسبة من يكنى: أبا سعد، وأبا سعيد، بل وجدت من المشهورين بالحديث: أبا الفضل العباس بن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن الشقاني الحسنوى من أهل نيسابور، وكان فقيها محدثا، أنفق عمره في الكتاب وسماع الحديث، وصحبة الأكابر ولزوم المجالس والطواف على المشايخ، وافادة الصبيان والشبان وكان أبوه من أفذإذ أئمة الأصول، توفي أبو الفضل سنة: ٥٠٦ هـ".

ومن اساتذة الزمخشري أيضا: الخياطيّ- كذا ذكره طاش كبرى زاده، قال [٧]:" أخذه الفقه عن الشيخ السَّديد الخياطيّ ختن عين الأمة، ولم أعثر للخياطيِّ هذا على ذكر في كتب التراجم.

---

[١] معجم الادباء / ١٩/ ١٢٧،وابن الداودي / طبقات المفسرين/ ورقة:١٦٠والسيوطي/ طبقاتالمفسرين/ ٢٠-ن، وبغية الوعاة/ ٢/ ٢٧٩، والمحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق/ ١٠، ومقدمة كتاب: أعجب في شرح لامية العرب/ ١١

[٢] مفتاح السعادة/ ورقة:١٩٤

[٣] زمخشري/ الحاشية/ ٤٩

[٤] معجم الادباء/ ٧/ ١٤٧، وانظر: ابن الداودي / طبقات المفسرين / ورقة: ١٦٠ والمحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق/ ١٠ والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٧

[٥] بغية وعاة/ ٢/ ٢٧٩

[٦] الزمخشري / الحاشية / ٤٩

[٧] مفتاح السعادة

تلاميذه:

وحين شاع ذكره، وطار اسمه في الآفاق، قصده التلاميذ من كل حدب وصوب لسمعوا منه، وليأخذوا عنه، واستطاع بذلك أن يكوّن مدرسة علمية ينشر فيها علمه، ويذيع معتقده،وقد تلمذ له فيها جماعة . يقول السمعاني [(1)]: "وظهر له جماعة من الأصحاب والتلامذه، وروى لي عنه: أبو المحاسن اسماعيل بن عبد الله الطويلي بطبرستان، وأبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز بأبيورد، وأبو عمرو عامر بن الحسن السمّسار – ابن أخت الزمخشري – بزمخشر، وأبو سعيد أحمد بن محمود الشاشي بسمرقند،وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم، وجماعة سواهم" .

وتلمذ له أيضا: طأبو بكر، يحيى بن سعدون بن تمّام الأزديّ القرطبي، ت:٥٦٧ هـ شيخ فاضل، عارف بالنحو ووجوه القراءات، سمع من أبي محمد بن عتّاب، وقدم العراق، وقرأ ببغداد على: سبط أبي منصور الخياط،وأبي عبد الله البارع، وبمصر من ابن أبي صادق المديني، وسكن دمشق مدة وأقرأ بها القرآن والنحو، وسكن الموصل الموصل الى ان مات بها. وأخذ عن الزمخشري، وبرع في العربية، وكان ثقة ثبتا صاحب عبادة وورع وببحّر في العلوم، وانتفع به حلّق لحسن خلقه وتواضعه[(2)].

○ **أبو الحسن، علي بن محمد بن علي بن أحمد العمراني الخوارزمي ت:٥٦٠هـ**

يلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ، وهو من بيت كبير في سرخس، وكانت له منزلة رفيعة عند السلطان سنجر بن ملكشاه، ثم سنة:٥٤٥هـ. قال ياقوت[(3)]: "كات الادباء، وقدوة مشايخ الفصل، المحيط باسرار الادب، والمطلع على غوامض كلام العرب، قرأ الأدب على الزمخشري في خوارزم فصار أكبر أصحابه، وأوفرهم حظا من غرائب آدابه، لا يشقّ غباره في اللفظ والخط، ولا يسمح عذاره في كثرة السماع والحفظ، وهو مع علمه الغزير وفضله الكثير علم في الدين والصلاح المتين، وآية في الزهد".

---

(1) الأنساب /٦/ ٣١٥، وانظر: اللباب في تهذيب الأنساب /٢/ ٧٤، والزمخشري/ ٥٢، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن/ ٤٦، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٩

(2) الذهبي/ العبر في خبر من غبر/ ٤/ ٢٠٠-٢٠١، والسوطي/ بغية الوعاة/ ٢/ ٣٣٤.

(3) معجم الادباء/ ١٥/ ٦١-٦٢، وانظر: الفوائد البهية/ ١٢٣، واللباب/ ٢/ ١٥١، وبغيةالوعاة / ٢/ ١٩٥. وانظر: الزمخشري/ ٥٢-٥٣، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن/ ٤٦، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٨.

سمع الحديث من الزمخشري وغيره، وقد قرأ على الزمخشري كتاب: "المحاجاة" وجها لوجه[1]، وجعل أيامه في آخر عمره مقصورة على نشر العلم وافادته لطالبيه، وكان يذهب مذهب الاعنزال، وفي هذا دلاله على أن الزمخشري كان يتث في تلاميذه ثقافته الكلامية، ويقنعهم بفكرة الاعتزال، الى جاب تعليمهم الأدب واللغة والحديث والنحو.

o أبو الفضل، محمد بن أبي القاسم ما يجوك البقالي الخوارزمي ت: ٥٦٢ هـ:

كان نحوياً في الأدب، وحجة في لسان العرب، لقب بالآدميّ لأنه كان يحفظ كتاب الآدمي في النحو، وكان يلقب أيضا: زين المشايخ[2]. أخذ اللغة وعلم الاعراب عن أبي القاسم الزمخشري، وخلفه في حلقه، وسمع الحديث منه ومن يره، وكان جمّ الفوائد، حسن الاعتقاد، كريم النفس، نزيه العرض، غير خائض فيما لا يعنيه، له يد في الترسل ونقد الشعر. وله من التصانيف:مفتاح اللسان، وبقويم اللسان في النحو، والاعجاب في الاعراب، والبداية في المعاني والبيان، وغيرها[3].

o أبو المؤيد، الموفق بن أحمد بن أبي سعيد ت:٥٦٨هـ

كان بعرف بأخطب خوارزم، لأنه كان يخطب بجامع خوارزم سنين كثيرة، وينشئ الخطب به[4]. وهو أديب فاضل، له معرفة تامة بالأدب والفقه، قرأ على الزمخشري، وأصبح متمكنا في

---

[1] المحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحفيف/ ٤٧

[2] السيوطي / طبقات المفسرين / ٢٠ ، ٢١-ن

[3] بغية الوعاة / ١/ ٢١٥ ، وانظر: معجم الادباء/ ١٩/ ٥ ، والفوائد البهية / ١٦١ ، وطبقات المفسرين للسيوطي / ٢٠، ٢١ – ن وانظر أيضا: الزمخشري / ٥٣، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٤٦ ، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٩ .

[4] انباه الرواة / ٣/ ٣٣٢ .

العربية، غزيز العلم، فأقرأ الناس علم العربية وغيره، وتخرج به عالم في الآداب منهم: أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم المطرزي، وله خطب وشعر[1].

o **القاضي أديب الملوك، أبوا سماعيل بعقوب بن شرين الجَنَديّ. :**

قال صاحب أزهار الرياض[2]: " قال الزمخشري: هو أفضل الفتيان في عصره ، وأعقلهم وإذكاهم وأدهاهم . وكان كاتب ساطان خوارزم فاستعفى، وهو يكتب باللسانين: العربية والفارسية ويجين، وهو ممن ربيت وخرّجت وبلّغت الذّروة، وهو أوثق سهم من كنانتي " .

قرأ المفصّل على الزمخشري[3]، ويبدو أنه تمذهب بمذهب الاعتزال متأثرا بأفكار أستإذه. وفي حاشيةالمفصل[4]: " قال فضل القضاة الجنديّ: أنشدني جار الله وقت قراءتي عليه هذه اللفظة – يعني: "طيخ" حكاية صوت الضاحك –:

بِطّيخَةٌ من أَطيبِ البِطّيخ   يضحكُ من يأكلها بالطّيخِ

o **علي[5] بن عيسى بن حمزة بن وهاس، أبو الطيب :**

كان شريفا جليلا هماما، من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، ينتهي نسبه الى سليمان بن حسن بن علي بن أبي طالب. قرأ على الزمخشري بمكة، ونشّطة لتصنيف ما صنّف، وتاليف ما ألف[6]، برز عليه، وصرفت أعنة طلب العلم اليه، وأخذ الزمخشري عنه، وحصل بنهما من المحبة والمصادقة ما لا مزيد عليهن وكان الزمخشري يقر لابن وهّاس بالفصل، وصنف باسمه تفسير الكشاف[7].

---

[1] إنبها الرواة/ ٣ / ٣٣٢ ، وبغية الوعاة/ ٢ / ٣٠٨ وانظر أيضا: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٩،

[2] أزهر الرياض/ ٣/ ٢٨٦ – ٢٨٧

[3] نفسه / ٣ / ٢٨٧

[4] المفضل / حاشية ز / ٧١ أ.

[5] بضم العين وفتح اللام على صيغة التصغير.

[6] انباه الرواه / ٣/ ٢٦٨

[7] معجم الادباء/ ١٤ / ٨٥ ، وانباه الروای/ ٣/ ٢٦٨، والنحوم الزاهرة / ٥/ ٢٤٧ ، والزمخشري / ٥٣، والدراساب النحويه واللغوية عند الزمخشري/ ١٩ – ٢٠.

وأثنى عليه بقوله[1]:

بمكـةَ آخيتُ الشريفَ وفتيةً　　　مـن آل النبيَ غطارفــا
يُتابعُ- إن نوظِرتُ- دراً لشاغبٍ　　　وينهضُ – إن نوكرتُ – رِدءاً مكاتفا

ومدحه اينَ وهاس بأبيات، منها[2]:

وكم للغمام الفرد عندي من يدٍ　　　وهاتيكَ مما فد أطاب وأكثــرا

o ركن الدين، محمود الأصولي

أخذ عن الزمخشري وأعطاه، فكان يقرأ على الزمخشري علم التفسير، ويأخذ الزمخشري عنه علم الأصول[3].

o **أبو يوسف، يعقوب بن علي بن محمد البلخيّ ثم الجندليّ:**

كان الجندلي أحد الأئمة في النحو والأدب، وأخذ عن الزمخشري ولزمه فترة[4].

o **أبو حنيفة:**

بحثت عنه في كتب التراجم والطبقات فلم أعثر عليه، ولعله: أبو حنيفة أحمد بن محمد المهلّبي الصنعاني الذي ذكره السيوطي في البغية، إذ قال: "قال في تاريخ بلخ: كان حافظا نحويا"[5] ولم يزد عن هذا شيئا. وكان أبو حنيفة هذا يحتفظ بنسخة من كتاب المفصل، وأخذ عن الزمخشري قال الخوارزمي[6]: "قال صدر الأفاضل: وفي نسخة أبي حنيفة – رحمه الله – وو من تلامذة المصنف..."

o **الطبّاخيّ:**

كذا ذكره الخوارزمي في شرح أبيات المفصل، وبحثت عنه في كتب الطبقات والتراحم فلم أحظ بخبر عنه. ويبدو أنّ فخر الدين الخوارزمي عد اعنمد نسخة الطباخي هذا حين قام بشرح أبيات

---

[1] ديوانه/ ١٧١ ظ

[2] الطبقات السنية/ ٤١٨ أ

[3] مفتاح السعادة / ١/ ٤٣٣ ، وانظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٢٠

[4] معجم الادباء/ ٢٠/ ٥٥، وبغية الوعاة/ ٢/ ٣٥١ ، وانظر: الزمخشري / ٥٣، ومـنهج الزمخـشري فيتفـسير القـرآن / ٤٦، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٩.

[5] بغية الوعاة / ١/ ٣٨٩

[6] الخوارزمي/ شرح أبيات المفصل/ ٣٠٩أ.

المفصل . قال[1] "ورأيت في نسخة الطباخي بخطة..." ةطتب بين السطور بخط صغير جداً "تلميذ صاحب الطشاف" . وتلميذ له أيضا: ضياء الدين المكي، فقد ذكروا أن المكب هذا أخذ عن الزمخشري[2].

o **مستجيزوه:**

وطلب الاجازة والرواية من جار الله جماعةٌ من العلماء المشهورين، منهم:

o **محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك البلخي، المعروف برشيد الدين الوطواط:**

ينتهي نسبه- فيما يقال- إلى الخليفة الراشد: عمر بن الخطاب. قالوا[3]: انه كان من وادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، وانه كان أبرع معاصريه في النظم والنثر جميعا. كان ينشئ وكاتب الانشاء في عهد السلطان الخوارزمي أتسز، وعب عهد:إبل آرسلان وابنه: علاء الدين تكش.

وقالوا أيضا[4]: إنه كان أعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب، طار في الآفاق صيته، وسار في الأقاليم ذكره، كتب الى الزمخشري يستجيزه فأجازه، وظل على وفائه واجلاله لأستإذه بعد موته، حتى انه ليبغي تصحيح ما حُرِفَ من بعض مولفاته ، يقول الوطواط في رسالةأرسلها بعص الأفاصل[5]: "وقعت في يدي نسخة من كتاب: "أساس البلاغة" ، وقد أرى فيها من التصحيفات مالا أصادف من ديني فسحة في إفاله، فان تفضل سيدنا -ادام الله أيامه- بإنقإذ الجلدة الأولى من النسخة المقرؤة على الامام السعيد جار الله – قدس الله روحه – لأقابل سقيمه بصحيحه، وأبالغ في بقويمه وتصحيحه، جاز مني شكراً طويل الذيل، وثناءً متدافع السيلِ" . وتوفي الوطواط في سنة: ٥٧٣هـ ، وقيل. في سنة:٥٧٨هـ.

---

[1] الخوارزمي/ شرح أبيات المفصل / ٣٤١ ب ، وانظر شرح شواهد الشافية/٤٥٨.

[2] كحالة/ اللغة العربية وعلومها/١٢٨، ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٦ ، وفيه: "ضياء الدين الموشكي"، وهو-فيما نظن – تحريف.

[3] معجم الادباء/ ١٩/ ٢٩، وانظر: بغية الوعاه/ ١/ ٢٢٦، والزمخشري/ ٥٤.

[4] نفسه/ ١٩ – ٣٦، وانظر أيضا: بغية الوعاة / ١/ ٢٢٦، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٤٨.

[5] مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط /٦٧-ط دار المعارق: ١٣١٥هـ ، وانظر أيضا: منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٤٨ ، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٢٢.

o أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم ، أبو طاهر السلفي، ت: ٥٧٦هـ. :

كان اماما مقرئاً مجوداً محدثاً حافظاً مفنناً نحوياً ماهراً، لغوياً محققاً ، ثقةً فيما ينقله، حجةً ثبتاً، انتهى علو الإسناد[١] رحل لطلب العلم، ولقي أعيان المشايخ، وكان شافعي المذهب، ورد بغداد، واشتغل بها علة: الكيا أبي الحسن علي الهراسي في الفقه، وعلى الخطيب أبي زكريا التبريزي اللغوي. وحدَّث بها وهو شاب ابن سبع عشرة سنة أو أقل وليس في وجهه شعره كالبخاري، وروى عنه أكثر من مائة شيخ. ودخل ثغر الاسكندرية سنة: ٥١١هـ وأرقام به، وقصده الناس من الاماكن البعيدة، وسمعوا عليه، وانتفعوا به، ولم يكن في آخر عصره مثله، بنى له العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الظافر العبيدي صاحب مصر مدرسة بثغر الاسكندرية سنة: ٥٤٦هـ[٢] . ومن ثغر الاسكندرية كتب إلى الزمخشري – وهو يومئذ مجاور بمكة– في: مسموعاته ومصنفاته فردّ عليه الزمخشري بما لا يشفي الغليل[٣]. فلما كان العام الثاني كتب اليه رسالة أخرى، مع الحجاج يستجيزه، اقترح فيها مقصوده، وقال في آخرها: " ولا يحوج – ادام الله توفيقه– الى المراجعة. فالمسافة بعيدة.."[٣]، فرد عليه الزمخشري، وتهرب من الاجازة. فال ابن خلكان[٥]" ولم يصرح له بمقصوده فيها، وما أعلم هل أجازه بعد ذلك أم لا" ، وذكر غيره أنه أجازه[٦].

o القاضي عياض بن موسى بن عمرو اليخصبي السبيتي،أبو الفصل ت :٥٥٤هـ :

أحد عظماء المالكية في المغرب، وإمام وقته: الفقه والحديث وعلومهما، وفي النحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم [٧]، وانتشر اسمه في الآفاق وبعد صيته[٨] .وصفه ابن الأبار

---

[١] الوافي لاوفيات / ٧/ ٣٥٢–٣٥٥، وطبقات الحفاظ للسوطي/ ٤٦٨.

[٢] وفيات الأعبان / ١/ ١٠٥–١٠٧

[٣] نفسه/ ٥/ ١٧٠–١٧١، وأزهار الرياض / ٣/ ٢٨٢

[٣] الكشاف / شرح شواهد الكشاف/ ٤/ ٣٠٨–٣٠٩.

[٥] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧١

[٦] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين / ورقة: ٦٠، وطبقات المفسرين لابن الداودي / ورقة: ١٦٠ وانظر أيضا: أزهار الرياض/ ٣/ ٢٨٣، والجواهر المضية/ ورقة: ٢١٠، وطبقات المفسرين للسيوطي/ ورقة: ٢٠،والزمخشري/ ٥٤، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٤٧، والأدب في العصر الأيوبي/ ١٥٨.

[٧] وفيات الأعيان / ٣/ ٤٨٣–٤٨٥، وانظر أدب الفقهاء/ ٦١

[٨] النجوك الزاهرة/ ٥/ ٢٨٥–٢٨٦

قال: "طان جمال العصر، ومفخر الأفق، وينبوعَ المعرفة، ومعجنَ الإفادة، وإذا عُدت رجالات المغرب – فضلاً عن الأندلس- حُسبَ فيهم صدراً ، أجازه أبو علي الغساني.

استجاز الزمخشري ولم يجزه، قال صاحب أزهار الرياض[١]: وسمعت غيى واحد ممن لقيته يخبر أن القاضي عياضاً لما بلغه امتناع الزمخشري من إجازته قال. الحمد لله الذي لم يجعل علي يداً لمبتدع أو فاسق أو نحو هذا من العبارات" .

o **أم المؤيد، زينب[٢] بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد ،ت: ٦١٦هـ:**

وأبو جرجاني الأصل، نيسابوري الدار، صوفيّ، يعرف بالشّعري، كانت عالمة كبيرة أدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية واجازة، منهم: أبو محمد اسماعيل بن أبي القاسم النيسابوري،وأبو المظفر القشيري، وأبو القاسم الزمخشري. وأجازها أبو القاسم الزمخشري وغيره من السادات الحفاظ ، وأجازت ابن خلكان في سنة: ٦١هـ، وتوفيت تنيسابور[٣].

وممن أحازهم أبو القاسم الزمخشري أيضا: عبد الكريم بن عبد الرحيم البصري، فقد روى المفصل وسائر مصنفات الزمخشري كالقسطاس، ونوابغ الكلم، وجيوان الأشعار والكشاف[٤].

ومنهم: أبو طاهر، بركات بن إبراهيم الخشوعي، فقد ذكروا أنه استجاز الزمخشري فأجازه[٥].

ذلكم تلاميذه ممن علم وأجاز، وأبناؤه الذين استغنى بهم عن النسل والذرية. ومنحهم محبة ووده، ورغبهم في علمه بما تهيأ له من خُلقٍ فاضلٍ، وشخصيةٍ منصفة مؤمنة تذعِنُ للحقيقةِ العلمية، وتدفع عن المسلمين الضرر والخطب[٦].

---

[١] أزهار الرياض/ ٣/ ٢٨٣، والعبر في خبر من غبر / ٤/ ١٢٢ – ١٢٣ ، وطبقات الحفاظ/ ٤٦٨-٤٦٩

[٢] وتدعي: حرة أيضا – وفيات الأعيان / ٢/ ٣٤٤-٣٤٥

[٣] أخبار في: وفيات الأفيان / ٢/ ٣٤٤/ ٣٤٥، وطبقات المفسرين لابن الداودي/ ورقة:١٦٠ وانظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٢١

[٤] المفصل / ١٢٦ب- مخطوط بمكتبة مللت بالسليمانية **HKM** برقم:٨٩٩/ ١

[٥] العقد الثمين / ورقة:٦٠

[٦] منهج الزمخشري في تفسير القرآن/ ٤٩

معاصروه:

وعاصر الزمخشري جمعا غفيرا من العلماء، منهم ثلاثة من أعلام النحاة الأندلسيين هم: البإذش، أحمد بن علي بن أحمد الجياني الغرناطي[(١)]، ت:٥١٤، وسليمان ين محمد عبد الله المالفي أبو الحسين، المعروف بابن الطرواة[(٢)]، ت:٥٢٨هـ ، وأبو محمد، عبد الله محمد بن السيد البطليوسي[(٣)]، ت: ٥٢١هـ. والتقى القصاة، أبو عبد الله بن علي الدامغاني،ت:٤٩٨، وكان فقيهاً فاضلاً حنفي المذهب، ناظر الشيرازي، وولي قضاء بغداد مدة. وحين دخل الزمخشري بغداد، اجتمع الفقيه الدامغاني، فسأله عن سبب قطع رجله[(٤)]. والشريف أبو السعادات، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي، المعروف بابن الشجري، ت: ٥٤٢هـ. وكان إماما في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، كامل الفضائل متضلعا في الآداب حكى أبو البركات عبد الرحمن بن الانباري في كتاب: "مناقب الأدباء": أن العلامة الزمخشري لما قدم بغداد قاصدا للحد مضى الى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري، ومضينا معه[(٥)].

- **أبو القاسم، محمود بن عزيز الخوارزمي، الملقب: شمس المشرق، ت: ٥١٢هـ. :**

وكان من أفصل الناس في عصره في علم اللغة والآداب، ولكنه تخطى إلى علم الفلاسفة فصار مفتوناً بها بينالمسلمسن . أقام مدة بخوارزم في خدمة خوارزمشاه مكرماً، ثم ارتحل إلى مرو، فذبح بها نفسه بيده. وكان الزمخشري معجباً به، يدعوه الجاحظ الثاني لكثرة حفظه وفصاحة لفظه[(٦)].

- **عمر ين عثمان بن شعيب الجنزي، ت:٥٥٠هـ:**

من ثغر جنزة بأدريبجان، كان أحد آائمة الأدب وله باع طويل في النحو ومعرفة كلام العرب،وهوشاعر مجيد، قرأ الأدب على: أبي المظفر الأبيوردى .ورد بغداد والبصرة، وذاكر الفضلاء حتى صار علاَّمةَ زمانهِ، وواحدَ عصره . وكان حسن السيرة، يتحلى بالورع ونزاهة

---

(١) بغية الوعاة / ١/ ٣٣٨

(٢) نفسه/ ١/ ٦٠٢

(٣) نفسه / ٢/ ٥٥

(٤) شرح شواهد الكشاف/ ٤/ ٣٠٨، وانظر: تاريخ دولة آل سلجوق/ ٧٥، والزمخشري / ٥٠

(٥) شذرات الذهب / ٤/ ١٣٢، زفوات الوفيات/ ٢/ ٦١١-٦١٢،وانظر أيضا: معجم الادباء/ ١٩/ ٢٨٢، وانباه الرواة / ٣/ ٣٥٦، ووفيات الاعيان / ٢/ ٣٢٠، وبغية الوعاة/ ٢/ ٨٦.

(٦) معجم الادباء / ١٩/ ١٢٦/ وبغية الوعاة/ ٢/ ٢٧٩.

النفس [1] . قال العكبرى [2]: قال عمر الجنزي: فاوضّتُ صاحَب المفصل في قوله تعالى [3]:" والنجم إذا هوى" ما العامل في الظرف ؟ فقال العامل فيه ما تعلق به الواو، فقلت: كيف يعمل فعل الحال في المستقبل، وهو الآن، المعنى: أقسم الآن، وليس معناه: أقسم بعد هذا، فرجع وقال العامل فبه مصدر محذوف، وتقديره: وهوى النجم إذا هوى، فعرضته على زين المشايخ، فلم يستحسن قوله الثاني، والوجه أن "إذا" قد انسلخ عن معنى الاستقبال . وصار للوقت المجرد" .

- **أبومحمد، عبدالله بن أحمد بن أحمد، المعروف بابن الخشاب، ت: ٥٦٧هـ** . :

كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال: بأنه كان في درجة الفارسي، وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة . وكان ثقة في الحديث، صدوقآ نبيلا حجة [4] . قال ابن خلكان [5]:" أخبرني أحد أصحبه – يعني: أبا اليمن الكندي– أنه قال: كنت قاعدا على باب أبي محمد عبدالله بن الخشاب النحوي ببغداد، وقد خرج من عنده أبو القاسم الزمخشري الامام المشهور، وهو يمشي في جاون خشب، فان احدى رجليه كانت قد سقطت من الثلج، قال: والناس يقولون: هذا الزمخشري" .

- **أبو الفتح، محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزيّ، ت: ٦٠٩ هـ** .:

وهو شيخ جليل، عالم، حسن العشرة، أخذ النحو عن ابيه، ولقي الزمخشري،وقرأ على تلميذه: محمد بن أبي القاسم بايجوك البقالي الخوارزمي . وله شرح المفصل، وشرح الأنموذج، وتهذيب مقدمة الأدب، وغيرها [6] .

- **أبو الفضل، أحمد بن محمد بن ابراهيم الميداني النيسابورى، ت: ٥١٨ صاحب كتاب "الأمثال" المشهور** . : أتقن فنَّن العربية خصوصاً اللغة وأمثال العرب، وقرأ الأصول وأحكمها، وأصبح إمام أهل الادب في عصره، وأخذ في التصنيف فأحسن كل

---

[1] إنباه الرواة / ٢ / ٣٢٩ – ٣٣٠، والأنساب / ٦ / ١٦١، وبغية الوعاة / ٢ / ٢٢١

[2] المحصل شرح المفصل / ٢ / ١٤٧ أ – ب

[3] سورة النجم / ١

[4] انظر: إنباه الرواة / ٢ / ٩٩، وبغية الوعاة / ٢ / ٢٩، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ١٠٥، والأعـلام / ٤ / ١٩١، ومعجم المؤلفين / ٦ / ٢٠، ومقدمة المرتجل / ٥ – ٢٦ .

[5] وفيات الأعيان / ٢ / ٣٤٠ .

[6] انظر: معجم الأدباء / ١٨ / ٢٠٣، وانباه الرواة / ٢ / ١٣٩، وبغية الوعاة / ١ / ١١١ – ١١٢ .

الاحسان فيما جمعه وصنفه، وأربى على من تقدم بالترتيب والتحقيق[1]، وصنف الامثال، والهادى، والسامي في الأسامي، وغيرها.

قالوا[2]: ولما صنف الميداني كتاب"الامثال" وقف عليه الزمخشري فحسده، وأخذ القلم وزاد لفظه " الميداني" سنسنة، فصار: النميدانيّ " معناه بالفارسية: الذي لا يعرف شيئاً. فلما وقف الميدانيُّ على ذلك أخذ بعض تصانيف الزمخشري وزاد في نسبته سنينية، وأبدل الميم نوناً فصار: " الزّنخشِري" معناه: بائع زوجته بالفارسية". ونحن نستبعد مثل هذه الحكاية، ونطن أنها من عبث خصوم الزمخشري الذين وقفوا موقفا عدائيا محضا من فكرة الاعتزال، فان كانوا قد اتهموه بالكفر – كما بينا – فليس يبعد إذن أن يضعوا عليه ما وضعوا، ودلينا على ذلك أن الحكاية تفتقر الى الدقّة والموضوعية والحبكة الفنية وحسن الاخراج، فالزمخشري أو "الزنخشري" – كما قالوا- لن تكن له زوجة حتى يبيعها ذلط تنه لم يتزوج قط . ثم انهم قد اختلفوا في احكام صياغتها، فرواية السيوطي في البغية تختلف عن رواية القفطس في انباه الرواة، يضاف الى هذا،أن ابن خلكان[3]- وكان قريب عهد بالزمخشري – لم يوردها، لهذا كله، يجوز لنا أن نردها. وكان تلاميذ كتب الزمخشري كثيرين كثرة واضحة، وكان قراء كتبه يقدرون علمه، وينزلونه منزلته من الامامة والتقديم ، من هؤلاء: الامير شبل الدولة ابو الهيجاء مقبل بن عطية ختن نظام الملك[4] ونتجب الملك أبو جعفر محمد بن رسلان أحد كبراء دولة السلطان سنجر[5]، والعميدي[6]، والخطيب الموفق [7]، وأديب الملوك يعقوب بن شيرين الجندي[8]، وابو المعالي أحمد بن الحسين ابن أحمد المعروف بابن الجناز، وكان يحفظ كتاب المفصل[9]. وأبو محمد القاسم بن الحسين بن محمد المعروف بصدر الأفاضل[10]، وغير هؤلاء كثير.

---

[1] أخباره في: معجم الادباء / ٥/ ٤٥، ووفيات الاعيان / ١/ ١٤٨، وانباه الرواة/ ١/ ١٢، وبغية الوعاة / ١/ ٣٥٦، والبلغية في تاريخ أئمة اللغة / ٣٠، وال

[2] إنباه الرواة / ١/ ١٢٣-١٢٤، وانظر: بغية الوعاة / ١/ ٣٥٧

[3] قلد في إربل سنة: ٦٠٩- وفيات الأعيان / ١/ ٥

[4] إنباه الرواة / ٣/ ٢١٧ ، والطبقات السنية / ٤١٨ أ

[5] إنباه الرواة / ٣/ ٢٧١ – ٢٧٢ ، والطبقات السنية / ٤١٨ أ.

[6] الطبقات السنية/ ٤١٨ أ

[7] نفسه / ٤١٨ ب .

[8] نفسه / ٤١٨ ب .

[9] البلغية في تاريخ أئمة اللغة/ ٢٠ ، والنجوم الزاهرة / ٦/ ٣٤٢

[10] بغية الوعاة / ٢/ ٢٥٢ – ٢٥٣.

الفصل الرابع

آثاره العلمية

- مؤلفاته

مؤلفاته:

عرفنا أن الزمخشري كان منذ صباه مشغوفا بالبحث والدرس، ولما عزف عن الزواج وآثر العزوبة، انصرف بجهده الى التأليف، وحبس نفسه على التصنيف، فجادت عليه ثقافته الثرية بمؤلفات كثيرة متنوعة كادت تستوعب سائر النشاطات العقلية التي عرفها عصره، وتعتبر هذه المؤلفات ذات منزله كبرى في آدلب اللغة على اخلافها[١]، ويفصح شعر أبي القاسم عن حبه لمؤلفاته واعزازه لها ، وافتنانه بها، حتى انه اتخذ منها أبناءه الذين يبرهم ويرعاهم، واستعاص بها عن النسل والعيال، وفضلها على البنين والبنات، لأنها- في رأيه – تحفظ الودّ . وتحمى العرض ، ولا تعرف المشاكسة والعقوق[٢]. ومن يتفحص قائمة مؤلفاته يعجب بعلم الرجل وثقافته، ويزداد اكباره له واعترافه بفضله حين يتناول بعض هذه المؤلفات فينزر فيها ويعمق في دراستها.وقد عني بعض الذين ترجموا له بذكر مؤلفاته، والثناء عليها. ونصوا على تفوقه على أبناء عصره في علوم شتّى، ولكنهم تفاوتوا في استقصاء هذه المؤلعات، فمنهم من ذكر أكثرها شهرة وأوسعها انتشارا[٣]، ومنهم من أجهد نفسه في سرد ما تناهى الى علمه منها[٤]، فذكر كل ذلك من: ابن كتلوبغا[٥]وطاش كبرى زاده [٦]: تسعة وعشرين مؤلفاً، وأورد ابن خلكان ثلاثين [٧]، وابن الداودي . خمسة وثلاثين [٨] وذكر كل من ياقوت [٩] واسماعيل البغدادي [١٠]، واحدا وخمسين . وقد ذّيلوا – جميعا – سردهم لمصنفاته بقولهم: وغير ذلك .قال مصطفى الجويني [١١] – بعد أن ذكر أربعين مؤلفا: وله غير ذلك مؤلفات ذكرها ياقوت ولا ندري من أسمائها موضوعاتها، كما أن ياقوت نفسه لم يذكر كل مؤلفات الزمخشري . وقال:النجدي [١٢]،

---

(١) جرجي زيدان / تاريخ الادب في اللغة العربية / ٣/ ٤٩

(٢) ديوانه / ورقة ٢٦ / الدار – ١٣٢ – ظ، وانظر ك بدائع الملح / ٩أ .

(٣) الأنساب / ٦/ ٣١٥، والزبيدي / طبقات النحاة واللغويين / ورقة:٩٩ ١٩٤ .

(٤) وفيات الاعيان / ١٦٨/٥ -١٦٩

(٥) تاج التراجم / ورقة: ٣٩

(٦) مفتاح السعادة / : ١٩٤ .

(٧) وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٨ – ١٦٩

(٨) طبقات المفسرين / ورقة: ١٦٠ – ١٦١

(٩) معجم الادباء / ١٩ / ١٣٤ / ١٣٥

(١٠) هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

(١١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن م٥١

(١٢) بيان الهدى من الضلال / ١/ ١٢٣

إن الزمخشري قد صنف الكتب التي لاتعد ولا تحصى، على ما في ذلك من مذهب الاعتزال" .
وقد دفعتني هذه الأقوال إلى بذل مزيدٍ من الجهد في البحث والاستقصاء للوقوف على مؤلفات أبي القاسم، واستطعت – من خلال هذا الجهد المبذول- أن اقف على عدد وفير من هذه المؤلفات، ثم قمت بترتيبها ترتيباً هجائيا على النحو التالي:

١- أساس البلاغة: معجم اللغة العربية جمع فيه المفردات ثم بين معانيها الحقيقية والمجازية، وعززها بالشواهد الشعرية وغيرها، وقد اعتمد عليه – وعلى غيره– الزبيدي حين ألف كتابه: "تاج العروس" [١].وللكتاب نسخ خطية كثيرة في خزائن المخطوطات، منها- على سبيل المثال- عشرون نسخة في مكتبة السليمانية وحدها[٢]، ونسخة في المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم: ٨٦٦، ونسختان في مكتبه. FEYZULLAH بتركيا،برقم:2054، 2055 ومنه نسختنان في مكتبه رامبو بالهند، برقم: ك ٣٨٠٨، ٣٨٠٩.وطبع أساس البلاغة عدة مرات: طبع في مطبعة وهبة بمصر،سنة:١٢٩٩هـ منه نسخة في مكتبة:HACI MAHMUD EF . NO: 5849 بالسليمانية، وطبع في المطبعة الوهبية بمصر، سنة:١٣٢٧هـ ، وفي مطبعة دار الكتب في القاهرة في مجلدتين، سنة:١٣٤١ هـ ، ثم طبعته مطبعة دار الشعب في مصر، سنة:١٩٦٠م[٣].

٢- اساس التقديس[٤] : بحثت عنه ولم أعثر له على وجود.

٣- أسرار المواضع: ذكره اسماعيل البغدادي في هدية العازفين [٥] ، ولا أعرف له وجوداً.

٤- الأسماء في اللغـــة: ذكرت الدكتورة بهيجة الحسني أنها لم تطلع عليه [٦]، ورجح الدكتور أحمد الحوفي أنه جزء من كتاب مقدمة الأدب"، قال [٧]: " وجاء في أسماء مؤلفاته كتاب

---

[١] كحالة/ اللغةالعربية وعلومها/ ٨٥

[٢] منها نسختان في مكتبة" YEMI CAMI NO:112.1120 ، ونسختان في مكتبة SEHID ALI PASA NO: 2590.2591

[٣] ذكر كتاب الاساس فس:معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤ ، ووفيات الاعيان/ ٥/ ١٦٨، وشذرات الذهب/ ٤/ ١١٨، ولسان الميزان/ ٦/ ٤، وكشف الظنون/ ١/ ٧٤، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٧، ومفتاح السعادة/ ورقة:١٩٤، وتاج التراجم / ورقة:٣٩، وطبقات المفسرين لابن الداودي/ ورقة: ١٦٠، وطبقات المفسرين للسيوطي/ ورقة: ٢٠، وطبقات الفقهاء لابن كتلو بغا / ورقة:٧١، والاعلام / ٨/ ٥٥، وهدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣.

[٤] هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

[٥] نفسه / ٢/ ٤٠٣.

[٦] المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ٢٤

[٧] الزمخشري / ٦٠، وانظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٨٥

الأسماء، وأرجّح أنه جزء من مقدمة الأدب، لأن القسم الأول: في الأسماء، والقسم الرابع: في تصريف الأسماء " ونحن نميل الى أنه كتاب آخر غير كتاب: " مقدمة الأدب " كما ذكرت ياقوت [١] .

٥ - **كتاب الأجنـــاس**: ذكره ياقوت [٢]، قال الحوفي [٣]: " وربما كان في المنطق "، وبحثت عن الكتاب في بعض خزائن المخطوطات فلم أجده .

٦ - **أطواق الذهـــب**: وهو كتاب صغير الحجم استوعب مائة مقالة مسجوعه في [٤]: الزهد والحكمة واتمثيل والموعظه ومكارم الأخلاق، كل مقاله منها في بضعة أسطر من غير عنوان . وقد ألفه جار الله بمكة قبل أن يصنّف تفسير "الكشاف وكان جينئـذ مجاورا بيت الله الحرام – فكان يؤلف مقالة ثم يقوم فيطوف، فإذا فرغ من الطواف ألفمقالة أخرى، وهكذا حتى بلغت مائة كاملة [٥].

وتوجد للكتاب نسخ خطية كثيرة في خزائن المخطوطات، منها تسع نسخ في مكتبة السليمانية باستانبول، ومن هذه النسخ التسع نسختان مع كلّ منهما كتاب أطباق الذهـــب". لعبد المؤمن بن هبة الله المغربي الأصفهاني شرف الدين، برقم Reisulkuttab 748/2 ورقم [٦]: Ayasof ya k . 3780 وقد سار الاصفهاني على نهج الزمخشري تماماً، يقول في كتابه[٧] "... فقد أشار إلي ولي من أولياء الله...]أن يأجمع له مائة مقالةٍ في الوعظ والنصيحة، والخطب الفصيحة، أسلك فيها مسلك الامام العلامة جار الله محمود الزمخشري في مقالاته المسماة بأطواق الذهب، والذي صاغه الزمخشري هو الزاد المحشري الذي يضيق عنه الطوق البشري .... وحذت في كل مقالة حذوة ، واقتَغَيتُ أثره وخطوه..."

---

(١) معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤، وانظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٥١،ومقدمة أعجاب العجب / ١٣ .

(٢) معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤، وانظر: منهج الزمخشري في تفسير القـرآن / ٥٠، والمحاجـاة / مقدمـة التحقيـق / ٢٤، ومقدمة: أعجب العجب /١٣ .

(٣) الزمخشري / ٦٣ .

(٤) ذكر الكتاب في: معجم الأدباء / ٤ / ٥١، وبغية الوعاة / ٢ / ٢٨٠، وهدية العارفين / ٢ / ٤٠٣، والأعلام / ٨ / ٥٥ وظهر الاسلامية / ٤ / ٥١، وتاريخ آداب اللغة العربية / ٣ ٤٩، ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٨ .

(٥) قلئد الأدب في شرح أطواق الذهب / ٩ .

(٦) أحتفظ بنسخة منه كتبها بخط في مكتبة السليمانية باستانبول سنة: ١٩٧٥م .

(٧) أطباق الذهب / المقدمة/ ورقة: ٣٩، ٤١ Ayasofya k . 3780

ومن كتاب الاطواق أيضا: نسختان في مكتبة: علي أميري/ مللت / بستانبول برقم: ٣٢٤٤ ورقم: ٣٢٤٥، ونسخة في مكتبة: عارق حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم:٤٧ قديم – ١٦٧ جديد / مجاميع ، ونسختان في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم: ٦١٢٠ ، ورقم: ٦٧٤٠ . وشرح الكتاب: ميرزا يوسف خان ابن اعنصام الملك،وسمى شرحه: " قلائد الادب في شرح اطواق الذهب" ، منه نسختان خطيتان في مكتبة في أميري برقم: ٣٢٤٦،٣٢٤٧ وطبع الأطباق عدة مرات، هي[1]:

- طبعه: فوت جوزيف فون هامر مع ترجمة بالالمانية بقينا سنة: ١٨٣٥م تحت عنوان: Samachari's goldene halsbander ثم ترجمه فلايشر ترجمة جديدة ونشره بليبسك سنة: ١٨٣٥م أيضا. وترجمه بعد ذلك جورج قايل ونشره في: اشتوتجارت بالمانيا سنة:١٨٣٦م. وطبع في استانبول سنة: ١٢٨٦هـ بترجمة تركية مع شرح " قلائد الأدب" لميرازا يوسف خان ، ت: ١٣٠٧هـ ، وطبع مرة أخرى باستانبول سنة:١٢٩٠هـ تحت عنوان:"أطواق الذهب في المواعظ والخطب" . وطبع في بيروت سنة: ١٢٩٣هـ ،وسنة: ١٣٢٢هـ . وطبع في مصر سنة:١٣٢١هـ وفي المطبعة المحمودية بالقاهرة سنة:١٩٢٥م، ثم طبع مرة أخرى في مطبعة السعادة بمصر سنة: ١٣٢٨هـ . واعتنى به المستشرق الفرنسي: باربيه دي مينارد C Barbier De may nard فترجمه الى الفرنسية ونشره سنة: ١٨٧٦م بعنوان: النصائح الصغار.

٧- **أعجب العجب في شرح المية العرب**[2]: هو كتاب شرح فيه الزمخشري قصيدة الشنفري[3] المعروفة باسم:"لامية العرب" ومطلعها:

أقيمو بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميلُ

ولقيت القصيدة اهتماماً كبيرا، وتناقلها الناس وأعجبوا بها لما حوتهُ من فصاحة التركيب، وجودة التعبير، لما استملت عليه من المعاني السامية، والأخلاق الفاصلة، والاعتزال بالنفس والفخر بها.

---

[1] وانظر: دائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٨ ، وجرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية/ ٣/ ٤٨، والمحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق / ٢٦.

[2] معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤، هدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣، والاعلام / ٨/ ٥٥، ودائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٦ وفيه باسم:"عجب العجاب في شرح لامية الاعراب"، وتاريخ اداب اللغة العربية / ٣/ ٤٩، والدراسات اللغوية والنحوية/ ٨٦.

[3] اختلف الرواة في اسمه، فذهب بعصهم الى ان اسمه: ثابت بن جابر، او: عمرو بن براق، والشنفري لقب له، ويعني: عظيم الشفة، وقيل غير ذلك . وذهب اخرون اللا ان الشنفري اسمة وأما ثابت بن جابر وعمرو بن براق، فصاحباه في الصعلكة . مقدمة: اعحب العحب/ ٥.

وكان ابو القاسم ممن اعتنوا بشرحها، فجاء شرحه وافيا، وقام نهجه في الشرح على ثلاثة اسس: شرح مفردات البت أولا، ثم ايراد معناه ثانيا، ثم يبسط القول ويفصله في مسائل اللغة العربية من نحو وصرف، ما الى ذلك ، فقد خصص – مثال – فصلا للمسأله النحوية: "حسن الوجه" وأسهب في تفصيلها[(١)].

توجد من الكتاب خمس نسخ خطية في مكتبات السلممانية، ونسخة أخرى في مكتبة: Fatih No: 3919/3 باسم: "بلوغ الأرب من لاميو العرب" . ومنه تحت رقم: ٦٨٢، ونسخة في مكتبة Abdul Gani Aga No: 207 باستانبول.

وطبع الكتاب في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة: ١٣٠٠هـ ، وطبع مرة اخرى في مصر سنة:١٣٢٤ هـ في: ست وستين صفحة من القطع المتوسط، ومعه: مقصورة ابن دريد[(٢)]. ثم اعيد طبعه في دار الوراقة سنة:١٣٩٢هـ في: تسع وعشرين صفحة من القطع الكبير.

٨- المالي في النحو : كذا قال ياقوت[(٣)] وفي وفيات الاعيان[(٤)]: "الامالي في كل فن" ، وذكره اسماعيل باشا البغدادي باسم [(٥)]: "امالي" فقط، وسماه الاستإذ ابراهيم الدسوقي [(٦)]: " الامالي الواصختن في كل فن".

٩- النموذج في النحو[(٧)]: وهو كتاب صغير الفه قبل المفصل بفترة، وأهداه الى: مجير الدولة أبي الفتح علي بن الحسين الاردستاني[(٨)].

توجد من الكتاب نسخ خطية كثيرة مها: تسع عشرة نسخة في مكتبات السليمانية، وخمس نسخ في مكتبة دار الكتب المصرية، منها نسخة برقم: ٣٧ قديم -١٥١ جديد / مجاميع ، ونسخة في مكتبة: . H.Hayart – Abdullah Ef برقم: ١٣٥/ ٥ باسم: المختصر في النحو: Mahtasar

---

(١) اعجب العجب/ ٧٦-٨٤

(٢) تاريخ اداب اللغة العربية/ ٣/ ٤٩.

(٣) معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤

(٤) فيات الاعيان/ ٥/ ١٦٩، وكذا في طبقات المفسرين لابن الداودي/ ورقة:١٦١.

(٥) هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

(٦) شرح شواهد الكشاف/ ٤/ ٣٠٧(نبذة من ترجمة المولف) . وذكر الكتاب ايضا في: شذرات الـذهب/ ٤/ ١١٨ ، وتـاج التراجم م ورقة:٣٩، وطبقات الفقهاء لابن كتلوبغا / ورقة:٧١.

(٧) وفيات الاعيان / ٢/ ٢٨٠ ، وتاج التراجم / ورقة: ٣٩ ، وطبقات الفقهاء لابن كتلوبغا / ورقة: ٧١، وطهر الاسـلام / ٤/ ٥١، ودائرة المعارف الاسالمية / ١٠/ ٤٠٦ .

(٨) ديوانه / ٤٩-ظ

fi'n- nahv . طبع النموذج في كريستينا سنة: ١٨٦٧م حيث نشره برخ Broch ، وطبع [١] في طهران سنة: ١٢٦٩ هـ ، وفي تبريز سنة: ١٢٩٨هـ في:ثلاث وعشرين صفحة ملحقا بكتاب: "نزهة الطرف في علم الصرف" لابي محمد بن عبد الله بن هشام، وبعده كتاب: " قواعد الاعراب" لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن هشام، توجد منه نسخة في مكتبة حسيب أفندي برقم: ٤٨٩/ ٢. ثم طبع في استانبول للمرة الثانية سنة: ١٢٩٩هـ ، منه نسخة في مكتبة: Tirnovali No: 1714/2 ونسخة اخرى في مكتبة: Izmirli I. Hakki No: 2962 واعيد طبعة للمرة الثالثة سنة: ١٣٠٨هـ[٢] .

واهتم كثير من النحاة المتأخرين بالكتاب فتناولوه بالشرح والتفصيل،واهم شروحه :

- شرح الانموذج لضياء الدين المكي، سماه: "كفاية النحو في علم الاعراب" ، توجد منه نسخة في خزانة المحف البرطاني برقم:٦٢٦٠ ، وفي برلين، برقم:٦٥٢٥ [٣] .
- شرح الانموذح الموسوم "بحدائق الدقائق في شرح رسالة علامة الحقائق" لأبي الفتح محمد سعيد بن محمد الديباجي المروزي، ت:٦٠٩.
- توجد منه ثلاث نسخ خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق، أرقامها: ١٦٧٩- عام، ١٧٣١- عام، ١٧٣٣- عام. وذكره بروكلمان له مخطرطات في باريس برقم:٦٣٦٧ ، وبرلين:٦٥٨٠، وفينا:١٥٥. ومنه نسخة في مكتبة الاوقاف ببغداد برقم:١٣٥٥، وفي مكتبة الاسكندرية برقم:١٤ نحو[٤].
- شرح الانموذج للقاسم ين الحسين بن محمد الخوارزمي المعروف بصدر الافاضل [٥].
- شرح الانموذج في النحو لعز الدين عبد العزيز بن جمعة بن زيد المعروف بابن القواس، ت:٦٩٦هـ[٦].
- شرح الانموذج لعلي بن عبد الله بن احمد زين العرب، ألفه سنة:٧٣٦هـ، منه نسخة في مكتبة الاسكندرية برقم:٩٦ [٧].

---

[١] دائرة المعاريف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٦.

[٢] دائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٦

[٣] المحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق/ ٢٧

[٤] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٨٧، وانظر: بغية الوعاة/ ١/ ١١٢

[٥] بغية الوعاة / ٢/ ٢٥٣

[٦] عبد الله الحسيني هلال / شرح الدرة الالغية/ ق١/ ٣٧.

[٧] المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق/ ٢٧

- شرح الانموذج لجمال الدين محمد ين شمس الدين عبد الغني الاردبيلي ثم الرومي المعروف بغني زاده. توجد منه خمس نسخ مخطوطة في المكتبة الطاهرية بدمشق ، تحت الارقم: ٨٦٢٥ – عام ١٨٤٤ – عام ، ١٨٣٦ – عام ، ١٧٣٢– عام. ونسختان في مكتبة الاوقاف ببغداد، أولهما برقم:١٢٣٣ ، والثانية برقم:١٣٧٣٥، وعندي نسخة مصورة منها. ونسخة في مكتبة المتخف العراقي برقم:١٦٨٥، وفي برلين: ٦٥١٦ ، وفي كوتة: ٢٤–٢٧ ، وفي الاسكوريال: ١٧٨ نحو، والاسكندرية:٢١ نحو.

وقد طبع هذا الشرح في بولاق بمصر سنة: ١٢٦٩هـ وفي مجموعة فارسية سنة ١٢٧٩هـ[١].

- لابراهيم بن سعيد الخصوصي، سماه "عمدة السري" طبع في بولاق بمصر سنة: ١٣١٢هـ [٢].

- شرح الأنموذج لمحمد بن عيسى عسكر، سماه: "الفيروزج".

منه نسخة خطية في مكتبة: علي أميري / مللت/ استانبول، برقم: ٣٦٥٠. طبع في القاهرة بمطبعة المدارس الملكية سنة: ١٢٨٩ هـ [٣]

١٠- تاج الأسامي: منه نسخة خطية في مكتبة رامبور بالهند، برقم: ٣٨٣١.

١١- تخاميس: لمحمد الغلامي والزمخشري [٤]

١٢- تسلية الضرير: ذكره ياقوت [٥]، وصاحب مفتاح السعادة [٦]، ولم أعثر له على وجود.

١٣- تعليم المبتدى وارشاد المقتدى : قالت الدكتورة بهيجة الحسني [٧]: " توجد منه نسخة خطية ب\دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل، تحت رقم: ٤٢٥٤س . وهو ترجمة فارسية لعبارات عربية سهلة بقصد تعليم المبتدئين، نحو:

أقول لك شيئا .

أي شيئ تقول لي ؟

---

[١] دائرة المعارف بالمسائل النحوية/ ١٠/٤٠٦، الدراسات النحوية والغوية عند الزمخشري/ ٨٧

[٢] المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق/ ٢٧

[٣] المحاجاة بالمسائل النحوية/ ٢٧، ودائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/٤٠٦.

[٤] مكتبة الموصل / رقم: و – ٨٥

[٥] معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤

[٦] مفتاح السعادة / ورقة:١٩٤

[٧] المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ٢٨، وانظر: تعليم المبتدئ / ورقة: ٤٣

أقول لك شيئا تفرح به .

لا تقل شيئا فاني لا أشتهي أنْ تكلمني أو تنظر إِليّ

ولم أَطَّلِعْ على الكتاب .

١٤- **التوابع** : ذكره الفيروز أبادي في كتاب: "البلغة في تاريخ أئمة اللغة " [١] ، ولعله " النوابغ" أعني كتاب: " نوابغ الكلم" أو: " الكلم النوابغ" كما يسمى أحيانا[٢] إذ لم تذكر المراجع التي وقفت عليها كتابا للزمخشري باسم: التوابع.

١٥- **الجبال والأمكنة والمياه** [٣] : وهو كتاب يتناول أسماء الجبال والأمكنة والمياه ومواقعها، ويعرف بها تعريفا موجزا، ويورد احيانا الشعر الدي وردت فيه. من ذلك مثلا قوله [٤]: "أجأ: أحد جبلي طيئ وهي مؤنثة، قال امرؤ القيس:

أبت أجأ أن تسلم العام جارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل

وقد رتب الزمخشري هذه المواضع جميعا ترتيبا هجائيا فبدأ بحرق الهمزة.

وذكر الزبيدي الكتاب، وسماه [٥]: " كتاب الجبال والمياه" وتوجد من الكتاب نسخة خطية في السليمانية – مكتبة: yeni Cami 1195/1 ضمن مجموع، وقد نسختها بخطي ، واحتفظ بها في مكتبتي. وتوجد نسخة أخرى في مكتبة أحمد الثالث باستانبول، برقم: ٢٧٤٣.

نشرة المستشرق: سالفردي كراف M.S. De Grave في ليدن سنة: ١٨٥٦م بعنوان: Az – Zamaksari Lexicon Geocraphicum وهي طبعة نادرة الوجود[٦] ثم أُعِيدَ طبعُه سنة: ١٨٨٥م مضافاً إِليه ترجمة إلى اللاتينية . وأُعِيدَ طبعُه في النجف بالعراق حيث نشرته مدرسة: آل كاشف الغطاء سنة: ١٩٦٢ م وهي طبعة تجارية سقيمة، كثيرة الغلط والتصحيف، وغير متيسرة [٧] . ثم طبعته مطبعةالسعدون في بغداد سنة: ١٩٦٨ م بتحقيق الدكتور: ابراهيم السامرائي / وألف بعد الزمخشري كثيرون في هذا المجال، منهم: نصر بن عبد الرحمن الفزاري الاسكندري ب: ٥٦٠هـ ، وكتابة يسمى: "أسماء البلاد والأمكنة والجبال والمياه[٨]".

---

[١] البلفة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٧

[٢] مكتبة: لاله لي/ رقم:٧١٤ / ١ وانظر مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤

[٣] مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٣، والاعلام /٨/ ٥٥ ، وتاريخ اداب اللغة العربية/ ٣/ ٥٠.

[٤] الجبال والالمكنة والمياه/ ١٥

[٥] البلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٧

[٦] تاريخ آداب اللغة العربية/ ٣/ ٥٠

[٧] الجبال والأمكنة والمياه / مقدمة التحقيق/ ١٠

[٨] كحالة/ اللغة العربية وعلومها/ ٥٠

١٦- **البدور السافرة في الأمثال السافرة** : ذكره الأستإذ ابراهيم الدسوقي[١]، وبحثت عنه فلم أعثر عليه.

١٧- **البلدان**: ذكره الفيروز أيادي[٢]، ولم أعثر له على وجود.

١٨- **جواهر البلاغة**: ذكره ياقوت [٣] وغيره[٤]، ولا يعرف له وجود إلى وقتنا هذا [٥].

١٩- **حاشية على المفضل** : ذكره ياقوت[٦] وغيره[٧]، ولم أعثرله على وجود إلى وقتنا هذا.

٢٠-**حالة الناشر**: ذكره صاحب تاج التراجم [٨]، ولا أعرف له وجودا.

٢١- **خصائص العشرة الكرام البررة**[٩]: توجد منه نسخة خطية في مكتبة: H. MAHMUD EF. 4710 بالسليمانية ونسخة في مكتبة برلين برقم: ٩٦٥٦. وقد حققه الدكتور بهيجة باقر الحسني، ثم نشرته وزارة الثقافة والاعلام ببغداد في سنة: ١٩٦٧م [١٠]

٢٢-**الدر الدئر المنتخب في كنايات واستعارات وتشبيهات العرب**: بقيت منه قطعة في ليبسك، برقم: ٨٧٣ [١١]. ونشرت في الجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي في سنة: ١٩٦٨م بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني[١٢] .

٢٣-**الدرر في شرح الايجاز**: توجد منه نسخة خمطية في مكتبة الاسكوريال باسبانيا، ومعه كتاب: " الاعجاز شرح الايجاز في النحو" لابي في الطبرسي ، برقم: ١٨٠نحو.

---

[١] شرح شواهد الكشاف/ ٤/ ٣٠٧ (نبذة من ترجمة المؤلف)

[٢] البلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٧

[٣] معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤

[٤] هدية العارفين / ٢/ ٤٠٢

[٥] الزمخشري/ ٦٠، والمحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق/ ٢٨

[٦] معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤

[٧] دائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٤ – ٤٠٥ ، وانظر: المحاجاة / مقدمة التحقيق/ ٢٨

[٨] تاج التراجم في الأئمة الحنفية/ ورقة: ٣٩

[٩] هدية العارفين/ ٢/ ٤٠٢، ودائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٥.

[١٠] المحاجاة بالمسائل النحوية/ مقدمة التحقيق/ ٢٨

[١١] دائرة المعارف الاسالمية/ ١٠/ ٤٠٧ ، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٨٨.

[١٢] المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ٢٨-٢٩

٢٤- ديوان التمثيل: ذكره ياقوت[١] وابن خلكان [٢] وغيرهما [٣] ، وسمهاه ابن كتلوبغا [٤]: "ديوان التمثيل"، وبحثت عنه فلم أجده .

٢٥-ديوان خطب: ذكره ياقوت وغيره[٥]، ولا يعرف له وجود الى وقتنا هذا.

٢٦- ديوان رسائل: ذكره ابن خلكان وغيره[٦]، ولا يعرف له وجود الى وقتنا هذا.

٢٧- ديوان شعر: سماه الزمخشري: "ديوان المنظوم"، قال:

ديوان منظومي يريك بدائعاً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وديوان منثوري يريك طرائف

وفي: وفيات الاعيان وتاج التراجم [٧] " ديوان الشعر " . ويذكر السيد حميد مجيد هدو في فهرست مخطوطات مكتبة عائلة آل حميد الدين في صنعاء – اليمن، أن في المكتبة نسخة خطية يرجع تاريخ نسخها الى سنة: ١١٧٩ هـ بعنوان: "بستان العقلاء وديوان الأدباء" [٨] . وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة: ASIR EF . NO .: 330 بعنوان: " ديوان الزمخشري " ومنه نسخة في المكتبة الظاهرية / بدمشق برقم: ٤١٦٣، أحتفظ بنسخة مصورة عنها،وقد رمزت لها بالحروف: ظ .

وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة عنوانها: " ديوان الزمخشري " برقم ٥٢٩ – أدب، في: تسع عشرة ورقة ومائة ورقة، وفي مكتبتي صورة عنها . وذكرت الدكتورة بهيجة الحسني أنها قد فرغت من تحقيق الديوان [٩]

---

[١] معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤

[٢] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩

[٣] شذرات الذهب/ ٤/ ١١٨، وهدية العارفين/ ٢/ ٤٠٢ ، وطبقات المفسرين لابن الداودي/ ورقة:١٦١ ، وقاموس الاعلام/ ٤/ ٢٤٢١

[٤] طبقات الفقهاء / ورقة: ٧١، وتاج التراجم/ ورقة: ٣٩

[٥] كعجم الادياء/ ١٩/ ١٣٤، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٨٩ ،ومقدمة كتاب اعجب العجب / ١٣.

[٦] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩، ومعجم الادياء/ ١٩/ ١٣٤، وشذرات الذهب / ٤/ ١١٨، وتاج التراجم / ورقة: ٣٩ وطبقات الفقهاء لابن كتلوبغا / ورقة:١٧ ، وطبقات المفسرين لابن الداودي/ ١٦١ ، وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٢، وقاموس الاعلام/ ٤/ ٢٤٢١.

[٧] وفيات الآعيان / ٥/ ١٦٩، وتاج الترجم / ورقة: ٣٩، وانظر أيضا: معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤، وشذرات الذهب / ٤/ ١١٨، وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٢، والأعلام / ٨ / ٥٥، ومعجم المؤلفين / ١٢/ ١٨٦، وطبقات الفقهاء لابن كتلوبغا / ٧١.

[٨] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٠

[٩] نفسه / ٣٠

٢٨ - الرائض في الفرائض: سماه ابن خلكان [(١)] الرائض في علم الفرائض"، وبحثت عنه فلم أجده في خزائن المخطوطات التي اطَّلعتُ عليها .

٢٩ – رؤوس المسائل في الفقه : كذا في: وفيات الأعيان، وشذرات الذهب ، وهدية العارفين [(٢)] . وذكره الأستاذ ابراهيم الدسوقي باسم [(٣)]: " رؤوس المسائل الفقهية "، وسماه ياقوت [(٤)]: " روح المسائل " . ونصّ الدكتور أحمد الحوفي على أن الكتاب [(٥)]: " غيرمعروف "، وتبين – بعد البحث – أنه توجد منه نسخة خطية في مكتبة: **CHESTER BEATTY 3600**[(٦)] .

٣٠- ربيع الأبرار: كذا في كتاب: " شرح المفصل " لعلم الدين الأندلسي، وكتاب: طبقات النحاة واللغويين للزبيدي [(٧)]، وذكره ياقوت باسم [(٨)]: " ربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات "، وسماه طاش كبرى زاده [(٩)]:" ربيع الأبرار في المحاضرات " . وفي: وفيات الأعيان [(١٠)]:" ربيع الأبرار وفصوص الأخبار"، وكذا في: الشذرات، جعلا الكتابين كتابا واحدا، وليس كذلك . وذكره جرجي زيدان باسم [(١١)]: ربيع الابرار ونصوص الاخبار، وهو تحريف فيما نظن . وربيع الابرار كتاب ضخم في: علم المحاضرة والأد ب والتاريخ العام، وقد رأيته في مكتبة جامع جلال الدين الرومي عي مدينة: قونية بتركيا في ثلاث مجلدات. وذكرت الدكتورة بهيجة الحسني أنها

---

(١) وفيات الاعيان / ٥ / ١٦٩، وانظر: معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤، وشذرات الذهب / ٤ / ١١٨، وبغية الوعاة / ٢ / ٢٨٠، ومفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وظهر الاسلام / ٤ / ٥١، وتاج التراجم / ٣٩ .

(٢) وفيات الأعيان / ٥/ ١٦٩، وشذرات الذهب / ٤/ ١١٨، وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

(٣) شرح شواهد الكشاف / ٤ / ٣٠٧ (نبذة من ترجمة المؤلف) .

(٤) معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤ .

(٥) الزمخشري / ٥٨ .

(٦) المحاجاة بالمسائل النحوية / مقدمة التحقيق / ٣٠ .

(٧) شرح المفصل للأندلسي / ١ب و وطبقات النحاة والغويين / ورقة: ٩٩، وانظر: تاج التراجم / ورقة: ٣٩، وطبقات المفسرين لابن الداودي / ورقة: ١٦١، وطبقات المفسرين للسيوطي / ورقة: ٢٠، وبغية الوعاة / ٢ / ٢٨٠، وهدية العارفين / ٢ / ٤٠٣ .

(٨) معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤ .

(٩) مفتاح السعادة ورقة: ١٩٤ .

(١٠) وفيات الأعيان / ٥ / ١٦٨، وشذرات الذهب / ٤ / ١١٨ .

(١١) تاريخ آداب اللغة العربية: ٣/ ٥٠ .

قج أنجزت تحقيق الجزء الأول من الكتاب[1] توجد من الكتاب خمس عشرة نسخة مخطوطة في مكتبات السليمانية، منها نسخة في مكتبة ESAD EF. NO:375/2 باسم: "نبذة من ربيع الأبرار" ، ونشخة أخرى في المكتبة نفسها برقم: ٣٧٥/ ٣ باسم: " الفوائد المنتخبة من ربيع الابرار" ونسخة أخرى في مكتبة: KILIC ALI PASA NO. 623 باسم " المختار من ربيع الابرار". ويوجد منه في برلين ثلاث نسخ ، ارقامها: ٨٣٥١ – ٥٣ ، وفي ليدن نسخة برقم: ٤٧٠، وفي دار الكتب المصرية نسخة رقمها: ١٥٥ – أدب ، وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق نسخة تحت رقم: أدب – ٩٣ – ٩٤ ، وفي مكتبة الاوقاف ببغداد نسخة من أربع مجلدات برقم: ٩٧٨٦. وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة: ١٢٩٢هـ . وطبع الجزء الاول منه في مطبعة العاني ببغداد سنة: ١٩٧٦م بتحقيق: سليم النعيمي، تحت: سلسلة احياء التراث العربي، وقد وقع في: ٨٨٠ صفحة من القطع الكبير. وترجمه نور الدين محمد بن نعمة الله شوشتري الى اللغة الفارسية، وسماه: "زهر الربيع" ، منه نسخة في تبريز برقم: ١٣٠١ [2]. وترجمة عاشق جلبي ت: ٩٧٩ هـ الى اللغة التركية ، منه نسخة في: فيينا برقم: ٣٧٨ وللكتاب شرح اسمه: " نفحات الازهار – ربيع الابرار"، منه نسخة في مكتبة: بطنة / ١/ ٢٠٧ [3] وله عدة مختصرات، منها:

- مختصر للمصنف نفسه باسم: " المختار" منه نسخة في المتحف البريطاني برقم: ٧٢٩ ، ونسخة اخرى في باريس برقم: ٥٠٣٧ [4] ، ونسخة في: KILIC ALI PASA NO: 623
- ومختصر لمحمد ين القاسم بن بعقوب الخطيب ، ت: ٩٤٠هـ باسم: "روض الاخبار" منه نسخة في: برلين برقم: ٨٣٥٦ ، ونسختان في: جوته، برقم: ٢١٣٣ – ٣٤. وقد طبع [5] هذا المختصر في بولاق بمصر ، سنة: ١٢٧٩هـ ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة: ١٢٩٢هـ .
- ومختصر لمحمد بن خليل القباقيبي، ت: ٨٤٩ هـ ، منه نسخة في برلين برقم: ٨٣٥٥.
- ومختصر لمجهول الاسم: " أنوار الربيع " ، منه نسخة في:

بطنة/ ١/ ١٩٤[6]

---

[1] المحاجاة / مقدمة التحقيق/ ٣١.

[2] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٩٠

[3] نفسه / ٨٩

[4] نفسه / ٨٩

[5] نفسه / ٨٩

[6] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٩٠، وانظر: دائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٨

٣١- رسالة الاسرار: ذكره ياقوت في معجم الادباء [١]، وقال الدكتور احمد الحوفي، والدكتورة بهيجة الحسني انهما لم يعثرا عليه [٢] . وتبين لي- بعد البحث – ان مكتبة: HEKIM OGLU ALI PASA بالسلمانية، تحتفظ بنسخة منه تحت رقم: ٥٠٦، باسم: " رسالة في الاسرار" .

٣٢- رسالة في تفسير قوله تعالى:[٣] " ولا يلتفت منكم أحد الا امراتك": ذكرت في مقدمة كتاب: "أعجب العجب في شرح لامية العرب" باسم " رسالة في التفسير" [٤] منه نسخة خطية في: دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم: عام – ٨٥٦٢.

٣٣- رسالة في: كلمة الشهادة : ذكرها الدكتور أحمد الحوفي باسم [٥]: " رسالة في حكمة الشهادة، وادرجها في صنف العلوم الدينية، ثم قال: " واحرى نص العشرة، وذكرهما جرجي زيدان وقال: انهما مخطوطات في برلين".

والرسالة – في حقيقتها- بحث نحوي في اعراب كلمة: "الشهادة" ، منها نسخة في مكتبة برلين برقم:٢٤٠٦ [٦] وقد قامت الدكتورة بهيجة الحسني بنشرها في المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي[٧].

٣٤- رسالة في نص العشرة: ذكرها جرجي زيدان، وقال: إن منها نسخة خطية في برلين [٨]، ولكن لم يذكر رقمها في المكتبة، ولم أستطع الاطلاع عليها.

---

[١] معحم الادباء / ١٩/ ١٣٤، وانظر: مقدمة كتاب: اعجب / ١٣

[٢] الزمخشري/ ٦٣، والمحاجاة / مقدمة التحقيق/ ٣١

[٣] سورة هود/ ٨١

[٤] مقدمة: أعجب العجب / ١٣

[٥] الزمخشري / ٥٩ ، وانظر: تاريخ آداب اللغة العربية/ ٣/ ٥٠

[٦] الدراسات النحوية واللغوبة عند الزمخشري / ٩٠

[٧] المحاجاة/ مقدمة / ٣١

[٨] تاريخ آداب اللغة العربية / ٣/ ٥٠ ، وانظر: الزمخشري/ ٥٩

٣٥- الرسالة المبكية : ذكرها اسماعيل باشا البغدادي [1] ،وبحثت عنها في بعض خزائن المخطوطات فلم أعثر عليها .

٣٦- رسالة المسأمة: ذكرها ياقوت [2] وقال الدكتور الحوفي والدكتورة الحسني [3]: إن الرسالة غير معروفة وله غير معروفة ولدي البحث عنها في بعض خزائن المخطوطات، وجدت نسخة منها – ضمن مجموع – في مكتبة: HAKIM OGLU ALI PASA NO: 506

٣٧- الرسالة الناصحة: ذكرها ياقوت [4] ، وابن خلكان[5] ، وغيرهما[6] ، ولا يعرف لها وجود إلى وقتنا هذا.

٣٨- زبدة الامثال: هي مختارات من كتاب: " المستقصى في الامثال: ، وقد جمعها: مصطفى بن ابراهيم الغاليبولي، ت: ١٠٢٤هـ ، مع شرح فارسي وحواش تركية، وتحتفظ المكتبة الاحمدية بتونس بنسخة خطية من الكتاب برقم: ٥٦٤٥ [7].

٣٩- سوائر الامثال: هو كتاب آخر في: امثال العرب غير كتاب: " المستقصى" ، وقد ذكرهما ابن خلكان وغيره [8] وذكر الدكتور الحوفي أن [9]: " الكتاب غير معروف" ،وكذا قالت الدكتورة الحسني في ثناء تحقيقها لكتاب[10]: المحاجاة .

وطلبت الكتاب في خزائن المخطوطات فوجدت أن المكتبة القومية بتونس تحتفظ بنسخة خطية منه تحت رقم: ٦٢٠٣.

---

[1] هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

[2] معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤، وانظكر: مقدمات كتاب: اعجب العجب / ١٣

[3] الزمخشري / ٦٣، والمحاجاة/ مقدمة التحقيق/ ٣١.

[4] معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤

[5] وفيات الاعيان/ ٥/ ١٦٩

[6] شذرات الذهب/ ٤/ ١١٨، وطبقات المفسرين لابن الداودي/ ورقة: ١٦١ ،وتاج التراجم/ ورقة:٣٩، وهدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣

[7] دائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٧

[8] وفيالت العيان/ ٥/ ١٦٩، وانظر: معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤، وشذرات الذهب/ ٤/ ١١٨وهدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣تاج التراجم ورقة: ٣٩.

[9] الزمخشري / ٦٣

[10] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣١

٤٠- شرح أبيات كتاب سيبويه : ذكره علم الدين الأندلسي في مقدمة شرحه لكتاب المفصل [١]، وورده اسم الكتاب أيضا في بعض الكتب التي عنيت باخبار الزمخشري[٢].

وقد نص الدكتور الحوفي أن الكتاب[٣]: " غير معروف" ، وذكرت الدكتورة بهيجة الحسني أنه توجد منه رسالة خطية في خزانة مكتبية: أحمد الثالث، باستانبول ، مرلفة من: احدى عشرة ومائة ورقة [٤] وعلى الرغم من انني زرت مكتبةأحمد الثالث، ونظرت في فهارسها بحثا عن مصنفات الزمخشري، الا أن الظروف التي تحيط بالمكتبة لم تتح لي فرصة الاطلاع عليه .

وسيرة الزمخشري تدل على انه أولى كتاب سيبويه " عناية فائقة ، وانزله منزلة خاصة، فدرسه التي مدح بها مجير الدولة أبا الفتح الأردستاني، حيث قال:[٦]

وفي شرح "أبيات الكتاب" لبعض ما يرى في صفاتي مجملا أي شارح

ويقول في موضع آخر: [٧]

فقل أين خلى سيبويه كتابه يقل حجر جار الله مأواي، حالفـا
وما في رواة الكتب رواية له سوى واحدٍ فانظر فلست مصارفا

ومن هنا يتضح أن الكتاب ليس شرحاً لكتاب سيبويه نفسه كما ذكرت بعض المراجع [٨] . وانما هو شرح لشواهد كتاب سيبويه الشعرية كما دكر النعساني في المفضل [٩] وقد ألفه جار الله قبل كتاب المستقصى.

---

[١] شرح المفصل/ ٢ب

[٢] وفيات الاعيان/ ٥/ ١٦٩، وشذرات الذهب/ ٤/ ١١٨ ،وبغية الوعاة/ ٢/ ٢٨٠، وتاج التراجم/ ورقة: ٣٩، والمفـصل/ حاشية مخطوط الاصل/ ١٦٢ب، ومفتاح السعادة/ ورقة:١٩٤، وطبقات المفسرين لابن الداودي ورقة: ١٦٠ ، ومن تاريخ النحو / ١٣٧.

[٣] الزمخشري/ ٦٠

[٤] المحاجاة / مقدمة التحقيق/ ٣٢

[٦] ديوانه/ ٤٩-ظ

[٧] ديوانه/ ٧٧- ٧٨- الدار، ١٦٩ – ظ

[٨] معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤، وهدية العارفينم٢/ ٤٠٣ ، ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٨

[٩] المفصل في شرح أبيات المفصل / ٧٥

٤١- **شرح أبيات الكشاف**: ذكره اسماعيل باشا البغدادي- فيما ذكر من مصنفات الزمخشري[(١)] ،وبحثت عنه لم أعثر له على وجود.

٤٢- **شرح مختصر القدوري في فروع الحنفية**: ذكره اسماعيل باشا البغدادي [(٢)] ، وبحثت عنه فلم أعثر عليه

٤٣- **شرح المفصل**: سماه السوطي [(٣)]: "شرح بعض مشكلات المفصل" ،وكذا قال الحوفي ثم عقب عليه قوله[(٤)]: "غير معروف" .

وقد كشف لنا البحث والاستقصاء عن وجود أربع نسخ خطية من الكتاب: نسخة في ليدن برقم:١٦٤، وأخرى بفينا برقم: ١٥٤، والثالثة في مكتبة: CHESTER BEATTY بدبلن برقم:٣٦٥٥، تقع في: ستين ورقة ومائة ورقة، ويرجع تاريخ نسخها الى سنة: ٧٩هـ والنسخة الرابعة في مكتبة: دياربكر العمومية بتركيا تحت رقم:٢٢١٦.

وقد اجهدت نفسي ببحصول على احدى هذه النسخ لأمرين:

أولهما: طمعا في الافادة منه في تحقيق كتاب المفصل، وشرح شواهده وعباراته ومسائله النحوى، لان الزمخشري – باعتباره مصنف الكتاب – سيكون أقد رعلى شرح آرائه النحوية من سائر أولئك الدين قاموا بشرح المفصل كالعكبرى والن يعيش والسخاوي وغيرهم.

والثاني: رغبة في تحقيق الكتاب بعد أن يتم الفراغ من تحقيق نفسه. واتصلت بمكتبة فينا، فقامت المكتبة – مشكورة – بتصوير نسخة من المخطوط، ثم أرسلته الي وأشعرتني بذلك ، ولكن الكتاب ضل طريقة الي ولم يصلني، وقد قمت بالمحاوله مره أخرى، إلا ان المكتبة قد أخطأت هذه المرة فأرسلت إلي نسخة مصورة من المفصل نفسه بدلاً من شرحه، واحتفظت بهذه النسخة المصورة من كتاب المفصل دون أن أحقق منها أدنى فائدة، لأني تسلمتها في وقت كنت قد فرغت فيه من تحقيق الكتاب.

---

(١) هدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣

(٢) هدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣

(٣) بغية الوعاة .٢/ ٢٨٠

(٤) الزمخشري / ٦١، وانظر أيضا: من تاريخ النحو/ ١٣٧ وقد ذكر الكتاب أيضا في: معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤، ومفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وطبقات المفسرين لابن الداودي / زرقة: ١٦٠، ومنهج الزمخشري في بفسير القرآن / ٥٠ ومقدمة كتاب: أعجب العجب / ١٣.

٤٤- **شرح مقامات الزخشري** [١]: وهو شرح قام به الزمخشري نفسه بعد أن فرغ من تأليف مقاماته. وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة: H. BESIR AGA (EYYUB) NO: 149 تتألف من: ١٤٧ ورقة . وقد طبع الكتاب بذيل المقامات نفسها في مصر، سنة: ١٣١٢هـ، ثم أعادات طبعه مطبعة التوفيق بالقاهرة سنة: ١٣٢٥ هـ في: ٢٣٨ صفحة من القطع المتوسط .

٤٥- **شافي العيّ من كلام الشافعيّ**: كذا قال ياقوت وابن خلكان،وغيرهما [٢] . وفي " البلغة في تاريخ أئمة اللغة[٣]: "شافي العيّ مناقب الشافعي " وفي هدية العارفين [٤]: " شافي العي من طلام الامام الشافعي" . وذكر الدكتور الحوفي أن اشم الكتاب[٥]: "شافعي العي أو العيي من كلام الشافعي" ثم عقب على ذلك بقوله: " غير معروف" .

٤٦- **شقائق النعمان في حقائق النعمان**: كذا قال ابن خلكان وغيره [٦]، وسماه ياقوت[٧]: " شقائف النعمان في حقائق النعمان في مناقب الامام أبي حنيفة ". ونص الدكتور الحوفي على ان الكتاب[٨]: "غير معروف" وبحثت عن الكتاب في تعض خزائن المخطوطات فلم أعثر عليه.

---

[١] معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤، وانظر: مقدمة كتاب: أعجب العجب / ٢٤

[٢] معجم الادباء:١٩/ ١٣٤، ووفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩، وانظر: شذرات الـذهب / ٤/ ١١٨ ، والبلغـة في تاؤسـخ ائمـة اللغة/ ٢٥٧ ،وطبقات المفسين لابنت الداودي / ورقة: ١٦١، وتاج التراجم / ورقة:٣٩،وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٣، وكذا سماه الزمخشري نفسه، وانظر.: الكشاف/ ١/ ٤٩٨

[٣] البلغة / ٢٥٧

[٤] هدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣

[٥] الزمخشري/ ٥٨

[٦] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩، وانظر: شذرات الـذهب/ ٤/ ١١٨ وهديـة العـارفين/ ٢/ ٤٠٣ وتـاج التراجـم / ورقـة: ٣٩،ـوطبفات المفسرين لابن الداودي/ ورقة: ١٦١

[٧] معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤.

[٨] الزمخشري/ ٥٨

٤٧- صميم العربية

سماه: اشماعيل باشا البغدادي [(١)]: " صحيح العربية" خلافا لسائر المراجع التي ذكرته وذكر الدكتور الحوفي أن الكتاب غير معروف[(٢)]. قال الدكتور فاضل السامرائي [(٣)]: " وفي مكتبة المتحف العراقي ببغداد مخطوطة اسمها: "صميم العربية" برقم:١٠٠٢، منسوبة الى الزمخشري، وعلى غلافها هذه العبارة: " وهو مختصر اساس اللغة للعلامة جار الله الزمخشري" . قال: ووجدت تعليقا عليه للدكتور حسين نصار وهو: "لايمكن أن يكون الكتاب الاول من هذه المجموعة مختصر أساس اللغة للزمخشري، لأن منهج الكتابين مختلف كل الاختلاف، وانما هذا الكتاب يشبهأن يكون مختصرا لاصلاخ المنطق لابن السكيت ما أشبه من كتب" . قال: ولا نعلم للزمخشري كتابا باسم "أساس اللغة" وانما هو أساس البلاغة. والذي يبدو من مراجعة الكتاب أنه: شرح لفصيح ثعلب ، سقط قسم منه . ويبدو ذلك واضحا عند مقارنته بالفصيح.

ومن ناحية أخرى ، فان العبارات التي يشرحها المخطوط هي عبارات الفصيح عينها. من هذا ، يتبين لنا ان المخطوطة ليست هي" صميم العربية" للزمخشري، وانما هي قسم آخر من شرح لكتاب فصيح ثعلب، وضع عليها اسم "صميم العربية" إذ لم يؤثر عن الزمخشري – في حدود مانعلم – أنه شرح كتاب الفصيح" .

٤٨- ضالة الناشد

هو غير كتاب: " الرائض في علم الفرائض " كما ذكر ياقوت [(٤)]. وقد جعلها الدكتور الحوفي كتابا واحدا ،وعقب عليها بقوله[(٥)]: "غير معروق"، وذكر اسماعيل باشا البغدادي كتاب[(٦)]: " ضالة الناشد" ثم ذكر بعده كتابا آخر سماه: " المنتخب من ضالة الناشد" ، فان ما قال ، فان: "ضالة الناشد" كتاب قائم برأسه والكتاب لا يعرف له وجود إلى وقتنا هذا.

---

(١) هدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣، وانظر: معجم الادباء / ٧/ ١٥٠، ووفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩، وشذرات الذهب / ٤/ ١١٨، وبغية الوعاة/ ٢/ ٢٨٠ ،ومفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وتاج التراجم / ورقة: ٣٩ ،ومن تاريخ النحو للافغاني/ ١٣٧

(٢) الزمخشري / ٦٠

(٣) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٩١-٩٣

(٤) معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤، وانظر: وفيات الاعيان/ ٥/ ١٦٨،وبغية الوعاة/ ٢/ ٢٨٠، وشذرات الذهب / ٤/ ١١٨، وطبقات لابن الداودي / ورقة: ١٦١

(٥) الزمخشري / ٥٨

(٦) هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

٤٩- طلبة العفاة من شرح التصرفات : ذكره اسماعيل باشا البغدادي [١] ، ومنه نسخة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا برقم: ١٠٠ نحو.

٥٠- عـقـل الـكـلّ: ذكره ياقوت [٢]، ولا يعرف له وجود الى وقتنا هذا.

٥١- الفائق في غريب الحديث

صنفه الزمخشري في سنة: ٥١٦هـ ، وتناول فيه شرح غريب حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ورتبه على حروف المعجم مراعيا الحرف الاول والثاني، وفيذكرمثلا في الهمزة مع اللام: ألب، ثم: ألت، ثم: ألف ، وهكذا، ولكنه لم يراع الحرف الثالث. ونهج على أن يذكر في المادة الحديث الذي يحتوي عليها ، ثم يشرح المادة، ويستشهد عليها بأحاديث أخرى، وبقرآن وشعر في بعض الاحيان، ثم يشرح كل ما في الحديث من غريب، ويطيل فيه سواء تعليق بالمادة أم لم يتعلق حتى صار في أربع مجلدات تحتفل بالفاظ الحديث ، وكان من أغزر كتب غريب الحيث مادة لغوية حتى عصره[٣].

وهو كتاب نفيس يعد من أجل الادب واللغة في العربية، لما ضم من نصوص أدبية رفيعة الانماط، أضفى عليها من غزير علمه وثاقب نظره في الأدب واللغة ما جعلها أنموذجا في الادب الرفيع[٤]. وتوجد من الكتاب: ثماني عشرة نسخة خطية في مكتبات السليمانية باستانبول، منها نسخة في مكتبة: محمود باشا باسم: MAS'ALA MIN FA'IK AZ- ZAMAHSARI برقم: ٣٩٨/ ٣، ونسخة أخرى في مكتبة: SAHID ALI PASA NO: 2653 بعنوان قطعة من فائق اللغة KIT ' AMIN FA'IK AL - LOGA ونه نسخة في المكتبة الاحمدية بحلب ، تحت رقم: ٨٦٨. طبع ثانية في أربع مجلدات سنة: ١٩٧١م.

قال ابن حجر العسقلاني[٥]"وكتاب " الفائق في غريب الحديث" من انفس الكتب، لجمعه المتفرق في مكان واحد، مع حين الاختصار،وصحة النقل".

وقال الاستإذ ابراهيم الدسوقي[١]: "ولم ير مثله في القديم ولا في الحديث".

---

[١] هديو العارفين / ٢/ ٤٠٣

[٢] معجم الادباء / ١٩/ ١٤، وانظر: معدمة كتاب: أعجب العجب/ ١٤

[٣] كحالة / اللغة العربية وعلومها/ ٢٦

[٤] عبد الله الجبوري مقدمة كتاب: غريب الحديث/ ٨٠

[٥] لسان الميزان/٦/ ٤

٥٢- فصوص الاخبار: سماه ابن الداودي [٢] " فصوص الاخبار في الحكايات " ، وذكره ابن خلكان مع ربيع الابرار" على انها كتاب واحد[٣]. ولا يعرف لكتاب: " فصوص الاخبار" وجود الى وقتنا هذا.

٥٣- الزيادات على الفصوص: ذكره ابن الداودي وغيره بعده كتاب الفصوص[٤]، وقد بحثت عن الكتاب فلم اعثر عليه.

٥٤- القسطاس المستقيم في علم العروض: ذكره يا قوت وغيره [٥]، وقال جرجي زيدان [٦]: انه مخطوط في برلين وليدن، ولم يذكر رقمه في كل منهما، وتابعه في ذلك الدكتور الحوفي. ولدى البحث عن الكتاب في الخزائن المخطوطات، وجدنا ست نسخ خطيه منه في مكتبات السليمانيه، منها – مثلاً – نسخة في مكتبة: ASIR EF > NO: 990 ونسخة في مكتبة: LALA ISMAIL NO: 740/4 ومنه نسخة في مكتبة أحمد الثالث باستنبول، برقم ١٦٥٢، وفي برلين،برقم: ٧١١١ وفي ليدن برقم: ٢٦٧[٧].

وشرحه أحمد بن الحسن بن أحمد النحوي الموصلي، ومن شرحه هذا نسخة خطية في ليدن، برقم: ٢٨٦ [٨] .

---

[١] شرح شواهد الكشاف / ٤/ ٣٠٧ ، "نبذة من ترجمة المؤلف" وذكر الكتاب في: معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤، ووفيات الاعيان/ ٥/ ١٦٨، وشرح المفصل للاندلسي / ٢ب، ونزهة الابا / ٣٩١،وشذرات الذهب / ٤/ ١١٨، وبغية الوعاة/ ٢/ ٢٨٠،وطبقات المفسرين لابن الداودب/ ورقة: ١٦٠ وطبقات المفسرين للسيوطي / ورقة: ٢٠ ، وتاج التراحم / ورقة: ٣٩،وهدية العارفين/ ٢/ ٤٠٣، ومفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، والاعلام م٨/ ٥٥ ، ومعجم المؤلفين / ١٢/ ١٦٨، وظهر الاسلام / ٤/ ٥١، ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٧

[٢] طبقات المفسرين / ورقة: ١٦١، وانظر ايضا: مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وهدية العارفين / ٢ / ٤٠٣، ومقدمة كتاب: أعجب العجاب / ٢٠ ..

[٣] وفيات الأعيان / ٥/ ١٦٨ .

[٤] طبقات المفسرين / ورقة: ١٦١، وانظر: مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٣، وطبقات المفسرين للسيوطي / ورقة ٢٠ .

[٥] معجم الأدباء / ١٩ / ١٣٤، ووفيات الأعيان / ٥ / ١٦٩، وبغية الوعاة / ٢ / ٢٨٠، وشذرات الذهب / ٤ / ١١٨، ومفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤، وهدية العارفين / ٢ / ٤٠٣، والاعلام / ٨ / ٥٥ .

[٦] تاريخ ىداب اللغة العربية / ٣ / ٥٠، وانظر: الزمخشري / ٦١ .

[٧] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٩٤ .

[٨] نفسه / ٩٤ .

وطبع الكتاب في: مطبعة النعمان بالنجف الأشرف سنة: ١٩٧٠ م، بتحقيق: الدكتورة بهيجة الحسني[١] .

٥٥ – القصيدة البعوضية: منها نسختان خطياتان في برلين [٢]، برقم: ٧٦٨٦، ورقم: ٧٦٨٧ . وقد حققتها الدكتورة بهيجة الحسني، ثم نشرتها في: مجلة الأستاذ، سنة: ١٩٦٧ م [٣] .

٥٦ – قصيدة في سؤال الغزالي: كيف يجلس الله على العرش ، ذكرها جرجي زيدان، وقال انها مخطوطة في مكتبة برلين [٤]، ورقمها: ٧٦٨٨ [٥] .

٥٧ – الكشاف : عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

وهو من أشهر كتبه، إن لم يكن أشهرها جميعآ، بداء في تصنيفة سنة ٥٢٦ هـ، وفرغ منه تجاه الكعبة في جناح دارةالسليماني التي على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر، في عام: ثمانية وعشرين وخمسماية [٦]،فاستغرق تصنيفه سنتين ونصف السنه.

ويعتبر الكشاف من أبعد كتبه تأثيراً، وأشدها اهتماماً، وأكثرها تداولاً، وعليه قالو نقلاً عنه [٧]: " لولا الكوسجُ الأعرجُ لبقيَ القرآنُ بِكراً " . ومما يدل على شهرة الكتاب، وعلى مكانته العلمية أنَ خزائن المخطوطات في العالم تحتفظ بنسخ خطية كثيرة منه، ففي مكتبة السليمانية – ما يزيد على مائة نسخة .

---

[١] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٣

[٢] تاريخ آداب اللغة العربية / ٣ / ٥٠، وانظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٩٤ .

[٣] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٤،

[٤] تاريخ آداب اللغة العربية / ٣ / ٥٠ .

[٥] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٩٤

[٦] الكشاف / ٤ / ٣٠٤ .

[٧] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٤ .

وقد كثرت الشروح والتعليقات والمختصرات والردود عليه، فقد ذكر بروكلمان اثنين وعشرين شرحاً واتعليقا، وتسعة مختصرات، وثلاثة ردود [1]، وسوف نتحدث عن مكانة الكشاف وقيمته العلمية بشيئ من التفصيل في الفصل التالي .

وكان الزمخشري نفسه فخورا بكشافة، فأكثر من ذكره والاشادة به في مواضع من ديوانه، ومما قال فيه [2]:

إنَ التفاسيرَ في الدنيا بلا عدَدٍ   وليسَ فيها – لَعمري – مثلُ كَشَّافي

ومما قاله فيه بعض أهل السنة [3]:

فكشَّفَ بالكشَّافِ – لا خابَ سَعْيُه –   مُغطًّى خِبِيَّاتٍ تَبَّدتْ حَقائِقَـــا

٥٨- الكشف في القراءات العشـر

ذكر في دائرة المعارف الاسلامية باسم [4]: "كتاي الكشف عن القراءات وجاء في مجلة المجمع العلمي [5] أنه موجود في مكتبة رباط سيدنا عثمان في المدينة، برقم:٥٩ قراءات . قال الدكتور فاضل السامرائي [6]: " وقد أرسلنا في طلبها فلم نعثر عليها بمكتبة الرباط، علما بأن مكتبة الرباط هذه دُمجة بمكتبة المدينة المنورة" .

٥٩- كلمات العلماء: ذكره اسماعيل البغدادي [7] ولم نعرف مكان وجوده .

٦٠- مُتشابه أسامي الرُّواةِ

---

[1] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٩٥، وانظر منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٧٠ – ٢٧٥، والمحاجاة / مقدنة التحقيق / ٣٤-٣٥ . وانظر أيضا: كشف الظنون / ٢/ ١٤٧٥ .

[2] ديوانه / ٧٦ – الدار، وانظر طبقات المفسرين لابن الداودى / ورقة: ١٦١ وانظر أيضا: ديوانه – ظ / ١٦٤،

[3] كشف الظنون / ٢/ ١٤٨٤

[4] دائرة المعارف الاسلاميه / ٢ / ٤٠٣

[5] دمشق / مجلة المجمع العلمي العربي / مجلد ٨ /

[6] الدراسات النحويا واللغوية عند الزمخشري

[7] هدية العارفين / ٢ / ٤٠٣ .

كذا قال ابن خلكان، وغيره [١]، وسماه الأندلسي في شرح المفصل [٢]: " متشابه الأسامي "، وذكر أنه رآه بخطِ الزمخشري في مشهد الإمام أبي حنيفة ببغداد . وسماه: طاش كبرى زاده [٣]: " متشابه الأسماء في علم الحديث " . ونصَّ الدكتور أحمد الحوفي [٤] على أن الكتاب " غير المعروف " ثم قال: " ولعه المقصود بقول ابن حجر العسقلاني: رأيتُ له مصنفاً رفي مشتبه في مجلد واحد " .

ونحن نخالف الدكتور الحوفي فيما ذهب اليه، ونظن أن ىكتاب: " المشتبه " الذي ذكره ابن حجر إنما هو في: علم الفقه أو علم أصول الفقه، ذلك أن: المحكم والمشتبه من أبحاث الأصولين . ثم إن هنالك فرقاً بين المتشابه والمشتبه، أما المتشابه فتعني ما أشبه غيره وماثله في اسمه أوفي صفته، وما إلى ذلك . وأما المُشْتَبِهُ في النصوص: فهو ما يحتمل أكثر من معنى، إما بجهة التّساوي أو بغير جهة التساوي . وانما سُمّي مشتبهاً لاشتباه معناه على السّامع [٥] . ومن هنا، فنحن نتجاوز الظن الى الترجيح بأن " المشتبه " كتاب، و "متشابه أسامي الرواة " كتاب آخر .

٦١- المؤتلف و المختلف

ورد ذكر الكتاب في طلب الاستجازة الذي كتبه أحمد بن محمد السلفي الى جار الله، إذ قال [٦]: ويبين – يعني الزمخشري – ذكر المختلف و المؤتلف " الذي الّفه في أيّ فن هو ؟ وعلى أيّ شيء يحتوي ؟ أعلى ذكر الفقهاء أو الأدباء أو أهل الحديث .... وبحثت عن الكتاب فلم أعثر عليه .

---

[١] وفيات الاعيان / ٥ /١٦٨، وانظر: معجم الأدباء / ١٩/ ١٣٤، وشذرات الذهب / ٤ / ١١٨، وتاج التراجم / ىورقة: ٣٩، وطبقات المفسرين لابن الداودي / ورقة: ١٦٠، وهدية العارفين / ٢ / ٤٠٣

[٢] شرح المفصل / ٢ ب .

[٣] مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤ .

[٤] الزمخشري / ٦٠.

[٥] الشخصية الاسلامية / ٢ / ٦٦ .

[٦] الطبقات السنية / ورقة: ٤١٧ ب، وانظر الحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٧ .

٦٢- المحاجاة بالمسائل النحوية

ذكره ياقوت البغدادي باسم [١]: " المحاجاة [٢] ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي وألغاز " وسماه اسماعيل البغدادي [٣]: " المحاجاة ومتمم مهام أرباب الحاجات في الاحاجي وأغلوطات " . قالت الدكتورة بهيجة الحسني " وذكره الاستاذ أمين أمين الخولي في مقالته: " كشاف الزمخشري " بأسم: محاجاة [٥] و متمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي و الأغلوطات في مسائل نحوية مسوقة في مسالك الحاجات في سلوك المعاياة "[٦]، وفي بعض المراجع [٧]: الأحاجي النحوية " .

توجد من الكتاب نسخ خطية كثيرة، منه نسخة في السليمانية، ومعه كتاب " الجمل " رقمها: بأسم: " المحاجاة بالمسائل النحوية، ومنه نسختان في دار الكتب المصرية، أولاهما برقم ١١٦ – مجاميع – والثانية برقم: ٢٨ ش خصوصية، ٤٢٧٧٣ عمومية، واسم الكتاب فيهما : " كتاب المحاجاة بالمسائل النحوية "، ومنه نسخة في: كتاب بخانة مجلس شوارى بايران، وهي أقدم النسخ و أجلّها وعلى الورقة الاولى منها إجازة من الزمخشري للشيخ علي بن محمد العمراني [٨] .

وقد ألّف الزمخشري كتاب " المحاجاة " بعد أن فرغ من تأليف كتاب " الكشاف " [٩]، و أهداه الى علي بن عيسى بن وهّاس العلوي، وشرحه علم الدين علي بن محمد السخّاوي، وسماه: " تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي " التزم فيه السخاوي أن ذيّل كل أحجيتين من أحاجي الزمخشري بلغزين من نظمه، فصار لذلك من أجلّ الكتب في هذا الفن . توجد نسخة في مكتبة: REISULKUTTAB. 924/1 بالسليمانية، ونسخة في مكتبة الشيخ: محمد سرور الصبّان الخاصة بمكة المكرمة، بدون رقم [١٠] وطبع مرتين: مرة طبعته مكتبة الغزالي بحماة سنة: ١٩٦٩

---

[١] معجم الأدباء / ١٩/ ١٣٤

[٢] المحاجة من قولك: حاجيته محاجاةً وحجاً: فاطنته فحجوته .

[٣] هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

[٥] محاجّات: جمع محاجّة – بتضعيف الجيم – وهو مصدر من: محاجّة، أي: نازعة الحجة، و الحجّة: الدليل و البرهان .

[٦] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٤٦ .

[٧] بغية الواعة / ٢ / ٢٨٠ / و الكنوي / و الفوائد البهية / ٢٠٩ ومفتاح السعادة / ١ / ٤٣١، وطبقات المفسرين لابن الداودي / ١٦٠، وطبقات المفسرين للسيوطي / ورقة: ٢٠

[٨] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٥٥ / ٥٦

[٩] نفسه / ٤٧ – ٤٨ – ٤٩ .

[١٠] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٥١ .

م بتحقيق: مصطفى الحدري، وطبع للمرة الثانية بمطبعة دار التربية سنة: ١٩٧٣ م بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني .

٦٣- المختار : وهو مختصر كتاب: " ربيع الأبرار "، توجد منه نسخة في المتحف البريطاني برقم: ٧٢٩ ، ونسخة أخرى في باريس، برقم ٥٠٣٨ [١] .

٦٤- مختصر الموافقة بين أهل البيت و الصحابة

ذكره ياقوت [٢]: وسماه طاش كبرى زاده [٣]: " المختصر في موافقة الصحابة " . وهو كتاب في علم حديث [٤]، والأصل لأبي سعيد الرازي اسماعيل [٥]، وقد ذكره الدكتور الحوفي ثم قال: [٦]: " غير معروف "، ولدى البحث تبين أنه توجد منه نسخة خطية في مكتبة: أحمد تيمور باشا [٧]

٦٥- المستقصي في أمثال العرب : وهو معجم في الأمثال يضم ثلاثة آلف وأربعمائة وواحدا و ستين مثلا من أمثال العرب، رتبها الزمخشري على حروف المعجم تبعا لأوائل الامثال، وفرغ من تصنيفه سنة: ٤٩٩ هـ . توجد منه نسخ خطية كثيرة منها: سبع نسخ في مكتبات السليمانية: نسختان في مكتبة محمد الفاتح برقم: ٤٠٨٨، ورقم: ٤٠٨٩، وثلاث نسخ في مكتبة: لا له لي، و أرقامها: ١٩٢٥ – ٢٦ – ١٦٧١، ونسخة فيمكتبة: رئيس الكتاب برقم: ٩٠٧، ونسخة في مكتبة: حاج بشير آغا برقم: ٥٥٣ . وتوجد نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم: ٣٦ قديم –١٥١جديد / مجاميع ونسخة في مكتبة: حسن حسني عبد الوهاب بتونس رقمها: ١٨٤٨٢ كما توجد منه ثلاث نسخ في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء . طبع الكتاب في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية: بحيدر أباد – الدكن في الهند سنة ١٣٨١هـ في مجلدين كبيرين، بتحقيق الأستإذ: محمد عبد الرحمن خان . وأعادت طبعه: دار الكتب العلمية في بيروت، سنة: ١٣٩٧ هـ .

---

[١] الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٨٩

[٢] معجم الادباء / ١٩ / ١٣٤

[٣] مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤

[٤] دائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٩

[٥] معجم الادباء /١٩ / ١٣٤

[٦] الزمخشري / ٥٨

[٧] مجلة المجمع العلمي العربي / ١٠ / ٣١٣، ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٩، و المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٧، والدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٩٧ .

٦٦- المشتبه: ذكره ابن حجر العسقلاني [١]، ولا أعرف له وجودا .

٦٧- معجم الحدود: لم أعثر له على وجود[٢]، وقد ذكره ياقوت وغيره [٣] .

٦٨- المفرد و المؤلف في النحو

ذكره ابن خلكان، وغيره [٤]، وسماه الأستإذ ابراهيم الدسوقي [٥]: " المفرد والمؤلف في المسائل النحوية، قال الدكتور الحوفي: انه [٦]: غير معروف، ولدى البحث تبين أنه يوجد من الكتاب عدة نسخ خطية: منها نسخة في مكتبة كوبر يللي بأستنانبول تحت رقم: ١٣٩٣، ونسخة في مكتبة sad ef – no-: 4613 ، بالسليمانية باسم المفرد و المؤلف، ونسخة في مكتبة ك ل له لي، برقم: ٣٧٤٠/ ١ [٧] . وذكر الدكتور فاضل السامرائي [٨]: ان عنده نسخة مصورة من الكتاب، وأوله: هذ ا كتاب المفرد و المؤلف .

عملته لذوي السابقة والكرم، من ساكنه أهل الحرم، عمل من طبّ لمن حبّ، توخيت فيه قبد الأوابد، وصيد الشوارد .. " .قال الدكتور حسن عون [٩] " واما المفرد والمؤلف، فهو الذي يحمل بعنوانه مظنة التعرض لقضية الدلالات البيانية من وراء تسليط الضوء النحوى على التركيب اللغوي. وقد ألف الزمخشري هذا الكتاب لسكان مكة، فظهر كأنه استجابة لظروف خاصة ولغرض خاص، حيث كدس القواعد النحوية في بابين اثنين، هما: باب المفرد،ويتحدث فيه عن: الكلمة وأحكامها وأنواعها ، ثم باب المؤلف، ويتحدث فيه عن الجملة أو التركيب

---

[١] لسان الميزان /٦/ ٤، و انظر الزمخشري / ٦٠

[٢] و أنظر: الزمخشري / ٥٨ ، والمحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٨

[٣] معجم الادباء / ١٩ / ١٣٤، ووفيات الاعيان / ٥ / ١٦٩، وشذرات الذهب /١١٨/٤، وتاج التراجم / ورقة /٣٩، وهدية العارفين / ٢ / ٤٠٣، و قاموس الاعلام /٤/ ٢٤٢١ .

[٤] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩، ومعجم الادباء / ١٩ / ١٣٤، ونزهة الألبا / ٣٩١، وشذرات الذهب /١١٨/٤، وهدية العارفين / ٢/ ٣٠٤، وقاموس الاعلام / ٤ / ٢٤٢١ .

[٥] شرح شواهد الكشاف / ٤ / ٣٠٧ (نبذة عن حياة المؤلف) .

[٦] الزمخشري /٥٨

[٧] الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٩٨

[٨] نفسه / ٩٨ .

[٩] تطور الدرس

اللغوي و أنواعه و أحكامه . وقد نشرته الدكتورة بهيجة الحسني في مجلة المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٦٧ م في المجلد الخامس عشر [١] .

٦٩- المفرد و المركب في اللغة العربية

هو آخر غير سابقه، فقد ذكرهما جميعا ياقوت و غيره [٢]، أما الدكتور أحمد الحوفي [٣] فجعلهما كتابا واحدا باسم:" المفرد و المركب أو المؤلف، دون أن يشفع قوله هذا بدليل يعزز وجهة نظره، ثم قال: انه غير معروف . وترددت الدكتورة بهيجة الحسني فقالت [٤]:" لم يعرف له وجود حتى اليوم، ولعله كتاب: المفرد و المؤلف في النحو " دون أن تذكر سببا يشفع لها في ترددها . أما كتاب: " المفرد والمؤلف في النحو " فمعروف، وتوجد منه نسخ خطية كما بيّنا، و أما كتاب: المفرد و المركب في العربية " فلم نعثر عليه .

٧٠- المفصّل في صنعة الاعراب كتابنا هذا

٧١- مسألة في كلمة الشهادة: نشرتها الدكتورة بهيجة الحسني في: مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الخامس عشر سنة: ١٩٦٧ م . [٥]، وكنت أظن أن: رسالة في كلمة الشهادة "و" مسألة في كلمة الشهادة " كتاب واحد، لولا أن الدكتورة الحسني ذكرتهما على أنهما كتابان، كما ذكرت أنها نشرت كلاً منهما في مجلة المجمع العلمي العراقي [٥].

٧٢- المقامات

يتألف الكتاب من خمسين مقامة، استأثرت كل مقامة منها بعنوان خاص كمقامة الراشد، ومقامة التقوى، ومقامة الزهد [٦]، وما الى ذلك . ويكاد يقتصر موضوعها على: العظة والنصح و الارشاد و التذكير بالآخرة، وجّهها الى نفسه وصدّر كل مقامة منها بقوله: " يا أبا القاسم ... وقد الّف الزمخشري مقاماته في مستهل شهرالله الاصمّ، سنة: ٥١٢هـ بعد أن شفي من المرضة

---

[١] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٨

[٢] معجم الادباء / ١٩ / ١٣٤، ووفيات الاعيان / ٥/ ١٦٨، وشذرات الذهب / ٤/ ١١٨، وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

[٣] الزمخشري / ٦١

[٤] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٩ .

[٥] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣٩

[٥] أنظر: المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٣١، ٣٩

[٦] أنظر: كتاب المقامات / ١١، ١٥، ٢٤

الناهكة التي سمّاها المنذرة [١] توجد من الكتاب نسخ خطية كثيره: منها نسخة في مكتبة: H.MAHMUD EF.NO:5140 السليمانية، ونسخة في مكتبة: علي أميري/ مللت باستانبول برقم: ٣٢٥٤. ومنه نسختان المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء . وشرحه الزمخشري نفسه شرحا مفصلا، وطبع المتن مع شرحه بالمطبعة العباسية بمصر سنة ١٣١٢هـ منه نسخة في مكتبة: ID MEHMED EF. 154 بالسليمانية. وطبعت المقامات مع شرحها مرة أخرى بمطبعة التوفيق في مصر سنة: ١٣٢٥، وترجمها: رشر في ستة كتيبات جريسفال سنة: ١٩١٢ [٢]

٧٣- مقدمة الادب

ألفه الزمخشري لتعليم الفرس اللسان العربي، وزوده بشروح باللغة الفارسية، وأهداه الى الامير أبي المظفر اتسز خوارزمشاه [٣].

وقد ذكر الدكتور احمد الحوفي أن اكتر الكتاب في النحو[٤] ، وليس الامر كما ذكر، فقد استعرضت النسخة الخطية المصورى التي بين يدي [٥] فتبين لي ان المصنف قد تناول في القيم الاول من الكتاب: الاسماء في اللغة " وقام باستقصائها في سبعين ورقة(١٤٠) صفحة بأسلوب تعليمي ، وكتب تحت كلمة معناها بالفيارسية ، فهو قد ألفه – كما قلنا – للتعليم، مثال ذلك قوله [٦]بقعة بقاع ، مكان امكنة، موضع مواضع، كورة كور، بلدة بلد بلدان، مدينة مدائن، مصر أمصار قرية قرى..." وتناول في القسم الثاني: "الافعال" بالاسلوب نفسه ، فكتب تحت كل فعل معناه بالفارسيةفي: ١٩٢ ورقة(٣٨٣) صفحة. وخص القسم الثالث: " الحروف" ،والقسم الرابع:" تصرف الاسماء" والقسم الخامس: " تصرف الافعال" في: ١٩ ورقة(٣٨) صفحة ، أورد فيها موضوعات نحوية للتعليم . ويكفي للتدليل على وجهة نظرنا ان ياقوت سماه[٧] " مقدمة الادب في اللغة" وتابعه في ذلك اسماعيل البغدادي[٨]وسماه ابن خلكان[٩]: " مقدمة الاداب" .

---

[١] الحاجاة/ مقدمة التحقيق / ٤١

[٢] دائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٩

[٣] مقدمة الادب /

[٤] الزمخشري / ٦١، ٢٧١

[٥] صورتها عن نسخة خطية بمكتبة: DAMAD INRAHIM PASA 1149/1 واحتفظ بها.

[٦] مقدمة الادب / ١٧/أ–ب

[٧] معجم الادباء/ ١٩/ ١٣٤

[٨] هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

[٩] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩

توجد منه نسخ خطية كثيرة في خزائن المخطوطات ، منها عشرون في مكتبات السليمانية . وفي مكتبة لا له لي نسخة برقم: ٣٠٦٢ باسم:"قطعة من مقدمة الادب" ، ونسخة أخرى في مكتبة: SEHID ALI PASS NO: 2665 باسم: "قسم الافعال من مقدمة الادب" ونسخة اخرى في نفس المكتبة برقم: ٢٦٦٣ باسم " كتاب الاسماء والافعال" وقد اطلعت على الكتاب واستعرضت أوراقه ، فوجدته: القسم الاول والقسم الثاني من مقدمة الادب، ولعل هذا ما يجعل الفيروز أبادى يسميه " الاسماء والافعال" . ورأيته منه نسخة خطية في مكتبة أحمد عزت قويوت أوغلو الخاصة في مدينة قونية بتركيا، ويرجع تاريخ نسخها الى سنة: ٥٧٠هـ بدون رقم، لان المكتبة لم تكن مفهرسة حينذاك. ومنه نسختان في مكتبة: رامبور بالهند ، برقم: ك/ ٣٨١٠، لم تكن وبرقم: ت/ ٣٨١١. طبع الكتاب وتزستاين I .G WETZSTEIN في مجلدين سنة: ١٨٤٣م في ليبسك بعنوان: LEX ICON ARABICUM PERSICUM وطبع مرة أخرى في طهران سنة: ١٩٦٣باهتمام: سيد محمد كاظم امام. وترجمه الى التركية: اسحاق أفندي أحمد بن خير الدين البوستوى ، ت: ١١٢٠هـ وسماه: "أقصى الارب في ترجمة مقدمة الادب " منه نسخة في: فيينا برقم: ٨٦ [١] ، ونسخة مطبوعة في مجلدتين بالمطبعة الاميرية في استانبول، سنة: ١٣١٣هـ ، وتحفظ بها مكتبة: HACI MAHMUD EF.NO:5415 بالسليمانية. ونسخة أخرى مطبوعة في السنة نفسها ، تحفظ بها مكتبة: حاج خيري عبد الله أفندي، برقم: ٢٥٥: MUDADDIM – I AKSA'L – ARAN FI TERCEMA MUKADDIMAT AL- EDAB

٧٤- المقدمة: معجم عربي فارسي في مجلدين، كذا قال الدكتور الحوفي [٢] والدكتور السامرائي[٣] ولعله ترجمة كتاب" مقدمة الادب باخوارزمية" [٤]وهو مطبوع في استانبول سنة: ١٩٥١م

٧٥- الملتقط من الازهري: ذكره الاندلسي في شرح المفصل ، وقال: انه رآه بخط الزمخشري نفسه في مشهد الامام أبي حنيفة النعمان ببغداد [٥]، وبحثت عنه فلم أعثر عليه.

٧٦- مناسك الحج: ذكره اسماعيل البغدادي [٦] ، وبحثت عنه فلم اجده.

٧٧- المنتقي من العوالي: ذكره الاندلسي في شرح المفصل ،وقال: انه رآه – مع مصنفات اخرى له – بخطة في مشهد المام أبي حنيفة ببغداد[٧] ، وبحثت عنه فلم أجده .

---

[١] المحاجاة / مقدمة التحقيق/ ٤٢، وانظر تاريخ اداب اللغة العربية/ ٣/ ٥٠

[٢] الزمخشري/ ٦٠، وانظر: تاريخ الادب في ايران / ٤٥٩

[٣] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري م ٩٧، وانظر أيضا: الاعلام / ٨/ ٥٥، ومقدمة كتاب: أعجب العجب / ١٤

[٤] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٩٧

[٥] شرح المفصل٢ب

[٦] هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

[٧] شرح المفصل٢ب، وانظر أيضا: الاعلام م ١٠/ ٢٣٤

٧٨- **المنتخب من ضالة الناشد: اسماعيل البغدادي [(١)]، ولا اعرف عنه شيئا.**

٧٩- **المنهاج في الاصول: ذكره ياقوت وابن خلكان، وغيرهما[(٢)] وقيل [(٣)]: ان بروكلمان قد ذكره باسم "المنهاج في أصول الدين "،وذكر له نسخة خطية في برلين برقم: ٦١٥. ويبدو أن الدكتور الحوفي لم يطلع على ما قاله بروكلمان، إذ قال ان الكتاب[(٤)]: "غير معروف"**

٨٠ – نزهة المستأنس ونزهة المقتبس: كذا قالت الدكتورة بهيجة الحسني [(٥)]، وفي: دائرة المعارف الاسلامية [(٦)] "نزهة المؤتنس ونزهة المقتبس " وذكره جرجي زيدان باسم [(٧)]: نزهة المؤتنس" وقال: توجد منه نسخة في أيا صوفيا، دون أن يذكر رقمها . قالت الدكتورة بهيجة الحسني [(٨)]: توجد منه نسخة خطية في مكتبة أيا صوفيا باستانبول، تحت رقم: ٤٣٣١، اطلعت عليه فوجدته مختصراً لربيع الأبرار، يتألف من ثلاث وتسعين بابا في عشرين ومائتي ورقة، تمّ نسخه: يوم الأربعاء، السادس من جمادي الأولى، من سنة: ثمان وثلاثين وثمانمائة، على يد العبد الفقير الراجي رحمه الله، علي بن أحمد بن علي الشاى الشهير بالسيّسي الفاسي .

٨٠- النصائح الصغار

كذا قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما [(٩)]، إلاّ أن الدكتور أحمد الحوفي ذكره باسم [(١٠)] " النصائح الصغار و البوالغ الكبار "ثم قال: " ذكر بعض مؤرخي الزمخشري أن له كتابين: أحدهما النصائح الصغار، وقال جرجي زيدان إنه مخطوط برلين، وفي المتحف البريطاني و الآخر:

---

(١) هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

(٢) معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤، ووفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩ ، وطبقات النحاة واللغويين للزبيدي / ورقة: ٩٩، والفوائد البهية / ٢٠٩، وتاج التراجم / ٣٩، وطبقات المفسرين لابـن الـداودي/ ورقـة: ١٦٠ زقـاموس الاعـلام / ٤/ ٢٤٢١، وشذرات الذهب/ ٤/ ١١٨

(٣) المحاجاة / مقدمة المحقيق / ٣٨، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٩٧.

(٤) الزمخشري /٥٨

(٥) المحاجاة / مقدمة التحقيق /٤٢، وانظر: معجم الادباء / ١٩ / ١٣٤، وهدية العـارفين /٢/٢٤٠٣، ومقدمـة كتـاب: أعجب العجب / ١٤

(٦): دائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٩ .

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية /٣/ ٥٠

(٨) المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٤٢

(٩) معجم الادباء / ١٩ / ١٣٤/، ووفيات الأعيان /١٦٨/٥، وأنظر شذرات الذهب /١١٨/٤، ٤٠٩، وشرح شـواهد الكشاف / ٤/ ٣٠٧ (نبذة ترجمة المؤلف) . (١٠) – الزمخشري / ٦٣

النصائح للكبار، وقال اجرجي زيدان إنه مطبوع بالقاهرة . قال: ولكني وجدت الكتاب بهذا الاسم: النصائح الصغار والبوالغ الكبار مخطوطا بدار الكتب بالقاهرة برقم: ١٣٤٧٨ز، مع انه نوابغ الكلم في: ١٦ ورقة . وفي نهاية الكتاب فصل به مئة حكمة للإمام: علي بن أبي طالب .

وما ذكره جرجي زيدان: نصائح الصغار "لأ": النصائح الصغار " كما نسب اليه الحوفي، ثم قال: انه موجود في برلين و المتحف البريطاني [١] ، وتوجد نسخة خطية من: " نصائح الصغار " في مكتبة: دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم: عام – ٦٧٤٠ .

٨١- **النصائح الكبار**: ذكره ابن خلكان، وغيره [٢]، ولعله " كتاب المقامات " [٣]، قال جرجي زيدان: انه قد طبع في القاهرة [٤] .

٨٢- **نصائح الملوك** : ذكره اسماعيل البغدادي في: هدية العارفين [٥]، وبحثت عنه فلم أعثر عليه.

٨٣- نكت الإعراب في غريب الإعراب

ذكره ياقوت باسم [٦]: نكت الإعراب في غريب إعراب القرآن " وقال الدكتور الحوفي انه غير معروف [٧] . قال الدكتور فاضل السامرائي [٨]: ومنه نسخة مخطوطة برقم: ٢٥١٠٢

---

[١] تاريخ آداب اللغة العربية / ٣/ ٥٠

[٢] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٨، وشذرات الذهب/ ٤/ ١١٨/، وهدية العارفين / ٢/ ٤٠٣، ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٩

[٣] المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٤١

[٤] تاريخ آداب اللغة العربية / ٣ / ٥٠ .

[٥] هدية العارفين / ٢/ ٤٠٣

[٦] معجم الادباء / ١٩/ ١٣٤/ والاعلام / ٨/ ٥٥، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٥٠ ومقدمة كتاب: أعجب العجب / ١٤

[٧] الزمخشري / ٦١

[٨] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٩٩، وانظر: المحاجاة / مقدمة التحقيق / ٤٢ .

وهو مجموعة مسائل من الكشاف، جاء فيه " قوله تعالى [1]: " لا ريب فيه" فان قلت: فهلا قدم الظرف على التدريب كما قدم الغول " وهذا النص نفسه في الكشاف[2] وجاء فيه[3] "وإذا قيل لهم" معطوف على " يكذبون " ، ويجوز أن يعطف على:"من يقول آمنا، لانك لو قلت " وهو وجود في الكشاف"

٨٤- نوابغ الكلم أو الكلم النوابغ

وهو كتاب صغير الحجم، يتصمن مجموعة من الحكم والنصائح، أوردها الزمخشري مركزه موجزة، والتزم فيها السجع دون الالتزام بموضوع محدد . وقد وصفه شارحه نجيب القاضوى فقال[4]:"هوكتاب متشاكل الصيغ، منجانس المباني، متباين المرادات متفاوا المعاني، محكم الاصول، كثير المحصول" وتوجد من الكتاب نسخ خطية كثيرة موزعة في كثير من خزائن المخطوطات منها: تسع عشره نسخة ف يمكتبات السليمانية، منهانسختان: احدهما في مكتبة: SEREZ NO: 3897/3 والثانية نسخة في مكتبة: " مرتب الكلم MURATTAB NAVABIG AL – DALIM ومنه نسخة في مكتبة عاشرأفندى برقم: ٤١٦، (ضمن مجموع)، لدى نسخة مصورة عنها، ونه ثلاث نسخ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، أرقامها: ٣٢٤- أدب، ٤٧ قديم – ١٦٧ جديد / مجاميع، ١٤٤ قديم – ٢٢١ جديد. ونه نسخة في مكتبة الاحمدية بحلب تحت رقم: ١١٨٠، نسختها يدى، واحتفظ بها . وطبع الكتاب المستشرق الهولندى: HENRICUS ALBERTUS SCHULTENS سنة: ١٧٧٢م مع ترجمة الى اللاتينية بعنوان: ANTHOLAGIA SENTENTIARUM ARABICARUM ثم طبعه المستشرق الفرنسي C. BARBIER DE MEYNARD مع ترجمة الى الفرنسية سنة: ١٨٧٥م، ونشره في مجلة JOURNAL ASIATIQUE بعنوان: LESPENSEES DE ZAMAKHSCHARI

وطبع في القاهرة سنة: ١٢٨٧هـ، واعيد طبعه سنة: ١٣٠٥هـ وطبعه محمد الكستي البيروتي سنة: ١٣٠٦هـ في بيروت[5] ونشر الكتاب سنة: ١٩٧١م في: الجزئين التاسع والعاشر من: مجلة العرب، بتحقيق: الدكتورة بهيجة الحسني[6] .

---

(١) سورة البقرة / ٢، ونكت الاعراب/ ٥

(٢) الكشافم/ ١/ ١١٤

(٣) سورة البقرة/ ١١، وانظر: الكشاف/ ١/ ١٧٩، ونكت الاعراب / ٥

(٤) السوابغ شرح النوابغ م ورقة: ١

(٥) دائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٧

(٦) المحاجاة: مقدمة التحقيق/ ٤٢-٤٣

وشرح الكتاب شروحاً منها:

- شرح مؤيد الدين، ابن الموفق، كان حيا سنة: ٦٤٠ هـ

- شرح أبي الحسن بن عبد الوهاب الخيوفي، كتبه عام: ٧٧٠هـ، وطبع في: كاسان سنة: ١٣١٤هـ.

- شرح أمير اليمن، الناصر للخق المبين، كتب سنة: ٧٨٢هـ

- شرح العلامة ك سعد الدين التفتازاني، ت: ٧٩٢هـ ، سماه " النعم السوابغ في شرح النوابغ"، طبع في القاهرة سنة: ١٢٨٧هـ ، وطبع في بيروت سنة: ١٣٠٦هـ،وفي استانبول سنة: ١٨٦٦م [١]

- سوابغ النعم شرح نوابغ الكلم لرضي الدين أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن يوسف الحنفي، المعروف بابن الحنبلي،ت:٩٧١هـ ، منه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة برقم: ٥٩ قديم ، ١٠٧ جديد.

- شرح بايزيد بن عبد الغفار القونوى، فرغ منه في سنة: ٩٨٣هـ[٢]

- شرح: محمد نجيب القاضوى الذي سماه:" السوابغ في شرح النوابغ" منه نسخة خطية في المكتبة الاحمدية بحلب، تحت رقم: ١٢١٠، وقد بخط يدي واحتقظت بها[٣] ومن قصائده التي جمعت في ديوان: قصيدة وثا بها أستإذه أبا مضر، فقد نشرت في: العزى" مضمون " طبعه يهودا، ص: ١٦ وما بعدها . ومنه نسخة في مكتبة شهيد علي باشا بالسليمانية باسم" قطعة من ديوان الزمخشري" برقم: ١١٧١/٣ [٤] وبعد ، فهذا ماجادت العلمية أصدق شاهد لصاحبها على أنه كان اماما في علوم شتى ومع هذا ، فان جار الله كان زاهدا في الحياة الدنيا، راغبا في الآخرة، فاقبل بهذا الرصيد الضخم من الثروة الفكرية يريد به وجه الله ولسان حاله يقول[٥]:

أيا طالب الدنيا ويا تارك الأخرى ستعلم بعد الموت أيهما أخرى

ووقفت كل كتبه على مشهد الإمام أبي حنيفة، ولم يبق معه إلا القرآن الكريم.

---

[١] دائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٧، والمحاجاة/ ٤٣

[٢] نفسه / ١٠/ ٤٠٧

[٣] انظر: دائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٨، فقد ذكرت شروحا أخرى

[٤] نفسه / ١٠/ ٤٠٩

[٥] ديوانه/ ١٢١-ظ.

قال الاندلسي في شرح المفصل [1]: "تزهد رحمه الله في آخر عمره، ووقف كتبه ببغداد بمشهد أبي حنيفه، وقد رأيت جميع هذه الكتب أكثرها بخطة في المشهد ببغداد، عليها خطيه بالوقفية.." وقد أشار الزمخشري إلى ذلك حين قال[2]:

ووفقي حتى وقفت نفائسي وأعلام أسفاري فأبرحت واقفا
على مشهد النعمان نور بره كما نور الإسلام يا لك سالفا

[1] شرح المفصل/ ٢أ

[2] ديوانه / ١٧٣ - ظ

الفصل الخامس

مكانته العلمية

اعتاد طلاب العلم ان يكثروا من التنقل بين البلاد ليلقوا العلماء ويأخذوا عنهم مشافهة . غير أن الزمخشري أقعده قطع رجله عن ذلك، فلم يكثر من التنقل و الرحلة في طلب العلم، بل إقتصر على عدد من البلدان ى، حيث إرتحل اليها و أقام فيها، و أطال المقام في بعضها، يستفيد من علمائها الذين يلقاهم، ويلقي دروسه فيها على التلاميذ الذين يتحلّقون حوله و يأخذون عنه . رحل في طلب العلم الى بخارى [1] ، ثم أخذ يتنقّل في الأمصار على قدر استطاعته، فورد مرو[2] ، ودخل خراسان عدة نوب [3]، وخرج الى العراق فدخل بغداد، وسمع الحديث ولقي الفضلاء [4] و ثم رحل الى مكة المكرمة فجاور بها سنين [5]، وسمي لذلك جار الله، وفيها قرأ كتاب سيبويه على اليابريّ [6] ، وصنّف أجود كتبه .

يحدّثنا صاحب مفتاح السعادة [7] " أن الزمخشري دخل على الشيخ: أبي علي الضرير الأديب فأخذ منه علمه، ثم جاء الشيخ: أبا مضر الخوارزمي النحوي فأخذ منه علم الإعراب ثم ترقت به همته العالية في العلوم العربية الى أن بلغ درجة ما رأى مثل نفسه، ثم وفّقه الله تعالى أن صار الامام ركن الدين محمود الاصولي، و الامام أبو منصور من تلامذته في علم التفسير، فكانا يقرآن عليه، وهو يأخذ منهما علم الاصول، و يأخذ علم الفقه من الشيخ السديد الخياطي – ختن عين الأئمة – فجمع الله له مناقب العلوم كلها . وكان في الحادي و العشرين من عمره ينادم الوزراء وز الملوك ويمدحهم، و يتنعّم في الدنيا، وكان من الورع و قيام الليل و تدريس العلم في الرتبة العليا " .

وأدرك الزمخشري تفوّقه العلميّ هذا، فانطلق يفخر بهذا التفوق، ويعدد العلوم التي برز فيها، فقال[8] :

تَـراني فـي علم المنزلِ عالماً   و ما أنـا في علم الأحاديثِ راسِفاً
فللسنّةِ البيضـاء فـيّ مناجحٌ   ويبغي كتـابُ اللهِ مني المعارفـا

---

[1] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧٠ .

[2] الانساب / ٦/ ٣١٥

[3] الطبقات السنية / ورقة: ٤١٩ أ .

[4] وفيات الا عيان / ٥/ ١٦٩

[5] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٩، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٧، و اللباب / ٢/ ٧٤

[6] البلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٧

[7] مفتاح السعادة / ورقة: ١٩٤ .

[8] ديوانه / ٧٨ – ٧٩ – الدار .

وما أنا فـي علم الدّيانات عاطلا　　فأحسنُ حلي لم يـزلْ لي شانفـا
ومـا للغات العُربِ مثلي مقوّم　　أبي كـلّ ندٍ متقنٍ أن يخالفـا
وبي يستعيذُ النحو من أنّ يسوسه　　نُهىً لم يجِدها الذائقـون حصائفا
فقـل أين خلّي سيبويه كتابه　　يقلْ حجرُ جـار الله: مأواى، حالفا
وعلما المعـاني و البيان كلاهمـا　　أزفّ الى الخطّاب منه وصائفـا
وعِلم القوافي و الأعاريض شاهدٌ　　بفُسحة خطوى فيه إذ كنت زاحفا
أقرّت لي الأداب أصلا لها ومن　　رأى مشرفيّاتٍ جحدنَ مشارفـا

بل رأى أنه أصبح كعبة العلم، تَحِفّ به طوائف الطائفين، تأخذ من نوره المنير، وتغرف من بحره الغزير، فيقول [(١)]:

ألم ترى أني حيثما كنتُ كعبةً　　يحفّـون بي كالطائفين طوائفا
فشرقيّهم يهوي الى النور قابساً　　وغربيّهم يسعى إلى البحرِ غارقا

ونكاد نُحِسُ أنّ نفس الزمخشري تطربُ لثناء العلماء عليه، وتنتشي للمديح و ذيوع الصيت، وتتحدث بالتفوق العلمي الذ توصَفبه فتوشك ان تخرج من عِقالها، و ان تظهر على سجيتها، فيبادر جار الله لترويضها على البذل و العطاء، وتعويدها على التضحية و العمل و يبرز واضحا في: "مقامة العمل" التي يقول فيها: [(٢)] يا أبا القاسم: لا لقولهم، فضلٌ مبين، واسمٌ في المهارة بهما شهير، وصيتٌ في اتقانهما جهير، وفتى طيّان من المناقصو الرذائل، ريّان من المناقب و الفضائل، و إن ذُكر متن اللغة فحِلسٌ من أحلاسِه، أو قياسها فسائسُ أفراسه، أو النحو فهو سيبويه و كتابه، ينطق عنه تراجمه و أبوابه، فمن مُساجله و مُسانيه، ومزاوله ومعانيه، ومن يغوصُ على معانٍ كمعانيه، أو نقد الكلام النقدة اليه كأنهم النقدُ، و قد عاثَ فيه الذئب الأعقدُ، أو العروض فأين بجدتها، وطلاع أنجدتها، أو القوافي فإبداعه فيها يلقّطك ثمراتُ الغراب، و اغرابه فيها يحثو التراب في وجوه أهل الاغراب، أو الشعر فزياده، وحسانه، و إحسانه كما دبيج الروض نيسانه، أو النثر .. أو معرفة الكتابة و الخط فقد لجج وترك الناس على الشط، أو حفظ ما يحاضر به فصيّبٌ يفيض وبحر لا يغيضُ، وليس بعربان كعود النبع من ثمر علوم الشرع .... . [(٣)]

[(١)]: أ ديوانه / ٧٩ – الدار، و انظر أيضا: ورقة: ٨ منه

[(٢)] المقامات / ٩٨ – ٩٩ –،

[(٣)] طيّان: من المناقص، مجاز عن خلوة وبراءة ساحته ونزاهته، وريّان: من المناقب عن استكثاره منها وحلس من احلاسه: فارس من فرسانه، واراد بقياس اللغة: علم الاشتقاق و يسمى علم المقاييس . و المساجل: المباري في السقي من السّجل وهو الدلو، و السّاني مثله من السانية و الأعقد: المتلويّ الذنب، وابن بجدتها: الدليل الماهر، من بجد المكان: إذا اقام به . و الأنجدة: جمع نجد، وزيادة: هو النابغة الذبياني، ودبج الربيع الارض تدبيجا: إذا حسّنها بالنبات و الزهر وزينها . ولجج: ارتبك في الامر، إذا وقع فيه وتورط .

هذا رأي جار الله في نفسه، فمإذا عن رأي العلماء فيه ؟ لقد أجمع الذين أرخو للرجل، و الذين تحدثوا عن علمه – حتى خصومه -: أنه كان إمام عصره، و أن كثير من العلماء الذين جاءوا بعده أصبحوا عالة عليه، فأنشغلوا بدراسة مصنفاته، وأجهدوا أنفسهم في فهمها، وفي شرحها . وفي عرضها عرضا علميا منهجيا يسهّل أمر أخذها و الافادة منها .

أما معاصروه فقد عرفوا تفوقه العلمي فأجلّوه، ورأوا تواضعه في طلب العلم فرفعوه وبلغهم قدره فشدّوا اليه الرحال، وجلسوا في حلقة درسه، وسعوا اليه طمعا في استجازته . يقول علم الدين الاندلسي في شرح المفصّل [١] : " قال شيخنا تاج الدين الكندي – رحمه الله – رأيتُ هذا الرجل – يعني الزمخشري – ببغداد في حلقة شيخنا الجواليقي . جاء ليروي عنه بعض كتب الادب، وكان الجماعة يقولون: هو أعلم من الشيخ و إذكر لكلام العرب غير أنه ليس له رواية .

ويضيفُ الى هذا الخبر خبراً آخر يعزز من مكانة الزمخشري العلمية، ويبين فضله وتواصعه وتقديره للعلم ، يقول[٢]:"وحدثني تاج العلاء الشريف بحلب، قال: رأيت صاحب المفصب بمكة _ شرفها الله- وهو يقرأ عليه كتابه الكشاف، فدعاني الى ان اكون أنا المسمع القارئ، فمنعتني من ذلك حدة كانت لي لاجل ما كان ينسب اليه من الاعتزال، فذكرت له العذر أنشدتني:

من يطلب العلم لا يستام غائبةً في لذة الصفو ما يغني عن الكدر

ويورد ياقوت [٣] خبراً آخر يدلل به على مكانه الزمخشري العلمية مفاده: أن الزمخشري حين قدم بغداد في طريقة الى مكة – للمرةالثانية- زاره كثير من الناس لتكريمه والسماع منه، والاخذ عنه ، وكان فيهم الشريف أبو الساعدات هبة الله بن الشجري، فلما جلس اليه بهره الزمخشري بعلمه وأخلاقه، فأنشد ابن الشجري متمثلا:

كانت مسائلة الركبان تخبرني عن أحمد بن داود أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت إذني باحسن مما قد رأى بصري

---

[١] شرح المفصل / ٢ب وأنظر: الطبقات السنية / ورقة: ٤١٩ .

[٢] نفسه/ ٢ب

[٣] معجم الادباء/ ١٩/ ١٢٨٠١٢٩ ، وانظر نزهة الالبا / ٣٩١-٣٩٢- وفوات الوفيات/ ٢/ ٦١١- ٦١٢ ومقدمة ديوانه / ٢ب –ظ – والزمخشري/ ٨٥

وانشده أيضا:

واستكبرُ الأخبارَ قبل لقائه   فلما التقينا صغَّرَ الخَبَر الخُبرُ[1]

ثم اخد يثني عليه، فلم ينطلق الزمخشري حتى فرغ ابن الشجري من كلامه..."

وممايدل على علم الزمخشري باللغة، واعتراف معاصريه بفضله، ما ذكره في كتابه: " الفائق في غريب الحديث" حين عرض لشرح كلمة: "الضريح" حيث قال[2] ومن رواه بالصاد غير المعجمة فقد صحف وسالني عنه بعض المشيخة المتعاطين لتفسير القرآن وانا حدث، فطفق يلاجني ويزعم انه بالصاد حتى رويت له بيت المعري:

وقد بلغ الضراح وساكنيه   نثاك وزار من سكن الضريحا [3]

ورايته كيف قصد الجمع بين: الضراح والضريح ليجنس، فسكن ذلك من جماحة" وحين تعززت ثقةمعاصريه بعلمه، شد كثيرمنهم اليه الرحال، وكتب اليه بعضهم يستجيزونه، فأجاز بعضهم ، واعرض عن اجازة آخرين أجاز رشيد الدين الوطواط[4] وزينب بنت الشّعريّ [5] وأبا طاهر الخشوعي [6] و أعرض عن إجازة القاضي عياض [7] . وتردّد في إجازة أبي طاهر السلفيّ [8] وتلحّ علينا طبيعة البحث ان نبسط الحديث في جانب من نص إستجازه من هذه الاستجازات العلمية، لانها تطلعنا- لاريب – على مكانة الزمخشري العلمية، تلكم هي استجازة ابي الطاهر أحمد بن محمد السلفي .

كتب السلفي الى جار الله – وهو مجاور في مكة – يستجيره في مسموعاته و مصنفاته [9] فردّ جوابه بما لايشفي الغليل . فلما كان العام الثاني كتب اليه ايضا مع الحجاج استجازة اخرى

---

[1] معناه: أن الاختيار بالمشاهدة أثبت الخبر المسموع وجعله لاقيه له بجانب المشاهدة. والرواية الثانية: "صدق الخبر الخبر" فالخبر بالفتح – بمعنى المنقول المرورى، والخبر – بالضم – بمعنى العلم بالشيء.

[2] الفائق/ ٢/ ٣٣٦ وانظر: رسائل رشيد الدين الوطواط/ ٢٨، ٢٩-ط دار المعارف بمصر سنة: ١٣١٥هـ ، ففيها ما يدل على مكانة الزمخشري العلمية لدن معاصريه.

[3] النثا/ الخبر المنتشر بين الناس حسنا كان او قبيحا، يقال: نثوت الحيث ونثيته، والضراح: بيت في السماء ازاء الكعبة تطوف به الملائكة كما يطوف الحجاج بالبيت، والضريح: القبر.

[4] معجم الادباء/ ١٩/ ١٢٩،وانظر مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط/ ٢٨،٢٩

[5] وفيات الاعيان / ٢/ ٣٤٤/ - ٣٤٥

[6] العقد الثمين / ٤/ ورقة ٦٠

[7] ازهار الرياض / ٣/ ٢٨٢

[8] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧٠، وازهار الرياض / ٣/ ٢٨٢ .

[9] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧٠، و أنظر: الطبقات السنية / ورقة: ٤١٧ ب، وظهر الاسلام / ٤/ ٥١ -٥٢ .

اقترح فيها مقصوده، ثم قال في آخرها:" ولا يجوج – أدام الله توفيقه – الى المراجعة فالمسافة بعيدة، وقد كاتبه في السنة الماضية، فلم يجبه بما يشفي الغليل، وله في ذلك الاجر الجزيل، فكتب اليه الزمخشري جوابا طويلا يشبه خطاب ابي العلاء المعرّي لابن القارح.

نقتصر على ذكر بعضه، خشية الاطالة . من ذلك قوله: ما مثلي مع اعلام [1]العلماء الاّ كمثل السها مع مصابيح السماء ، والجهام الصغير من الرهام مع الغوادي الغامرة للقيعان، والآكام [2] ، و السّكيت المخلف مع خيل السباق [3] ، و البغاث مع الطير العتاق [4]، وما التقيت بالعلاّمة الاّ شبه الرقم بالعلاّمة . و العلم مدينة أحد بابيها الدراية و الثاني الرواية و انا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة[5]، ظلّيّ فيه أقلص من ظلّ حصاة . اما الرواية فحيثة الميلاد، قريبة الاسناد، لم تستند الى علماء نحارير [6]، ولا اعلام مشاهير، واما الدراية فثمدلا يبلغ افواها [7] ،وبرضٌ لا يبلّ شفاها [8]، ثم كتب هذا: .. لا يغرنكم قول فلانٍ فيّ، ولا قول فلان، و عدّد جماعةً من الشعراء و الفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر، و أوردها كلها، ثم قال بعد ذلك: ... فان ذلك اغترار منهم بالظاهر المموّه، وجهلٌ بالباطن المشوّه، ولعلّ الذي غرّهم مني ما رأوا من حسن منصح للمسلمين، و بليغ الشفقة على المستفيدين، وقطع المطاعم عنهم، وافادة المبارّ و الصنائع عليهم، وعزة النفس و الرّبءِ بها عن الإسفاف للدّنيّات، والاقبال على خويصتي و الاعراض عما لا يعنيني، فجللت في عيونهم، و غلطوا فيّ ونسبوني الى ما لست منه في قبيلٌ ولا دبير [9] انا فيما اقول هاضم لنفسي ... وانما صدقت الفاحص عني وعن كفه روايتي ودرايتي، ومن لقيت واخذت عنه، وما بلغ علمي قصارى فضلي، و اطلعته امري، و أفضيتُ اليه بخيبة

---

(1) السّها: كوكب خفي في بنات نعش الصغرى .

(2) الجهام: السحاب لا ماء فيه، و الصفر: الخالي، والرهام: جمع رهمة، وهي المطر الضعيف الدائم

(3) السّكيت: آخر الحلبة .

(4) البغاث: اضعف الطير

(5) مزجاة: قليلة

(6) نحارير: جمع نحرير، وهو الحاذق الفطن الخبير

(7) الثمد: الماء القليل

(8) برض: قليل

(9) فلان ما يعرف قبيلا من دبير: أي ما يعرف الشاة المقابلة بالمدابرة، أو: ما يعرف من يقبل عليه ممن يدبر عنه، أو: ما يعرف نسب امه من نسب ابيه، و اصله من: فتل الحبل: إذا مسح اليمين على اليسار علواً فهو قبيل، وإذا مسحها عليه سفلا فهو دبير – اساس البلاغة / قبل

سري، و ألقيتُ اليه عجزي وبجزي [1] واعلمته نجمي وشجري [2] .. قال ابن خلكان: وقد اطال الكلام في الاجازة، ولم يصرّح بمقصوده فيها، وما اعلم هل اجازة بعد ذلك ام لا" [3] ، وذكرغير ابن خلكان انه قد اجازه [4]

ولئن كان نص الاستجازة خير شاهد على مبلغ علم الزمخشري واحرازه مكانه مرموقة بين علماء عصره، وعلو كعبه في مجاليّ: اللغة والبلاغة، فان لنا على الاستجازة و ظروفها مآخذ كثيرة:

أما أولاً:

فإن من العسير علينا ان نقتنع برأي الدكتور احمد الحوفي، الذي وصف ردّ الزمخشري على السلفيّ بأنه حافلٌ بالتواضع، والسلامة من الغرور ومن التعالي والتعاليم [5] كأن الحوفي قد اكتفى بالوقوف على ظاهر اللفظ ، ولم بغلن نفسه ان يتجاوز هذه الظاهر فينظر في معاني العبارات نظرة الفاحص المدقق بغمل فكره في النصوص وظلالها، ويعصر معانيها عصراً يتيح له ان يستخلص منها زبجة الحقيقة. أما نحن فنحن نرى أن عبارة الاستجازة تدل – أول ما تدل – على غرور مبطن بستار من التواضع العلمي المفتعل، وعلى تعالٍ ينتظمه اطار حميل من التادب الجم ، وعلى اعجاب بالنفس وفخر بها، واستئنائس بالثناء عليها ، كل ذلك يبرز بوضوح من خلال ايراده كل ما قيل من مديح الشعراء وثنائهم، ومن الاشادة بحسن منصحه للمسلمين، وبليغ شفقته على المستفيدين، وما الى ذلك. ويؤيد ما نذهب اليه صاحب ازهار الرياض معقبا على رد الزمخشري[6]: وانما اوردت ذلك مع ما في بعضه من الغلو، وعدم التأدب مع الشرع في بعض الالفاظ".

---

[1] المراد: اطلعته على عيوبي، واصل العجز: العروق المعقدة الناتئة، و البجز: ما تعقد منها على البطن خاصة – الاسـاس بجر .

[2] النجم ما نجم من النبات على غير ساق .

[3] وفيات الاعيان / ٥/ ١٧٠

(٤) أزهار الرياض

[5] الزمخشري/ ٨٥

[6] ازهار الرياض / ٣/ ٢٨٢-٣٠٤

أما ثانياً:

فإن معاني عبارات الاستجازة تناقص تماما ما ورد في شعره ونثره من الفخر الصريح بمكانه العلميةفي: النحو والتفسير واللغة والنقد والبلاغ وغيرها، ومن التغني بتفوقه العلمي على سائر علماء عصره[١] ويتناقص أيضا مع قوله[٢]:

ألم تر أني حيثما كنت كـعبــةً يحفون بي – كالطائفين – طوائفا

وأصبحت ممدوحـا لكـل ممدح ترى محلس الامجاد لي متراصفـا

فهو – هنا في رجه فلى الحافظ السلفي – يشهد على نفسه ان نصيبه من العلم – إذا ما قيس بنصيب غيره من العلماء النحارير- قليل، وان ظله في بابي: الرواية والدراية اقلص من ظل حصاة، وهذا – لعلمري- يتناقص مع ذاك.

وأما ثالثاً: فإن مسموعاته، ويزهد السلفي نفسه- من ناحية أخرى – في طلب هذه لاستجازه حينت يظهر نفسه انه ليس في مستوى علمي يتيح به ان يجيز العلماء، في حين انه اجاز بعضهم فعلا كما بينا.

وأما رابعاً: فإن رفضه إجازة القاضي عياض، وتردده في اجازة السلفي يلفتان النظر، يدفعان الى الاستغراب فالقاضي عياض كان امام وقته في الفقه والحديث وعلومهما، وفي نحو واللغة وانساب العرب وايامهم، وكان اسمه منتشراً في الآفاق[٣] وكان السلفي حافظا حجة ثبتاً،روى عنه اكثر من مائة شيخ[٤] وهذا حلمنا على ان نبحث عن تعليل لتصرف الزمخشري بازاء هذين العالمين الكبيرين نذهب بعيدا في البحث، إذ وجدنا ان القاضي عياضا كان احد عظماء المالكية في المغرب[٥] وان السلفي كان شافعيا متقنا لم١هب الشافعي[٦] اما الزمخشري فكان – كما قلنا – معتزليا على مذهب ابي حنيفة النعمان[٧] وربما كانت مخالفتهما له في المذهب الفقهي، ووقوفهما جميعا من المعتزله موقفا عدائيا، سببين كافيين لتصرفه ووقوفه منهما هذا الموقف، لان

---

[١] ديوانه / ٧٨-٧٩- الدار وانظر: ما قالته/ ٩٨-٩٩

[٢] ديوانه / ٧٩- الدار

[٣] النجوم الزاهرة / ٥/ ٢٨٥-٢٨٦، وانظر ايضا: وفيات الاعيان / ٣/ ٤٨٣ – ٤٨٥

[٤] السوطي / طبقات الحفاظ / ٤٦٨

[٥] ازهار الرياضم ٣/ ٢٨٢

[٦] الوافي بالوفيات/ ٧/ ٣٥٢

[٧] وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٨

الحنابلة والشافعية كانوا من اشد اهل السنة معارضة لمذهب الاعتزال[١] وكان موقف الزمخشري من رحال المذهبين موقفا مشحونا بالعداء يدل على ذلك قوله[٢]:

اني بدين ولائم متشيع لهم ولست بشافعي المذهب

أما موقفه من: محمد بن ادريس الشافعي _ شيخ المذهب – فمختلف تماماً ، فقد كان يجله ويقدمه ويقول فيه: " وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين ، حقيق الحمل والسداد وكفى بكتابنا المترجم: بشافي العي من كلام الشافعي، شاهدا بانه كان اعلى كعبا واول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ، ولكن العلماء طرقا وأساليب" [٣]

ومع هذا ، فاننا كنا نطمع ان يلتزم جار الله العلامة جانب الموضوعية، وان ينظر الى العلماء نظرة تتسم بالتجرد. ومهما يكنت من امر، فان هذا الموفق لا يغض من قيمته العلمية ، ولا يؤثر على مكانه التي وصل اليها، ولا يغير من نظرة معاصريه اليه، فقد اجمعوا على انه بلغ من الغلم مبلغا كبيرا يؤهله للامامة فيه، فتزاحموا على بابه ينشدون التزود من معين علمه الثر.

---

[١] انظر: ازهار الرياض / ٣/ ٢٩٣

[٢] ديوانه م ١٥ – ظ

[٣] الكشاف / ١/ ٤٩٨

هذا هو موقف معاصريه ، فماذا قال العلماء الذين جائوا من بعده؟

قالوا: ان الزمخشري كان عالما واسع العلم كثير الفضلن غاية في الذكاء وجوده القريحة ، متفننا في كل علم[1] وانه كان امام عصره بلا مدافعة[2] ، في اللغة والنحو والبيان والتفسير والحديث[3] وانه ألف تآليف عظيمة في كل ذلك وكلها فيه جدة وابتكار[4] وقالوا: انه كان اعلم فضلا العجم بالعربية في زمانه، واكثرهم اكتسابا واطلاعلى كتبها، وبه ختم فضلاؤهم[5]

وقالوا أيضا: انه كان امام الدنيا في علم الاعراب واللغة والمعاني والبيان، والزهد وحسن السيرة في السر والاعلان[6] وما دخل بلدا الا واجتمعوا عليه ، وتلمذوا له[7] بل قالو أكثر من ذلك فيه، قالوا: انه الشيخ الامام العالم العلامة فريد عصره ووقته ،ووحيد دهره[8]وانه كان يضرب به المثل في علم الادب والنحو[9] وتشد اليه الرحال، وتضرب اليه اكباد الابل[10] وجعلوا مصنفاته أحسن المصنفات، فقالوا: له تصانيف حسنة ليس لاحد مثلها في فصاحة الالفاظ ، وبالغة المعاني،مع ايجاز اللفظ حتى لو ان أحدا أراد ان ينقص من كلامة حرفا او يزيد فيه بان الخلل[11] وجعله الزبيدي في الطبقة الخامسة من نحوي ولغويي لاندلس[12] ورب قائل يقول: ان هذه احكام عامة طالما اطلقها القدماء من مؤرخي الادب ومؤلفي كتب الطبقات والتراجم ،وغيرهم ، على كثير من العلماء – قبل الزمخشري وفي عصره وبعد عصره- ابسط مايقال فيها انها احكام لا تضبط قاعدة معينة، ولا يحكمهامعيارمحدد ،ولا تلتزم بناموس

---

(1) بغية الوعاة / ٢/ ٢٧٩، وطبقات المغسرين لابن الداودي/ ورقة: ١٦٠، ومفتاح السعادة/ ورقة: ١٩٣ ومن تاريخ للافغاني/ ١٣٧

(2) طبقات الفقهاء الحنفية/ ورقة: ٣٤

(3) وفيات الاعيان / ٥/ ١٦٨، وشذرات الذهب:/ ١١٨/٤، وتاريخ آداب اللغة العربية/ ٣/ ٤٨

(4) ظهر الاسلام / ٤/ ٥١

(5) الانساب للسمعني م ٦/ ٣١٥،واللباب في تهذيب النساب/ ٢/ ٧٤، وقاموس الاعلام / ٤/ ٢٤٢١

(6) مفتاح السعادة/ ورقة: ١٩٣

(7) طبقات المفسرين لابن الداودي/ ورقة/ ١٦٠،وطبقات المفسرين للسيوطي / ورقة: ٢٠

(8) النجوم الزاهرة/ ٥/ ٢٧٤

(9) انباه الرواة / ٣/ ٢٧٠، والطبقات السنية/ ورقة: ٤١٩ب

(10) وفيات الاعيان / ١٦٨/٥، وشذرات الذهب/ ١١٨/٤ والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٦ ،والاعلام/٨/ ٥٥ وتاريخ آداب اللغة العربية/ ٣/ ٤٨

(11) انار البلاد / ٥٣٣، والبداية والنهاية/ ١٢/ ٢١٩

(12) طبقات النحاة واللغويين/ ٣١٥

الموضوعية والمنهجية، فكيف يمكن إذن ان نحكم على رجل كالزمخشري حكما صائبا او قريبا من الصواب،وكيف نستطيع ان ننصفه فننزله منزله الذي يستحقه بين ذلك الحشد الضخم من العلماء؟

نعم، ان هذه احكام عامة فعلا ، وقد اطلقت اطلاقا دون تخصيص او تقيد،ولا يستطيع المباحث المنصف ان يعتمد عليها او يطمئن اليها، وانما يتجاوز الى الموضوعية المحضة فحين يريد ان يحكم على علام من العلماء ، نراه يتتبع آثاره ثم يتناول كل أثر على حدة، فيخصه بالدراسة والتحليل،ويعرضه على جهود العلماء الذين سبقوه ، ثم يطلق الحكم عليه بعد ذلك .

ومع هذا ، فانه لا يستطيع اهمال الاراء التي قيلت عن الشخصية التي يدرسها اهمالا تاما ، بل انه يجمع هذه الارراء ، ويقلب النظر فيها ، ويستانس بها، ويتخذ منها شبهة دليل يستعين به على توثيق حكمه وتصديقه.

ولو حاولنا ان نطبق هذا المنهج العلمي على مصنفات الزمخشري التي بين ايدينا لطال المقام ، ولخرجنا من ثم عن جادة البحث. من هنا ، فسوف نكتفي بتناول مصنفين من مصنفاته هما: اساس البلاغة والكشاف، فنبرز مكانتيهما بين سائر المصنفات التي في بابهما بايجاز شديد ، وندعهما يتحدثان عن صاحبهما ، ويلقيان الضوء الساطع عبى شخصيته العلمية، ويكشفان النقاب عن جهوده، حتى نستطيع ان نفرد لجار الله مكانا علميا مناسبا بينا اقرانه من العلماء . ثم نعزز هذين المصنفين بثالث، ذلكم هو كتاب: " المفصل في صنعه الاعراب " – موضوع هذه الدراسة– الذي سوف نبسط القول فيه بشئ من التفصيل في الباب الثاني من البحث.

اننا لا نستطيع ان نشك بان الزمخشري عد احب اللغة العربية حبا جما ، وبانه قد برع فيها وتبحر في علومها، وحذع مجازها وبيانها، وكتب في نحوها وصرفا، واجاد في كل ماكتب. وقد مكنه حذقه له ان يستن سنة جديدة في وضع المعاجم اللغوية التي تلزم الترتيب الهجائي التزاما كلياً [1]ولم يكن الامر كذذلك من قبلن فاخليل بن احمد الفراهيدي– اول من صنف معجما لغويا في تاريخ اللغة العربية[2] جمع كثيرا من الفاظ اللغة ورتبها حسب مواطن مخارجها من

---

[1] الموسوعة العربية الميسرة/ ٩٢٦

[2] بغية الوعاة / ١/ ٥٥٧، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة / ٧٩

الحلق فاللسان فالاسنان ثم الشفتين، واورد احرف العلة في آخر الكتاب، وسمي كتابه " العين" ، لانه بدأه بحرف العين.

وسار بعض مؤلفي المعاجم على نهج الخليل، من هؤلاء: ابوعلي القالي(ت:٣٥٦هـ) في "البارع" والازهري (ت:٣٧٠) في: "تهذيب اللغة ، وابن سيدة (ت:٤٥٨هـ) في "المحكم" ، واتجه بعض اللغويين في ترتيب معاجم اتجاهين آخرين:

اولهما: يمثله ؟: يمثله الجوهري (ت: ٣٩٨ هـ) في معجمه: " تاج اللغة وصحاح العربية " حيثص رتب الألفاظفيه حسب أواخرها، وسار على نهجه ابن منظور في: لسان العرب " و الفيروز أبادي في: " القاموس المحيط "

الاتجاه الثاني: يمثله أحمد بن فارس (ت: ٣٩٠) في: " المجمل " و " المقاييس " حيث رتّبه على أساس الحرف: الأول و الثاني و الثالث، الاّ انه التزم في ترتيبه الهجائي ما يلي: الحرف الاول من حروف الهجاء الى ان يبلغ حرف الياء " . ثم يعود بعدئذ فيذكر ما بعد الحرف الاول بدءا من الهمزة و انتهاء بالحرف نفسه، فمثلا، حين يعقد فصلا لحرف اللام، يذكر: اللام مع الميم، ثم ينتقل الى: اللام مع النون، وهكذا، حتى تنتهي حروف الهجاء ثم يعود الى اللام مع الهمزة، ثم ينتقل الى اللام مع الباء، وهكذا حتى يصل الى حرف اللام .

ثم جاء الزمخشري فصنّف معجمه: " أساس البلاغة " ورتبه ترتيبا هجائياً يتميّز بالدقّة و السهولة . وقد بين ذلك في مقدمة الكتاب، فقال: " وقد رُتّب الكتاب على أشهر ترتيبِ متداولا ً، و أسهله متناولاً، يهجم فيه الطالب على طُلبته موضوعةً على طرف الثّمام وحبل الذراع، من غير أن يحتاج في التنقير عنها الى الإيجاف و الايضاح، والى النظر فيما لايوصل الاّ بإعمال الفكر اليه، وفيما دقّق النظر فيه الخليل و سيبويه ... " .

وقد أورد الزمخشري المعاني الحقيقية للألفاظ وعزّزها بالمعاني المجازية، وذكر تصاريف الألفاظ و مشتقاتها وجموعها ومزيداتها، ومعاني كل منها متدرجا بعض وراء بعض، وبسطها في عبارات تفصح عن معانيها، وتميّز مجازاتها من حقائقها، سواء اكانت هذه العبارات شعرا ام نثرا، قديمة ام محدثة، دون التقيد بعصر الاحتجاج، لانه يهدف الى ايراد الكلمة في نصّ بليغ يكشف عن أسرار اللغة ووجوه اعجازها، بقطع النظر عن قدم النص أو حداثته .

وقد نهج كثيرٌ من مؤلفي المعاجم نهج الزمخشري مقتفين أثره في الترتيب الهجائي كالفيومي (ت: ٧٦٦ هـ) في " الصباح المنير " وبطرس البستاني في:" محيط المحيط "، وسعيد الشرتوني في: أقرب

الموارد"، وجمع اللغة العربية في: "المعجم الوسيط" . ويحسن بنا –في هذا المقام _ أن نورد أمثلة من كتاب: "الاساس "نتبين من خلالها أسلوب الزمخشري في تناول مادته اللغوية .

قال في مادة: "شمط "[1]: "رجل اشمط، و أمرأة شمطاء، وقالوا: شمط الرجل في فيه لحيته، وشمطُ المرأة على رأسها، يقال: شمطاء، ولا يقال: شيباء، وشَمَطَ بين الماء و اللبن أي خلط ، وشمطَ ماله: خلط حلاله مع حرامه، واياك ان تشمط أباعرك الى اباعر فلان، وانه لشميط الذّنابي: فيها سواد و بياض، وطرح في برمته الشَمِط – بالفتح والكسر – أي: التابل، وهذه قدر تسع الشاة بشمطها .وجاءت الخيل شماميط: فرقاً .

ومن المجاز: طال الشميط، وهو الصبح، قال:

وأعجلَها عن حاجةٍ لم تفه بها   شميطٌ يتلّي آخر الليل ساطعُ

وكان يقول أبو عمرو لاصحابه: أشمطو، أي: خوضوا في الفنون، مرة في نحو، ومرة في فقه ومرة في حديث". وقال في مادة "حسر [2] حسر عن ذراعيه: كشف، وحَسر عن ذراعيه: كشف، وحَسَر عمامته عن رأسه، وحسر كُمّه عن ذراعه، وحسرت المرأة درعها عن جسدها، وكذلك كل شيء كُشف فقد حسر، وامرأة حسنة المحاسر، وانحسر عنه الظلام وتحسّر، وتحسّر الوبر عن الابل، والريش عن الطير، وحسّرت الطير: أسقطت ريشها، ورجلٌ حاسر: مكشوف الرأس، وحسرت على كذا، وتحسّرت عليه، ويا حسرتا عليه، وحسّرني فلان، وحسّرت الدابّة فهي حسير، ودواب حسرى، وحَسَرِت الدّابة بنفسها حُسُوراً وحَسِرتْ – بالكسر – .

ومن المجاز: فلان كريم المحسَر – بفتح السين وكسرها – أي: المخبر، وحَسَر البصر من طول النظر فهو محسور وحسير، وحسَر النظر بصري، وحَسِر البصر – بالكسر – فهو حسير، نحو علم فهو عليم، وهو من باب: فَعَلْتُه نَفْعِلُ، و أرض عارِيةُ المحاسر: لا نبات فيها، قال الراعي:

وعاريةُ المَحاسِرِ أمّ وحشٍ   ترى قطع السِمام بها غرينا

وحسرت الريح السحاب، وحسر الماء: نضب، وحسرَ قناعَ الهمّ عني .

ومما يعزّز قيمة "الاساس العلمية" و يجعله أثيرا لدى كثير من المهتمين بأمر اللغة، و العاكفين على دراستها، تلك المصادر التي استقى منها مادته . وقد أعفانا الزمخشري من البحث عن هذه المصادر فذكرها حين قدّم للكتاب، قال ... فليت له العربية وما فصح من لغاتها، وملح من بلاغتها، وما سمع الاعراب في بواديها، ومن خطباء الحلل في نواديها، ومن قراضبة نجد في

---

[1] اساس البلاغة / ٥٠٤ – ٥٠٥

[2] نفسه / ١٧٣ .

اطلاتها ومراتعها، ومن سماسرة تهامة في اسواقها ومجامعها وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة ، وما تزاملب به سفراء ثقيف وهذيل في ايام المفاتنة ، وما طولغ في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع الفاظ مفتنة وجوامع كلم في احشائها مجتنة" ويمكن اجمال المصادر التي اعتدها جار الله في تصنيف كتاب " اساس البلاغة" بما يلي:

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي الشريف.
- اقوال الصحابة وغيرهم من الفصحاء كعمر وعلي.
- الأمثال العربية، نحو" آبل من حنيف الحناتم" في مادة: "ابل"
- العبارات والاقوال المسموعة عن العرب، كقوله في مادة: "أزم" وتقول العرب: أصل كل داء البردة ، واصل كل دواء الازم. وفي مادة: "أسل": وقال اعرابي لآخر: كيف كانت مطرتكم أأسلت أم عظمت؟
- شعر المولدين، كقوله في مادة: " أهب " قال ابو نواس في طردياته:

تراه في الحضر إذا هاها به كأنما يخرج من إهابه

- ما سمعه بنفسه من العرب، كقوله في مادة: " أهل": قال وهو مستاهل ، وسمعت أهل الحجاز يستعلمونه استعمالا واسعاً"
- مصنفاته ، كقوله في مادة: "حدب" وفي نوابغ الكلم: من كان آدب كان رحله أجدب"
- المعاجم العربية القديمة وما رواه اللغويون قبله. قال في مادة: "أكل" وفي كتاب العين: الواو في " مرئي" أكلتها الياء لان أصله: مرووي. وقال في مادة:"بضض": الاصمعي: ابيض: بض ولهق بمعنى واحد وهو الشديد البياض ، وقال ابن دريد: هو الناصع اللون في سمن ، وقال المبرد: هو الرقيق البشره الدي يؤثر فيه كل شئ[1] ويبالغ الشيرازي حين يقرر ان الزمخشري قد اعتمد على معاجم اللغة كلها في تأليف الاساس ، وخاصة الغين والجمهرة[2] ولخص المصنف خصائص كتابه حين قدم له فذكر ان من خصائص هذا الكتاب: " تخيرما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين، او ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن ،ولا تنقبض عنه الالسن لجريها رسالات على الاسلات ، ومرورها عذبات على العذبات "

---

[1] انظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٥٠ -١٥١ وانظر ايضا: اساس البلاغة / مادة: جسر ، جشأ

[2] الزمخشري اللغوي/ ٢٤٠

- و" التوقيف على مناهج التركيب والتاليف ، وتعريف مدراج الترتيب والترصيف بسوق الكلمات متنا متناسقة لا مرسلة بددا ، ومتناظمة لا طرائق قددا ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية الى مراشد حر المنطق، الدالة على ضالة المنطيق المفلق".
- و" تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح، بافراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح".

ومن ابرز الظواهر في " اساس البالغة" ظاهرة افراد الحقيقة عن المجاز التي تشيع في الكتاب شيوعا ظاهرا. قال الدكتور حسين نصار: " واهم الظواهر في الاساس: عنايته الشديدة بالمجاز حتى افرد له قسما خاصا في اكثر المواد، فصله عن الفسم الذي يتناول المعاني الحقيقية. بل نثر كثيرا من العبارات المجازية ايضا في هذا القسم الحقيقي. و" الاساس " المعجم الوحيد في العربية الذي يعني بهذا الجانب حتى يأثر به أصحاب المعاجم المتأخرة" [1] وذكر الاستإذ امين الخولي [2]: ان سر خلود هذا المعجم يرجع الى عنصرين: " واول هذين العنصرين هو: اثر الاستعمال في حياة الكلمة، وتعيين دلالتها وتحديد معناها ، فيتخير الزمخشري ما انطوى تحت استعمالات المفلقين

- كما يقول- يعطينا مواد المعرفة استعمال الكلمات حتى القرن السادس ، وينير الطريق لمن يحاول تأريخ الدلالات تأريخا يعرف اهمية من يتصدى للدرس الادبي.

وثاني العنصرن الذين يقدمه الزمخشري باساسه الى أصحاب فن القول،هو: شئ عن ايحاء الكلمة ووقعها على نفس سامعها، فان اصحاب هذه العناية الفنية يقررون ان الدلاله المعجمية المجردة التي يقدمها المعجم عادة اصحاب هذه العناية سردا غير لافت الى شئ من التراكيب الحسنة .. هذه الدلالة المعجمية المجردة ليست هي كل دلالة الكلمة ، بل ليست الدلالة الادبية التي تحمل عنصر التأثير النفسي للكلمة وما لها من وقع على سامعها ... فابو القاسم حين لا يكتفي بسرد الكلمة المفردة والى جانبها معناها المجرد الذي ليس الا الهيكل العظمي لدلالتها ، بل يقدمها في تركيب ونهدى الى مراشد حر المنطق .. انما يهدينا الى شئ غير قليل من مصادر ايحاء اللفظة واثرها النفسي الذي هومعيار تقديرها الادبي ، ووسيلة تقويم النظم الفني... وتلك – ما اليها – هي الميزة او المزايا التي تجعل معجما كاساس البالغة يحيا حياة غير اثرية يوم تنتصر الحياة ويخرج المعجم الجديد الصالح للبقاء الذي يجعل المعاجم اثرية فحسب" من خلال هذا المنهج

---

(1) المعجم العربي/ ٦٦١

(2) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٥٧ – ١٥٨

الحافل بالعلم والثقافة، يلوح لنا كتاب: "أساس البلاغة" وقد احتل مكان الصدارة بين المعاجم العربية.

وقد عرف العلماء – على اختلاف عصورهم – فضل الكتال فاشادوا بقيمته العلمية، واثنوا على جهد مصنفه . يقول ابن حجر العسقلاني [١]: ان الزمخشري في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام، وكتابة من احاسن الكتب، وقد اجاد فيه، وبين الحقيقة من المجاز في الالفاظ المستعلمة افرادا وتركيباً".

ويشيد صاحب كشف الظنون بالكتاب فيصفه بانه[٢]: "كتاب كبير الحجم ، عظيم الفحوى، من اركان الادب ،بل هو اساسه ، ذكر فيه المجازات اللغوية، والمزايا الادبية،وتعبيرات البلغاء على ترتيب موادها" ويقول جرجي زيدان [٣] " هو معجم في اللغة العربية لا مثيل له في طريقة ، لانه يبحث على الخصوص في استعمال الالفاظ ومواقعها من الجمل بقطع النظر عن معانيها المستقلة واشتقاقها، فإذا اراد شرح مادة ، اتاك بجملة فيها تلك المادة في مواضعها من الاستعمال الالفاظ ومواقعها من الجمل بقطع النظر عن معانيها المستقلة واشتقاقها ، فإذا أراد شرح مادة ، أتاك بجملة فيها تلك المادة في موضعها من الاستعمال، وهو جزيل الفائدة" أما طه الراوى فيجعله[٤] أحسن كتاب ألف في بابه، ويشرح فيه الالفاظ بادخالها في جمل هي غاية في البلاغة ، ويفصل استعمال الالفاظ على وجه الحقيقة ، ثم على وجه المجاز، ولو كان فيه شئ من التوسع لما فضله معجم من المعاجم التي سلك فيها مؤلفوها المسلك اللفظي" ويقول الدكتور فاضل السامرائي[٥] "أساس البلاغة معجم متميز عن بقية المعجمات لم يرلف قبله ولا بعده مثله في حدود علمنا، ولم يؤلف على طريقته معجم آخر ، ولذلك بقي متميزا سهل الترتيب ، لا تغني عنه المعجمات الاخرى، وهو ايضا لا يغني عنها " وهؤلاء الشهود جميعا يكفون من وجهة نظرنا على الاقل – لاصدار حكم ايجابي على الكتاب، ووضع صاحبه في موضع ممتاز في علوم اللغة والبلاغة والادب. أما كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل فغني عن البيان والتعريف لانه معلم من معالم تفسير القرآن الكريم ، بل هو علم مصنفه.

---

[١] لسان الميزان/ ٦/ ٤

[٢] كشف الظنون/ ١/ ٧٤

[٣] تاريخ اداب اللغة العربية/ ٣/ ٤٩ ،وانظر: اللغة العربية وعلومها / ٨٥

[٤] تاريخ العلوم العربية/ ١٠٣،وانظر: النظم العرآني في كشاف الزمخشري / ٣،ومن تاريخ النحو للافغاني/ ١٣٧-١٣٨

[٥] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٤٧

فحين يعرف بعض العلماء بابي القاسم يقولون [1] :

" الزمخشري صاحب الكشاف" ولما كانت المصادر التي يعتمدها المصنف – اي مصنف- في تصنيف كتابه يمكن أن تعطي فطرة واضحة عن قيمة الكتاب العلمية، فقد راينا – لذلك – ان نستعرض كتاب الكشاف استعراضا سريعا لنقف – من خلاله – على اهم المصادر التي رجع اليها الزمخشري حين صنف الكتاب، وعلى الرجال الدين أخذ عنهم مادته العلمية، قذلك – ولا شك – يدل على قيمة الكشاف، وعلى مكانة مصنفة العلمية،واهم هذه المصادر- على سبيل المثال لا الحصر:

اولا : مصادر التفسير:

- تفسير مجاهد [2] (ت:١٠٤هـ)
- تفسير عمرو بن عبيد المعنزلي، (ت:١٤٤هـ)، فهو ينتقل عنه قراءات وتفاسير[3]
- تفسيرابي بكر الاصم المعتزلي الذي كان معاصرا لابي هذيل العلاق(ت:٢٣٥هـ) إذ يروى الزمخشري عن الاصم ويرد عليه[4]
- تفسير الزجاج ، (ت:٣١١هـ) وقد افاد الزمخشري من تفسير الزجاج من ناحيتين:

اولاهما: التفسير اللغوي. والثانية: مجمل التفسير النقلي الذي صنفه الزجاج [5]

– تفسير الرماني، (ت:٣٨٤هـ): وقد تأثر الزمخشري بتفسير الرماني المسمي: " بالتفسير الكبير" [6] تأثرا ملموسا . ومن امثلة هذا التأثر قول الرماني في تفسير قوله تعالى[7] "يوم ينظر المرء" اي الكافر، لقوله:"انا انذرناكم عذابا قريبا"، " ما قدمت يداه" ، من الشر كقوله: "ذوقوا عذاب الحريق، ذلك بما قدمت أيكم" وتخصيص الايدى لان أكثر الاعمال يقع بها وان احتمل ان لا يكون للايدى من ذيل فيما ارتكب من الآثام" [8]

---

[1] البداية والنهاية/ ١٢م٢١٩، والنجوم الزاهرة/ ٥/ ٢٧٤، وشذرات الذهب/ ٤/ ١١٨ والعبر في خبر من غبر/ ٤/ ١٠٦

[2] الكشاف/ ١/ ٢٩٢، ٣٢٣- ، ٢/ ٣٤ ، ١٢٣،٣١٩ ، ٣٤٧ – ٣/ ١٢١، ٤٧٥- ٤/ ١٤٢، ٢٠٧

[3] الكشاف/ ٢/ ١٠٥ ، ٤٨٦ – ٣/ ١٣٨ ، ١٩٩. وهو يقول في عمرو بن عبيد: "وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وانصحهم" – الكشاف/ ٢/ ٤٨٦

[4] الكشاف / ٢/ ٦٩ ، ٤٦٢

[5] الكشاف / ٢/ ٦٧، ٧٠، ١١٨، ٢١٦، ٣٦٢، ٤٢٤، ٥١٥- ٣/ ١٠٣ ، ١٨٥، ٢٢١، ٤٤٤، ٥٣٤- ٤/ ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٣

[6] لم يبق من هذا التفسير الكبير الا تفسير جزء" عم " وهو من مقتنيات المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية.

[7] سورة النبأ/ ٤٠

[8] الرماني/ تفسير جزء عم / ورقة: ٢٨.

وقول الوخشري في تفسير اآية نفسها [١]: " المرء: هو الكافر، لقوله تعالى " انا أنذرناكم عذابا قريباً " و الكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم، ويعني: " ما قدمت يداه من الشر كقوله: " وذوقوا عذاب الحريق "- ذلك بما قدمت أيديكم – ونذبقه يوم القيامة عذاب الحريق " – ذلك بما قدمت يداك ... و قيل المرء عام وخصص منه الكافر ....

ويفسر الرماني قوله تعالى [٢]: " ثم السبيل يسره "فيقول [٣]: " نصب السبيل باضمار يسّره، ثم سهّل سبيل الخروج من بطن أمه أو بيّن له سبيل الخير و الشر .

ويفيد الزمخشري من تفسير الرماني هذا فيقول [٤]:، نصب السبيل بأضمار يسّر و فسره بيسر، و المعنى: ثم سهّل سبيله، وهو مخرجه من بطن أمه، أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي: الخير و الشّر [٥] تفاسير العلويين، فهو قد أكثر النقل عن: علي بن أبي طالب [٦]، وزيد بن علي [٧] و الحسين بن علي [٨] وجعفر الصادق [٩]، وكثير غيرهم [١٠]

---

(١) الكشاف / ٤ / ٢١١

(٢) سورة عبس / ٢٠

(٣) تفسير جزء عم / ورقة: ٤١

(٤) الكشاف / ٤/ ٢١٩

(٥) انظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٨٥ – ٨٩، واظر ايضا: القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية / ٢٢٥ – ٢٢٨ .

(٦) الكشاف / ١/ ٢٨٥، ٣٢٣، ٥١٧ – ٢/ ٧٩ / -٣٥٢- ٣/ ٣٦٥، ٤٦٧ -٤/ ١٨٧، ٢٣٠

(٧) الكشاف / ١/ ٢١٩ -٣٢٢ – ٥٠١ -٢/ ٣٥٢

(٨) الكشاف / ٤/ ٢١٩

(٩) الكشاف / ١/ ٥٨٤، ٦٤٠-٢/ ٣٥٢- ٤٩٦ – ٣/ ٧٧

(١٠) الكشاف / ٢٧٣، ٤٤٠، ٥٨١، ٦٤٥، – ٢/ ٩٠، ٥٠٢ – ٣/ ١٠١، ٣٥٤ – ٤/ ٢١٨ .

ـ أورد الزمخشري في: " الكشاف " كثيراً من آرائه الاعتزالية [(١)]، و قام بالرد على الفرق الاسلامية الأخرىكالمجبرة[(٢)] و الخوارج [(٣)] و المُرجئة [(٤)]الرافضة [(٥)] و المتصوّفة [(٦)] و الحشوية [(٧)] و المبطلة [(٨)] و غيرهم، ودفعه منهجه الفكريّ هذا الى الاطلاع على تفاسيرهم، وسمّى هذه التفاسير: البدعيّة [(١٠)]فكثيرا ما نجده يقول [(٩)]: ومن بدع التفاسير، و اهل البدع والاهواء .

وأفاد الزمخشري ايضا من تفسير كثير من الصحابة و التابعين كأبي بكر [(١٠)] وعمر [(١١)] وعثمان [(١٢)]، وعبد الله بن مسعود [(١٣)]و عبد الله بن عمر[(١٤)] و عبد الله بن عباس [(١٥)] و أنس [(١٦)] و مسروق [(١٧)] و قتادة [(١٨)] وعطاء [(١٩)] و الحسن البصري [(٢٠)] وغيرهم [(٢١)] .

وكان أوفر هؤلاء حظا لدى الزمخشري: ابن عباس، وابن مسعود، و الحسن البصري، فقد تردّدت أسماؤهم على جلّ صفحات الكشاف تقريبا .

---

(١) الكشاف / ١/ ٢٦٧، ٤١٩، ٢/ ٧٢، ١١٦ – ٤/ ١٩٥، ٢٢٨ .

(٢) الكشاف / ٢/ ١١٥، ٣٢٦، ٤٥٨، - ٤/ ٢٢٨

(٣) نفسه / ١/ ٤٥٤، ٥٦٨ – ٢/ ١٩٧

(٤) نفسه / ٣/ ١١٢

(٥) نفسه / ٢/ ٤١٨ – ٣/ ١٤٣

(٦) نفسه / ٤٢٤ – ٢/ ٣٥٣

(٧) نفسه / ١ / ٤٢١ – ٤٥٣ – ٢/ ٣٢٦

(٨) نفسه / ٢ / ٣٥٨

(٩) نفسه / ١/ ٤٣١، ٤٥٤، ٥٨٢، ٦٣٥ – ٢ / ١٠٣، ٣٢٤، ٤٩٠ –٣/ ١٧٥، ٢٥٨، ٣٧٤

(١٠) نفسه / ٣/ ٤٥٣ – ٤/ ٢٢٠

(١١) نفسه / ١/ ٢٨٩، ٥١٤ – ٢/ ٦٩ –، ١٤٥

(١٢) نفسه / ١ / ٥١٨ – ٢/ ٧٤ – ٣ / ٤٥٣

(١٣) نفسه / ١ / ٢٠٩، ٥٢٤ – ٢/ ٥٥ – ٣/ ٢٧٦

(١٤) نفسه / ١/ ٥١٧ – ٢/ ١٤٩ – ٣ / ٤٥٤ – ٤ / ٢٣١

(١٥) نفسه / ١ / ٢٧٤، ٥١٧ – ٢/ ١٠٥، ٣٤٣ – ٣/ ٤٥٤، ٥٣٧ – ٤/ ١٨٧، ٢٣٢

(١٦) نفسه / ١ / ٢٤١ –٣/ ٥٣٧ – ٤ / ٢٣٦

(١٧) نفسه / ١/ ٢٦١ – ٢ / ٨٤ – ٣ ٤٥٤

(١٨) نفسه / ٢ / ٨٤، ٣٢٥ – ٣ / ١٤١ – ٤ / ٢٢

(١٩) نفسه ١/ ٥١٧ – ٢ / ٤٨٠ – ٣ / ٣٥٣

(٢٠) نفسه / ١ / ٢٠١، ٥٢٥ – ٢ / ١١٠، ٣٣٩، - ٣ / ٣٧٤ – ٤ / ٧١

(٢١) نفسه / ١ / ٢٨٨، ٥١٧ – ٢/ ١٠٨، ٤١٧ – ٣/ ٣٦٦، ٤٩٧ – ٤/ ١٧٧، ٢٩١

ثانيا: مصادر الحديث

واستشهد الزمخشري بأحاديث نبوية كثيرة ساقها ليعضد بها وجهة نظره في أثناء تفسير للآيات، وصدَّر كل حديث منها بقول [1]:" وفي الحديث" . ولم يذكر من أسماء كتب الحديث التي رجع اليها إلاّ إسم كتابين ، هما: صحيح مسلم [2] ، وسنن أبي داوود [3] ، و إن كان الكشاف ينبيء أن صاحبه قد رجع الى مراجع أخرى في الحديث [4] إذ ورد فيه ذكر كثير لبعض رواة الحديث كعائشة [5]، وأبي هريرة [6] والزهرى [7] ومالك بن أنس [8]،وغيرهم .

ثالثاً: مَصادِرُ القراءات

وأفاد الزمخشري في القراءات من مصاحف القرّاء والأمطار التي كانت معروفة في عصره وقبل عصره، وهي:

- مصحف عبد الله بن مسعود [9] .
- مصحف أبيّ [10] .
- مصحف عثمان [11] .
- مصاحف أهل العراق [12] .
- مصاحف أهل المدينة [13] .
- مصاحف أهل مكة [14] .

---

(1) نفسه/ ٣٢٣، ٥٠٤، ٥٩٦ – ٢ / ١٣٨، ٤٦٢ – ٣ / ٣٦٠، ٥٤٨ – ٤ / ٢٩٤ .

(2) نفسه / ١ / ٢٦٥ .

(3) نفسه / ٣١٧ .

(4) منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٨٩ .

(5) الكشاف / ٢ / ٧٣، ٤٧٦ – ٣ / ٤٥٣ – ٤ / ١٤١، ١٧٦

(6) نفسه / ١ / ٣٩٨ – ٢ / ١٤٢، ٣٣١ – ٤ / ٢٣٦

(7) نفسه / ١ / ٢٧٩ – ٢ / ٧٣ – ٤ / ١٨٠

(8) نفسه / ١ / ٢٦٧

(9) نفسه / ١ / ٥٨٢ – ٢ / ٥٠٧ – ٤ / ٢٢٥

(10) نفسه / ٢ / ١٩٤، ٣٩٧ – ٤ / ٢٢٥

(11) نفسه / ٢ / ٣٩٧

(12) نفسه / ٣ / ٤٧٠

(13) نفسه / ١ / ٤٦٣ – ٣ / ٤٧٠

(14) نفسه / ٢ / ٢١٠ – ٣ / ١٧٨

- مصاحف أهل الشام [١] .
- بعض المصاحف الأخرى، كما يفهم من عباراته [٢]: ".. وفي بعض المصاحف" .
- سائر المصاحف الأخرى، كما تدلّ عباراتاه:" .. في سلئر المصاحف " [٣] و " .. اختلاف خط المصاحف " .

وتشهد سائر صفحات كتاب " الكشاف " على أن جار الله قد أتقن علم القراءات اتقانا ظاهرا اذ لاتكاد تخلو صفحة من توجيه قراءة، أو ذكر اسم قارئ أو أكثر . من ذلك - مثلا – قوله في تفسير الآية [٤]:" وقد بلغت من الكبر عتيّا ": " قرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين، وكذل:، صليّا، وابن مسعود بفتحها فيهما، وقرأ أبيّ ومجاهد: عسيا " .

وقال عند تفسير قوله تعالى [٥] " وقلن حاش لله ماهذا بشرا، ان هذا الا ملك كريم " ، " .. ومن قرأ سَلِيقَتِه من بني تميم، قرأ: "بشر " – بالرفع – وهي في قراءة ابن مسعود . وقرئ: ما هذا بشرى، أي: ما هو بعبد مملوك لئيم، تقول: هذا بشرى، أي: حاصل بشرى، بمعنى: هذا بشرى، وتقول: هذا لك بشرى أم بكرى، والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف، ومطابقة " بشر " للملك " . واعتمد الزمخشري في توجيه القراءات على آراءِ أكابيرِ القُرَّاءِ أبي عمرو بن العلاء [٦]، والأعمش [٧]، ويحيى بن وثّاب [٨]، وابن أبي عبلة [٩]، وابن عامر [١٠]، وابن كثير [١١]، والنخعي [١٢] وغيرهم [١٣] . وهذا يدل على أن الزمخشري قد رجع – حين صنّف الكشاف – الى كثير من كتب القراءات التي وصلت اليها يده .

---

[١] نفسه / ١ / ٤٨٥ – ٢ / ٢١٣

[٢] نفسه / ٢/ ٤٥٠، ٥٠٥ – ٣ / ٤٦٨

[٣] نفسه / ٢ / ٢١١

[٤] سورة مريم / ٨، والكشاف / ٢ / ٥٠٣

[٥] سورة يوسف / ٣١، والكشاف / ٢/ ٣١٧- ٣١٨

[٦] الكشاف / ١/ ٢٢٨، ٢٧٣ / ٥٩٢- ٢ / ١٤٥، ٣١٧ -٣/ ٢٥٤، ٥٣٥ .

[٧] نفسه / ٢/ ٧٩، ٣٨٧ – ٣ / ١٤٥، ٢٧٦ – ٤ / ١٨١، ٢٠٥ .

[٨] نفسه / ٢ / ٩٧، ٤١٧ – ٤ / ٢٦٢ .

[٩] نفسه / ١ / ٢٨٣ – ٢/ ٣٥٨ – ٣ / ١٣٥.

[١٠] نفسه / ٢/ ٥٤، ٤٨٥ – ٣ / ١٣٣ .

[١١] نفسه / ١/ ٢٦٤ – ٢ / ٤٧٦ – ٣ / ١٤٣ .

[١٢] نفسه/ ٢/ ١٥٥، ٤١٧- ٤ / ٧١، ١٨١ .

[١٣] نفسه / ١/ ٢١٩، ٢٦٢، ٣١٩ – ٢ / ٣٥٢، ٤٧٦ - / ٣٥٣، ٤٦٦ – ٤ / ٢٠٨ .

رابعاً: مصادر الفقه وأصوله:

وعزَّز الزمخشريُّ تفسيرَهُ لآيات القرآن بالأحكام الشرعية التي استند فيها إلى آراءِ أئمةِ الفقه كأبي حنيفة [1]، والشافعي [2]، ومالك [3]، وأبي يوسف [4]، وغيرهم [5]. واعتمدَ – أكثر ما اعتمد – على فقهاء المعتزلة وكتبهم، كواصل بن عطا[6]،والجبّاني، يدل على ذلك قوله[7]:" ولقد صنَّف شيخنا أبو علي الجبَّاني – قَدَّسَ الله روحه-غير كتابٍ في تحليل النَّبيذِ،فلما شَيَّخ وأخذتْ منه السنُّ العاليةُ قيل له: لو شَرِبْتَ منه مائتقوَّى به،فأبى،فقيل له:فقد صنَّفْتَ في تَحْليله،فقالَ:تناوَلتْهُ الدَّعارةُفهج في المروءة". واعتمدَ أيضاً على كُتبِ: المتكلمين والأصوليين، كما يُفْهَمُ من عباراته [8]:" وهو على اصطلاح المتكلمين

خامساً: مَصادِرُاللغَةِ والنحوِ:

واستعان الزمخشري – حين صنَّف الكشافَ- بكثيرِمن كتب اللغة والنحو منها:

- كتاب سيبويه الذي استشهد به كثيرا [9].
- كتاب: النوادر لمحمدبن زياد الأعرابي [10]، (ت: ٢٣١هـ)
- كتاب اصلاح المنطق، ليعقوب بن السكيت [11]، (ت: ٢٥٥ هـ)
- كتاب: الكامل لمحمد بن يزيد المبرد[12] وغيره من كتبه[13] (ت:٣٤٠هـ)
- الكتاب المترجم بكتاب: المتمم في الخط والهجاء لعبد الله بن درستويه[14] ، (ت:٣٤٧هـ)

---

[1] نفسه / ١/ ٣٢٤، ٥٢٢ – ٢/ ٤٨، ٣٥١ _ ٣/ ١٢٨، ٥٤٥ – ٤ / ٢٣٦ .

[2] نفسه / ١/ ٥٢٠ – ٢ / ٣٥١٠- ٣/ ١٤٥، ٥٤٥ .

[3] نفسه / ١ /٤٠٥، ٥٩٧ -٢ / ٤٨،١٥٨ .

[4] نفسه /٢/ ٤٦٦ – ٣ / ٢٣٣ .

[5] نفسه / ٢ / ٤٤٦ – ٣ / ٢٧٢ .

[6] نفسه / ١ / ٢٦٧ .

[7] نفسه /٢ / ٤١٧ .

[8] نفسه / ١ / ٣٨٤ .

[9] الكـــــشاف / ١/ ٧٩ ٨٣، ٩٨، ١٥٣، ٢٢٢، ٤١٧، ٥٨٢، ٦٣١، – ٢ / ١٠٧، ٢٥٦، ٣٦٢، ٤٥٦ -٣/ ٦٠، ١٩٢، ٢٣٩، ٣٥٩، ٤٧٢، – ٤/١٣٩، ٢٩٩ .

[10] الكشاف / ٢ / ٢٨١ – ٣ / ٤٥٩

[11] نفسه /٢/٥١٣-٣/ ١٤٠، ١٩٧.

[12] نفسه /٢/ ٣٢٣

[13] نفسه/٢/ ٥٠٥ ، ٥٠٧

[14] نفسه /١/ ٩٥

- **كتاب: الجمل ، لعبد الرحمن بن اسحق الزجاجي[(١)] ،(ت:٣٤٠هـ)**
- **كتاب: الحجة لابي علي الفارسي [(٢)]، (ت: ٣٧٧هـ)**
- **كتابا: التمام [(٣)]،والمحتسب[(٤)] لعثمان بن جني(ت:٣٩٢هـ)**
- **كتابا: التبيان ، لابي الفتح الهمداني[(٥)]**
- **كتابا: الاقليد ، ذكره الزمخشري ثلاث مرات، بقوله[(٦)]:" ..وروى الاقليد "و".. وفي رواية صاحب الاقليد .." و"قال صاحب الاقليد.. دون أن يذكر اسمه، وبحثنا عن اسم صاحب الاقليد هذا فلم نعثر عليه .وأفاد الزمخشري أيضا من آراء كثير من أئمة اللغة والنحو من أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي[(٧)] ويونس بن حبيب. وغيرهم [(٨)] . كما أفاد من آراء مدرستي: الكوفة و البصرة . واستشهد – في أثناء تفسيره لآيات القرآن – بلغات بعض قبائل العرب كهذيل وحمير وتميم [(٩)] وكلب [(١٠)] و أهل نجد [(١١)] و عُمان [(١٢)]و تهامة[(١٣)] و الحجاز . واستشهد أيضاً بأمثال العرب [(١٤)] و بما يروى عنهم كأن يقول: .. [(١٥)] عن بعض العرب .. وفي كلام بعض العرب [(١٦)] وغير ذلك [(١٧)] ، و استعان ايضا بما سمعه بنفسه عن بعض العرب، كقوله في تفسير قوله تعالى [(١٨)] " وكذبوا بآيات الله كذابا ": " كذّابا: تكذيبا، و فعّال في باب فعل كله**

---

(١) نفسه / ٢/ ١١٣

(٢) نفسه/ ١/ ٧٩،٢٧٩

(٣) نفسه/ ٢/ ٥٠٥

(٤) نفسه/ ٢/ ٥٢٣،وانظر:١/ ٣٠٠- ٢/ ١٤٧

(٥) نفسه / ٣/ ٢٦٠، ٣٧٣

(٦) نفسه/ ٢/ ٣٩٤

(٧) نفسه / ١/ ٦١ ، ٨٧ ، ٢٤٨ – ٢/ ٢٦٦ ، ٢٧٣، ٥١٩- ٣/ ١٩٢، ٣٥٩ – ٤ / ٢٩٢

(٨) الكشاف / ١/ ٨٦ – ٢/ ٣٠٥، ٣٥٦ -٤/ ١٦٦، ٢٠٨

(٩) نفسه / ٣ / ١٥٦ – ٢٥٥

(١٠) نفسه / ٣ / ١٩٤

(١١) نفسه / ٢ / ٣٧٩ – ٥٠٧

(١٢) نفسه / ٢ / ٣١٩

(١٣) نفسه / ٨٧

(١٤) نفسه / ١ / ٢٦٣، ٤٢٧، ٤٨٤، – ٢ / ١٠٥، ٤٥٦، ٤٧٤ – ٤ /٢١٥، ٣٠١

(١٥) نفسه / ١ / ٢٤٦ – ٣/ ٤٨٢ – ٤/ ٢٠٩

(١٦) نفسه / ١ / ٢٦٢ – ٣ / ١٠١ – ١٣٦

(١٧) نفسه / ٢٩٢ – ٢ / ٣٢٥ – ٣/ ١٤٠ -٤٦٩

(١٨) سةورة النبأ / ٢٥ / والكشاف / ٤ / ٢-٩

فاشٍ في كلام فُصحاءِ من العرب لا يقولون غيره، و سمعني بعضهم أُفسّر آية فقال: لقد فسرتها فِسّارا ما سمع بمثله .

سادسا: مَصادر الأدب:

ورجع أبو القاسم أيضا الى بعض كُتب الأدب منها:

- كتاب: ديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بم أوس الطائي [١]
- بعض كتبه، نوابغ الكلم [٢]، وشافي العيّ من كلام الشافعي [٣] و النصائح الصغار [٤] .
- دووابن الشعراء القدامى كأمرىء القيس [٥]، والأعشى [٦] وعبيد بن الأبرص [٧]
- و لبيد [٨] وذي الرمة [٩] وغيرهم [١٠] .
- دووابن الشعراء المحدثين، كأبي نواس [١١] و أبي تمام [١٢] و أبي الطيب المتنبي [١٣] وغيرهم [١٤] و يبدو أنه رجع أيضاٍ الى بعض مؤلفات ابن المقفع [١٥] و كتاب الاصنام لابن الكلبي [١٦] و الى كتب الاخبار [١٧] و بعض الكتب الاخرى [١٨] .

---

[١] نفسه / ١ / ٥٧، ٢٦٢، ٤٠٤، ٢/ ٢٩٧ – ٣ / ١١٥ – ١٢٠ – ٢٤٦ – ٤٩١ .

[٢] نفسه / ٣٩٣ – ٢ / ٩٣

[٣] نفسه / ١ / ٤٩٨

[٤] نفسه / ١ / ٤٨٧

[٥] نفسه / ١ / ٢٦٢ – ٢/ ٥٣٢

[٦] نفسه /١/ ٥١٠ – ٥٩٣ – ٢/ ١٣٣ – ٣/ ٤٠٤

[٧] نفسه / ٢٩٥ – ٤٧٥

[٨] نفسه / ١ / ٢١٣ ٦١٠ – ٢ / ٣٦٤ – ٣ ٦٤ – ٣ / ١٢٨ – ٤/ ٦٤

[٩] نفسه / ١ / ٤٩٤ – ٣ / ٣٢٠ – ٤/ ٤١

[١٠] نفسه / ١ ٢١٦، ٢٥٥، ٥٩٠، – ٢/ ٢٥٢، ٣٦٠ – ٣/ ٢٨٩، ٣٥٩، ٣٨٩ .

[١١] نفسه / ٣ / ١٥٣ – ٤/ ١٩٩

[١٢] نفسه / ١/ ٢٠٥، ٦٢٣، ٣/ ٤٧٧

[١٣] نفسه / ١ /٤٦٢ – ٢/ ٣٥٢ – ٣/ ١٤١ – ٤/ ١٧٨

[١٤] نفسه / ١ / ٢١٥، ٤٢٦ – ٢/ ٣٠، ٥٠٧ – ٣/ ٥١٠ -٤/ ١٩٩، ٢٠٤ .

[١٥] نفسه / ٣ / ١٤٦ .

[١٦] الكشاف / ٣/ ٨٤ .

[١٧] الكشاف / ٢ / ١٥٩ ، ٣٩٩، ٤٨٥، ٥٢٢ – ٣/ ١٦٣، ٥٤١ – ٤/ ١٣٩، ١٤٠ .

[١٨] نفسه / ١/ ٤٢٢

وقد تضافرت عوامل عديدة مكّنت الومخشري من أن يبدع في تفسيره للقرآن الكريم و في تعليل ما يفسّر أيضا . و أول هذه العوامل أنه كان معتزليا قويا في إعتزاله، فكان لهذا متمكنا من علم الكلام، مبدعا في الجدل و الحجاج، وتوجيه النصوص، وثانيهما: أنه كان أديبا ذوّاقه يحسن التعبير عما يعتمل في نفسه من ثقة و قوة وثالثهما: أنه كان شخصية اسلامية قوية،يؤمن بمبدئه ايمانا جازما عن يقين . و لهذا، كان طبيعيا أن ينذر نفسه لخدمة الاسلام، ونشر مفاهيمه، و الدفاع عن أفكاره .

والشواهد على ابداعه في التعليل كثيرة في كتاب الكشاف، من ذلك – مثلا – قوله في تفسير قوله تعالى [1] " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ": "فأن قلت لم يأتيهم العذاب من الغمام؟ قلت: لأن الغمام مظنة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب، كان الأمخر أفظع و أهول، لأنّ الشرّ اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم . كما أن الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسرّ، فكيف اذا جاء الشرّ من حيث يحتسب الخير ؟ لذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث، ومن ثمّة اشتدّ على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله [2]: " وبدا لهم من الله ما لم يكونو يحسنون، " ولما كان الزمخشري معتزلياً، كان عليه أن يتبنى أفكار المعتزلة، و أن يلتزم جادّتهم في التفكير، وكان عليه أيضا أن يحتكم الى العقل في معالجة المسائل و الوقائع و الأحداث .

ومن هنا، أنه أثبت أراءه الاعتزالية في تفسيره، فنفى حدوث رؤية الله ورؤية الجن، ورفض الحسد على أنه قُدرةٌ من الحاسد على التأثير على المحسود، وردّ تأثير السِّحر في المسحور وفق ما يبغي الساحر، و أنكر نظرية الحب الإلهي التي يقول بها المتصوفة [3] و ما الى ذلك من الافكار التي تبناها المعتزلة وجادلوا الناس بها – من ذلك مثلا – أنه قال في تفسير قوله تعالى [4] " ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد ": " إذا ظهر حسده و عَملَ بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثره ما أضمره، فلا ضرر يعود منه على حسده . بل هو الضار لنفسه لأغتمامه بسرور غيره . وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من من حاسدٍ، و يجوز أن يراد بشرّ حاسد : إثمه و سماجة حاله في وقت حسده و إظهار أثره .

---

(١) سورة البقرة / ٢١٠ و الكشاف / ١ / ٣٥٣

(٢) سورة الزمر / ٤٧

(٣) سورة آل عمران / ١١/ و الكشاف / ١ / ٤١٥ / و انظر: الكشكول / ٢ / ٩٥

(٤) سورة الفلق / ٥ و الكشاف / ٤/ ٣٠١ .

ونثر الزمخشري آراءه البلاغية على صفحات الكشاف، و قسّم هذه الأراء الى معانٍ و بيان، و جعل البديع تابعا لهما و حلية . و جاراه في هذا التقسيم السكاكي و من جاء بعده من العلماء الى وقتنا هذا [١] .

والشواهد على هذه الآثار كثيرة كثرة واضحة، من ذلك مثلا – قوله في تفسير قوله تعالى [٢]: " الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ..... ": "النقض " الفسخ و فكّ التركيب، فان قلت: من أين ساغ استعماله في إبطال العهد ؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين .... ومن أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشي المستعار، ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه، فينبّهوا بتلك الرمزة على مكانه، ونحوه قولك: شجاع يفترس أقرانه، و عالم يغترف من الناس، لم تقل هذا الاّ ونبّهت على الشجاع و العالم بأنهما أسد و بحر ...

ومن يدرس تفسير " الكشاف " بإمعان، يخرج من دراسته له بحقيقتين اثنتين:

إحداهما: أنه استوعب كل ما كتبه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: " دلائل الاعجاز " و " أسرا البلاغة " قبل أن يشرع في تفسير القرآن الكريم، ومن قواعد المعاني و البيان، فقد إتخذ أبو القاسم من آي الذكر الحكيم أمثلة و شواهد يوضّح بها كل قواعد عبد القاهر البلاغية، سواء ما إتصل منها بعلم المعاني أو بعلم البيان، على أن جهود جار الله في البلاغة لم تقف عند حدٍّ تطبيق آراء عبد القاهر في تفسير الكشاف، و انما وصل هذا التطبيق بكثيرٍ من آرائه التي تشهد على تعمُّقه و علوّ كعبه، و فِطنته تصوير الدلائل البلاغية، كما تشهد على إحاطته بخواصِ العبارات و الاساليب، و حتى لو أنه إكتفى بذلك لكان حسبه مساهمةً في تطوير علمي: المعاني و البديع، ولكنا نراه رؤي العين يضيف الى مباحث هذين العلمِين ما له من آراء، و يستكمل كثيرا من شعبها و دقائقها و مقاييسها [٣]

---

[١] الزمخشري / ٢٩٨، و انظر: النظم القرائني في كشاف الزمخشري / ١٥٣ – ٢٠٠، ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٤ .

[٢] سورة البقرة / ٢٧، و الكشاف / ١ / ٢٦٨ .

[٣] عبد العزيز عتيق / علم البيان / ٢٩ – ٣٠ .

وليس هذا فحسب، بل ان لراعته اللغوية في دقة اختيار الكلمة من حيث دلالتي[1] ادتها وصيفتها برزت واضحة على صفحات الكشاف، وكان لها تأثير السخر على العلماء الذين جاءوا من بعده، وعلى الدارسين الذين اكبوا على تفسيره وانتفعوا به، من ذلك على سبيل المثال – قوله في تفسير قول الله تعالى [2]: "فلما أضاءت" ؟ ويجب على هذا التساؤل بأن ذكر النور ابلغ، لان الضوء فيه دلالة على الزيادة ، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ، والغرض: ازالة النور عنهم وطمسه أصلاً، ألا ترى كيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان ، وهو قوله: "لا يبصرون".

وقال في قوله تعالى[3]: "فكبكبوا فيها هم والعاوون": "الكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى ، كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرةٍ حتى يستقر في قعرها" . ومما يدلك على مكانته ما قاله التفتازاني في حاشيته على الكشعف تعليقا على قول الزمخشري[4]: " لم يكن بتلك الوكادة" اى: التأكد ، قال: ولا يوجد في كتب اللغة ولا استعمالات العرب الا ان المصنّف ثقة في اللغة فكفى استعماله ، وهو مصدر من: وكد وكده ، اى: قصد قصده ، استعمله في التأكيد لما بينهما من التلبّس" .

هكذا كان ابو القاسم قويا في تفسيره لبلاغته وبيان بلاغة القرآن واعجازه ، وفي تمكنُه من اللغة والاساليب حتى إن أهل السنة لم يستطيعوا أن يتخلُوا عن الكشاف ، بل تداولوه وانتفعوا به ، واستخدمه كلُ المفسرين الذين جاءوا بعده تقريبا[5]. فقد اختصر البيضاوي ناصر الدين عبدالله بن عمر الشاعفي تفسيره من "الكشاف" إلا أنه ترك ما فيه من آراء اعتزالية ، وقد وقع فيه صاحب الكشاف نفسه من ذكره في نهاية كل سورة حديثا في فضلها ، وما سيلقى قارئها من الاجر والثواب عند الله ، وقد عرفنا أن هذه الأحاديث موضوعة باتقان أهل الحديث[6] .

و إختصر ابو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي كذلك تفسيره في تفسيري: البيضاوي و الزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف " من الاعتزال، وجرى في تفسيره على

---

[1] انظر: النظم العراني في كشاف الزمخشري/ ٣٣

[2] سورة البقرة/ ١٧، والكشاف/ ١/ ١٩٨

[3] سورة الشعرء/ ٩٤، والكشافم ٣/ ١١٩

[4] حاشية التغتازاني على الكشاف/ ورقة:١٤٦ ، وانظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٧٧

[5] ظهر الاسلام/ ٤/ ٥٨

[6] التفسير والمفسرين / ١/ ٢٩٧-٢٩٨كط؟

مذهب أهل السنة و الجماعة، و ضمّن تفسيره أيضا على ما اشتمل عليه " الكشاف " من النكت البلاغية و المحسّنات البديعية، و الكشف عن المعاني الدقيقة الخفية [١] .

وكذا فعل النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد القمّي في تفسيره: غرائب القرآن و رغائب الفرقان"، فكثيرا ما ينقل الكشاف، ويشير الى هذا النقل بقوله: " قال في الكشاف " كذا و كذا " أو قال جار الله كذا و كذا [٢] .

وعلى الرغم من الخصومة العلمية التي كان يقفها أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي الشهير بأبي حيان بن أبي القاسم الزمخشري، و على الرغم من حملاته العنيفة الساخرة على آرائه الاعتزالية . فإنه كان يشيد بما له من مهارة فائقة في إبراز بلاغة القرآن و قوة بيانه، و يصفه بأنه أوتي من علم القرآن بأوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى و براعة اللفظ [٣] . ثم هو بعد ذلك أخذ عنه شيئا كثيرا، قال في مقدمة البحر المحيط: " فما كان في كتابي هذا من تفسير الزمخشري – رحمه الله – فأخبرني به أستاذنا العلامة: أبو جعفر، أحمد بن ابراهيم الزبير، قرءة مني عليه فيه [٤] .

واعتمد الشربيني و أبو السعود في تفسيرهما على كتاب " الكشاف " ايضا و أفادا منه إفادات جمّة[٥]، و أصبح " تفسير الكشاف " عمدة السالكين إلى رحاب التفسير، و نبعا يفيض على طلاب العلم بفيض غزير، وكثرت الشروح و التعليقات و المختصرات و الردود على الكشاف، و قد قام مصطفى الجويني و غيره من الدارسين باستقصائها استقصاء يغني عن إعادة ذكرها [٦] .

وشهد العلماء لصاحب " الكشاف " – حتى خصومه من أهل السنة و غيرهم – بالفضل و طول الباع في مضمار التفسير، و أثنو على الكشاف " نفسه قال ابن خلكان [٧]: ان الكشاف في تفسير الفرآن العزيز لم يصنّف قبله مثله .

---

(١) التفسير و المفسرين / ١/ ٣٠٥

(٢) نفسه / ١/ ٣٢٣

(٣) نفسه / ١/ ٣٢١

(٤) مقدمة البحر المحيط / ١ / ١٠، و انظر: القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية / ٢٣٧

(٥) التفسير و المفسرون / ١ / ٣٤٠ – ٣٤٦

(٦) انظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٢٦٨ – ٢٧٥، و الزمخشري / ٢٤٢ - ٢٤٤

(٧) وفيات الاعيان / ٥ / ١٦٨ .

وذكر القزويني أن الكشاف [1]: " في غاية الحسن لولا التعصبات الباردة على وقف الاعتزال " وقال الزركشي [2]:"..وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب، ويغلب عليه البيان"، وقال صاحب أزهار الرياض [3]: " ان كثيرا من الأئمة أغضى عن اعتزاله وانتفع بكشافه مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله " .

وقال عبد الله كنون [4]:".. له التصانيف البديعة التي دلّت على رسوخ قدمه في العلم بالعربية وأسرارها، ومنها تفسيره العظيم المسمى بالكشاف، أبرز فيه معاني القرآن وبلاغته بما لم يجاره فيه أحد"، وقال مصطفى الجويني [5]: " لم نر الزمخشري يشمخ بمؤلف له شموخه هذا بالكشاف الذي يحقّ أن نعدهّ ممثلا لنضجه العلمي، فقيه يبدو الزمخشري رجلا هضم التفسير النقلي، ووعي ما أثر فيه، كما روى الحديث وأتقنه، وأحاط خبرا بالمسائل الفقهية ودقيق الخلاف فيها، وألمّ الماما واسعا بالقراءات وفروق ما بينها، كما اطلع على مجموعة ضخمة من الشعر والنثر، ويبين فيه الزمخشري رجلا لغويا مقتدرا، ومتكلما منطقيا جدلا، وذواقة مرهف الحس لجمال النص القرآني، وهذه الخصائص – لا شك – وليدة ثقافته التي ثقف حياته كلها، فتفسيره انعكاس تمثّله من هذه الثقافات " .

ونختم هذه الأقوال بقول حاجي خليفة [6]:" ولما كان الكشاف هو الكامل في هذا الفن اشتهر في الآفاق، واعتنى الأئمة المحققّون بالكتابة عليه، فمن مميّز لاعتزال حاد فيه عن صوب الصواب، ومن مناقش له فيما أتى به من وجوه الاعراب، ومن محشّ وضّح ونقّح واستكشل وأجاب، ومن مخرّج لأحاديثه عزا وأسند وصحّح وانتقد، ومن مختصر لخص وأوجز ..".

ولذلك كله، فان ابن وهّاس قد أصاب فيما قال حين قال [7]:

فلا غَرْوَ أَنْ تَزهى زَمَخشَرُ بامرئٍ   إذا عُدّ من أُسْدِ الشَّرى زمخَ الشَّرا

ولم يجانب الخطيب الموفَق الصدق حين قال [1]:

---

[1] آثار البلاد / ٥٣٣

[2] البرهان في علوم القرآن / ١ / ١٣

[3] أزهار الرياض / ٣/ ٢٨٣

[4] أدب الفقهاء / ٦٩

[5] منهج الزمخشري في تفسير القرآن / ٧٩ – ٨٠، وانظر: ٦١ – ٦٢ من الكتاب نفسه

[6] كشف الظنون / ٢ / ١٤٨٤

[7] مقدمة ديوان الزمخشري / ورقة: ٢ – ظ، وانظر : شرح المفصل للأندلسي / ورقة: ٢ب، وأنساب /٦/ ٣١٥، ونزهة الألبا / ٣٩٣ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٥٦ .

إذا حلَ في أرض أتته فحولها   تفيد علوما حوله متحلِقة

وبعد ، فقد وجدنا أبا القاسم رأسا من رؤوس العلم ، ومفخرة من مفاخر الرجال المبدعين في التراث الاسلامي ، فهو لم يكن مبرزا في علم واحد ، بل برز في عدة فنون ، فصار إمام عصره في عدة علوم حتى لقب فخر خوارزم[٢]. ومن هنا ، فليس بدعا أن نفسح له مكانا رحبا بين العلماء والأكابر، وهل يستحق أدنى من هذه المنزلة من يقول[٣]:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي   من وصل غانية وطول عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة   أشهى وأحلى من مدامة ساقي
وصرير أقلامي على اوراقها   أحلى من الدُوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفنهتا   نقري لأنفي الرمل عن اوراقي
أأبيت سهران الدُجى وتبيته   نوما ، وتبغي بعد ذاك لحاقي

ونرى قبل أن نتتقل من سيرة الزمخشري الى سيرة كتابه " المفصل " – في الباب الثاني من هذا البحث – أن نختم حديثنا هذا عن خلق الزمخشري العلمي بقول تلميذه رشيد الدين الوطواط[٤]: " .. وقد جرى بيني وبينه في حياته وأوقات راحاته مما يتعلق بفنون الأدب وأقسام العرب ، مسائل أكثر من أن يحصى عددها أو يستقصى أمدها ، رجع فيها الى كلامي ، ونزل على قضيتي وأحكامي ، فالسعيد من اذا سمع الحق سكتت شقائق لجاجه، وسكنت صواعق حجاجه .. ثم يعدّد هذه المسائل ويقول: وانما ذكرت هذا القدر اليسير ليعلم فتيان هذه لبخطة أن هذا الامام كان صبورا على مرارة الحق وحرارة الصدق ، مع أنه ربّ هذه البضائع ، وصاحب هذه الوقائع ، فهو مع الحق ولو على نفسه " .

---

[١] الطبقات السنية/ ١٤١٨أ.

[٢] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١٤

[٣] شرح شواهد الكشاف / ٤/ ٣٠٩-٣١٠(نبذة من ترجمة المؤلف) ، وانظر:ظهر الاسلام/ ٤/ ٥٢-٥٣

[٤] محمد كرد علي/ رسائل البلغاء/ ٣٧٨-٣٨٠

الباب الثاني

المفصل ومكانته النحوية

التمهيد:

أولا: التطور التاريخي للنحو العربي حتى عصر الزمخشري

ثانيا: التطور الموضوعي للنحو العربي حتى عصر الزمخشري

أولاً: التطور التاريخي للنحو العربي حتى عصر الزمخشري

حظي التاريخ لنشأة النحو ومبتدئه وتطوره بعناية كثير من علماء قدماء والمحدثين وقالوا فيه فأطالوا القول، واختلفوا في كثير مما قالوا، وعبث الخيال والوضع بأقلام بعضهم فشطو في احكامهم ، ولذلك فنحن نعتبر اعادة القول في هذا الموضوع فضول، وكان بودنا أن نتجاوز عنه ونتخطاه ، ولكن ما حيلتنا وطبيعة البحث تملى علينا أن نبسط الحديث فيه؟ ولهذا فسوف نكتفي بما يمكن أن يعطي صورة واضحة عن نشأة هذا العلم وتدرجه الى عصر "المفضل" وصاحبه.

وحين استقرأنا المصادر التي أرخت لهذا العلم ورجاله وعنيت بتاريخ مولده، وجدنا - أول ماوجدنا – أن تاريخ منشئه غامض كل الغموض، ورأينا فجأة كتابا ضخما ناضحا ، هو كتاب سيبويه ، ولم نر قبله ما يصلح أن يكون نواة تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء ، وكل ما ذكروه من هذا القبيل لا يكاد يشفى غليلا[1]. ومن يقف على كتاب واحد أو كتابين اثنين من الكتب التي أرخت لحياة هذا العلم ككتاب "أخبار النحويين البصريين" وكتاب "نزهة الألبا" – مثلا- نطالعه فيهما روايات مختلفة متناقضة عن أوليته ونشأته.

يقول أبو سعيد السيرافي:[2]" اختلف الناس في أول من رسم النحو، فقال قائلون:أبو الاسود الدؤلي، وقال آخرون:نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال: الليثي ،وقال آخرون:عبدالرحمن بن هرمز".. بل ان منهم من عزا وضعه أو الأمر بوضعه الى: عمر بن الخطاب، وعلي بن ابي طالب، وزياد أبيه[3]. ويضيف القفطى الى هؤلاء جميعا: عبدالله بن عباس ،فقد روى خبرا غريبا في الانباه قال فيه[4]:"قيل: وأتى أبو الاسود عبدالله بن عباس فقال:إني أرى ألسنة العرب قد

---

[1] ضحى الاسلام/ ٢ / ٢٨٥

[2] أخبار النحويين البصريين/ ١٠ ، ١٥- وانظر – كتاب الزينة للرازي / ٧٢ – ونزهة الالباء/ ٣-٧ ، وضحى الاسلام / ٢/ ٢٨٥-٢٨٦ ،والقرآن وأثره في الدراسات النحوية / ٤٩-٥٣

[3] أخبار النحويين البصريين / ١٥-١٦، وانباه الرواة/ ١/ ١٧٢- ولمع الادلة/ ٩٧

[4] انباه الرواة / ١/ ١٦

فسدت فأردت أن أضع شيئا لهم يقومون به ألسنتهم ،قال: لعلك تريد النحو،أما إنه حقّ واستعن بسورة يوسف".

ويستند من نسبوا الأمر بوضع علم النحو الى عمر بن الخطاب لروايتين:

أولاهما: تقول:ان أعرابيا لحن في زمن عمر في قوله تعالى: "أن الله برئ من المشركين ورسوله" اذ قرأ "ورسوله" –بالجر– فاستجوبه عمر ثم صحح له القراءة ، وأمر ألا يقرئ القرآن الا عالم باللغة ، وأمر

أبا الاسود أن يضع النحو[١]، أن يعلمه لأهل البصرة[٢] .

والثانية: قوله: "تعلموا السنة والفرائض واللحن ، كما تعلمون القرآن"

قال ابن قتيبة[٣]:"اللحن – هاهنا–: اللغة ، يقول: تعلموا اللغة يعني: الغريب والنحو" وكذا قال الزمخشري في كتاب الفائق[٤] ويقرر ابن الانباري[٥]" ان اول من وضع قواعد اصوله ونبه على فروعه وفصوله، ذلك الحبر العظيم على بن ابي طالب، وهذا دليل على صحة الاعراب"

ويقول في كتاب اخر تعد ان ساق روايات مختلفة عن اوليته[٦]: " والصحيح ان اول من وضع النحو: علي بن ابي طالب، وان ابا الاسود لفق حدوده منه " واخذه عنه[٧] ويعضه القفطى بقوله[٨]: "واهل مصر قاطبة يرون تعد النقل والتصحيح ان اول من وضع النحو: علي بن ابي طالب ، واخذ عنه ابو الاسود الدؤلي ، واخذ عن ابي الاسود نصر بن عاصم المنقرى" ثم يؤكد القفطى ما رواه بقوله[٩]: " ورايت بمصر في زمن الطلب بايدي الوراقين جزا فيه ابواب من النحو يجمعون على انها مقدمة على بن ابي طالب التي اخذها عنه ابو الاسود الدؤلي".ويروي ابو سعيد السيرافي روايتين اخريين ، يرفعهما جميعا الى عاصم[١٠] تنسب اولاهما المر بوضع علم

---

[١] نزهة الالبا / ٣– ٤

[٢] انباه الرواة / ١/ ١٦

[٣] غريب الحديث / ٢/ ٦١

[٤] الفائق / ٣/ ٣١١ – وانظر ايضا: الاضداد في اللغة للانباري/ ٢٠٨ – والاساس / مادة لحن.

[٥] لمع الادلة / ٩٧ – وانظر ايضا: الفاضل للمبرد / ٥

[٦] نزهة الالبا/ ٦

[٧] مراتب النحويين / ٢٦

[٨] انباه الرواتة/ ١ / ٦ – ٧

[٩] انباه الرووِاة / ١/ ٤

[١٠] هو عاصم ين ابي النجود ، احد القراء السبعة ، ت: ١٢٨هـ

النحو الى: عبيد الله بن زياد، وتنسبه الثانية الى ابيه زياد، في اثناء ولايته على البصرة، تقول الرواية الاولى: "جاء ابو الاسود الديلى الى عبيد الله بن زياد يستأذنه في ان يضع العربية فأبى فاتاه قوم، فقال احدهم: اصلحك الله ، مات ابانا وترك بنون ، فقال: على بابي الاسود ، ضع العربية".

وتلتقى الرواية الثانية في مضمونها مع الاولى، الا انها اختارت اسم زياد بدلا من ابنه عبيد الله[1] . .. وفي طبقات قحول الشعراء[2]: "وكان اول من اسس العربية، وفتح بابها وانهج سبيلها، ووضع قياسها: ابو الاسود الدؤلي "

وروى ابن قتيبة ايضا ان ابا الاسود هو اول من وضع العربية[3]، واول من عمل في النحو كتابا[4]، وذكر ابن النديم انه رأى عند رجل يقال له: محمد بن الحسين ما يدل على ان النحو اخذ عن ابي الاسود ، وهي اربع اوراق، قال: " احسبها من ورق الصين ، برجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من تبي الاسود – رحنة الله عليه – بخط يحيى بن يعمر " وقال ابن خلدون[5]: واول من كتب ابو الاسود من بني كناة ن ففزع بضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة ، ثم كتب قيها الناس من بعده ، الى ان انتهت الى الخليل، فهذب الصناعة وكمل لبوابها" . ويقرر جرجى زيدان[6] ان ضع علم النحو او مدونه هو بالاجماع ابو الاسود الدؤلي .. اقام بالبصرة، وكانه تعلم لغة السريان او اطلع على نحوها فرغب في النسج على منواله ، فعرض ذلك على والى العرافين يومئذ: زياد بن ابيه.."

وذكروا ان ابا الاسود[7] لقن حدود النحو من على بن ابي طالب[8] وانه وضع ما وضع من ابوابه بتوجيه منه، قال ابن الانبارى: "وسبب وضع علي – رضي الله عنه – لهذا العلم ما روى

---

(1) اخبار النحوين البصريين]/ ١٣

(2) طبقات فحول الشعراء/ ٩

(3) المعارف/ ٤٣٤

(4) كبالفهرست / ١٦ – وانظر: انباه الرواة / ١/ ٧ – ٨

(5) المقدمة/ ٤٢٤ وانظر ايضا: اخبار النحويين البصريين / ١٩ ، ٢٥ ، ونزهة الالبا/ ٧

(6) تاريخ التمدن الاسلامي / ٣ / ٨٥

(7) هو ظالم بن عمرو بن جندل ، كان رجل اهل الصرة ، علوى المذهب ، اخذ القراءة عن عثمان وعلى ، وهو من المتحققين بولاية على ومحبته وصحبته ومحبته ولده، شهد معه الجمل وصفين واكثر مشاهده، واستعمله علي على البصرة ، ت: ٦٩هـ . انظر: اخبار النحويين البصريين / ١٤ – ١٥ ، وانباه الرواة / ١/ ١٤ – ١٥ ، وطبقات م ١م ٣٦٤

(8) انباه الرواة / ١ / ١٥

ابو الاسود قال: دخلت على امير المؤمنين على ابن ابي طالب، فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذا يا امير المؤمنين ، فقال: اني تاملت كلام الناس فوجدت في يده رقعة ، فقلت: ما هذا يا امير المؤمنين ، فقال: اني تاملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء – يعني الاعاجم – فاردت ان اضع لهم شيئاً يرجعون اليه ويعتمدون عليه، ثم القى الي الرقعة وفيها مكتوب: الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما جاء لمعنى وقال لي: انح هذا النحو، وصنف اليه ما وقع اليك، واعلم يا ابا الاسود ان الاسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولامضمر، وانما يتفاضل الناس يا ابا الاسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر ، وارا بذلك الاسم المبهم ، قال: وضعت بابي العطق والنعت ، ثم بابي التعجب والاستفهام الى ان وصلت الى باب " ان واخوانها" ما خلا " لكن " فلما عرضتها على علي- رضي الله عنه – امرني بضم " لكن " اليها ، وكنت كلما وضعت بابا من ابواب النحو عرضته عليه الى ان حصلت ما فيه الكفاية ، ثم قال: ما احسن هذا النحو الذي نحوت، فلذلك سمي النحو" وذك ر ابو القاسم الزجاجي نحوا من هذا في اماليه [1] ونحن نستبعد نسبة وضع علم النحو الى عمر وعلي رضي الله عنهما، ونستغرب شرح ابن قتيبية والزمخشري لحديث عمر، ونرى انهما حملا النص اكثر مما يحتمل، اذ لا يوجد لدينا ما يشير الى ان النحو قد تم تقعيده في زمن عمر، واذا كانت قواعد هذا العلم ليست موجودة اصلاً ، فكيف يامر عمر بتعلم علم غير موجود[2]؟.

وما يتناسب على عصر عمر يمكن ان ينسحب ايضا على عصر علي، فعصرهما لم يمن يعرف الفاعل والمفعول، والظاهر والمضمر ، والنعت والعطف، وغيرها من المصطلحات النحوية التي عرفها علم النحو فيما بعد، يدل على ذلك ما رُوي عن أبي الأسود نفسه أنه قال لكاتبه عندما شرع في نقط المصحف [3]: " إذا رأتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وان ضممت فَمي فانقط بين يدي الحرف، وان كسرتُ فاجعل النقطة من تحت " فهذا النصُّ إن صحَّ يدلُّ دلالةً واضحة على أن أبا الأسود لم يكن يعرف الفتحة والضمة والكسرة والسكون، وأن هذه

---

[1] الاشباه والنظائر / ١/٨ وانظر ايضا: اخبار النحويين البصريين / ٢: ومراتب النحويين / ٢٦

[2] الدراسات النحوية واللغوية / ٢٦، وانظر القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية / ٥٧ انباه الرواة/ ١/ ٥ – ٦ ، وانظر: ضحى الاسلام / ٢/ ٢٨٨، والنحو العربي نقد وبناء / ١٤، وابو عمر بن العلا:/ ومذهب النحو / ١٠

[3] انباه الرواة / ١ / ٥ – ٦، وانظر:ضحى الاسلام / ٢ / ٢٨٨، والنحو العربي – نقد وبناء / ١٤، وابو عمرو بن العلا: ومذهبه في النحو / ١٠

المصطلحات اصطلح عليها نحاة البصرة فيما بعد، ثم نسبت إليه لأنه جَذَّرَ جذورها بنقط المصحف .ومن هنا، فقد كان أحمد أمين على حق حين عَقَّب على حكاية أبي الأسود مع أمير المؤمنين عليٍّ بقوله وكلُّ هذا حديث خرافة، فطبيعة زمن علي وأبي الأسود تأبى هذه التعارف وهذه التقاسيم، والعلم الذي ورد إلينا من هذه العصر في كل فرع، علم يتناسب مع الفطرة، ليس فيه تعريف ولا تقسيم .." وتسرع الزمخشري أيضا في أثناء تفسيره لقوله تعالى[1]:" ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك" عندما قال: "وقرأ علي وابن مسعود – رضي الله عنهما -: "يا مال"بحذف الكاف للترخيم وقيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ: "ونادوا يا مال" فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم". ذلك أن الترخيم كمصطلح نحوى وضعه الخليل بن احمد الذي ولد بعد موت ابن عباس بما يزيد عن ثلاثين سنة ، قال الأصمعي[2]: أخذ عني الخليل معنى الترخيم، وذلك أنه لقيني فقال لي: ما تسمي العرب السهل من الكلام ؟ فقلت له: العرب تقول: جارية رخيمة إذا كانت سهلة المنطق، فعمل باب الترخيم على هذا .

وهذا يعني أنه كمصطلح لم يكن معروفا على عهد: ابن مسعود وابن عباس وحين اطلقه ابن العباس انما اراد به اتليين وتسهل المنطق، وهو المعنى اللغوي لكلمة: الترخيم قال ابن منظور[3]:"الرخيم: الحسن الكلام، والرخامة: لين في المنطق حسن النساء والترخيم: التلين، ومنه الترخيم في الاسماء، لأنهم انما يحذفون أواخرها ليسهلوا النطق بها، وقيل، الترخيم: الحذف ... وأما نسبة وضع هذا العلم الى: عبد الرحمن بن هرمز ونصر بن عاصم فنحن نتحلل من تصديقها، ونتجاوز عن الأخذ بها، أما أولا فلأن الروايات المتناقضة التي نسبت وضع العلم النحو لهما ولغيرهما لاتصلح أن تكون دليلا على ذلك، وأما ثانيا: فلأن الرجلين كانا من تلامذ أبي الأسود، ولا يبعد لذلك أن يكون الأمر قد اختلط على الرواة فنسبوا للتلامذة ما هو خليق بالاستاذ . وهذه الروايات المختلفة المضطربة عن أولية وضع هذا العلم وعن كيفية وضع، لا تدع للباحث مجالا لاصدار حكم حاسم في هذه المسألة، وليس هذا فحسب، بل ان ذيول هذا الاضطراب قد امتدت الى عصر الحديث، فبينما يقرر الرافعي بأن تاريخ النحو لا سبيل الى تحقيقه لبتة[4] ، يرى حسن عون اننا " نستطيع ان نقول ونحن مطمئنون أن واضع اللبنة الأولى في

---

[1] سورة الزخرف / ٧٧ ، والكشاف/ ٣/ ٤٩٦

[2] توفي عبد الله بن عباس في سنة:٦٨، وقيل في سنة:٧٠هـ ، وولد الخليل في سنة:١٠٠هـ

[3] اللسان / مادة: رخم

[4] تاريخ اداب العرب / ١ / ٣٣٦

بناء النحو العربيانما هو أبو الأسود الدؤلي دون سواه "ويتفق معه طه الراوي حين يرى أن: " مجلي الحلبة في هذا المضمار أبو الاسود الدوئلي الكناني، أحد أرباب البصائر الحية، فاستعرض طائفة من كلام العرب، وتوصل الى استخراج طائفة من المسائل له، واستنباط بعض القواعد أسماها النحو، ودونها في صحيفة له عرفت عند الحاة بالتعليقة" [1].

وكان محمد سمير اللبدي أجرأ من سابقيه حينما قال[2]: " ويكفينا ان نقرر نهائيا أن أبا الأسود هو أول من وضع النحو، وتكلم في أصوله ..."وأغلب الظن أن هذه الروايات جميعها من عبث الرواة الوضاعين، وأنه قد تم حبمها في البصرة وروعي فيها – كما يبدو – أن تنسب الى اعلام العلماء وذويهم [3] والى ارباب النفوذ والسلطان حتى تكتسب هالة من التبجيل ةالاكبار من جانب، ولتضفي على علم النحو ظلاً ظليلاً من التقدير والاحترام من جانب آخر .ومن هنا ،بات من العسير علينا أن نقتنع:أن أبا الاسود هو الذي وضع علم النحو، ويعضدنا فيما نذهب اليه، اتفاق الرواة على أن أبا الاسود وضع العربية[4] ، ويبدو أن الأمر قد اختلط على بعض الرواة فظنو أنه علم النحو، وهو انما ابتكر شكل المصحف، حيث أخذ صبغا يغاير لونه لون المداد الذي كتب به المصحف، ثم وضع على الحرف المفتوح نقطة فوقه، والمكسورة نقطة تحته، والمضموم نقطة بين يدي الحرف، والمنون نقطين، وترك الساكن .

ويبدو لنا أن هذا الابتكار يمكن أن يكون خطوة أولية في سبيل وضع علم النحوم تتمشى مع طبيعة النشوء والارتقاء، إذ تنبه العلماء الذين جاءوا من بعده إلى حركات: الرفع والنصب والجر، مما أدى إلى استقراء أولي انتهى بالجهود التي تضارفت على وضع قواعد النحو وتأصيل أصوله .وكان هذا الصنيع الخطير الذي سمى:" رسم العربية " سبباً في أن يختلط الأمر – فيما بعد – على الرواة، فتظن طائفة منهم أن أبا الأسود رسم النحو وشيئا من أبوابه، وهو إنما رسم إعراب المصحف بنقط أواخر الكلمات فيه .وحمل هذا الصنيع عنه تلامذته من القراء، وفي مقدمتهم: نصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، فكل هؤلاء " نقطو المصحف "، وأخذ عنهم النقط وحفظ وضبط وقيد العمل به، واتبع

---

[1] نظرات في اللغة والنحو / ٧

[2] أثر القرآن والقراءات في النحو العربي / ٢٦

[3] انظر: اخبار النحويين البصريين / ١٤ – والضداد في العربية للأنباري / ٢١٤ – وانباه الرواة / ١ / ١٦، وتاريخ التمدن الاسلامي / ٣ / ٨٥ .

[4] انظر: طبقات فحول الشعراء / ٩ – وأخبار النحويين البصريين / ١٥، ١٩– ومراتب النحويين / ٣٠ .

فيه سنتهم، واقتدى فيه بمذاهبهم، وأضافوا الى ذلك عملا جليلا هواتخاذ نقط جديد للحروف المعجمة في المصاحف، تمييزاً لها من الحروف المهملة، وكان يؤخذ عنهم النقطان جميعاً: نقط الإعراب، ونقط الإعجام، وكان ذلك عملا خطيراً حقاً، فقد احاطوا لفظ القرأن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه، مما جعل بعض القدماء يظن أنهم وضعو قواعد الإعراب أو أطرافً منها، وهم إنما رسموا في دقة نقطة الإعراب لا قواعده[1].

على أننا نستطيع أن نرجح ونحن مطمئنون أن عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي البصريّ هو أول من حمل راية علم النحو بحق، ثم تقدم به خطوات فساحاً، فلم يعد هذا العلم مجرد ملحوظات عابرة، بل أخذت جذوره تمتد وتتفرع في حياة اللغة العربية، ويتسرب إليه شعاع من النشاط الفكري الذي الم بالفقه وأصوله، فظهر القياس على يديه حتى قيل عنه: إنه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل[2] .

وبهذا، يكون عبد الله اول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق للكلمة ، ومؤسس مدرسة البصرة النحوية التي برزت معالمها على ايدي تلاميذه النابهين من امثال: ابي عمروو بن العلا وعيسى بن عمر، والخليل بن احمد، ويونس بن حبيب، واذين ظهرت جهودهم النحوية مكتملة النضج في كتاب سيبويه.

ويرجع العلماء سبب وضع قواعد النحو الى شيوع اللحن في المجتمع الاسلامي بعد ان اظل الاسلام بظله امما وقوميات غيى عربيةن وتفاهم خطر هذا اللحن بعد الفتوح، اذ اقبل غير العرب على قراءة القرآن ، ففشا الخطأ في هذه القراءة، وكان من نتيجة ذلك ان تذمر العمال مما كانوا يسمعوه من اللحن، وخصرصاً في قراءة القرآن الكريم ، فأحسوا بحاجة شديدة الى ضبط اللغة ، فكان طبيعيا لذلك ان يسارع المسلمون الى وضع قواعد النحو ، والتماسا للدقة في ضبط معاني القرآن الكريم.

---

(1) المدارس النحوية / ١٦ – ١٧، وانظر: في أصول النحو / ١٦١ – وتجديد الدرس النحوي / ٩١ – ٩٢، وتطور الدرس النحوي / ١٧

(2) انظر:طبقات فحول الشعراء / ١١ – ومراتب النحويين / ٣١ – واللغة العربية وعلومها / ١١٢ والمدارس النحوية / ٢٢ – وتجديد النحو العربي / ١١٩ – والخلاف النحوي / ١٥

قال ابو الطيب اللغوي:[1]"ان أول ما اختل من كلام العرب فأحوج الى التعلم: الاعراي لأن اللحن ظهر في كلام المولى والمعتربين من عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال: "أرشدوا اخاكم فقط ظل"[2]، وقال أبو بكر: "لأن أقرأ فأسقط أحبّ الى من أن أقرأ فألحن"[3] وكان ابو عبدالله بن عمر يضرب ولده على اللحن[4] وكان صهيب بن سنان صاحب رسول الله يرتضخ لكنةً رومية[5]، والشاعر سُحَيم عبد بني الحسحاس يرتطن لكنةً أجنبية[6].وقال ابن خلدون[7]: "فلما جاء الاسلام، وفارقوا – يعني العرب – الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة – يعني: اللغة – بما ألقى اليها السمع من المخالفات التي للمتعربين، ففسدت بما ألقى اليها مما يغايرها، وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسها ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردةً شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام... "واتفق مؤرخو النحو العربي على أن هذا العلم نشأ واكتمل نضجه في مدينة البصرة، وبعد ما يقرب من مائة عام خرج منها الى مدينة الكوفة، أي أن الطبقة الأولى من الكوفيين تقابل الطبقة الثالثة من نحاة البصرة[8]، ومن هنا يتضح أن مدرسة البصرة ظلت قائمة وحدها في علم النحو وما اليه الى أن جاء أبو جعفر الرؤاسي فكان أول من ألّف في النحو من الكوفيين، وأول من أسس مدرسة الكوفة التي دعمها تلميذاه: الكسائي والفراء اللذان كانا نظيري: سيبويه رئيس نحاة البصرة[9] . وكان الكوفيون أسبق اتصالا ببغداد وبالخلافة من أقرانهم البصريين، لمكانة الكوفة من الوجهتين السياسية والجغرافية، فكان الكسائي مثلا – ملازما للرشيد حتى مات سنة: ١٨٩هـ واتصل تلميذه الفراء بالمأمون، وصنف له كتاب الحدود[10].

---

[1] مراتب النحويين / ٢٣، وانظر: اصلاح المنطق/ ٢٩٧، والخصائص / ٢/ ٨، ولمع الادلة/ ٩٦، ولسان الميزان / ٣/ ٤٩٢، ومعجم الادباء/ ١/ ٨٢، والمزهر / ٢/ ٣٩٧.

[2] استدل الرافعي بهذا الحديث على أن اللحن لم يكن معروفا في العرب، وان ذلك اللحن كان أول لحن سمعه أفصح العرب، انظر: تاريخ اداب العرب/ ١/ ٢٤٢، وانظر ايضا تاريخ التمدن الاسلامي / ٣٨٥.

[3] مراتب النحويين / ٢٣

[4] الصاحبي في اللغة / ٥٥ ، ولمع الادلة / ٩٧

[5] البيان والتبيين / ١/ ٧٢

[6] يوهان فك / العربية/ ١٣

[7] لامقدمة / ٤٢٤

[8] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٢٨، وانظر أبو الاسود الدؤلي / ٤٦ – ٤٩

[9] ضحى الاسلام/ ٢/ ٢٨٣– ٢٨٤

[10] مراتب النحويين / ١٢٠ ، ١٣٩، وانظر: نظرات في اللغة والنحو لطه الراوي / ٩٥

وبدأت من ذلك الحين مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة، وبدأ الخلاف هادئا بين الرؤاسى في الكوفة والخليل في البصرة، ثم اشتد بعد ذلك بين الكسائي تلميذه الرؤاسي،وسيبويه – تلميذ الخليل – وصار لكل مدرسة من المدرستين علم من اعلام النحو تنحاز اليه كل فرقة[١]. ونجح المبرد البصري فيما بعد في الاتصال بالخليفة العباسي المتوكّل، واستطاع بذلك أن يتغلب على نده ثعلب الكوفي، وأن تنحاز اليه جماعة من تلاميذه[٢].

وذكر عمر كحالة[٣] وغيره[٤]أنَّ الخلاف بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة قد أدّى الى قيام مذهب نحوي جديد في القرن الثالث الهجري، وعرف بمذهب البغداديين، ويمثل هذا المذهب جماعة من العلماء لم يقصروا أنفسهم على الأخد عن شيوخهم البصريين وحدهم، أو عن الكوفيين وحدهم، بل أخذوا عن الفريقين، واختاروا من كل منهم ما راقهم من الأحكام في غير تعسُّف ولا تكلف، ومنهم من غلب عليه المذهب البصري ومنهم من غلب عليه المذهب الكوفي، ولكنه لم يحرم نفسه الأخذ عن المخالفين في بعض المسائل. من هؤلاء مثلا: ابن قتيبة، والزَّجاج، ومبرمان، والفارسي، والسّيرافي، والرماني، وابن جنّي، والتّبريزي، والحريري، وابن الشّجري، والجواليقّي، وابن الخشاب، وغيرهم، من نهاية القرن الثالث حتى القرن السادس، وهو القرن الذي مات فيه الزمخشري.

ونحن لا نستطيع أن نُقّر كحالة ومن رأى رأيه بقيام مذهب جديد هو مذهب البغداديين، بل نحن في حِلٍّ مما ذكروا، ذلك أننا لم نجد أثرا لقيام مثل هذا المذهب في الكتب القديمة التي عنيت بأمر علم النحو والتاريخ له، وسوف نعرض لهذه المسألة في موضعها من الفصل الرابع.

على اننا نعرض فيما يلي جد ولين تقريبيين يمثل أولهما طبقات النحاة البصريين والكوفيين، ويمثل الثاني تطورهم علم النحو منذ الزمن أبي العباس المبرد الى زمن أبي القاسم الزمخشري[٥]:

---

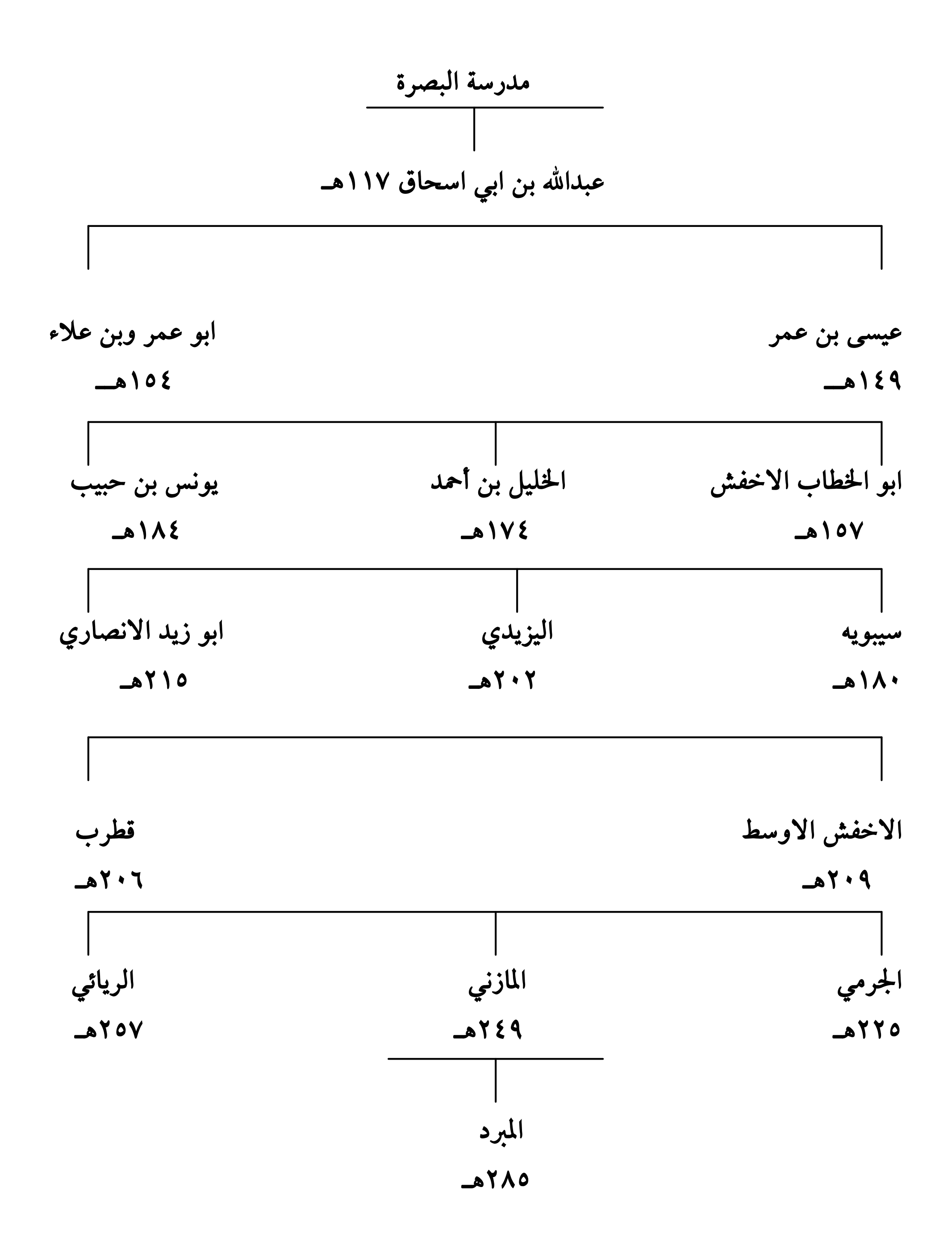
[١] ضحى الاسلام / ٢ / ٢٩٤

[٢] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٢٨

[٣] كحالة / اللغة العربية وعلومها / ١١٩

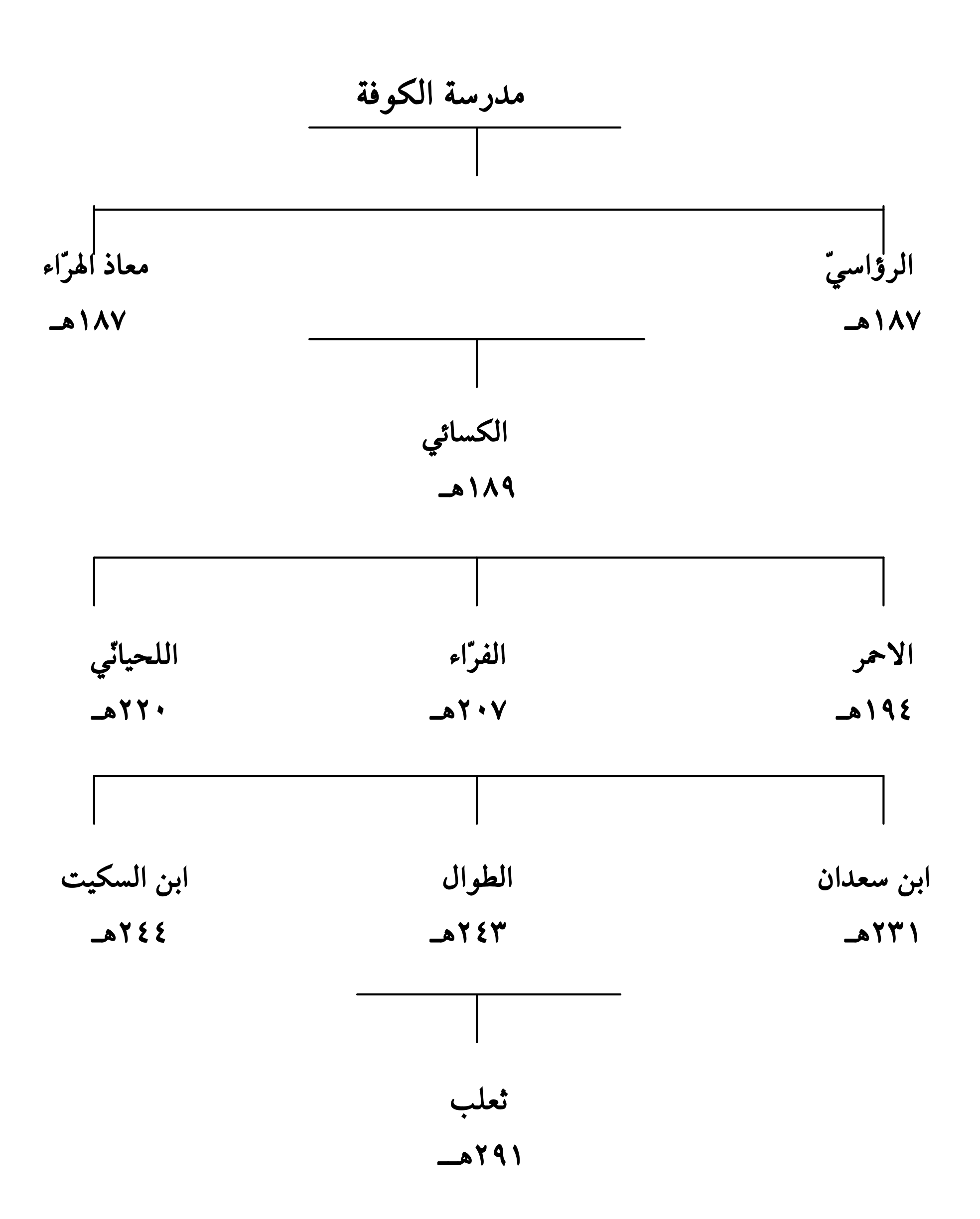
[٤] انظر: نشأة النحو / ٢٦ – ومدرسة الكوفة / ٧٠ – والقواع دالنحوية / ٣١٤- والمدارس النحوية / ٣٤٥

[٥] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٢٩ – وانظر: نشأة النحو / ٥٥

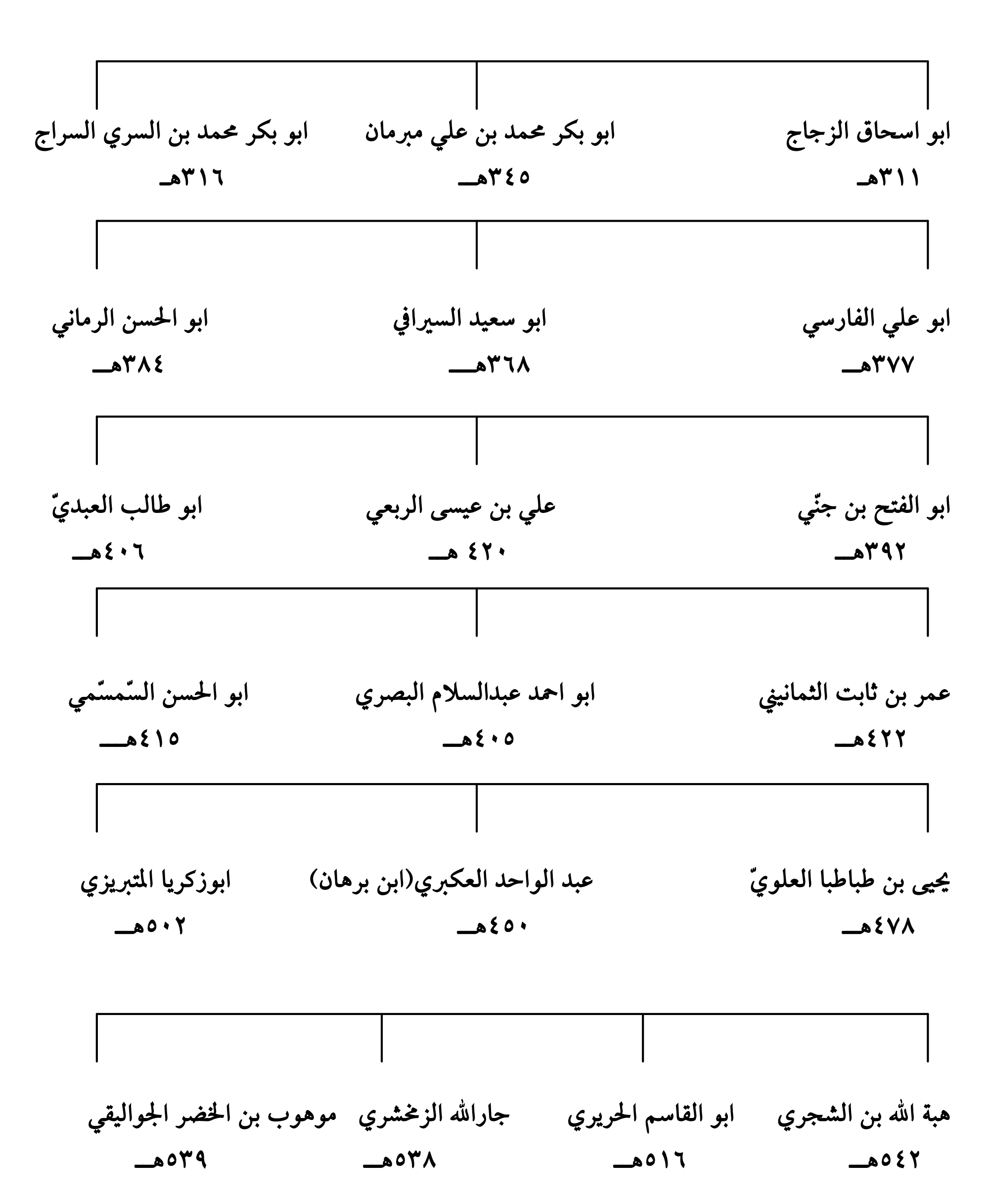


مدرسة البصرة
عبدالله بن ابي اسحاق ١١٧هـ
عيسى بن عمر
١٤٩هـ
ابو عمر وبن علاء
١٥٤هـ
ابو الخطاب الاخفش
١٥٧هـ
الخليل بن أحمد
١٧٤هـ
يونس بن حبيب
١٨٤هـ
سيبويه
١٨٠هـ
اليزيدي
٢٠٢هـ
ابو زيد الانصاري
٢١٥هـ
الاخفش الاوسط
٢٠٩هـ
قطرب
٢٠٦هـ
الجرمي
٢٢٥هـ
المازني
٢٤٩هـ
الريائي
٢٥٧هـ
المبرد
٢٨٥هـ

جدول رقم: ١


مدرسة الكوفة
الرؤاسيّ
١٨٧هـ
معاذ الهرّاء
١٨٧هـ
الكسائي
١٨٩هـ
الاحمر
١٩٤هـ
الفرّاء
٢٠٧هـ
اللحيانّي
٢٢٠هـ
ابن سعدان
٢٣١هـ
الطوال
٢٤٣هـ
ابن السكيت
٢٤٤هـ
ثعلب
٢٩١هـ

جدول رقم: ٢


ابو العباس المبرد
٢٨٥ هـ
ابو اسحاق الزجاج
٣١١هـ
ابو بكر محمد بن علي مبرمان
٣٤٥هـ
ابو بكر محمد بن السري السراج
٣١٦هـ
ابو علي الفارسي
٣٧٧هـ
ابو سعيد السيرافي
٣٦٨هـ
ابو الحسن الرماني
٣٨٤هـ
ابو الفتح بن جنّي
٣٩٢هـ
علي بن عيسى الربعي
٤٢٠ هـ
ابو طالب العبديّ
٤٠٦هـ
عمر بن ثابت الثمانيني
٤٢٢هـ
ابو احمد عبدالسلام البصري
٤٠٥هـ
ابو الحسن السّمسّمي
٤١٥هـ
يحيى بن طباطبا العلويّ
٤٧٨هـ
عبد الواحد العكبري(ابن برهان)
٤٥٠هـ
ابوزكريا المتبريزي
٥٠٢هـ
هبة الله بن الشجري
٥٤٢هـ
ابو القاسم الحريري
٥١٦هـ
جارالله الزمخشري
٥٣٨هـ
موهوب بن الخضر الجواليقي
٥٣٩هـ

جدول رقم: ٣

ثانياً: التطور الموضوعي للنحو العربي حتى عصر الزمخشري:

إن الاثار النحوية التي يمكن ان تكون وجت قبل كتاب سيبويه تعتبر قضية يكتنفها الغموض، فقد كثرت فيها الروايات ، واختلفت الاراء، ولم يتضح وجه الحقيقة حتى الان فنحن لم نعثر على الموضوعات النحوية التي قيل ان ابا الاسوج قج وضعها، ولم نعثر ايضا على الكتب التي نسبت الى ابن ابي اسحاق [1] والى تلميذه عيسى بن عمر[2] . ومع هذا ، فاننا نتجاوز الظن الى التقرير بان بعض العلماء قد شغلوا بتدوين عدد من الملحوظات النحوية ، والقواعد التي تنتظم النطق والتعبير ، بل غريب ان يكون غير ذلك بعد مرور مائة علم على جمع القران وتدوينه ومحاولة نقطه واعجامه، وقيام دراسات كثيرة حوله.

ونرى ان هذه الملحوطات والقواعع اخذت تتسع في موضوعها وفي هدفها، وانه قد وجد لها دراسون مختصون مضوا يستقرئرن اللغة ، ويتتبغون اساليبها وتراكيبها ، هاد فين الابقاء عليها بعيدة عن عوامل الانحراف ، والحفاظ عليها من عوادي اللحن ، فقد اتفق الرواة على ان علد الله لن الي اسحاق اول من نقح النحو، واشتق قواعده، ود قياسه،وشرح علله[3] وان صح ما ابفقوا عليه، يمون عبد الله قد وضع منهجا للبحث والنحوى، ثم اقام منهجه على الستقراء والمناقشة ، والبحث عن الاسباب والعلل، واعمال الفكر لاخضاع الظاهرة اللغوية لنوع من القياس حين يتعذر التعليل، وكان لا يحلم على ماخالف القياس بالشذوذ ، وانما يقول: ان القائل قد أخطأ[4] وبذل أولى محاولاته- التي نقلها الرواة- بالتصدي للشعراء والادباء الذين عاصروه ، فتعقب سقطاتهم تبعا لمنهجه الذي ارتضاه، ونبه عليها، وكان يملي ثمرة مجتهده على تلاميذه فاسفر ذلك عن تأليف كتاب في الهمز مما املاه[5] على عبد الله لم يكن يعلم كثيرا من الموضوعات التي عرفها سيبويه واساتذبه ، فقد روى يونس بن حبيب انه سئل عن علم ابن ابي اسحاق من علم الناس في عصره ، فقال: "لو كان في الناس اليوم من الايعلم الا علمه لضحك منه"[6] وهذا ينسجم تماماً النشؤ والارتقاء التي تواكب العلوم.

---

[1] مراتب النحويين / ٣١

[2] اخبار النحويين البصريين/ ٢٥

[3] مراتب النحويين / ٣١، واخبار النحويين البصريين / ٢٠_٢١، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة م ١٠٤

[4] كتاب سيبويه / ٢/ ٥٨/ وانظر: اخبار النحويين البصريين / ٢١

[5] المزهر/ ٢/ ٢٠٠- وانظر: مراتب النحويين / ٣١

[6] اخبار النحويين البصريين/ ٢٠

وخطا تلميذاه: ابو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي بعلم النحو خطوة كبيرة، فكان ابو عمرة اعلم من استاذه بالطبيعة اللغوية، وخالفه في بعض اصول المذهب البصرى، فكان يقيس على الاكثر الاشيع في كلام العرب، ويعد ما خالف ذلك عربياً عصيحاً، فلا يهدره، ولا يخطئ قائله، بل يعتبره لهة خاصة، وهو بهذا خفف من حدة تجريد القياس التي اتصف بها منهج استاذه، وربما ساعده على لك انه كان اعلم رواة البصره باشعار العرب وانسابهم ومن اعلام القرآن الكريم[1] واما عيسى فنسبوا اليه انه بوب علم النحو ورتبه وسمى ما شذ عن الاكثر منه لغات ، وصنف فيه نيفاً وسبعين تصنيفاً، منهاتصنييفان كبيران: اسم احدهما "الجامع" واسم الثاني "الاكمال" فكأنما قد جمع مسائل علم النحو وقواعده في اولهما، ثم رأى اكمال تلك القواعد والمسائل في اكتاب الثاني[2] وذكروا ان سيبويه اخذ كتاب " الجامع " وبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، ولما كمل بالبحث والتحشيه نسب اليه، وهو كتاب سيبويه المشهور، فال ابن خلكان: [3] "والذي يدل على صحة هذا القول ان سيبويه لما فارق عيسى بت عمر ولازم الخليل بن احمد سأله الخليل عن مصنفات عيسى ، فقال له سيبويه: صنف نيفا وسبعين مصنفا في النحو، وان بعص أهل اليسار جمعها واتت عنده عليها افة عذهبت ولم يبق منها في الوجود سوى كتابين: " الاكمال" وهو بارض فارس عند فلان ، و"الجامع" "وهو هذا الكتاب الذي اشتغل فيه واسالك عن غوامضه......

فقال الخليل:

ذهب النحو جميعا كله   غير ما احدث عيسى بن عمر

ذاك اكمال وهذا جامع   فهـمـا لـلـنـــاس شمـــس وقـــمر

فاشار بالاكمال الى الغائب، وبالجامع الى الحاضر"

ويبدوا ان الكتابين وصلا الى عصر محممد بن يزيد المبرد ، فقد ذكر ياقوت ان المبرد قرأ اوراقنا من احدهما[4] وكان الخليل اعظم نحاة البصرة شأناً، وشيخ النحو الاصطلاحي، نضج علم النحو على يديه خلقاً سوياً كامل الاصول والفروع، ويعتمد مذهبه في القياس العقلي على

---

[1] انظر المصادر والمراجع الني نقلت اخباره في القسم الثاني من كتابنا هذا/ ٢/ ٥٤٩

[2] المدارس النحوية/ ٢٦، واظر اللغة العربية وعلومها / ١١٤

[3] وفيات الاعيان/ ٣/ ٤٨٦- ٤٨٧، وانظر ايضا: انباه الرواة م٢/ ٣٤٧- ٣٧٥، وبغية الوعاة / ٢/ ٢٣٧/ ٢٣٨، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة / ١٧٩- ١٨٠

[4] معم الادباء / ١٦/ ١٤٨

الاكثر الاشيع من كلام العرب كأستاذيه: ابي عمرو وعيسى ، مع ما بينهما من خلاف في بعض وجهات النظر، الا انه كان اكثر ميلا الى مذهب ابي عمرو، ولم يعرف له مؤلف

وانما كان يملي مسائله على تلميذه سيبويه إملاء .والخليل هو الذي ابتكر ضبط حروف الكتابة بالحركات والضمة والفتحة والكسرة، فأغنى الكتاب عن الضبط الذي ابتكره ابو الاسود بالنَّقط[1]. وساعد الخليل على المضي بهذه الدراسة شوطا بعيدا في النضج والاكتمال، ماتيسر له ولمعاصريه من مصادر لغوية منقولة من شعر وخطب وأمثال، ومن مصادر حيَّة من بوادي الحجاز ونجد وتهامة.. أي: من العرب الفصحاء الذين كانت لغتهم في عصره صافية نقية من الشوائب، وكان الى جانب هذا كتاب الله الذي حفظ اللغة من التّغير والانحراف زمانا طويلا[2].ويعتبر سيبويه أهم تلميذ للرعيل الاول من أئمة اللغة، كما يعتبر أول عالم يكرس مجهوده الذهني و – بصورة متخصصة – الى حد كبير في الدرس النحوي بمعناه الواسع، اذ لم يكن قبل سيبويه فيما نعتقد متخصصون في علم النحو، وانما كانت ميادين المعرفة جميعا تكاد تلتقي تماما في عقول أولئك العلماء.. ومن هنا، فسوف نلقي نظرة عابرة على بعض المؤلفات النحوية التي تم تأليفها في الفترة الزمنية الفاصلة بين سيبويه والزمخشري، لترتسم في أذهاننا صورة واضحة عن سير التأليف النحوي وتطوره، حتى نستطيع أن نتبيّن من خلالها شخصية الزمخشري النحوية، ودوره في إقامة هذا العلم من عثرته.

كتاب سيبويه :

وهو أول كتاب في علم النحو العربي يصل إلينا في صورة تكاد تكون متكاملة، ويعتبر قفزة هائلة في مجال هذا العلم، ومظهرا واضحا من مظاهر تطوره، إذ أصبح طلاب هذا العلم ينشدونه في هذا الكتاب قراءة وفهما واستيعابا بعد أن كانوا يطلبونه سماعا من أفواه العلماء والرواة.

ومن ينظر في الكتاب يجد أنه يمثل جانبين:

- أولهما: مجهود النحاة البصريين المؤسسين للمذهب البصري، ومواطن اهتمامهم من خلال ما يرويه من آرائهم واختلافهم في بعض القضايا النحوية والمسائل اللغوية، فقد روى: (٨٥٨) رأيا للأئمة الذين سبقوا سيبويه من أمثال: ابن ابي اسحاق وابي عمرو بن العلاء، وعيسى بن

---

[1] اللغة العربية وعلومها / ١١٤

[2] المخزومي / في النحو العربي – نقد وتوجيه / ١٤

عمر، والخليل، ويونس بن حبيب، والاخفش الاكبر، وابي زيد الانصاري، وبه تخرّج نحاة البصرة والكوفة جميعا ممن اشتغل بعلم النحو بعد سيبويه كالأخفش الأوسط والجرميّ والمازني والمبرّد، وهؤلاء جميعا من رؤوس المذهب البصري، تناولوا الكتاب فدرسوه دراسة شاملة وتعهدوا مادته العلمية بالشرح والتحليل، ثم قاموا بتدريسه لتلاميذهم.

• والثاني: مجهود سيبويه نفسه ، وكنا يتمثله في وضع الضوابط والقواعد وتقنين الاحكام بعد استخلاصها من القوالب الغوية عن طريق القياس ، آخذا في الاعتبار قبل كل شئ ما يهم الدارسين لعلم النحو في عصره[١] ويكاد يجمع الباحثون [٢] على ان: "الكتاب" يفتقر الى منهج واضح ينتظم مادته العلمية وان ما ورد فيه من فصول وابواب مضطرب قلق، لا تجمعه وحدة ، ولا يربط بين اجزائه رابط، مما يوحى بانه لم يكن لدى سيبويه خطة واضحة يسير عليها، ونرى ان هذا الاجماع لا يحتاج الى دليل يسنده ، فنظرة فاحصة في موضوعات"الكتاب" تعززه وتجمعه، فسيبويه يعرض في اول كتابه: باب علم ما الكلم من العربية ، ثم باب الفاعل الذي لم يتعده فعله الى مفعولن ثم يقفز الى باب ما ينتصب لالف، ثم الى باب الامر والنهي..... ثم باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في علمه... ثم نراه يخلص بعد سلسلة من الموضوعات الى باب الجر ، ويعود بعد ذلك الى الابتداء ، ثم النداء ، ثم الاستثناء .... وهكذا وليس هذا فحسب ، بل نرى ان القسم الذي خصصه لموضوعات الصرف قد اختلط ببعض موضوعات النحو كباب القسم ، وباب الممنوع من الصرف.ويضاف الى هذا العيب عيوت اخرى ... منها:

o التوسع والاستطراد والرغبة في معالجة المسائل العلمية لادنى ملابسة، مما يغرق القارئ في بحر من النماذج اللغوية، مبينا له طرق الاستعمال العربي، ووجه اعرابها، واراء النحاة فيها، وهذا النمط من التصنيف يكاد يكون ملتزما في كل ابواب الكتاب وفصوله[٣]

o غموض المصطلحات النحوية من مثل: "وعرف – فيما بعد بباب التنازع ، ومثل: "هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا عبى الفعل قدم او اخر، وما يكون الفعل فيه مبنيا على الاسم "خلو "الكتاب" من الاحاديث النبويه المنسوبه[٤] وعلم الرغم مما وجه من نقد الى الكتاب واصحبه، فانه

---

[١] انظر: تطور الدرس النحوى/ ٣٣،واللغة العربية وعلومها / ١١٥

[٢] انظر: التطور الدرس الننحوى / ٣٤، وسيبويه امام النحاة لعلى النجدى/ ١٨٠، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٣٢

[٣] تطور الدرس النحورى / ٣٤٠

[٤] استشهد سيبويه بسته احاديث دون ان يشعرانها من الحديث ، ولم اليها احد من دارسي الكتاب، ولا ممن درسوا مسائله ، كذا قال الاستاذ احمد راتب النفاخ – فهرس شواهد سيبويه/ ٧

ظل منارة يستنير به السالكون الى علم النحو، وظل العلماء يتنافسون على تحصيل مادته، وتفهم أبوابه وفصوله، وشرح شواهده وامثاله، واستنباط قواعده واحكامه، ويتخصصون في فهمه إقراءته على واحد من هؤلاء العلماء تعتبر شهادة بالمقدرة في اللغة والنحو، تمنح صاحبها الحق الادبي في تدريس النحو واقراء الكتاب والتأليف حوله ، وكثيرا ما كان يتنقل لطلاب من مصر الى آخر لقراءته على أحد الاساتذه المتخصصين فيه.وكان الزمخشري واحد من هؤلاء الطلاب، فقد أقبل على دراسة "الكتاب" في وقت مبكر من حيات هالعلمية، وقام بشرح أبياته وظلت قراءة "الكتاب" على أحد العلماء المتخصصين حلما يراوده، وحين واتته الفرصة، لم يتردد في الارتحال من مسقط رأسه خوارزم الى الحجاز ليقرأه على "اليابري" في مكة[1]، وهو يومئذ شيخ كبير وامام حجّة تشد اليه الرحال في علوم شتى. ولهذا حظي "الكتاب" بكثير من الاقوال المأثورة التي تشف عن مكانته العلمية والادبية لدى العلماء والدارسين، فكانوا يسمونه: "قرآن النحو" وكانوا يقولون لمن يقدم على دراسته: هل ركبت البحر؟ وتلك حظوة لم يظفر بمثلها كتاب آخر في تراثنا العلمي سوى كتاب "المفصل" للزمخشري، والمنظومات النحوية كألفية ابن مالك وأمثالها[2]

المقتضب، لمحمد بن يزيد المبرد ،ت: ٢٨٥هـ

وتقيد المبرد في "المقتضب" الى درجة كبيرة بماجاء في كتاب سيبويه من مادة لغوية، ومن أحكام وآراء تتصل بهذه المادة، واستعمل كثيرا من الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية التي وردت في "الكتاب"[3].ويفتقر كتاب "المقتضب" – على أهميته العلمية الكبيرة- الى التنسيق والترتيب، فمنصفه قد أورد في أوله باب: تفسير وجوه العربية، واعراب الاسماء والافعال ثم عرض الى الفاعل، وانتقل الى باب: العطف ثم عاد الى باب: من مسائل الفاعل والمفعول به، ثم يدخل الى موضوعات صرفية ولغوية كالأبنية والزوائد وحروف البدل، وألأفات الوصل والقطع، ثم يرجع الى موضوعات نحوية .. وهكذا .. وتتمثل الفروق بين المقتضب و"الكاتاب"بما يلي:

- يهتم المبرد بتصنيف المعاني الماثلة في ذهن المتكلم وتصوراتة، واضعا الصيغ اللغوية المعبرة عن هذه المعاني في الدرجة الثانية، ويهتم سيبوية بتصنيف القوالب اللغوية

---

[1] البحر المحيط / ٤/ ٣٧٤، وانظر ايضا: المدارس النحوية / ٢٩٤

[2] تطور الدرس النحوي / ٥٣ وانظر ايضا: اخبار النحويين البصريين / ٣٩

[3] مقدمة المقتضب / ١١٥ – ١١٨

المشتركة في الظواهر النحوية والخصائص التركيبية تاركا أ مر المعنى وأمر الحكم النحوي في أغلب الاحيان الى عملية الاستنباط والاستنتاج .

- يحاول المبرد استخلاص القاعدة النحوية والتركيز عليها، وابرازها بعد إزالة ما يحيط بها من المادة اللغوية التي كانت تغرقها في "الكتاب" .
- ظهور المطلحات النحوية الصقولة، والياغات العلمية المتطورة .ومن ينظر في الجهد الذى بذله: محمد عبد الخالق عضيمة محقق المقتضب يعرف مدى تبعية المبرد لسيبوية، اذا حاول أن يرد أكثر المسائل النحوية في المقتضب الى أصولها في كتاب سيبوية حتى بدت كأنها منقولة منه نصا، فضلا ورد فيه من أمثلة وشواهد لغوية .

الجُمَل لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى، ت ٣٣٧ هـ

ولم يكن كتاب " الجمل " أحسن حظا من المقتضب، فهو يفتقر أيضاً الى حسن تنظيم مادته النحوية و عرضها منسقا، و يبدو عليه أنه لا يخضع لفكرة محددة، فهو يذكر أقسام الكلام و الاعراب و الافعال، ثم يذكر الفاعل و المفعول و التوابع، و ينتقل بعد ذلك الى الافعال فالابتداء فالاشتغال .. ثم يتناول حروف الخفض فما يسم فاعله فاسم الفاعل .. و يتناول بعد ذلك : أفعال المقاربة موضوع: الاستثناء، ثم أحكام المزة بالخط .. فالافعال المهموزة، وهكذا يبدو الخلط في عرض المادة النحوية . أما المصطلحات النحوية .. فقد أحرز عنصر الزجاجي تقدمها ملحوظا في صقلها ، ويظهر أثر هذا التقدم واضحا في كتاب" الجمل " ، غير ان هنالك مصطلحات بعينها بقيت كما وضعها سيبويه ، من ذلك مثلا: باب التنازع ، واستعمال ألف الوصل والف القطع بدلا من الهمزة ، التعبير عن:"انما، لعلما" بحروف الرفع.. يضاف الى ذلك ان ظاهرة التعليل النحوية طورت تطروا ظاهرا في هذا الكتاب .

الا يضاح العضدى لابى على الفارسي ، ت: ٣٧٧هـ

ويظهر كتاب الايضاح بمظهر يدل على ان التاليف النحوى اخذ يتجه الى الدقة في التبويب والتنظيم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فقد نجح الفارسي في تنظيم كتابه وتبويبه على اساس فكرة العامل، فبحث الكلام وما يأتلف منه، ثم تناول الاعراب والبناء، فذكر في باب اعراب الاسماء: الابتداء ، الخبر، الفاعل، المبني للمفعول، وانتقل الى الافعال غير المتصصرفة: كنعم وبئس ، واسلوب التعجب ، ثم تناول العوامل التي تدخل على: الابتداء وخبره.

مثل: كان واخواتها، وان واخواتها ، وان واخواتها ، وظن واخواتها...وينتقل الى بحث: المنصوبات ، ثم ينتقل الى المجرودات فالتوابع فما لا ينصرف، ثم يتناول باب اعراب الافعال وبنائها ..وهكذا..من هنا ، نرى ان العقلية النحوية قد احرزت تقدما واضحا في عرض قضاياها ومسائلها وتعهدت هذه القضايا والمسائل بشيء كثير من التنسيق والترتيب ، واما المادة اللغوية فبقيت كما وضعها سيبويه تماما ، فلا يزال الفارسي واقترانه يستعملون الشواهد الشعرية والامثال والاقوال والالفاظ التي تضمنها كتابه ، ولا يزال هؤلاء يجدون حرجا في الاستشهاد بالحديث..

اللمع لابي عثمان بن جني ، ت:٣٩٢هـ

وحين تناولنا كتاب"اللمع" بدا لنا بوضوح ان ابن جني قد استفاد من تنظيم قد استفاد من تنظيم استاذه ابي على: فاستطاع ان يخرج " اللمع" في صورة تبدو اكثر تنسيقا وتنظيما من كتاب"الايظاح" فهو قد عرض مادته العلمية عرضا موجزا ، جعل ثلثيها تقريبا للنحو، وخص الصرف بالثلث الاخير.

اما القسم الذي تناول فيه النحو فقد ذكر فيه: اقسام الكلام ، المعرب والمبهي ، التثنية والجمع، المرفوعات ، المنصوبات، المجرورات ، التوابع، المعرفة والنكرة، النداء، اعراب الافعال، ما لا ينصرف، ثم العدد.وبحث في القسم الذي خصصه للصرف: الجمع، القسم، الموصولات، تأكيد الفعل، النسب التضغير ، القطع والوصل .. والامانة.وهكذا خطا ابن جنى وعصره خطوة جيدة: في وضوح خطة البحث النحوي، واجادة تبويبه وحسن عرضه، وصقلت المصطلحات النحوية وتم نضوجها، ومع هذا ، فقد بقي ابن جنى – كسابقيه – أسير المادة اللغوية التي تواضع عليها سيبويه وأساتذته.

ملحة الاعراب لأبي القاسم الحريري ، ت: ٥١٦هـ:

ونجد منظومة " مُلحة الاعراب" تتخذ تنسيقا آخر مختلفا، فقد صدرها الحريري بباب الكلام ثم انتقل الى النكرة والمعرفة، وأردفها بحروف الجر والاضافة و"كم" الخبرية، ثم اتبعها بالمبتدأ والخبر، فهو يبدأ بالمجرورات ثم ينتقل الى المرفوعات فيذكر المبتدأ والخبر والاشتغال والفاعل وما لم يسم فاعله، ثم يتناول المنصوبات فيبدأ بالمفعول، وظننت واخواتها فالمفعول الطلق فامفعول له فامفعول معه، ثم ينتقل الى الحال والتمييز وافعال المدح والذم .. وبعد ان يبحث التعجب ينتقل الى: الاعراء والتحذير، ثم: ان واخواتها ، وكان واخواتها ، فالنداء فالتصغير فالنسب

فالتوابع ... ويبحث بعد: العدد نوائب المضارع وجوازمه ، ويختم كتابه بباب البناء . وهكذا تدرج التأليف في علم النحو حيث بدأ من غير تنسيق او تنظيم في كتاب سيبويه، ثم تعهد حشد هائل من العلماء المختصين الذين كرسوا مجهودهم العقلي ونشاطهم الذهني من اجل خدمة هذه اللغة، فخطوا به خطوات واسعة نحو التطريز والتربيب والتنسيق الذي يلغ الذروة على يد الزمخشري . ولعل اهم ظواهر التطوير في النحو العربي، هي ظاهرة التعليل التي تطرقت الى مسائل النحو وقضاياه واحكامه ، حتى صارت النمط المميز لثقافة العصر وانتاجه العلمي، وقد سيطرت على عقليات النحاة ، ووجدوا فيها متنفسا وترويضا لاذهانهم بعد ان ضيق علي وجوازمه ، ويختم كتابه بباب البناءوهكذا تدرج التاليف في علم النحو حيث بدأ من غير تنسيق او تنظيم في كتاب سيبويه، ثم تعهده حشد هائل من العلماء المتخصصين الذين كرسوا مجهودهم العقلي ونشاطهم الذهني من اجل خدمة هذه اللغة ، فخطوا به خطوات واسعة نحو التطوير والترتيب والتنسيق الذي بلغ الذروة على يد الزمخشري .

ولعل اهم ظواهر التطوير في النحو العربي، هي ظاهرة التعليل التي تطرقت الى مسائل النحو وقضاياه واحكامه ، حتى صارت النمط المميز لثقافة العصر وانتاجه العلمي، وقد سيطرت على عقليات النحاة، ووجدوا فيه متنفسا وترويضا لاذهانهم بعد ان ضيق عليهم في المادة النحوية نفسها. وبقيت هذه المادة النحوية كما خطتها يد سيبويه دون ان يجوؤ احد على احداث تغيير فيها او اضافة جديدة اليها الا في اضيق الحدود، ودأب النحاة على تعاور الشواهد القرانية والشعرية والامثال والاقوال، وحتى المادة اللغوية التي تضمنها" الكتاب" وقد لمسنا- ذلك بوضوح حين قمنا بتخريج الشواهد التب اوردها المفصل، فقد وجدنا هذه الشواهد تتكرر في كل مؤلف من مؤلفات النحو. وربما يكون مصدر هذا التضييق في المادة النحوية تلك المادة اللغوية المحدودة التي اخذها اساتذة سيبويه من عدة قبائل تسكن في بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، وقعدوا عليها قواعد النحو، اما لغات سائر القبائل الاخرى فقد اهدرت ، واو قيض لها ان تحظى بعناية الرواة وعلماء اللغة ، لامكن ان تحدث تغييراً شاملا في المادة النحوية، او توجه النحو العربي على الاقل، وجهة اخرى غير وجهته التي نراه عليها في وقتنا هذا.

وصفوا القول، فان الفترة الزمنية الممتدة من عصر سيبيه الى عصرالزمخشري ، تعتبر العصر الذهبي للدراسات اللغوية ، فقد رسخت أصولها، وتشعبت مجالاتها حتى شملت تقريبا كل شئ يتصل بالكلمة اللغوية: اصلها ، ومعناها، وبنيتها، وشكلها، ودلالتها واصواتها، واستعمالها مفرده ومركبة، وما وصل الينا من مجهود العلماء في هذه المجالات يعتبر ثروة علمية نادرة.على

ان مجهود العلماء في هذه الفترة لم يتناول هيكل علم النحو كما تناول المباحث اللغوية الاخرى التي تخدمه وتدعمه ، فبقي علم النحو تقريبا على مهدنابه لدى سيبويه ، حتى الكتب التي ألفت فيه كانت في معظمها مختصرات[1] وبقي الامر كذلك حتى جاء الزمخشري . وباشر امر التجديد واعمل في مباحثه ما يشبه عملية الهدم والبناء[2]

---

(1) انباه الرواة / ١/ ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٩٠- ٢/ ٢١ ، ٣٠، ٧٣، ٨٠ ، ٩٥، ١٤٦، وانظر ايضا اللغة العربية وعلومها / ١٢٣- ١٣٠

(2) تطرو الدرس النحوى / ٧٩

الفصل الأول

منهج الكتاب ومصادره

- طريقة التأليف
- مصادر الكتاب
- المصادر النحوية

طريقته في التأليف :

امتاز عصر الزمخشري بانشاء المدارس، و باتباع نظم وباتباع نظم منهجية في التدريس تقوم اساساً على استخلاص المادة العلمية في إيجاز ووضوح، ثم على حسن تصنيفها ودقة عرضها، وكان على رأسها جميعا المدرسة النظامية التي نسبت إلى مؤسسها نظام الملك .

ونضج في هذ العصر من علوم اللغة مالم ينضج في الأعصر السابقة، ونعني بعلوم اللغة: علوم النحو والصرف، والمعاني والبيان، والعروض وعلم اللغة، والمحاضرات والانشاء، وفي هذا العصر أيضا وضعت أهم كتب النحو والصرف والبيان التي كان عليها معول العلماء في نشر هذه العلوم، وأساس ما ألفه علماء اللغة في تلك العلوم في سائر العصور الاسلامية الى عهد غير بعيد [١] .

وكان الزمخشري خير من يمثل ثقافة عصره وعقليته، يضاف الى ذلك أنه كان معتزليا مما أكسبه طريقة متميزة في طراز التفكير تعتمد أساسا على الاستدلال العقلي، فرأى أن علم النحو يدور حول كتاب سيبويه: شرحا وتعليقا واستدراكا وتعليلا، ثم خلافات جزئية يتركز أكثرها على مسائل فرعية، وبدا له ايضا أن مادة هذا العلم تحتاج إلى صياغةٍ جديدة استجابةً لمتطلبات العصر، وللظروف العلمية والامكانات العقلية لدى الطلاب والباحثين .

ولما كان الزمخشري قد تعمق في جزيئات اللغة وفي تفاصيلها، فأنه بات مقتنعا أن علم النحو قد قصر عن مواكبة اللغة، وأنه يفتقر الى دراسة تجري الدم في شرايينه، والى تخطيط يبعث الروح فيه، وقد نص هذا الاقتناع في مقدمة " المفصل " حين قال [٢]: " .. ولقد ند بني ما بالمسلمين من الأرب الى معرفة كلام العرب، وما بي من الشفقة والحدب على أشياعي من حفدة الأدب لانشاء كتاب في الاعراب، محيط بكافة الأبوب، مرتب ترتيباً يبلغ بهم الأمد البعيد بأقرب السعى، ويملأ سجالهم بأهون السعي .."، ومن هنا، فأنه واجه مسائل النحو وقضاياه وتخطيطه بأسلوب جديد، فهو لم يعالج جزئيات النحو على أنها موضوعات مستقلة كما كان يصنع من سبقوه [٣]، ولم يعالج بعض الظواهر اللغوية التي تخدم المادة النحوية من قريب أو من بعيد، كقضية الأصوات، وقضية العامل، وقضية العمل، وانما اتجه اتجاها مباشرا الى موضوع النحو ومادته ومنهجه فابتدع لذلك خطة بسيطة وشاملة .

---

[١] تاريخ آداب اللغة العربية / ٣ / ٣٧

[٢] مقدمة المفصل / ٩

[٣] انظر: انباه الرواة / ١ / ٨٦، ٩٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٥١، ١٩١

لقد رأى أن أهم قضية نحوية يمكن أن تفي بمتطلبات من يتطلعون الى الالمام السريع بالمادة النحوية، هي قضية: اللفظ المفرد والتركيب اللغوي، فعالج ذلك في مؤلف الصغير: " المفرد والمركب " الذي بحث فيه أحوال اللفظ المفرد وأحوال التركيب اللغوي وأحكامهما النحوية دون أن يغرق الكتاب بالستطراد والاستشهاد والتعليل .

ثم لمس أن المؤلفات النحوية التي سبقت عصره مضطربه المنهج والتبويب والاحكام، ويعبث بها الخلط والتكرير والاستطراد والغموض، فشرع في تأليف "المفصل" في غرة شهر رمضان المبارك سنة: ٥١٣، وفرغ منه في غرة شهر محرم الحرام سنة: ٥١٥، هـ واسمعه من لفظه في المسجد الحرام بباب بني شيبه تجاه الكعلة سنة: ٥١٩هـ دون ان يفصل النحو عن مسائل الصرف التي كانت تربك المؤلفين ، وتوقعهم في الخلط والاضطراب ، فالنحو لديه: مجموعة من الاحكام التي تتصل لاكلمة العربية من حيث: بنيتها وشكلها ووظيفتها في التركيب اللغوي، ولهذا فقد عرض مادة النحوية عرضا سليما سهلا على نسق لم يسبق اليه.

ولاول مرة نجد مؤلفا يعرض منهجه في التأليف في منقدمة كتابه- وهذا اسلوب لم نعهده عند المؤلفين الذين سبقوا الزمخشري في هذا الباب[1] – حيث يقول[2]:"فانشات هذا الكتاب المترجم بكتاب" المفصل في صنعه الاعراب" مقسوما اربعة اقسام:

القسم الاول: في الاسماء .

القسم الثاني: في الافعال.

القسم الثالث: في الحروف.

القسم الرابع: في المشترك.

وصنفت كلا من هذه الاقسام تصنيفا، وفصلت كل صنف منها نفصيلا حتى رجع كل شئ في نصابه واستقر في مركزه وما به، ولم ادخر فيما جمعت فيه من الفوائد المتكاثرة ، ونظمت فيه من الفرائد المتناثرة، مع الايجاز غير المخل، والتلخيص غير الممل، مناصحة لمقتبسيه.."

---

(١) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري /١٠٨، وانظر: المفضل شرح المفصل/ ٣/ ٧

(٢) مقدمة كتاب المفصل/ ١٠

ولاشك ان عرض المؤلف لمنهجه في تأليف الكتاب في مقدمة ، يعد من اهم سمات المنهجية الحديثة في التأليف، كما ان تفسيمه للكتاب الى اربعة اقسام –كما راينا – وبدأه بالاسماء اولا لان الاسم عند البصريين اصل والفغل مشتق منه[1] ثم وضعه للقسم الرابع الذي سماه: "المشترك"،كل ذلك يشير بوضوح الى مدى: التنظيم والترتيب والتنسيق في تأليف الكتاب،وتصل القدرة على الترتيب والتنسيق عنده درجة ، انه عرض في كل قسم من الاقسام الاربعة لجمله من المباحث ، رتب كل مبحث منها في فصول بلغت الغاية في تسلسل عناصر الموضوع وتنظيمها ، وليس هذا غريبا على الزمخشري، فقد راينا مثل هذا التنسيق والتربيب في كثير من مؤلفاته الاخرى ، مثل: مقدمة الادب، واساس البلاغة، والفائق في غريب الحديث، والمستقصى في الاخرى ، مثل: مقدمة الادب، واساس البلاغة ، والفائق في غريب الحديث ، والمستقصى في الامثال، وغيرها ، وقد عرض الزمخشري مادته النحوية في: "المفصل" على النحو التالي:

القسم الاول: في الاسماء ، ويتضمن:

- معنى الكلمة والكلام ، اصناف الاسم: اسم الجنس والعلم ن الاسم والكنية واللعب، المفرد والمركب، المنقولوالمرتجل، الاسم المعربك مايستوفي منه حركات الاعراب والتنوين ، وما يمنع من الصرف والجر.
- وجوه اعراب الاسم
- المرفوعات: الفاعل، المبتدأ والخبر ، خبر"ان" واخواتها ، خبر"لا" التي لنفي الجنس ، اسم "مل"و"لا" المشتبهين بـ"ليس".
- المنصوبات: المفعول المطلع، المفعول بـه، المنـصوب بـاللزم اضـماره، ومنـه: المنـادى، الاختصاص، التحذير، ما اضمر على شـريطة التفـسير(الاشـتغال)، المفعـول فيـه ، المفعول معه ، المفعول له(لاجله) ، الحال، التمييز ، الاستثناء، الخبر والاسم في بـابي: كان وان ، النصول بـ"لا التي لنفي الجنس ، خبر"ما" و" لا" المشبهتين بـ"ليس"
- المجرورات: الاضافة ، التوابع وهي: التأكيد والصفة والبدل وعطف البيان .

ومن أصناف الاسم

المبني: المضمرات، أسماء الاشارة، الالموصولات، أسماء الأفعال والأصوات، الفظروف الكنايات .

---

[1] الرضى / شرح الكافية: ١/٦

ومن أصناف الاسم

المثنى، الجموع وأقسامه، المعرفة والنكرة، المذكر والمؤنث، المصغر، المنسوب، اسماء العدد، المقصور والمدود، الاسماء المتصلة بالأفعال (المشتقات): المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، أفعال التفضيل، أسماء الزمان والمكان، أسم الآدلة .

ومن أصناف الاسم

الثلاثي: الجرد والمزيد فيه، الرباعي: الجرد والمزيد فيه، الخماسي: الجرد والمزيد .

القسم الثاني: في الافعال، ويتضمن:

- تعريف الفعل وخصائصه، الفعل الماضي، المضارع
- وجوه اعراب المضارع: المرفوع، المنصوب ومواضع نصبه، الجزوم ومواضع جزمه .

ومن اصناف الفعل:

ثال الامر، المتعدي وغير المتعدي، المبني للمفعول، أفعال القلوب، الأفعال الناقصة، أفعال المقاربة، فعلا المدح والذم، فعلا التعجب .

القسم الثالث: في الحروف، ويتضمن:

الثلاثي: الجرد والمزيد فيه، الرباعي: الجرد والمزيد فيه .

حروف الاضافي (الجر)، الحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها)، حروف العطف، حروف النفي، حروف التنبيه، حروف النداء، حروف التصديق والايجاب، حروف الاستثناء، حرفا الخ - ومن أصناف الفعل: طاب، حروف الصلة (الزائدة)، حرفا التفسير، الحرفان المصدريان، حروف التحضيض، حرف التقريب، حروف الاستقبال، حرفا الاستفهام، حرفا الشرط، حرف التعليل، حرف الردع، اللامات ى: (لام التعريف- لام جواب القسم – اللام الموطئة للقسم – لام جواب الشرط "لو" و "لولا" – لام الامر – لام الابتداء – اللام الفارقة – لام الجر) تاء التأنيث الساكنة ى، التنوين: أنواعه، النون المؤكدة، هاء السكت، شين الوقف، حرف الانكار، حرف التذكر .

القسم الرابع :المشترك، ، ويتضمن:

ومن أصناف المشترك:

الامالة، الوقف، القسم، تخفيف الهمزة، التقاء الساكنين، حكم أوائل الكلم (همزة الوصل)، زيادة الحروف (أحرف الزيادة)، إبدال الحروف، الاعتلال، الادغام .

هذه هي موضوعات الكتاب ، والنظرة إليها تدل على أن الزمخشري قد حقق ما قاله في مقدمته، فالكتاب مؤلف تأليفا يجمع بين المتجانس من الموضوعات، وهذا التجانس يفتقر اليه " كتاب " سيبويه، كما أن أغلب المصطلحات النحوية التي وردت في كتاب " المفصل " هي نفسها التي نستعملها في عصرنا .

وقد بسط الزمخشري موضوعات الكتاب مباشرة، فلم يشغل نفسه بالتعريفات إلا نادراً، وربما كان الدافع الى هذا النهج أن هذه الموضوعات النحوية كانت غنية عن التعريف لدى الدارسين في عصره، ولذا قام شارحو كتابه بسد هذه الثغره [١] .

يضاف إلى هذا أنه يتناول الموضوع مجملا، ثم يبدأ بالتفصيل [٢]، فيخص كل مسألة من مسأله النحوية بفصل، وقد يطول هذا الفصل أو يقصر تبعا للمسألة، ثم يعزز كل مسألة بالشواهد القرآنية والشعرية والنثرية حسب ما يقتضى واقعها .

ولما أخضع كتابه لخطة مرسومة، ومنهج محدد، فإنه كان مضطرا الى الاعتذار عما يخالف هذه الخطة أو يظن أنه يخالفها، من ذلك مثلا أنه أدرج بحث " المعرب " في قسم الاسماء وكأنه أحسن أن وضعه في هذا القسم قلق، وأن العلماء أو بعضهم سيعترضون عليه، فاعتذر عن ذلك بقوله [٣]: " الكلام في المعرب وان كان خليقا من قبل اشتراك الاسم والفعل في الاعراب بأن يقع في القسم الرابع، الا أن اعتراض موجبين صوب ايراده في هذا القسم:

أحدهما: أن حق الاعراب للاسم في اصله، والفعل انما تطفل عليه فيه بسبب المضارعة

والثاني: أن لابد من تقدم معرفة الاعراب للخائض في سائر الأبواب .

---

(١) انظر مثلا: التوابع، اسم اشارة، الاسماء الوصلة، اسم الآلة .

(٢) انظر مثلا: اسماء الافعال والاصوات، وانظر: الأيضاح شرح المفصل / ٧٧ أ

(٣) المفصل / ١ / ٣٥

وقد اعترض عليه ابن الحاجب فعلا حيث قال [1]:".. وهذا اعتذار غير قوى، فان فيه تسليم الاشتراك، ولم يفرق بينهما الا بالاعتبار كون ذلك أصلا وهذا فرعا،قد وقع في المشترك مثل ذلك"

كما انه – انسجاما مع خطته – اذا بحث موضوعا في قسم من اقسام الكتاب، واقتضى المنهج اعادة بحثه في قسم اخر، يكتفي بذكره أو ذكر ماتم بحثه منه، وقد ينص على أنه قد مر الكلام فيه، فحين أعاد تناول " الاستثناء " في قسم الحروف، اكتفى بذكر هذه الحروف فقط [2]، وحين ذكر حروف الاستقبال " قال [3]: " وقد مر الكلام في: لا ولن " .

ومما يجدر ذكره قول ابن يعيشحين شرع في شرح المشترك [4]:" هذا القسم الرابع هو آخر أقسام الكتاب، وهو أعلاها أشرفها .. إذا كان مشتملا على نكت هذا العلم وتصريفه، وأكثر الناس يضعف عن الاحاطة به لغموضه، والمنفعة به عامة .. " .

من هذا يتبين لنا بوضوح أن كتاب " المفصل " يمثل مرحلة تامة النضج في الدرس النحوي، فقد أجاد الزمخشري في وضع منهج محدد لعرض مادته النحوية، وأفلح في الالتزام بهذا المنهج، مما يسر له أن يعرض الموضوعات عرضا واضحا قريب التناول، مستفيداً من المؤلفات النحوية التي سبقت كتلبه، وحتى ندرك أهمية هذا الكتاب ينبغي أن نقف على المصادر التي اعتمد عليها واستقى منها مادته العلمية .

مصادر الكتاب:

عرفنا أن الزمخشري نبغ في علوم التفسير واللغة والنحو والحديث وغيرها، وأنه قد صنف مصنفات كثيرة نالت إعجاب معاصريه ومن جاء بعدهم، فكان طبيعيا كذلك أن يغترف من منابع هذه العلوم مايروي به مصنفاته، وأن يفيد من مصادرها إفادة تثري مادته العلمية وتعزز الثقة بها، وربما كان " المفصل " أوفر حظا في هذا المجال من سائر مصنفاته، فقد امده الزمخشري بزاد وافر من المادة العلمية التي استقاها من: القرآن الكريموالحديث النبوي الشريف، وكتب اللغة والقراءات والنحو، وكتب الادب ودواوين الشعراء القدامى وغيرها، يضاف الى ذلك ما

---

(1) الا يضاح شرح المفصل / ١١ ب

(2) المفصل / ٢/ ٩٥٣

(3) نفسه / ٣/ ٩٨٠

(4) شرح المفصل / ٩ / ٥٣

اودعه فيه من الامثال والاقوال المنقولة عن القبائل العربية التي يعتد بلغاتها، والاراء العلمية التي ينتهي سندها الى اكابر العلماء، وأهم المصادر التي اعتمدها الزمخشري في تأليف المفصل:

- **القرآن الكريم**

وهو أرقى نص عربي فصيح، وسنام الشواهد النحوية واللغوية، وقد جهد المسلمون في الحفاظ عليه ووقايته من أذى اللحن، وأحاطوه بسياج سميك من الدراسات النحوية واللغوية وحفظه الله تعالى من الخلل والتغير، فبقي على وجدته وحيويته وفصاحته وروعة أسلوبه وسمو لفظه ومعناه .

ويعتبر القرآن الكريم السند الأول في الاحتجاج لدى كل نحوي ودارس للعربية منذ بداية جمع علوم العربية وتدوينه والاحتجاج بها، ولا يكاد يخلو كتاب نحوي من الاحتجاج بآياته فقد استشهد سيبويه بأربعمائة آية في " الكتاب "، وتبعه سائر العلماء الذين صنفوا في علم النحو،وكانت غاية كل عالم منهم أن يجد آية يعزز بها مذهبه في المسألة النحوية التي يعالجها وكان كتاب " المفصل " واحداً من أهم الكتب التي حرصت على الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، فقد ورد فبه مايزيد على: ثلثمائة وخمسين آية موزعة على ست وثمانين سورة، احتج بها الزمخشري على المسائل النحوية والصرفية واللغوية التي أثارها في المفصل، وسوف نتحدث عن الشواهد القرآنية في هذا الكتاب بشيء من التفصيل في الفصل التالي .

- **المصادر النحوية**

- كتاب سيبويه

أقبل الزمخشري على كتاب سيبوبه – دراسة وفهما واستيعابا – حتى اتقنه وكشف خباياه، وحذق فيه وتبنى مادته العلمية، يدل على ذلك قوله [١]:

فقل أين سيبويه كتابه		يقل حجر جار الله – مأوواى- حالفا

وتلك غاية كان يتطلع كل طالب من طلاب النحو ودارسيه إلى تحقيقها آنذاك، وكان من نتيجة ذلك أن أحبه وتعلق به حتى أصبح من رواته وشارحي أبياته [٢]، وكان يمني نفسه أن يؤلف كتلبا يضاهيه في المكانه العلمية، أو على الأقل يستوعب مسائله وقضاياه فيزاحمه على هذه المكانة في حلقات الدرس النحوي .

---

[١] ديوانه / ١٦٩- ظ

[٢] ديوانه / ٤٩، ١٦٩ – ظ

ومن هنا كان من البديهي أن يكون " الكتاب " من أهم المصادر التي يصدر عنها في تأليف " المفضّل " وأن تكون آراء سيبويه و أحكامه عمدة يعتمد عليها في تدوين آرائه و تقرير مسائله، وحين نظرت في " المفصّل " طالعتني عبارات سيبويه و آراؤه منذ الصفحات الاولى، ووجدت شخصيته العلمية تتردد على صفحات " المفصّل " بصورة دائمة، و قد أحصيت المواضع التي ورد فيها اسم سيبويه أو أسم كتابه: فوجدتها: خمسة وتسعين موضعاً .

على أن هناك مواضع كثيرة في المفصّل وردت فيها عبارات سيبويه و آراؤه دون أن يشار الى ذلك، وقد نبهتُ على كثير منها في أثناء تحقيقي للمفصّل وقمت بإثبات ذلك في حواشي الكتاب [1] ومن ذلك مثلا: قال سيبويه في خبر " ما " و لاً المشتبهين ب " ليس ": .. ومثل ذلك قوله عزوجل: " ما هذا بشرا " في لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يرفعونها الا من درى كيف هي في **المصحف**".

وعبارة الزمخشري: " هذا التشبيه لغة أهل الحجاز، و أما بنو تميم فيرفعون ما بعدهما على الابتداء و يقرؤن:" ما هذا بشر" إلا من دارى كيف هي في المصحف "[2] .

وقال الزمخشري في المنادى[3] " وذا كُرّر المنادى في حال الاضافة .. " قال ابن الحاجب: وهي ترجمة سيبويه لأنه قال: هذا باب تكرر في الاسم في حال الاضافة . " وربما يتداخل كلام الزمخشري بكلام صاحب الكتاب فيختلط الأمر على دارسي المفصل و شارحيه و محققي شروحه فيصعب نسبة الكلام الى قائله، من ذلك ما جداء في باب " المفعول معه " حيث يقول الزمخشري:" .. قال سيبويه: لأنّ كنت وتكون يقعان ههنا كثيرا، وهو قليلٌ، ومنه .. قال عبد الكريم جراد في حاشية المفضل شرح المفصل:" وهو قليل: ليس في المفصل، وفي حاشية الاصل: وهو قليل: قيل: هذا لفظ الزمخشري. وقيل: لفظ سيبويه، وانما كان قليلا الى لاحتياجه الى تقدير ما ليس في اللفظ .. اقول: قال سيبويه: وزعموا ان ناسا يقولون: كيف انت وزيدا، وما انت وزيدا ، ونو قليل في كلام العرب"[4] اقول: وهو لفظ شرح المفصل الذي فرغ عبد الكريم جواد من تحقيق الجزأين: الاول والثاني منه.

---

[1] انظر: المفصل / ١ / ١٩٠ / ٢٠١، - ٢/ ٧٣٤ – ٧٥٥- ٧٨٥ – ٣/ ١٠١٩ – ١٠٣٣ – ١٠٤٦

[2] كتاب سيبويه / ١/ ٢٨ ، والمفصل / ١/ ٢١٤

[3] المفصل / ١/ ٩٩، و الايضاح شرح المفصل / ٣٩ ب، و انظر: كتاب سيبويه / ١/ ٣١٥

[4] المفصل / ١/١٤٣ والمفضل شرح المفصل / ٦٤٨/٢، وكتاب سيبويه/ ١/١٥٣

ويبدو الزمخشري واثقاً في دقة سيبويه وضبطه، مطبئنا الى صحة المادة العلمية التي تضمنها كتابه ، ولذلك نراه يبرئ ساحته مما وضع عليه وادخل في كتابه

يقول في مسأله:"المفصل بين المتضايفين"[1]: "وما يقع في بعض نسخ الكتاب من قوله:

فزججتها بمزجة   زج القلوص ابي مزاده

فسيبويه برئ من عهدته

قال البغدادي في الخزانه[2]: "هذا البيت من زيادات ابي الحسن الاخفش في حواشي كتاب سيبويه، فادخله بعض النساخ في بعض النسخ حتى شرحه الاعلم وابن خلف في جمله ابياته ، قال: وانما برأ سيبويه _يعني الزمخشري _ من هذا ، لان سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف ، واذا كان هذا مدهبه فكيف يورد بيتا عبى خلاف مذهبه ، ومنه يظهر لك سقوط قول الجعبرى في شرح الشاطبية ، فانه بعد ان زعم ان هذا البيت من ابيات الكتاب قال ان قلت: فما معنى قول صاحب المفصل: بئ من عهدته ، قلت: معناه من عهدة هذه الرواية لانه يريه: زج القلوص ابو مزادة .. وهذا البيت لم بعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه حتى قال السيرافي: لم يثبته احد من اهل الروايه ، وهو من زيادات ابي الحسن الاخفش في حواشي كتاب سيبويه ويعرض الزمخشري احيانا مسالة نحوية يتنازعها رأيان ، فيرجح احدهما مستندا الى راي حب الكتاب من ذلك مثلا انه قال في باب "المصغر"[3] "ولا يصغر قيل في: فرزق: فيزيد ، وفي جحمرش: جحيمر ، ومنهم من قال: فريزق وجحيرش بحذف الميم- لانهما من الزوائد ، والدال لشبهها بما هو منها وهو التاء. والاول الوجه في بعض الاحيان نقصا في موضع من المواضع في "الكتاب" ، فيورد ما اورد سيبويه يضيف اليه ما زاد غيره من العلماء، وربما يذكر الموضوع بتمامه كما عرف في عصره اولا ، ثم يشير الى ما ذكر سيبويه منه بعد ذلك، فمثال الاول قوله في باب: "اسماء الافعال والاصوات"[4]:"حيهلا- بالالف- ذكر هذه اللغات سيبويه، وزاد غيره: حيهل وحيهلَ وحيهلاً. ومثال الثاني في باب "الافعال الناقصه" [5] وهي: كان وصار واصبح وامسى واضحى وظل وبات وما زال ما برح وما انفك وما فتئ وما دام ولم يذكر سيبويه منها الا: كان وصار

---

[1] المفصل/ ١/ ٢٥٢

[2] خزانه الادب/ ٢/ ٢٥٢ ، وانظر: المفصل في شرح ابيات المفصل/ ١٠٣

[3] المفصل / ٢/ ٥٤٢- ٥٤٣

[4] المفصل / ١/ ٣٨٤

[5] المفصل/ ٢/ ٧٨٤- ٧٨٥ وانظر كتاب سيبويه / ١/ ٢١/ والمقتضب / ٤/ ٨٦، والمقدمة المحسبة / ٢/ ٣٤٩ والايضاح شرح المفصل / ١٢٩

وما دام وليس ، ثم قال: وما كان نحوهن من الفعلم مما لا يستغني عن الخبر" ويبسط المسالة النحوية احيانا ، وذكر اختيار سبويه فيها، ثم يذكر رايا اخر يخالفه دون ان ينسبه الى صاحبه من العلماء الذين سبقوه ، مما يوقع في اللبس فيوهم انه صاحب هذا الراي وليس كذلك ، من ذلك مثلا انه قال في باب " الاستثناء"[1] "وان قدمت المستثنى على صفحة المستثنى منه ففيه طريقان:

احدهما: وهو اختيار سيبويه: ان لا تكترث للصفة ، وتحمله على البدل . الثاني: ان تنزل تقديمه على الصفة منزله تقديمية على الموصوف فتنصبه ، وذلك قولك: ما اتاني احد الا ابوك خير من زيد، وما مررت باحد الا عمرو خير من زيد ، او تقول: الا اباك، والا عمراً والراي الثاني اختاره ابو عثمان المازنيي، قال السخاوي[2]: قال يعيني المازني لان الاول اذا ابدلت منه ، فهو في حكم المنحى من اللفظ وان كان في المعنى موجودا ، واذا كان في معنى الساقط، جاء النعت بعد ان اقتضى البدل سقوطه ، فكيف ينعت ما هوساقط؟" وكثيرا مانجد صاحب المفصل يود مذهب سيبويه في المسأله النحوية دون ان يعقب عليه او يذكر ما يخالفه فيها، مما يشعرنا انه قد اطمأن الى صحة الرأي وتبناه... ومن لك ما يلقان في الفصل الاخير من باب"الافعال الناقصة" الذي يقول فيه[3] "وفصل سيبويه في تقديم الظرف وتأخيره بين اللغو منه والمستقر، فاستحسن تقديمه اذا كان مستقا نحو قولك: ما كان فيها احد خير منك ، وتأخير اذا كان لغوا نحو قولك: ما كان احد خيرا منك فيها"

ويذكر احيانا رأي سيبويه واستاذه في المسأله ، ثم يتبعه راي غيرهما، ويورد احيانا اخرى بخلاف بين صاحب"الكتاب" وغيره من العلماء، دون ان يرجح رايا منهما، الا ان الزمخشري يطمئن في الاغلب الاعم اللا راي سيبويه ويتبناه ، يقول في فصل من باب"المنسوب" [4]:"وتقول في كلتا: كلتي وكلتوي، على المذهبين".

ويقول باب"التعجب"[5] " واختلفوا في "ما" في فهي عند سيبويه غير ولا موصوفة وهي مبتدأ ما بعده خبره، وهي عند الاخفش موصوله صلتها ما بعدها، وهي مبتدأ محذوف الخبر" ولما احرز عصر الزمخشري تطوراً ملحوظاً في الدرس النحوي، واستقرت المصطلحات النحوية على وضع

---

[1] المفصل / ١/ ١٩٠

[2] المفصل شرح المفصلم٢/ ٧٧١ ، وانظر ابن يعيش / شرح المفصل / ٢/ ٩٢

[3] المفصلم٢/ ٨٠٢- ٨٠٣، وانظر: ١/ ٤٦، ١٢٥، ٢٩٣-٢ ، ٦١٧، ٦٧٨،٧٣٨ ، ٨٤٥، ٩٢٢، ٩٣١ - ٩٧٤، ١٠٧٤، ١١٧٧، ١٢٨٥،١٢٥٧

[4] المفصل / ٢/ ٥٨٠-٥٨١ ،وانظر: كتاب سيبويه/ ٢/ ٨١،٨٢

[5] المفصل/ ٢/ ٨٢٦٢٧-٨٢٧

جديد، اصبح دارسو علم النحو في حاجة الى معرفة المصطلحات التي كانت شائعة في عصر الرعيل الاول من اساتذة النحو وراواده، ليسهل عليهم النظر في مئلفانهم ، ومن هنا،حرص صاحب المفصل في اصثناء معالجة لبعض الموضوعات على ان ينبه الى المصطلح الذي استخدمه سيبويه في كتابه ، من ذلك مثلا قوله في باب " المفعول المطلق"[1] "وهو المصدر ، سمي بذلك لان الفعل يصدر عنه، ويسميه سيبويه: الحدث والحدثان، وربما سماه الفعل"

وقوله في باب "الموصولات"[2] "والموصول ما لا بد له في تمامه اسما من جمله تردفه، من الجمل التي تقع صفات ، ومن ضمير فيها يرجع اليه، وتسمى هذه الجملة: صلة ، ويسميها سيبويه:الحشو" وحين نظرت في الشواهد الشعرية التي استشهد بها سيبويه في "الكتاب" وجدت ان كثيرا منها قد ورد في: المفصل، مما حفزني الى القيام باستقصائها وحصرها، فكشف لي هذا الاستقصاء ان الزمخشري قد استشهد بثلاثة شواهد ومائتين من تلك التي وردت في كتاب سيبويه من شعر ورجز، وذا نظرت في " المفصل " فستجد الزمخشري يقول احيانا وانشد [3] "انشد صاحب الكتاب"[4] وانشد سيبويه[5] وليس هذا فحسب ، بل اكثر الشواهد: القرانية والامثال والاقوالوالماجة اللغوية والاراء التي استغلها سيبويه في بناء هيكل مادته النحوية ، وردت في كتاب " المفصل" ايضا، وقد اشرت الى ذلك في مواضعه في قسم التحقيق من هذا الكتاب، وهذا كله يعكس لنا مدى تعلق الزمخشري بكتاب سيبويه، وقد بينت في اثناء التمهيد لهذا الباب ان هذه الشواهد جميعا عد تداولتها المؤلفات النحوية قلة وكثرة تبعا لمنهج الكتاب وللموضوعات النحوية التي يجرسها، وذلك منذ عهد سيبويه الى عصر الزمخشري وما بعده وعلى الرغم من ثقة الزمخشري بسيبويه واكباره بكتابه ، وتبنيه لكثير من ارائه النحوية ، فانه لم يكن ضلا له ، وانما كان شخصية نحوية متميزة ، لها طابعها الخاص في التفكير ، واسلولبها المعين في التعامل مع المادة العلمية ، فكان يعمل فكرة في كل مسألع من المسائل ، ويستنبط من خلال ذلك رأيا يرتضيه ، ثم يجهد نفسه في تلمس الشاهد الذي يعزز هذا الرأي ، وليس هذا النمط من التفكير

---

[1] المفصلم١/ ٧٢ ، وانظر: كتاب سيبويه/ ١/ ٢،١٦ – وابن يعيش / شرح المفصل/ ١/ ١١٠

[2] المفصل/ ١/ ٣٤٩-٣٥٠، وكتاب سيبويه / ٢/ ١٠٦ ط هارون

[3] المفصل م٢/ ٦٣٩

[4] نفسه/ ٢/ ٥٩٥

[5] نفسه م١/ ٩٦- ٣ / ١٠٦١، ١٢٧٢، ١٢٧٣

غريبا على الزمخشري ، فهو مفسر مبدع ، وفقيه مجتهد ، ومفكر ملتزم لهذا كان طبيعيا ان يخالف سيبويه في مواضع كثيرة ، من ذلك مثلا: يقول سيبويه فيباب الموصلا ت[1] من: لا يثني ولا يجمع في الاستفهام، ولا يضاف وانما يجوز على هذا قول شاعرٍ قاله مرة في شعرٍ، ثم لم يسمع بعده مثله " ويقول الزمخشري في الباب نفسه [2] "و اذا اسيتفهم بها الواقف عن نكرة، قابل حركته في لفظ الذاكر من حروف المدّ بما يجانسها يقول اذا قال جاءني رجلٌ: منو .. و في التثنية: منان و منين، و في الجمع: منون و منين " . و من ذلك ايضا قول الزمخشري في باب الاعتلال [3]: " و فُعلى من الياء اذا كانت اسماً قلبت ياؤها واواً كالطوبى و الكوسا من: الطيب و الكيس، ولا تقلب في الصفة كقولك: مِشية حِيكى و قمسمةٌ ضِيزى " .

قال ابن الحاجب:[4] .. هذا مما جاء على خلاف قياس مذهب سيبويه، و موافقاً لمذهب الأخفش، لأن الياء اذا وقعت عيناً و قبلها ضمة فسيبويه يقول: تُقلب الضمةُ كسرةً، و الأخفش يقول تقلب الواو ياءً، و كذلك فعل ههنا .

و هكذا ... كان " الكتاب " أول المصادر التي صدرَ " المفصل " عنها، بل و أهمها جميعا، اذا استطاع الزمخشري أن يفيد منه إفادة كبيرة، مما أدى الى إثراء مفصله بالمادة العلمية، و اكسابه من ثم شهرةً واسعة .

الأخفش الأوسط :

ويعتبر الأخفش سعيد بم مسعدة الشخصية النحوية الثانية التي إعتد بها الزمخشري، وتأتي آراؤه في المرتبة الثانية بعد آراء سيبويه، فقد أخذ عنه فأكثر، إذ تردد اسمه في ثلاثين موضعا من كتاب المفصل .

وكان الاخفش – كما قالوا – أحذق من أصحاب سيبويه، و الطريق الوحيد إلى كتابه، فهو أول أستاذ يقرأ عليه " الكتاب " [5] وهذا يعني أنه كان متقناً لمادة الكتاب، عارفاً بمداخله ومخارجه، مطّلعاً على مواطن الضّعف و القوّة فيه . أضِف الى ذلك أنه عاصر سيبويه – وكان أسنّ منه – وسمع منه وناقشه، و لعلّ هو الذي ارتقى به لأنه يخالف سيبويه في مسائل كثيرة،

---

[1] كتاب سيبويه / ١/ ٤٠٢

[2] المفصل / ١/ ٣٦٤

[3] المفصل / ٣/ ١٢١٤–١٢١٥، و انظر: البرهان في علوم القرآن / ٢ / ٥٠٩

[4] الايضاح شرح المفصل / ٢٠٢ ب .

[5] اخبار النحويين البصريين / ٣٩

على الرغم من انهما ينتميان الى مدرسة نحوية واحدة . وقد حفلت المؤلفات النحوية بمسائل هذا الخلاف بين العالمين الكبيرين فتناقلتها و احتفظ بها العلماء و حفظوها، ونقل " المفصل" ايضا بعض المسائل، من ذلك مثلا قول الزمخشري في باب " الاعتلال "[1]: و رأي صاحب الكتاب في كلّ ياءٍ هي عينٌ ساكنةٌ مضموم ما قبلها: أن تقلب الضمةُ كسرةً لتسلم الياءُ، فإذا بنى نحوَ: بردٍ من البياض، قال بيضٌ . و الاخفش يقول: بوضٌ، ويقصر القلب على الجمع في نحو: بيض، في جمع أبيض .

و معيشة عنده يجوز أن تكون: مَفْعِلة و مَفْعُلة، و عند الاخفش هي: مَفْعِلة، ولو كانت مَفْعلة، لقلت: معوشة .

و اذا بنى من البيع مثل: تُرْتُبٍ، قال تُبيعٌ، و قال الاخفش: تُبوع ... و المضوفة في قوله :

و كنت أذا جاري دعا لمضوفةٍ   أشمِّرُ حتى يُنصُفَ السّاق مِئزري

كالقود و القُصوى عنده، وعند الاخفش قياس .

و اشتهر ابو الحسن بكثرة السّماع من أفواه العرب الفصحاء، و قد نقل عنه الزمخشري في المفصل بعض مسموعاته، من ذلك قوله في باب " التقاء الساكنين "[2]: ... و في نحو: اخشو القوم، للفصل بين: واو الضمير وواو " لو "، وقد كسرها قوم كما ضمّ قوم واو " لو " في: لو استطعنا، تشبيها بها .... وقد حركو في نحو: رُدّ و لم يرُدّ بالحركات الثلاث، و لزموا الضم عند ضمير الغائب، و الفتح عند ضمير الغائبة، فقالوا: رُدّهُ و رُدّها، و سمع الاخفش ناسا من بني عُقيل يقولون: مُدّهِ و عُضِهِ بالكسر ... و ينقل عنه بعض الالفاظ اللغوية التي ينفرد بروايتها، من ذلك قوله في باب " الثلاثي "[3] فالزيادة الواحدة قبل الفاء في نحو: أجْدَل و إثْمد و إصبع ... و مُنخُلف و مُصحَف و مُنخَر، وهِبلَع عند الاخفش .

و يورد احيانا بعض الشواهد الشعرية التي يرويها ابو الحسن، ليُدعّم بها وجهة نظرهُ في المسألة النحوية أو الصرفية التي يبحثها، يقول في باب إبدال الحروف[4]: و الهاء أبدلت من

---

(1) والمفصل / ٣/١١٩٨ – ١٢٠٠، و انظر: كتاب سيبويه / ٢ / ٣٦٣ – و المقتضب / ١ / ١٠١ و المنصف / ١ / ٢٩٦ – ٢٩٩ – والممتع / ٢ / ٤٦٧ – ٤٦٩ .

(2) المفصل / ٣ / ١١٠٢ – ١١٠٤

(3) المفصل / ٢ / ٦٨٤ – ٦٨٦، و انظر ايضا: /١/٥٤٣ – ٢/ ٥٩٨ – ٣ / ١١٢٩

(4) المفصل / ٣ / ١١٦١ - ١١٦٣

الهمزة و الياء و التاء، فأبلها من الهمزة في: هَرَقْت الماءَ .. وهِنْ فَعَلت فعلْتُ، في لغة طيئٍ، وفيما أنشد ابو الحسن: واتى صَواحِبَها فقلنَ هذا الذي منَح المودّةَ غيرنا و جَفَاتَا

اي: اذ الذي ... على ان الزمخشري اخذ عن الاخفش بعض آرائه النحوية و أودعها في كتاب المفصل دون أن يذكر المصدر الذي نقل منه هذه الآراء، أو سيندها الى صاحبها، بل يظهر من خلال أسلوبه أحيانا أن الرأي من إنشائه، يقول في باب التعجب [(١)]: .. و أما أكرم بزيدٍ، فقيل: أصله: أكرم زيدٌ، أي: صار ذا كرم كأغدّ البعير، أي: صار ذا غُدة، الا انه أخرج على لفظ الامر ما معناه الخبر: كما اخرج على لفظ الخبر ما معناه الدعاء في قولهم: رحمه الله، و الباء مثلها في: كفى بالله، و في هذا ضربٌ من التعسّف . و عندي أن اسهل منه مأخذ ا أن يقال: إنه أمرٌ لكل أحدٍ بأن يجعل زيدا كريما، أي: بأن يصفه بالكرم، و الباء مزيدةٌ مثلها في قوله تعالى [(٢)]: و لاتُلقوا بأيديكُم إلى التّهلُكة " للتأكيد و الاختصاص، أو أن يصيره ذا كرم و الباء للتعديه، هذا أصله، ثم جرى مُجرى المثل فلم يُغيّر عن لفظ الوحدة في قولك: يا رجلان أكرم بزيد، و يا رجالُ أكرِم بزيدٍ . قال صاحب الأزهار الصافية [(٣)]: ان المعنى في أكرم زيد، أي صار ذا كرم، الا انه اخرج لفظ الأمر ومعناه: الخبر، كما أخرج لفظ الخبر و الغرض به الدعاء كقولك: رحمه الله تعالى: وكفى بالله شهيدا " سورة النساء / ٧٩ – ١٦٦ و ثانيهما: أن تكون الصيغة باقية على الدلالة على كونها أمراً من غير تغيير، إما على أنها أمر لكل أحد أن يصف زيدا بالكرم ،و إما أمر لكل أحدٍ أنْ يصيّره ذا كرم، و على هذا تكون الباء في موضع نصبٍ على القياس، وهذا هو رأي الزجّاج أبي إسحاق و نصره الزمخشري محمود، وهو رأي أبي الحسن الأخفش .

الخليل بن أحمد الفراهدي

وأخذ أيضا عن الخليل، فقد تردد آراؤه النحوية واللغوية في: سبعة وعشرين موضوعا من " المفصل"، وحين يأخذ الزمخشري آراء الخليل، فانما يأخذها من كتاب سيبويه، ذلك أن الخليل كان أستاذ سيبويه كما عرفنا، وأن آراءه لقيت حظوة من لدنه، وحين صنف كتابه استقصى آراء أستاذه وأدرجه في مواضعها من" كتاب " يدل على ذلك قول الزمخشري في باب "الاعتلال" [(٤)]:".. وسأل

[(١)] المفصل / ٢ / ٨٢٤ – ٨٢٦

[(٢)] سورة البقرة / ١٩٥

[(٣)] الازهار الصافية / ٨٠٥ – ٨٠٦، وانظر: المقدمة المحسبة / ٢ / ٣٨١ – و المرتجل / ١٤٨ –و ابـن يعـيش / شـرح المفصل / ٧ / ١٤٨ – و شرح ابن عقيل / ٢ / ١٢٠ – و شرح الاشموني / ٢ / ٣١٠

[(٤)] المفصل / ٣ / ١٢٣٣ – ١٢٣٤، وكتاب سيبويه / ٢ / ٣٨٣، وانظر: المقتضب /١ / ١٨٩ – والايضاح شرح المفصل / ٢٠٤ أ.

سيبويه الخليل عن قولهم: صلاءة وعباءة وغطءة، فقال: إنما جاءوا بالواحد على قولهم: صلاء وعباء وغطاء، وأما من قال: صلاية وغطاية وعباية، فانه لم يجي بالواحد على الصلاء والعباء، كما أنه اذا قال و خُصيان: لم يثنه على الواحد المستعمل في الكلام"، وفي كتاب سيبويه: " وسألته عن قولهم: صلاءة وعباءة وغطاءة ...".

ويعرض رأي الخليل أحيانا ثم يبين مواقف العلماء من هذا الرأي، وبخاصة يونس بن لاحبيب وسيبويه، فهو يقول في باب " المضمرات " [1]: ".. وإذا كني عن الاسم الواقع بعد "لولا" و"عسى" ، فالشائع الكثير ان يقال: لولا انت ولولا انا، وعسيت وعسيت ، قال الله تعالى: "لولا انتم لكنا مؤمنين" – سورة/ ٣١-، وقال تعالى: "فهل عسيتم " سورة محمد / ٢٢- ، وقد روى الثقات عن العرب: لولاك ولولاي ن وعساك وعساني ...، واختلف في ذلك / فمذهب / سيبويه وقد حكاه عن الخليل ويونس: ان الكاف والياء بعد "لولا" في موضع الجر، وان لـ "لولا" مع المكني حالا ليس له مع المظهر ... وهما بعد "عسى " في محل النصب بمنزلتهما في قولك: لعلك ولعلي. ومذهب الاخفش انهما في الموضعين في محل الرفع.."

ويقول في باب "المنسوب": وتقول في: غزو وظبيٍ: غموي وظبييّ، واختلف في مالحته التاء من ذلك: فعند الخليل وسيبويه: لافصل ، وقال يونس في: ظبية ودمية وقنية: ظبوي، ودموي وقنوين وكذلك بنات الواو كغزوة وعروة ورشوة، وكان الخليل يعذره في بنات الياء دون بنات الواو..."

وتراه احيانا اخرى ينقل رأي الخليل في المسألة من كتاب سيبويه ، ثم يسوق بعد ذلك آراء العلماء الذين خالفوه، ويتبنى احد هذه الاراء ، من ذلك قوله في باب" حروف النفي" [2]: "ولن: لتأكيد ما تعطيه "لا" من نفي المستقبل: تقول: لا ابرح اليوم مكاني، فاذا ولذت وشددت قلت: لن ابرح اليوم مكاني وقال الخليل ك اصلها:لا أن فخففت بالحذف، وقال الفراء: نونها مبدله من الف"لا" وهي عند سيبويه: حرف براسه ، وهو الصحيح، ويبسط المسألة مرة ، ثم يذيلها بما يزعم الخليل مما يخالف مذهبه ن من ذلك قوله في باب الاعتلال" [3] "وابنية الفعل فيالواو على:

---

[1] المفصل / ١ / ٣٣١ – ٣٣٦

[2] المفصل / ٢/ ٩٣٦- ٩٣٧- ٣/ ١٠٨٠، وانظر: كتاب سيبويه/ ١/ ٤٠٧

[3] المفصل / ١/ ٣١٢

فعل يفعل ، نحو: قال يقول ، وفعل يفعل ، نحو: خال يخاف وفعل يفعل ، نحو: طال يطول وجاد يجود اذا صار: طويلا وجوادا.

وفي الياء على: فغل يفعل، نحو:باع يبيع ، وفعل يفعل، نحو هاب يهاب ، ولم يجئ في الولو يفعل- بالكسر- ، ولا في الياء: يفعل – بالضم- .

وزعم الخليل في: طاح يطيح وتاه يتيه، انهما: فعل يفعل، كحسب يحسب، وهما من الواو لقولهم: طوحة وتوهت ، وهو أطوح منه واتوه ، ومن قال: طيحت وتيهت ، فهما على: باع يبيع" ويعرض المسألة مرة اخرى، ثم ينقل من كتاب سيبويه ما حكاه الخليل عن بعض العرب ، ويبين انه يعمل عليه ، لانه يخالف ما تواضع عليه اصحابه البصرون- يقول في باب " لمضمرات":[1] والحروف التي تتصل بـ "ايا" من الكاف ونحوها لواحق للدلا لة على احوال المرجوع الية وكذلك كالتنوين وتاء التأنيث وياء النسب ، وما حكاه الخليل عن بعض العرب: "اذا" بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب" مما لا يعمل عليه".

ويضع المسألة النحوية احيانا ثم يسوق راي الخليل ، ليستدل به على صحة مذهبه، من ذلك قوله في باب المضارع " المنصوب"[2]: وتقول اريد ان تأتيني ثم تحدثني ، ويجوز الرفع الخليل في قوله عروة العذري:

وما هو الا ان اراها فجأة   فأبهت حتى ما اكاد اجيب

الرفع والنصب في: فابهت"

زينقل راي الخليل احيانا اخرى من كتابه مباشرة، يقول في مخارج الحروف من باب "الادغام" [3] وصاحب العين يسمي القاف واكاف: لهويتين ، لان مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد: شجرية لان مبدأها من شجر الفم ،وهو مفرجه ، والصاد والسين والزاي اسلية، لان مبدأها من اسلة اللسان.."

ضمن"المفصل" بعض المسائل النحوية التي نقلها سيبويه عن الخليل، ولكن الزمخشري نسبتها اليه ، وربما يكون سبب ذلك انها مما شاع بين علماء النحو ودارسيه فاصبح في حكم الاقوال المشهورة التي لا تحتاج الى بيان ، يقول في باب" الحروف المشبهة بالفعل[4] كان هي للتشبيه ، ركبت الكاف

---

[1] المفصل/ ١/ ٣١٢

[2] المفصل / ٢/ ٧٤٦- ٧٤٧، وانظر: كتاب سيبويه / ١/ ٤٣٠

[3] المفصلم٣/ ١٢٥٨

[4] المفصل م٢/ ٩١١- ٩١٢

مع: "أن " كما ركبت مع: "ذا" و"أي" في ، وكاين ، واصل قولك: كان زيدا الاسد: ان زيدا كالاسد، فلما قدمت الكاف فتحت لها الهمزة لفظاً ن والمعنى على الكسر، والفصل بينه وبين الاصل: انك ههنا بان كلامك على التشبيه من اول الامر ن وثم بعد مضي صدره على الاثبات"
قال سيبويه في كتابه[1]: وسألت الخليل عن "كان " فزعم انها "أن" بحقتها الكاف التشبيه ولكنها صارت مع ان كلمة واحدة.."

وابو العباس المبرد

كانت كتب المبرد من المصادر التر اعتمدها الزمخشرين فقد ورد ذكره في: اربعة عشرموضعا ، ويبدو ان الزمخشري قرأ الكتب النحوبة التي صنفها المبرد قراءة جيدة ، وافاد منها وافاد جمة، ونظن انه كان يستعرض هذه الكتب من ان الى اخر ويبحث فيها عن راي المبرد في ضمن المسائل النحموبة في الثناء تصنيف المفصل ، يدل على ما نذهب اليه قوله في باب " الاستثناء [2] المثنى في اعرابه على خمسة اضرب:

احدها: منضوب ابد ، وهو على ثلاثة اوجه: منها ما استثنى بـ "الا" من كلام موجب، وذلك جاءني القوم الا زيداً ، وبـ "عدا" و"خلا" بعد كل الكلام بعضهم يجر بـ"خلا" وقيل: بهما ، ولم يورد القول سيبويه ولا المبرد" ونرى الزمخشري يسوق رأي المبرد في المسألة النحوية ، ولا يعقب على رايه بشئ ، من ذلك في باب " اسماء الاشارة[3] "وقولهم: ذلك ، هو: ذاك زيدت في اللام ، وفرق بين ذا وذاك وذلك ، فقيل الاول للقريب، والثاني للمتوسط / زتلثتلث" للبعيد. وعن المبرد ان: "ذانك" مشدده- تثنية: ذلك ، ومثل في المؤنث: تلك وتاك وهذه قليلة .

وذلك ايضاً قوله في باب"الحروف الكشبهة بالفعل[4]: لعل: هي لتوقع مرجو او مخوف ، وفيها لغات لعل وعل وعن وان ولعن ولغن وعند ابي العباس ان اصلها: "زيدت عليها لام الابتداء" .

ويبسط المسألة النحوية احيانا ، ويبين ما يتنازعها من آراء العلماء ثم يورد رد المبرد لها، في باب المذكر والمؤنث[5] والتأنيث على ضربين: حقيقيٌ كتأنيث المرأة والناقة ونحوهما مما بازائه ذَكَرٌ في الحيوان، وغير حقيقي كتأنيث الظُّلْمةِ والنَّعْلِ ونحوهما مما يتعلق بالوضعِ والاصطلاح .

---

[1] كتاب سيبويه / ١/ ٤٧٤ وانظر ايضا: الخصائص / ١/ ٣١٧- المعنى / ١/ ١٩١
[2] المفصل / ١/ ١٧٦
[3] المفصل/ ١/ ٣٤٤- ٣٤٥
[4] المفصل/ ٢/ ٩١٧، ٩٢٠، وانظر المقتضب/ ٣/ ٧٣
[5] المفصل/ ٢/ ٥١٩،٥٢١، وانظر المقتضب / ٢/ ١٤٨

والحقيقي أقوى، ولذلك امتنع في حال السعة:جاء هند، وجازَ: طلعَ الشمسُ وان كان المختار: طلعت، فإنْ وقعَ فصل استُجيزنحو قولهم: حضر القاضي اليوم امرأة، وقول جرير، لقد ولد الأخَيطل أم سوءٍ .

وليس بالواسع، وقد رَدَّهُ المبرد ..

ويعرض المسألة أحياناً أخرى،ثم يورد مخالفة المبرد لسيبوية فيها دون أن يرجع رأي أحدهما وقد تكرر هذا في عدة مواضع، من ذلك مثلاً قوله في باب حروف النفي [١] . وإن: بمنزلة "ما" في نفي الحال، وتدخل على الجملتين: الفعلية والسمية كقولك: إن يقوم زيد، وإن زيد يقوم .. ولايجوز إعالها عمل "ليس" عند سيبوية، وأجازة المبرد" .

وفي المقتضب [٢] .. وكان سيبوية لايرى فيها الا رفع الخبر .. وغيره يُجيزُ نصبَ الخبر على التشبيه ب "ليس"، كما فعل ذلك في "ما"،وهذا هو القول، لأنه لافصل بينها وبين "ما" في المعنى " . وقد يتناول المسألة النحوية، وينقل مايجيز المبرد من أوجهها، ثم يستشهد بشعرٍ يدفع به مايجيزه: يقول في باب "الاضافة" [٣] " .. ةالأسماء الستة متى أضيفت الى ظاهر أومضمر ماخلا الياء فحكمها .. فأما إذا أضيفت إلى الياء فحكمهاغيرمضافة، أى: تُحذف الأواخر إلاّ ذو" فانه لايضاف إلا الى أسماء الأجناس الظاهرة .. وللفم مُجريان: أحدهما مجرى أخواته، وهو أن يقال: فمى،والفصيح: في: في الأحوال الثلاث، وقد أجاز المبرد: أبي وأخَيَّ، وأنشدَ:

وأَبَيَّ مالكَ ذو المجاز بدَار وصحة مَحْمِلِه على الجمع في قوله: وفَدَّيَنَنا بالأَبِينَـــا تدفعُ ذلك" .

وربما ينقل رأيَ المبرد في مسألة، أو يسوق عبارة من عبارته دون أن يشير الى ذلك، يقول في باب "الظووف" [٤] ومنها: الآن، وهوالزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم، وقد وقعت في أول أحواهل بالألف واللام، وهي علة بنائها قال العكبري [٥]: هذا لفظ السيرافي، فأنه يقول: ومعنى "الآن": أنه اختاره المصنف" – يعني: الزمخشري – .

وجاء في باب المقصور والممدود" [٦] ": وكذلك: العواء والثغاء والدعاء والرغاء .. وهي عبارة سيبويه والمبرد .

---

[١] الفصل / ٢ / ٣٨٩، وانظر أيضا: ١/ ١٥٤، ١٧٢ – ٢ / ٥٧٠

[٢] المقتضب / ٢ / ٣٦٢، وانظر: كتاب سيبوية / ١ / ٤٧٥ .

[٣] المفصل / ١ / ٢٦٥ – ٢٦٨ .

[٤] المفصل / ١ / ٤٣٣ .

[٥] المحصل شرح المفصل / ٢ / ١٥٢ ب – ١٥٣

[٦] المفصل / ٢ / ٦١٠، وانظر: كتاب سيبوية / ٢ / ١٦٣ / والمقتضب / ٣ / ٨٦

يونس بن حبيب

وتردد اسم يونس في تسعة مواضع من كتاب المصل، يكشف أكثرها عن أوجه الخلاف في بعض المسائل النحوية بين يونس من جهة، وسيبوية وأساذه الخليل من جهة أخرى [١] .

وترى الزمخشري يعالج المسألة، ويسوق رأي الخليل فيها ، ثم يرد فه برأي يونس دون ان يحدد موقفه من الرأيين او من احدهما، يقول في باب المنادى [٢]: " ولا بد لك في مندوب من ان تلحق قبله يا"او" وا" وانت الحاق الالف في آخره مخير فتقول: زيداه او وازيد والهاء اللاحقة بعد الالف للوقف خاصه دون الدرج ويلحق ذلك المضاف اليه فيقال: واأمير المؤمنيناه ولا يلحق الصفة عند الخليل فلا يقال: وازيد الظريفاه،وقد يتناول المسألة النحوية ، وينقل ما يجيز المبرد من اوجهها ، ثم يستشهد بشعر يدفع ما يجيزه: يقول في باب الاضافة[٣] والاسماء الستة متى اضيفت الىظاهر اومضمر ما خلا الياء فحكمها... فما اذا اضيفت الى الياء فحكمها حكمها غير مضافة اي: تحدف الاواخر الا ذو فانه لا يضاف الا الى اسماء الاجناسالظاهرة وللفم مجريان: احدهمامجرى اخواته وهو ان يقال: فمى والفصيح: في الاحوال الثلاث وقد اجاز المبرد: ابي واخي وانشد: وابي مالك ذو المجاز بدار

وصحة محملة على الجمع في قوله: وفدينا يننا بالأبينا

تدفع ذلك

وربما ينقل رأي المبرد في مسألة ، او يسوق عبارة من عباراته دون ان يشير الى ذلك، يقول في باب الظرووف[٤] ومنها: الان ، وهو الزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم، وقد وقعت في اول احوالها بالالف واللام ، وهي علة بنائها"

قال العكبري[٥] هذا لفظ السيرافي ، غنه يقول: ومعنى "الان" انه الزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم قال المبرد وابن السراج انها خالفت نظائرها وهو الذي اختاره المصنف يعني: الزمخشري- وجاء باب"المقصور" والممدود"[٦] "

---

[١] انظر المفصل/ ١/ ٣٣٥-٢/ ٥٧٤، ٥٧٥ ، ٥٨٠

[٢] المفصل / ١/ ١٠٤

[٣] المفصل/ ١/ ٢٦٥- ٢٦٨

[٤] المفصل/ ١/ ٤٣٣

[٥] المحصل شرح المفصل/ ٢/ ١٥٢ب ١٥٣

[٦] المفصل/ ٢/ ٦١٠،وانظر كتاب سيبويه / ٢/ ١٦٣- والمقتصب/ ٣/ ٨٦

وكذلك: العواء والثغاء والدعاء والرغاء.."وهي عبارة سيبويه والمبرد.

__وتردد اسم يونس في تسعة مواضع من كتاب المفصل، يكشف اكثرها عن اوجه الخلاف في بعض مسائل النحوية بين يونس من جهة ، وسيبويه واستاذه الخليل من جهة اخرى[١] وترى الزمخشري يعالج المسألة، يسوق رأي الخليل فيها، ثم يرد فه برأي يونس دون ان يحدد موقفه من الرأيين او من احدهما ، يقول في باب المنادى[٢] ولا بد لك في المندوب من ان تلحق قبله "يا"او" ، وانت في الحاق الالف فيآخره مخير، فتقول: وازيداه او: وازيد والهاء اللاحقة بعد الالف للوقف خاصة دون الدرج ويلحق ذلك المضاف اليه فيقال: وامير المؤمنيناه ولا يلحق الصفة عند الخليل فلا يقال: وازيد الظريفاه، ويلحقها عند يونس .

وفي المقتضب [٣] " .. و ما ذهب اليه الكوفيون و يونس خطأ عند جميع النحاة . لأن العلامة انما تلحق ما لحقه تنبيه النداء لمدِّ الصّوت، و النعت خارج من ذلك، و أمّا سيبويه فأنما حكي إلحاق الصفة العلامة يونس، قال: و أما يونس فيلحق الصفة العلامة فيقول: و أزيد الظرفاء ".

ويعرض المسألة النحوية في بعض الاحيان ثم يبين ما منع سيبويه منها، و يتبع ذلك بما يخالفه من رأي يونس، من ذلك قوله في باب " المنصوب " ب "لا" التي لنفي الجنس "[٤] و تقول لا أب لك .. ولا غلامين لك .. ولا ناصرين لك، و أما قولهم: لا أبا لك، و لا غلامي لك و لا ناصري لك، فمشبّه في الشذّوذ بالملامح والمَذاكير .. و قصدهم فيه الى الاضافة و اثبات الألف و حذف النون لذلك، و انما أقْحمت اللام المضيفة توكيداً للاضافة، ألا تراهم لا يقولون: لا أبا فيها، ولا رقيبي عليها، ولا مجيري منها، وقضاء من حق المنفى في التنكير بما يظهر بها من صورة الانفصال .. و الفرق بين المنفيّ في اللغة و بينه في الاولى: أنه في هذه معرب و في تلك مبنيّ، و اذا فصلت فقلت: لا يدين بها لك، ولا أب فيها لك: امتنع الحذف و الاثبات عند سيبويه، و أجازهما يونس .. " .

ويسوق المسألة النحوية أحيانا أخرى ثم ينقل ما ينفرد به يونس فيثبته في المفصل دون أن يذكر موقفه منه، مثال ذلك قوله في باب " النون المؤكدة "[٥] وهي على ضربين: ثقيلة و خفيفة .

---

[١] انظر المفصل/ ١/ ٣٣٥- ٢/ ٥٧٤، ٥٧٤،٥٧٥،٥٨٠

[٢] المفصل/ ١/ ١٠٤

[٣] المقتضب / ٤ / ٧٥، و انظر: كتاب سيبويه / ١ ٣٢٣ – ٣٢٤

[٤] المفصل / ١/ ٢٠٣ – ٢٠٦، و انظر: كتاب سيبويه / ١ / ٣٤٧

[٥] المفصل / ٣/ ١٠١٩، و انظر: كتاب سيبويه / ٢ / ١٥٥

و الخفيفة تقع في جميع مواضع الثقيلة الا في فعل الاثنين، و فعل جماعة المؤنث، تقول: اضرِبنَّ و أَضْرِبُنَّ و اضْرِبنَّ، واضْرِبَنْ واضْرِبنْ، و تقول اضْرِبانٍّ واضْرِبَانٌّ، ولا اضْربنانْ، إلاّ عند يونس "

وتراه ينقل مذهَب يونس في بعض الأحيان، ثم يردفه بما ينسجم معه مما روي عن العرب، كقوله في باب المنسوب[1]: .. و قال يونس في ظَبْيَة و دُمْيَة و قِنْيَة: ظَبَويّ ودُمَويّ و قِنَويَ .. " وعلى مذهب يونس جاء قولهم: قَرَويّ وزنَويّ في: قرية و بني زِنية "، وذا شاذ عند سيبويه، و القياس: قَرَيّي وزنيّ .وهو عند يونس قياس[2] .

الفراء :

وكان الفراء من المصادر التي رجع اليها صاحب المفصل، فقد ذكر اسمه في ثمانية مواضع، فترى الزمخشري يسوق المسألة و يعززها بالشواهد اللغوية، ثم يورد ما سمعه الفراء من العرب مما يخالف القياس – يقول في باب " اسماء الزمان و المكان "[3] .. و المعتل اللام مفتوح ابدا كالمأتى و المَرمَى و الأوَى و المثْوَى ، و ذكر الفراء أنه جاء: مأوى الإبل - بالكسر و تراه يذكر المسألة في بعض الأحيان، و يبدي رأيه فيها، ثم يهضد هذا الرأي بقول الفراء و سيبويه، يقول في باب " المقصور و الممدود "[4]: .. و الغراء في مصدر: غَرِيَ فهو غَرٍ، شاذ هكذا أثبته سيبويه وعن الفراء مثله . و أغلب الظن أن الزمخشري وقف على كتاب الفراء " المنقوص و الممدود " فقد جاء فيه[5]: " و الغرا ولد البقرة، مكسور يكتب بالألف و و يُثنّى: غروين وغَروان، و الغراء أن تقول: غريت بك غراء ممدود .

و يثبت المسألة النحوية أحيانا ثم يورد ما يخالف مذهبه من قول الفراء، من ذلك ما جاء في باب " المجرورات[6] " وقضية الاضافة المعنوية أن يجرد لها المضاف من التعريف .. و تقول في اللفظية: مرَرتُ بزيدٍ الحسن الوجه، و بهندٍ الجائلةِ الوشاح، وهما الضاربا زيد، وهم الضَاربو زيدٍ .. ولا تقول: الضارب زيدٍ، لأنك لا تفيد فيه خِفّة باللإضافة كما أفدتها في المثنى و المجموع، وقد أجازه الفراء ...

---

(1) المفصل / ٢ / ٥٧٤ – ٥٧٥

(2) ابن يعيش / شرح المفصل / ٥ ١٥٤ .

(3) المفصل / ٢/ ٦٧٤

(4) المفصل / ٢ / ٦٠٩ و انظر: كتاب سيبويه / ٢ / ١٦٢

(5) المنقوص و الممدود / ١٩

(6) المفصل / ٢١٨ ، ٢٢٠

و يصسوق المسألة أحياناً أخرى، ثم ينقل راي الفراء فيثبته، و يتبعه برأي الكسائي – و كلاهما أساتذة الكوفيين – ثم يخالفهما، و ينبّه على موطن الضعف فيما ذهبا اليه، يقول في باب الحروف المشبهة بالفعل "[1]: ليت: هي للتمنّي .. و يجوز عند الفراء أن تجري مجرى أتمنّى فيقال: ليت زيداً قائماً، كما يُقال: أتمنّى زيداً قائماً، و الكسائي يجيز ذلك على إضمار "كأن"، و الذي غرّهما منها قول الشاعر: ياليتَ أيام الصّبى رواجعا .

وقد ذكرتُ ما هو عليه عند البصريين" .

الكسائي :

و تردّد اسم الكسائي في ستة مواضع من " المفصل "، فترى صاحب المفصل يبسّط المسألة النحوية، ثم يسوقُ ما حَكى الكسائي عن العرب، يقول في باب " الظروف " .. و شُبّه " حيثٌ" بالغايات من حيث ملازمتها الاضافة، فيقال: حيثُ وحوثُ – بالفتح و الضم فيهما، وقد حكى الكسائي: حيثِ – بالكسر –" .

و يورد المسألة أحيانا، ثم ينقل ما يروي الكسائي عن العرب مما يخالف القياس، و يتبعه برأي يضعفه، يقول في باب " أسماء العدد "[2] .. و تقول في تعريف الاعداد: ثلاثةُ الأثوابِ و عشرةُ الغِلمة .. و الأحدُ و العشرون، و مائةُ الدرهم، و مائتا الدينار، و ثلاثمائة الدرهم، و ألف الرجل، وروى الكسائي: الخمسة الأثوابِ، وعن أبي زيد ك أن قوما من العرب يقولونه غير فصحاء .

و يسوق المسألة أحياناً أخرى، و ينقل ما يخالفها مما تفرد الكسائي بقراءته، و يحكم بضعفه، من ذلك مثلا قوله في باب " الإدغام "[3]: و الفاء لا تدغم الا في مثلها .. و قرىء: "نَخْسفْ بهم الارض – سورة سبأ / ٩ بإدغّامها في الباء، وهو ضعيّفٌ تفرّد به الكسائي .

المازني :

و اعتمد على المازني في بعض الآراء، حيث تردد ذكره في ستة مواضع من المفصل من ذلك أنه يضع المسألة النحوية أولا ثم يردفها بما يروى المازني من أقوال العرب، يقول في باب ط المذكرو المؤنث [4]: .. و تأنيث الجمع ليس حقيقي، و لذلك اتسع فيما أسند اليه ألحاق العلامة

---

[1] المفصل / ٩١٥ – ٩١٦ .

[2] المفصل / ٢ / ٦٠٣ – ٦٠٤

[3] المفصل / ٣/ ١٢٧٧

[4] المفصل / ١ / ٥٣٠ - ٥٣٢

و تركها كما تقول: فعل الرجال و المسلمات و فعلت .. و أما ضميره فتقول في الاسناد اليه: الرجال فعلت وفعلوا، و المسلمات فعلت و فعلن ... وعن أبي عثمان المازني: العرب تقول: الأجذاع أنكسرن، لأدنى العدد، و الجذوع انكسرت،و يقال لخمسٍ خلونَ، و لخمسَ عشرة خلت، و ما ذاك بضربة لازب .

و يسوق المسألة أحيانا ثم ينقل رأي المازني فيها دون أن يبين موقفه من هذا الرأي كما يبين غيره من العلماء [١]، من ذلك قوله في باب " إبدال الحروف " فالهمزة أبدلت من حروف اللين، ومن الهاء و العين .. ومن كل واو
واقعة أولا شُفعت بأخرى لازمة في نحو:
أواصل و أواقٍ جمعى: واصلة وواقية .. ومن الواو غير المضمومة في نحو: إشاح و إفادة و إساءة .. و المازني يرى الإبدال من المكسورة قياسا .

قال ابن يعيش [٢]:" و أعلم أن أكثر أصحابنا يقفون في همزة الواو المكسورة على السماع دون القياس الا ابا عثمان، فإنه كان يطّرد ذلك فيها اذا وقعت الفاء لكثرة ما جاء منه مع فيه من المعنى .

أبو إسحاق الزجاج :

وتردد ذكر أبي اسحاق الزجاج في أربعة مواضع من المفصل، فترى الزمخشري مرة ينقل رأي سيبويه ثم يتبعه برأي الزجاج، و يتبنى رأي الاخير، يقول في حرف الردع [٣]:" وهو كلا، قال سيبويه: وهو ردعٌ وزجرٌ، وقال الزجاج: كلا ردع و تنبيه، و ذلك قولك: كلا لمن قال لك شيئا تُنكره، نحو: فلان يبغضك و شبهه، أي: ارتدع عن هذا و تنبّه على الخطأ فيه .... و تراه مرة أخرى يسوق المسألة ثم ينقل تأويل الزجاج لها، من ذلك قوله في باب " حرفي الشرط " [٤]: .. و إذن: جوابٌ و جزاء، يقول الرجل: أنا آتيك، فتقول: إذن أ ُكرمك، فهذا الكلام قد أجبته به، صيّرت إكرامك جزاء له على إتيانه، وقال الزجاج: تأويلها: إن كان الإمرُ كما ذكرت فإني أكرِمك ....

---

[١] ابن عصفور / الممتع / ١ / ٣٣٣
[٢] شرح الملوكي في التصريف / ٢٧٥
[٣] المفصل / ٣/ ١٠٠٠
[٤] المفصل / ٣ / ٣٩٣

قُطرب :

ونقل ما حكى قطرب عن العرب في ثلاثة مواضع من المفصل، لتعزيز المسألة التي عالجها من ذلك مثلا قوله في باب " إبدال الحروف: و الهاء ابدلت من: الهمزة و الألف و الياء و التاء .. ومن التاء في: طلحة وحمزة، في الوقف، وحكى قطرب أن في لغة طيىء: كيف البنون و البناه، وكيف الإخوة و الأخواه ؟ .

وحظي كتاب المفصل بذكر أسماء رجال آخرين من أعلام النحاة، فقد وردت أسماء كل من: أبي الخطاب الأخفش و ثعلب و أبي علي الفارسي في موضعين لكل منهم ، وذكر كل من ك عبد الله ابي اسحاق وابن حكيسان مرة واحده .

على ان الزمخشري يقل اراء بعض العلماء الذين سبقوه كثير من المسائل النحوية والصرفية وتبناها ثم ادرجها في مناواضعها من 'المفصل' دون ان يسند هذه الاراء الى اصحابها من ذلك مثلا انه تبنى مذهب: عيسى بن عمر في منع صرف'كعسب'[1] الفارسي ، وهي: اول ما اقول أني أحمد الله " ، وذكر فيها تأويل الفتح كما ذكر الفارسي [2] زنتبه تلفترسي تيضت في نقسيك الجملة التي تقع خبرا الى اربعة اصرب: فعلية واسمية وشرطية وظرفية[3] قال ابن يعيش[4]:وهذه قسمة ابي علي وهي قسمة لفظية وتبنى مذهب السيرافي في 'لدن'حين قال:[5] "..وحكمها ان يجر بها على الاضافة كقوله الى: "من لدن حكيم عليم" – سورة النحل / ٦- ن وقد نصبت العرب بها "غدوة" خاصة، قال: لدن غدوة حتى الادبخفا بقية منقوص من الظل قالص

تشيبها لنونها بالتنوين لما رأوها تنزغ عنها وتثبت".

قال العكبرى[6] "هذا منقول من لفظ السيرافي، فانه قال: واعلم ان حكم 'لدن' ان يخفض بها على الاضافة، لان النون من اصل الكلمة بمنزلة الدال من "عند" ، وذكر الاية والبيت ثم قال: وانما فعل به ذلك ، لان النون تنزع عنها فتقول: 'لد' وتدخلها فتقول: زادة ونون'لدن' الاصلية ، فشبهت الاصلية بالزائدة حين ثبتت في حال وسقطت في حال الزائدةومما لا شك فيه ان

---

[1] المفصل/ ١/ ١٦ ،ـ وانظر ابن يعيش / شرح المفصل/ ١/ ٣٠- والايضاح شرح المفصل/ ٥ب

[2] المفصل/ ٢/ ٨٨٨- وانظر: الايضاح شرح المفصل/١٤٨ب

[3] المفصل١/ ٥٥

[4] شرح المفصل/ ١/ ٨٨، وانظر: الايضاح شرح المفصل / ١٤٨ ب – شرح الكافية لابن القواس/ ٢٣أ

[5] االمفصل/ ١/ ٤٣٢- ٤٣٣

[6] المفصل / ١/ ٤٥- ٤٧

الزمخشري كان عيى علم واسع ودراية تامة بالجهود النحوية واللغوية التي بذلها علماء مدرستي: البصرة والكوفة، وانه استطاع ان يفيد من هذه الجهود المبذوله ويتخذ منها مصدرا رئيسا من المصادر التي يستقي منها مادة المفصل، يدل على ذلك قوله في باب الفاعل ومن اضمار الفاعل قولك: ضربني وضربت زيداً ، تضمر في الاول اسم من ضربك وضربته اضمارا على شريطة التفسير، لانك لما حاولت في هذا الكلام ان تجعل زيدا فاعلا ومفعولا ،فوجهت الفعلين اليه ، استغنيت بذكره مرة ، ولما لم يكن بد من اعمال احدهما فيه ، أعلمت الذي اوليته اياه.. وكذلك اذا قلت: ضربت وضربني زيد ، رفعته لايلائك ياه الرافع ، وحذفت مفعول الاول استغناء عنه وعلى هذا تعمل الاقرب ابدا فتقول: ضربت وضربني قومك، قال سيبويه: ولو لم تحمل الكلام على الآخر لقلت: ضربت وضربوني قومك

واليه ذهب اصحابنا البصريون. وقد يعمل الاول، وهوقليل.. وعليه الكوفيون.

وتقول على المذهبين: قاما وقعد اخواك، وقام وقعدا اخواك.." وقد ذكر البصريين الكوفيين في مواطن كثيرة من الكتاب .

- **مصادر اللغة والأدب**

و أخذ الزمخشري أيضا عن بعض أعلام اللغة و الأدب، ووقف على كتب بعضهم من هؤلاء:

أبو زيد الانصاري

فقد تردد اسمه في ستة مواضع من المفصل، من ذلك أنه يورد المسألة ثم يذكر ما حكى أبو زيد و يتبعه بعد ذلك برأي سيبويه، فيقول في باب " أبنية الثلاثي "[1]: فما " كان علي " فعل " فهو على معان لا تُضبَط كثرة و سعة، و باب المغالبة مختصّ " ب فَعَلَ يَفْعُل " منه " كقولك: كارمني فكرمته أكرمه – إل ما كان معتل الفاء كوعدت، أو معتل العين أو معتل اللام من بنات الياء كبعت - ورميت ، فانك تقول فيه: أفعله – بالكسر – كقولك: خايرته فخِرته أخيُره – وعن الكسائي: انه استثنى ايضا ما فيه أحد حروف الحلق و انه يقال فيه: أفعله – بالفتح – وحكى ابو زيد: شاعرته أشْعُره – و فاخرته أفْخُره – بالضم – قال سيبويه: و ليس في كل شيء يكون هذا، الا ترى انك تقول: نازعني فنزعته، استغني عنه فغلبته .

و تراه يسوق المسألة أحيانا، ثم يذكر ما يروى أبو زيد من أوجهها، يقول في باب " اسماء الأفعال و الاصوات "[2]: " بله ": على ضربين: اسم فعل و مصدر بمعنى: الترك، ويضاف ،

---

[1] المفصل / ٢ / ٨٣٣ – ٨٣٤ – و انظر: النوادر لأبي زيد / ٢٢٥

[2] المفصل / ١/ ٣٨٨ – ٣٩٠

فيقال: بله زيدٍ، كأنه قيل: ترك زيدٍ ... و قد روي أبو زيد فيه القلب اذا كان مصدرا وهو قولهم: بهل زيدٍ .

ويورد المسألة أحيانا اخرى، و يمثل لها المادة اللغوية ثم يتبع ذلك بما سمع ابو زيد عن العرب، ويقضي بشذوذه لمخالفته القياس، يقول في باب " تخفيف الهمزة [١]: و اذا التقت همزتان في كلمة، فالوجه: قلب الثانية الى حرف لين ٍ، كقولهم: " آدم، و أيمة و أويدم، ومنه: جائني و خطايا . وقد سمع أبو زيد من يقول: اللهم اغفر لي خطائِئي، قال، همزها أبو السمح وردّاد ابن عمه وهو شاذ .

والأصمعي

ونقل عنه الزمخشري في اربعة مواضع، من ذلك أنه يعالج المسألة ثم يدعم ما ذهب اليه بما حكى الأصمعي عن العرب، فيقول في باب " أسماء الأفعال و الأصوات هَلُمّ .. وهي على وجهين: متعدية كَهات، و غير متعدية، بمعنى: تعال أقبل .. و حكى الاصمعي أن الرجل يقال له هلم، فيقول لا أهلَمَ .

ومن ذلك ايضاً انه يورد المسألةت ويعززها بالشواهد ويعززها بالشواهد ، ثم يذكر ما يستفصحه الاصمعي، يقول في باب "الظروف".ومنها "اذ" لما مضى من الدهر، و" اذا " لما يستقبل منه، وهما مضافتان أبدا .... وقد تقعان للمفاجأة، كقولك: بينا زيد قائم اذ رأى عمرا، وبينما نحن بمكان كذا اذا فلان قد طلع علينا .... وكان الاصمعي لايستفصح إلا طرحهما في جواب: " بيناً" و " بينماً"، وأنشد:

فبينا نحن نرقبه أتانا   مُعِلّقَ وفضة وزناد راع

وأمثالاله ".

وأبو عمرو الشيباني

وأخذ عنه في موضعين، واطلع على كتاب الذي صنفه في الحروف، فهو يورد المسألة، ويشفعها بالأمثلة اللغوية، ويدعمها بالشاهد القرآني، ثم يتبع ذلك ما أنشد أبو عمرو في كتابه، يقول في باب " المواصلات " [٢]:" .. وأي: كمن في وجوها ... وهي عند سيبويه مبنية على الضم

---

[١] المفصل / ٣ / ١٠٩١ – ١٠٩٢ – و انظر: ابن يعيش / شرح المفصل / ٩ / ١١٧

[٢] المفصل / ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩

اذا وقعت وصلتها محذوفة لاالصدر كما وقعت في قوله تعالى:" ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا " – سورة مريم / ٦٩ –، وأنشد أبو عمرو الشيباني في كتاب الحروف:

إذا ما أتيت على مالك فسلم على أيهم أفضل "

ونقل الزمخشري عن علماء آخرين، فقد أخذ عن أبي عبيد في موضعين، وأخذ أيضا عن: الجرمى وأبن الاعرابي والنضر بن شميل وابن السكيت واللحياني، حيث ذكر كل منهم مرة واحدة، ذلك أنه يبسط الحديث في المسألة ويعززها بالشواهد ثم ينقل ما يلحيه العالم اللغوي عن العرب، يقول في باب " حريق التصديق والايجاب " .. فأما (نَعَمَ) فمصدقه لما سبقها من كلام منفي أو مثبت، تقول اذا قال: قام زيد أو لم يقم: نَعَم، تصديقاً لقولهِ، وكذلك إذا وقع الملامان بعد حرف الاستفهام إذا قال: أقام زيد، أو: أَلَمْ يقمُ زيدٌ ؟ فقلت: نعم، فقد حققت ما بعد الهمزة، ..وكنانة تكسر العين من " نَعَم " .. وعن النضر بن شميل أن " نحم " – بالحاء – لغة ناس من العرب " .

واطلع أيضا على بعض الكتب اللغوية والادبية ككتاب العين للخليل، وكتاب الحماسة لأبي تمام، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، فتراه يسوق المسألة أحيانا ثم يورد ماجاء في أحد هذه الكتب مما يوافق المسألة أويخالفه، من ذلك قوله في باب " هاء السكت " [1]: .." وحقها ان تكون ساكنة، وتحريكها لحن، ونحو مافي إصلاح ابن السكيت من قوله:

يا مرحباه بحمار عفرا

و: يا مرحباه بحمار ناجيه

مما لا معرج عليه القياس واستعمال الفصحاء، ومعذرة من قال ذلك: أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، مع تشبيه هاء السكت بهاء الضمير " .

يضاف الى هذا أنه استقى جانبا من مادته اللغوية عن كثير من القبائل العربية [2]، وأكثر من النقل عن القبائل التي يعتد بفصاحتها كتميم وأهل الحجاز وطيئ وأسد، حيث تردد ذكر تميم ثماني عشرة مرة، وأهل الحجاز خمس عشرة مرة، وطيئ ست مرات، وأسد ثلاث مرات، ومن أمثلة ذلك قوله في باب " اسماء الأفعال والأصوات " [3]: " .ز والبناء في المعدولة لغة أهل

---

[1] المفصل / ٣ / ١٠٢٦ – ١٠٢٩

[2] انظر فيها رس / ٣ / ١٣٨٨ – ١٣٩٠

[3] المفصل / ١ / ٤٠٢

الحجاز، وبنو تميم يعربونها ويمنعونها الصرف إلا ما كان آخره راء، كقولهم: حضارة: لأحد المحلفين، وجعارة، فأنهم يوافقون فيه الحجازين إلا القليل منهم .. ".

ويقول في باب " الادغام " ومن الادغام الشاذ .. ودٌّ في لغة بني تميم، وأصلها: وتد، وهي الحجازية الجيدة، ومثله: عد ان في: عتدان، وقال بعضهم: عتد، فرار من هذا " . ويقول في باب "الوقف" واذا اعتل الآخر وما قبله ساكن كآخر ظبي ودلو فهو كالصحيح ... وان كان ألفا قالو في الأكثر الأعرف: هذه عصا وحبلي.

ويقول ناس من فزارة وقيس: حبلي – بالياء –، وبعض طيىء: حبلو – بالواو – ومنهم من يسوى في القلب بين الوقف والواصل ...".

ويقول في باب " حروف الاستقبال " [1]:".. وأن: تدخل على المضارع والماضي، فيكونان معه في تأويل المصدر ... وتميم وأسد يحولون همزتها عينا، فينشدون بيت ذى الرمة: أأن ترسمت من خرقاء منزلة

أعن ترسمت من، وهي عنعنة بني تميم .

- **مصادرالقراءات**

ورجع الزمخشري أيضا الى بعض أعلام القراءات، منهم:

أبو عمرو بن العلاء

وكان من أعلام القرآن [2]،ومن المقدمين بالعربية والشعر ومذاهب العرب[3] و الرواية عنه في القراءة والنحو اللغة كثيرة [4]، نقل عنه الزمخشري بعض آرائه و قراءاته، وذكر اسمه اثنتي عشرة مرة في المفصل، فتراه يسوق المسألة ثم يستدل عليها بما يروى أبو عمرو عن بعض العرب، يقول في باب " ابدال الحروف " [5] " و الجيم أبدلت من الياء المشدّدة في الوقف، قال أبو عمرو:و قلت لرجل من بني حنظلة ممن أنت ؟ فقال فُقِيمجّ، فقلت: من أيّهم ؟ فقال: مُرِجّ ..

---

[1] المفصل / ٣/ ٩٧٨، ٩٧٩، – ٩٨٠

[2] أخبار النحويين البصريين / ٢٢

[3] مراتب النحويين / ٣٤

[4] اخبار النحويين البصريين / ٢٢

[5] المفصل / ٣ / ١١٧٠ .

ويعالج المسألة احيانا ثم يستدل بقراءة أبي عمرو يقول في باب الادغام و الغين و الخاء تدغم كل واحدة منها في مثلها و في اختها كقراءة أبي عمرو: " ومن يَبْتَغِ غيرَ الاسلام دينا – سورة آل عمران / ٨٥ .

و يورد المسألة أحيانا أخرى قياسا على قراءة أبي عمرو، يقول في باب " الادغام " أيضا " و الطاء و الدال و التاء والظاء و الذال و الثاء سِتتها يُدّغم بعضها في بعض، وفي: الصاد و الزاي و السين، وهذه لا تدّغم في تلك إلا أنّ بعضها يدغم في بعض، و الأقيس في المطبقة إذا ادّغمت تَبقيةُ الإطباق، كقراءة أبي عمرو: فَرّطتّ في جنبِ الله [1] – سورة الزمر / ٥٦ – و يعالج المسألة و يعززها بالامثلة ثم يورد قراءة أبي عمرو التي تخالف ما وضعه، و يطعن في روايتها، يقول في باب " الادغام " ايضا: [2] و الضاد لاتدغم الا في مثلها كقولك: اقبض ضَعفها، و أما ما رواه أبو شعيب السّوسيّ عن اليزيديّ: أنّ أبا عمروا كان يدغّمها في الشين في قوله تعالى: " لبعض شأنهم " سورة النور / ٦٢ / – فما برئت من عيبٍ رواية أبي شعيب " .

و نقل الزمخشري عن جمعٍ من القراء المشهورين، من أمثال: مجاهد و سعيد بن جبير وحمزة و عاصم ونافع وعبد الله بن عامر و عبد الله بن كثير و عمرو بن عبيد، حيث ذكر كل واحد منهم مرة واحدة، و أخذ عن اليزيدي في أربعة مواضع، وعن أبي شعيب السوسي موضعين .

- **مصادر الحديث**

و اطلع الزمخشري على كتب الحديث أيضا فنقل عن زيد بن ثابت و طلحة و عمر بن الخطاب و أبي الدرداء و أبي ذوئيب ومعاوية و غيرهم . من هذا كله، رأينا أن الزمخشري إعتمد في تصنيف المفصل على مصادر كثيرة، و استطاع أن يُضمّن كتابه مادة علمية معزّزة بآراء علماء النحو و اللغة و غيرهم، و أضفى عليه شيئا كثيراً من التنظيم و التنسيق، و أحسنَ في عَرضِ مادته، مما أكسبه شهرة واسعة،و عزّز ثقة الدارسين به .

ما يؤخذ على الكتاب

وعلى الرغم مما أحرز كتاب المفصل من المكانة العالية و الشهرة الواسعة فأنه لم يسلم من ألسنة الناقدين له و المنافسين لصاحبه، فقد صنّف أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي

---

[1] المفصل / ٣ / ١٢٧٦

[2] المفصل / ٣ / ١٢٧٠ – ١٢٧١

الأندلسي ٠ ت: ٦٢٥ هـ) من أهل الجزيرة كتابا يرد فيه على صاحب المفصل سماه: التنبيه على أغلاظ الزمخشري في المفصل و ما خالف فيه سيبويه"[١] . وكتب محمد بن عبد الله بن أبي المفضل المريسي (ت: ٦٥٥ هـ) تعْليقةً على المفصل أخذ فيها على الزمخشري سبعين موضعا أقام على خطئه البرهان [٢] ومما يؤسف له أنني لم أعثر على هذين الكتابين أو على أحدهما على الاقل، حتى أطلع على أخطاء الزمخشري التي تضمناها .

على انني تتبعت آراء بعض العلماء في كتاب المفصل، و مآخذ هم على منهج الزمخشري في تأليفه، فوجدت أن منهم من كان منهجيا في نقده، و منهم من تجاوز حدود هذه المنهجية الى القدح و التجريح، و فيما يلي بعض هذه المآخذ: قال الزمخشري في باب ط المفعول المطلق " [٣]: و المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة على ثلاثة أنواع ما يستعمل اظهار فعله و اضمار، و ما لا يستعمل إظهار فعله، و ما لافِعْل له أصلا ....

قال ابن الحاجب [٤]: و ليس بجيد، فان القسمين الأولين شاملان لجميع المقسوم، و الحصر معلوم بين النفي و الاثبات، و ليس بينهما درجة ثالثة فيجعل لهما قسما، لان هذا القسم الثالث إما أن يستعمل اظهار فعل له فيكون من الاول، و إما ألا يستعمل فيكون من الثاني، و لعله اراد بالثاني مالا يستعمل إظهارفعله و له فعل مشتق منه فيكون الثالث، و ما لا يستعمل إظهارفعله ولا فعل له مشتق منه . و تمثيله في التقسيم يدل عليه، لأنه مثّل في النوع الثاني بأمثلة كلها لها أفعال مشتقة منها، و لم يمثل في النوع الثالث إلا بما لا فعل له مشتقمنه كقوله: ذفراً و بهراً و شبهه، فدل ذلك على أنه مقصود . و قال في باب " المنصوب بالمستعمل اظهاره [٥]: فصل: ومه قولك لمن زكنت انه يريد مكة: مكة وربّ الكعبة .. فأعترض عليه السخاوي بقوله [٦] : " إنما جعل هذا فصلا و حكمه حكم ما قبله في جواز إلضمار و إلاظهار، لأن ذاك في الامر وهذا في الخبر ، فإن قيل: ففي الاول: أكل هذا بُخلا باضمار " أتفعل " قيل: هو استفهام معناه: التوبيخ و الانكار، فيرجع الى معنى المنهيّ....

---

[١] البحر المحيط / ٨ / ٣٠٣ – و التصريح / ٢ / ٢١٠ و كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٦

[٢] كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٤

[٣] المفصل / ١ / ٧٤

[٤] الايضاح شرح المفصل / ١٣١ أ

[٥] المفصل / ١ / ٨٥

[٦] المفضل شرح المفصل / ١ / ٤٢٩ .

قال في باب " المنصوب ب(لا) التي لنفي الجنس[1]: هي كما ذكرت محموله على " ان " . فلذلك نصب بها الاسم و رفع الخبر .. فاعترض عليه ابن الحاجب بقوله[2]: ينبغي أن يذكر ما يتميز به المنصوب ب لا " لأنه بوّب له ، و الأوْلى أن يقال: هو المسند اليه بعد دخول " لا" نكرة يليها مضافا أ مشبها بالمضاف، و لكنه استغنى عن ذلك بما ذكره في اثناء فصول الباب ... . و قال في باب المفعول فيه "[3]: هو ظرفا الزمان و المكان، و كلاهما منقسم الى: مبهم و مؤقت، فأعترض ابن الحاجب على هذا التقسيم بقوله[4]: " قسّم ظرف الزمان الى مبهم و مؤقت، و الذي يقع ظرفا في المكان ليس الا المبهم، فلا يستقيم تقسيمه الظروف الزمانية و المكانية مطلقا " .

وفي اثناء معالجته باب " اسماء الأفعال و الأصوات، ذكر[5]: ".. وحذرك بكرا وحذارك" فاعترض عليه ابن يعيش بقوله[6]: .."فاما حذرك وحذارك فلا اراه من هذا الباب، وانما هو مصادر مضافة الى ما بعدها ، فهي في باب: "عمرك الله وقعدك"، وانما اوردها هاهنا ، لان فيها تحذيراً كالتحذير في: وراءك وامامك ، ونحوهما". واعترضوا فيها عليه لانه استشهد في باب "اسماء الافعال والاصوات" بقوله القائل[7]:

وهيج الحي من دار فظل لهم   يوم كثير تناجيه وحيهله

ففي حاشية ز/ ٦٧ أ: قال ابن الحاجب: لا معنى لانشاد البيت ، لانه ليس بدليل على لغة من لغات بنائه، ولا على التعدى بنفسه، ولاعلى التعدى بحرف الجر، لا متناع تقدير كل من ذلك، لانه قصد قائل هذا البيت اللفظ دون المعنى ، ولم نحكه فاعربه، فانتفى احتمال لغات بنائه، ودليل اعرابه: انه رفعه لعدم الضم في لغاته"

---

[1] المفصل / ١ / ١٩٨
[2] الايضاح شرح المفصل / ٥٧ أ
[3] المفصل / ١ / ١٣٣
[4] الايضاح شرح المفصل / ٤٥ ب
[5] المفصل / ١ / ٤١١
[6] شرح المفصل/ ٤/ ٧٥
[7] المفصل/ ١/ ٤٨٦

وعد يحيى بن حمزة الاستشهاد بالبيت في هذا الباب من قبيل السهو [1] ، اما صاحب المقتبص فقال[2] "قوله – بعني: ابن الحاجب – لا معنى لانشاده ليس بصحيح ، لان البيت دال على ان فتح الهاء لغة كتسكينها، وهي فائدة جليلة" واخذوا عليه انه يخالف الاصطلاح النحوى في بعض الاحيان، وانه لا يستوفي بحث الموضوع في احيان اخرى ، فحين قال في باب " المقصور والممدود" [3] " المقصول: ما في اخره الف ، نحو:العصا والرحى" قال ابن الحاجب[4] : يعني لامنقوص ما آخره الف وهذا غريب في الاصطلاح ، وانما النقوص في الاصطلاح: مانقص من آخره حرف كقاص وعصا... وما اطلاق المنقوص على ما في آخره الف خاصة، فليس بمعروف" وقال ابن يعيش [5]: ".. واعلم ان صاحب الكتاب لم يستقص الكلام على المقصور والمنقوص وانما اشار اليهما اشارة ، ولابد من التنبيه على نكت بابيهما بما فيه مقنع ..". ةلهل في حديثه عن التنوين بتنوين المقابلة[6] قال ابن يعيش[7] ".. جعل هذا الغالي قسما غير الاول والصواب انه ضرب منه ، ويجمعهما الترنم، ذا الاول انما يلحق القوافي المطلقة معاقبا لحوف الاطلاق، والثاني: وهو الغالي انما يلحق القوافي المقيدة" واعترضوا على ترجمة عناوين بعض الموضوعات وعلى تبويبها ،كما اعترضوا على منهجه في النقل والمعنى ايضا، قال في قسم الحروف[8] ومن اصناف الحرف: شين الوقف، وهي شين التي يلحقها بكاف المؤنث اذا وقف من يقول: اكرمتكش...." فرد عليه ابن الحاجب[9]: "ومنهم من يقول: ابدال الكاف شيئاً ، فيكون من قبيل الابدال لا من قبيل فصل الحرف ، ولاولى ان تكون الترجمة: من اصناف الحرف: حرفا الوقف" اذ الوفق ليس هو الحرف، الا ترى انه قال: وهي الشين ، والشين ليست وقفاً، وانما هي حرف يوقف عليه" ثم اعترض عليه في حديث معاوية بقوله[10]: "ووقع في آخر الحكاية المذكورة: "قال: قومى" باضافته الى ياء المتكلم ، وليس بمستقيم من حيث المعنى والنقل جميعاً..."

---

(1) الازهار الصافية١٩٧

(2) حاشية ز/ ٦٧أ

(3) المفصل / ٢/ ٦٠٨

(4) الايضاح شرح المفصل/ ٨٣ ب

(5) شرح المفصل/ ١/ ٥٥

(6) المفصل/ ٣/ ١٠٣٠

(7) شرح المفصل/ ٩/ ٣٤، وانظر:الازهار الصافية/ ١٠٢١– ١٠٢٤

(8) المفصل/ ٣/ ١٠٣٠

(9) الايضاح شرح المفصل/ ١٦٩ب

(10) الايضاح شرح المفصل/ ١٦٩ب، وانظر المفصل/ ٣/ ١٠٣٠– حاشية٧

وربما لا حظوا في بعض الموضوعات نقصا فاتموه او رأوا تقديما فاشاروا اليه ، قال ابن يعيش في شرح باب"الادغام"[1] وتقول: احفظ ضأنك ، وانبد ضاربكن ولم يذكر الشيخ هذا المثال"

وقال الرضى[2] والزمخشري قدم:ابتع " على: "أبصع" وتبعه ابن الحاجب ، ولا ادرى ما صحته، والمشهور انك اذا اردت ذكر اخوات احمع " وجب الابتداء باجمع ، ثم يجيء باخواته على هذا الترتيب: اجمع اكتع ابصع أبتع".

- وقد يعترضون عليه في تعريفاته أحياناً، فحين حَدَّ " النكرة " بأنها [3]: " ماشاع في امته " ردَّ عليه يحيى بن حمزة بقوله: " وهو فاسد، فان اسم الجنس كقولنا: الانسان والرجل هما شائعان في الدلالة على مفرداتهما وليسا من النكرات " .

وعندما لاعرف الفعل بأنه [4]: " مادل على اقتران حدث بزمان "، رده ابن الحاجب بقوله:" .. ليس بجيد، لأن الفعل يدل على الحدث والزمان جميعا، واذا قال: مادل على اقتران حدث فقد جعل الاقتران نفسه هو المدلول، وخرج الحدث والزمان عن الدلالة، ولا ينفعه كونها متعلق بالاقتران ... ولاشك أن الحديث والزمان باعتبار وضعه، فكان التعرض لهما باعتبار صناعة حدود الألفاظ هو الوجه الأليق " .

- وقد يأخذون عليه خروجه عن موضوع البحث أحيانا أخرى، قال في باب " الظروف [5]: " ... ويقال ك جئته من عل، وفي معناه: من عال ومن معال ومن علا، ويقال: جئته من علو ..." فقال العكبري:" ذكره هذه اللغات خارج عما هو بصدده، إذ ذلك علم آخر، بل اللائق بهذا الفصل من هذه اللغات المبني مفها على الضم، وهو: عل ومن علو ...".

- وربما أخذو عليه أنه يتوسع في بعض فصول الكتاب أحيانا، إذ يورد المسألة في فصلين مع إمكان اجمالها في فصل واحد، وربما يضيف الى الفصل ماليس منه أصلا في أحيان أخرى، فعندما قال في باب " التعجب ط [6]:" ومعنى ما أكرم زيدا: شيء جعله كريما، كقولك: أمر اقعده عن الخروج ..." اعترض عليه الحاجب بقوله: " شبه في أصله بقولهم: أمر أقعده عن الخروج،

---

[1] شرح المفصل/ ١٠/ ١٤٠، وانظر: المفصل/ ٣/ ١٢٧١

[2] شرح الكافيه / ١/ ٣٣٤، وانظر: المفصل/ ١/ ٢٧٥- ٢٧٨

[3] المفصل / ٢ / ٥١٨ ، وانظر: الازدهار الصافية / ٣١٨

[4] المفصل / ٢ / ٧٢٢، وانظر: الايضاح شرح المفصل/ ١١٦أ

[5] المفصل / ١/ ٤٢٢، وانظر: المحصل شرح المفصل / ٢ / ١٤٠ م أ

[6] المفصل / ٢ / ٨٢٤، وانظر: والايضاح شرح المفصل / ١٣٦

فالمصحح اللابتداء بالنكرة ههنا كونه في معنى كلام هو فيه فاعل، وكان الأولى أن يذكر فيه بقية المذاهب في الاعراب، ويستغني عن الفصل الذي بعد ذلك لأنه في الحقيقة تتمة له .. " .

وحين قال في " أبنية الرباعي " من الأسماء [١]: " والزيادتان المفترقتان في نحو: حبوكرى وخيتعور ومنجنون ... " اعترض عليه ابن الحاجب بقوله: " وقع " منجنون " في هذا الفصل وليس موضعه، لأنه ليس من الرباعي، وليس فيه زيادتان مفترقتان، لأنك إن قدرت الميم أصليه وهو الصحيح، فنونه الأولة والواو والنون الأخيرة زوائد، فيكون ثلاثيا .. " .

ويؤخذ على المفصل أيضا مجيء بعض العبارات الغامضة فيه، من ذلك قوله في باب " المجزوم " [٢]: " وسأل سيبويه الخليل عن قوله عز وجل: " رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين "، فقال: هذا كقول عمرو بن يكرب:

دعني فأذهب جانباً　　　　يوماً وأكفك جانبا "

والشاهد غير موجود في كتاب سيبويه، وظاهركلام الزمخشري يوهم بذلك .

ومن أخطائه المنهجية ظنه أن القراءاة مرجعها إلى اللغة والنحو، وليس الى السند والرواية، وقد ذهب إلى هذا غيره فنصوا على أن القراغءة اختيار، ومن هنا فقد خطأوا حمزة وغيره من القراء المشهورين، وطعن الزمخشري نفسه في بعض الروايات القرائية المنسوبة الى أبي عمرو ابن العلاء، قال الزركشي [٣]: " وهذا تحامل، وقد انعقد الاجماعلى صحة قراءة هؤلاء الأمة، وأنها سنة متبعة، ولا مجال للاجتهاد فيها " .

ويؤخذ عليه أنه تورط في نقل بعض المسائل النحوية عن غيره دون أن ينسبها إلى أصحابها وقد أشرت الى بعض هذه المسائل في مواضعها حين تحدثت عن مصادر الكتاب، كما بينت كثيرا منها في أثناء التحقيق .

ويتهم أنه وجه بعض المسائل النحوية وجهة اعتزالية و ويبدو ذلك واضحا في الألفاظ التي استعلمها، وخاصة عند حديثه عن الجمع الصحيح والمكسر حيث يقول [٤]: " .. فالذي بالواو والنون لمن يعلم في صفاته وأعلامه كالمسلمين والزيدين ... "، وقد تناول ابن يعيش قوله " لمن يعلم " وبين السبب في عدوله عن لفظ: " لمن يعقل " مع أن المقام يقتضيه، ويبقى النص صحيحا

---

[١] المفصل / ٢ / ٧١٥، وانظر: والايضاح شرح المفصل / ١١٢ ب

[٢] المفصل / ٢ / ٧٥٩- ٧٦٠، وانظر أيضا: المفصل / ٢ / ٨٣٧، والايضاح شرح المفصل / ١٣٩ أ – ب .

[٣] البرهان في علوم القرآن / ١ / ٣٢٢ – وانظر: مقدمة ابن خلدون / ٣٢٧ – ٣٢٨

[٤] المفصل / ٢ / ٤٨٠، وابن يعيش / شرح المفصل / ٥ / ٣

وسياقه معقولا، وهو ما تعارف عليه النحاة، إذ رأى الجميع وقع في الله سبحانه في قوله:"... فنعم الماهدون"، وهو سبحانه يوصف بالعلم ويوصف بالعقل، فلذلك انصرف عن ذاك الى هذا ليحقق مذهبه في النص .

ويقول في باب " الإضافة " [1]:".. وقد أضيف المسمى الى اسمه في نحو قولهم: لقيته ذات مرة وذات ليلة، ومررت به ذات يوم، وداره ذات اليمين وذات الشمال ... وقالو في نحو لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام علكما

وفي قول ذى الرمة:

داع يناديه باسم الماء مبغوم

.. ان المضاف – يعنون: الاسم – مقحم، خروجه ودخوله سواء .."

قال ابن الحاجب [2]:" .. يعني انك تأخذ اللفظ المراد به الذات فنضيفه إلى اللفظ الذي لم يرد به الى الذات، وهو كذلك بلا خلاف، وسمى الثاني " اسما " لما قصد به اللفظ وفي ذلك خلاف، منهم من يقول: الاسم هو التسمية وهو مذهب المعتزلة والنحويين وكثير من الفقهاء ومنهم من يقول: الاسم: هو المسمى، وهو مذهب الاشعري، ولاخلاف أنه يطلق الاسم على المسمى وعلى التسمية، وانما خلاف: هل هو في التسمية مجاز، وفي المسمى حقيقة، أو العكس، فالاوائل مذهب الاشعري، والثاني مذهبالمعتزلة، وهو اختلاف لفظي لايتعلق باعتقاد ولابحقيقة ... وأورد هذا الفصل اعتراضا في اضافة اللفظ الى المدلول، ولا يستقيم و أواستعمال الاسم بمعنى المسمى وهو خلاف مذهبه، فاختار ان يكون " اسم " زائداً،والمعنى على إسقاطه ليستقيم مذهبه...".

وقال الزملكاني [3]: " إنّ" لن "ولا" مع اشتراكهما في النفي مفترقان في خصوصية، فان "لن" تنفي ماقرب ولاتنفي ماتمادى زمانه، إذ الألفاظ مشاكلة معانيها في القياس، و " لا" آخرها ألف، والألف يمكن امتداد الصوت به بخلاف النون، فإنها وان طال اللفظ بها لايبلغ طوله مع "لا" فطابق كل لفظ معناه . فان قلت: فقد نص فخر خوارزم في مفصله على أن "لن " لتأكيد ماتعطيه "لا" من نفي المستقبل، قلت ذلك مبني على مذهبه في الاعتزال " .

---

[1] المفصل / ١ / ٢٣٨، ٢٤٠ – ٢٤٢

[2] الايضاح شرح المفصل / ٦٢ب – ٦٣أ، وانظر: ابن يعيش / شرح المفصل / ٣/ ١٥

[3] البرهان الكاشف/ ١٩٣، وانظر: الجنى الداني / ٢٧٠ – والازهار الصافية / ٦٣٢، وانظر أيضا: المفصل / ٢ / ٩٣٦

ومما يؤخذ على منهج الكتاب أيضا :

١-ذكر الزمخشري أنه إذا اجتمع للرجل اسم علم مضاف، أو كنيه ولقب، أجري اللقب، أجري اللقب على الاسم فقيل: هذا عبدالله بطة، وهذا أبو زيد قفة [١]، ولم يذكر أنه يجوز مع ذلك القطع الى الرفع والتصب [٢] .

٢-ذكر أن العلم: منقول ومرتجل، ثم بين أن المرتجل على نوعين [٣]، ولم يشرح المقصود بكلمة "مرتجل" كما يفعل النحويين [٤] .

٣-بين انه التزم تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا: فيم وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظرفا، وذلك قولك: في الدار رجل . وأما: سلام عليك وويل لك، وما اشبههما من الادعية فمتركوه على حالها .. وفي قولهم: أين زيد ؟ وكيف رعمرو ؟ ومتى القتال ؟ [٥] ويتضح من هذا أنه لم يستوف أقسام الخبر الواجب تقديمه، واستوفى ذلك ابن مالك في الفيته [٦]حيث ذكر أربعة مواضع شرحها ابن عقيل في كتابه، وهي:-

-ان يكون المبتدأ نكرة ليس اها مسوغ الا تعدم الخبر، والخبر ظرف او جار ومجرور

- ان يشمل المبتدأ على ضمير يعود على شئ في الخبر ، نحو: في الدار صاحبها .

- ان يكون الخبر له صدر الكلام، نحو: اين زيد؟

- ان يكون المبتدأ محصوراً ، نحو انما في الدار زيد، وما في الدار الا زيد واضاف الاشموني موضعا خامسا هو [٧]: ان يكون المبتدأ "أن" وصلتها نحو:عندي انك فاضل

٤- اغفل ذكر مواطن حذف المبتدأ وجوباً

٥- اهمل ذكر نائب الفاعل. فنائب الفاعل هو فاعل عنده.

٦- قصر ذكر التوابع على " قسم الاسماء" مع ان بعضها يرد في:قسمى الافعال والحروف ايضا.

٧- ادرج المصدر الميمي في: اوزان المصادر، ولم يفرد له بحثاً مستقلاً

٨- اغفل ذكر بدل المفعول المطلق المبين للنوع .

---

[١] ابن يعيش / شرح المفصل / ١ / ٣٣

[٢] شرح ابن عقيل / ١ م ١٠٧ /، وشرح التصريح / ١ / ١٢٢

[٣] المفصل / ١ / ١٨

[٤] شرح الاشموني / ١ م ١٣١ – وحاشيه الصبان / ١ / ١٣١

[٥] المفصل / ١ / ٥٦ - ٥٧

[٦] الفيه ابن مالك / ١٨، وشرح ابن عقيل / ١ / ٢٠٧ - ٢١٠

[٧] شرح الاشمونى / ١/ ٢١٣، وانظر: التصريح/ ١/ ١٧٤

٩- اغفل ذكر بدل الاضراب ، ولم يورده ضمن اقسام البدل.

١٠- ذكر ان ما خالف صيغ التصغير: "فعيل، فعيعل ، فعيعيل "لعبةٍ، وذلك ثلاثة اشياء: محقر" أفعال" كاجيمال، منا في آخره الف تأنيث كحبيلي وحميراء، او الف ونو مضارعتان كسكيران [١] يتضح من هذا انه لم يستوفها جميعها، كما انه لم يكن دقيقا في التعبير فكان الاجدر ان يقول: محقر افعال جمعا لا افرادا ، اذ ان محقر " افعال" في المفرد: فعيعيل " نحو: برمة اعشار- اعيشير ، كما ان الف اللتأنيث المقصروة اذا كانت خامسة او اكثر خذفت ، نحو: قرقرى – قرير، لغيزي – لغيغيز، برد رايا – بريدر، وما فيه الف ونون زائدتان مما لا يجمع على: "فعلين " فان جمع على فعالين صغر على: فعيعيل، نحو: سلطان - سليطين[٢] وبقي من الصيغ مما خلف صيغ التصغير: ما فيه تاء التأنيث نحو: وريدة ، والمركب المزجى نحو: بعيلبك ، وما فيه علامة التثنية نحو: غصنان – غصينان ، وما فيه علامة الجمع السالم ، نحو: زيدون ، وهندات – هنيدات وغيرها [٣] وبقي الصيغ مما خلف صيغ التصغير: ما فيه تاء التأنيث نحو: وريدة ، والمركب المزجى نحو: بعليبك ، وما فيه علامة التثنية نحو: غصنان – غصينان ، وما فيه علامة الجمع السالم ، نحو: زيدون – زييدون ،وهدات – هنيدات ، وغيرها

١١- لم يحسن معالجة الموضوع " الاغراء والتحذير" ، فهو قد دمج الاغراء بالتحذير: باسلوب يوقع باللبس، قال[٤]: " ويقولون: الاسد الاسد والجدار المتداعي وابطاء الصبي ، ومنه: اخاك ، اي:/ الزمه والطريق الطريق ، اي: خله " ، ولا يخفى ان: اخاك اخاك: اسلوب اغراء.

- ذكر ان للمفعول له ثلاث شرائط: ان يكون مصدرا ، وفعلا لفاعل الفعل المعلل، ومقارنا في الوجود [٥] "وأهل الحجاز أعملوها لضرب من الشبه بينها وبين " ليس " الا أنهم اشترطوا لعملها شرطين: أحدهما، أن يستمر الاسم بعدها والخبر بعده . والاخر: أن لايبطل النفي " .

وأضاف غيره شرطين آخرين، هما: [٦]

أولهما: ألا يتقدم معمول الخبر على الاسم وهو غير ظرف ولاجار ومجرور

والثاني: ألاتدخل عليها " أن " النافية، وهذا يمكن ادخاله ضمنا مع الشرط استمرار النفي .

---

(١) المفصل/ ٢/ ٥٤٢

(٢) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ١١٥

(٣) شرح الشافية للرضي / ١٩٤- ١٩٩ ، وشرح الاشموني/ ٤/ ١٦٠- ١٦٤

(٤) المفصل/ ١/ ١٢٢

(٥) المفصل/ ١/ ١٤٦

(٦) شضرح ابن عقيل / ١ /× ٢٥٩ – ٢٦٣ – وشرح الأشموني / ١ / ٢٤٧

١٤- سرد من أوزان اسم الآلة: " مِفْعَلا، ومِفْعَالا، ومِفْعَلة " وأغفل ذكر " فِعَال " كالنظام والشداد والوثائق، وقد ذكره الرضي"[١] .

١٥- قال في قسم الحروف [٢]:" ومن اصناف الحرف: الحرفان المصدريان وهما: " ما " و" أن"، وأغفل ذكر الأحرف المصدرية الاخرى، وهي: لو، كي، أن، و" الذي عند بعضهم نحو قوله تعالى:" وخُضْتُم كالذي خاضوا " أي: كَخَوْضِهم[٣] .

ولعل أخطر ما أخذ عليه بعض العلماء الذين جاءوا بعده أنهمة اعتبروا كتاب " المفصل " نسخة ثانية من كتاب سيبويه، أو تخليصاً له، بل إن بعضهم قد قدح في كفاءة الزمخشري العلمية أيضا، فقد ذكر السيوطي في بغية الوعاة [٤] أن غابن مالك – صاحب الألفية – يقول عن ابن الحاجب: انه أخذ نحوه من صاحب المفصل، وصاحب المفصل نحوي صغير .

وقال الاسكندري في كتاب " الاصناف " [٥]:" وقفت على كلام ابن خروف النحوي يرد على الزمخشري ويخطئ رأيه في تصنيفه المفصل وإجحافه في في الاختصار بمعاني كلام سيبويه حتى سماه ابن خروف " البرنامج " وأنشد عليه:

أوردها سعد وسعد مشتمل ماهكذا تورد ياسعد الإبل "

وقدح أبو حيان في المفصل وصاحبه قدحاً مؤلما، يقول السيوطي في الاشباه والنظائر [٦]: " قال الشيخ تاج الدين بن مكتوب في " تذكرته ": أجاز الزمخشري وصف " كم " الخبرية وجعل ذلك من قوله تعالى:" وكم أهلكنا من قبلهم من من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا" سورة مريم / ٧٤- قال: هم أحسن أثاثا في موضع النصب صفة ل " كم " وذكر ذلك في الكشاف، وقد نص الشلوبين في:" حواشي المفصل " وابن عصفور في:" شرح الجمل اغلكبير " على أن "كم " الخبرية لاتوصف .

وقلت لشيخنا الأستاذ أبي حيان قولهما معارض بقول الزمخشري فرد ذلك على وقال: أصحابنا يقولون: ان الزمخشري غير نحوي ولايلتفتون اليه الى خلافه في النحو، يعني المواضع

---

[١] المفصل / ٢ / ٦٨٠ – وشرح الشافية / ١ / ٨٨

[٢] المفصل / ٣ / ٩٦٦

[٣] المغنى / ١ / ١٨٢، ٢٦٥، - وشرح ابن عقيل / ١ /× ١٢٠ – ١٢٢، ٢ / ٢٨٧ .

[٤] بغية الوعاة / ١ / ١٣٤، وأنظر أيضا: مقدمة الألفية / ٥

[٥] الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال / ٤ / ١٧٤

[٦] الاشباه والنظائر / ٣ / ٦٣

التي خالف فيها النحويين وانفرد بها، وكتابه المفصل "عندهم محتقر لايشتغل به ولاينظر فيه إلا على وجه النقض له والحط عليه، وأنشد لبعض الأندلسيين:

ما يقول الزمخشري   عند عمرو بن جعفر

والخليل بن أحمـــد   والفتى عبد الاكبـــر

لم يزدنا زيــــــادة   غير تبديل الاسطـــر

وسوى اسمه الذي--------------"

ولعل شوقي ضيف قد تأثر بأبي حيان وبغيره حين قال [(١)]:".. ويكفي أن نرجع الى "المفصل" فسنراه يضع كتاب سيبويه نصب عينيه حتى ليصبح ملخصا له أحيانا على نحو ما يلقانا في باب المفعول المطلق وصوه الكثيرة، وغالبا ما يتابعه في آرائه النحوية ..."

وبعد، فمن العسير علينا – قبل مل شئ – أن نتقبل حكم ابن مالك في صاحب المفصل، بل نرى أنه قد تجرد من الموضوعية العلمية إن كان قد أصدر على الزمخشري حكما بأنه نحوي صغير، ونرد قوله لسببين:

اولهما: أن ابن مالك قد اطلع على كتاب "المفصل" ووعي مافيه، وأعجب به، مما دفعه الى نظم كتاب يتضمن متدته العلمية و ثم عاد فأحل هذا النظام الى مادة علمية منثورة، ففي مقدمة الألفية[(٢)]:".. ومن تصانيف ابن مالك ": المؤصل في نظم المفصل"، وقد حل هذا النظام فسماه:" سبك المنظوم وفك المختوم" وفي بغية الوعاة قصيدة تضمنت مصنفات ابن مالك، منها [(٣)]:

وجاء بنظم للمفصل بارع   رفيع على المنظوم يدعى المؤصل"

والثاني: أن أبن مالك قد أفاد إفادة كبيرةمن جهود الزمخشري النحوية، وصدر في كثير من آرائه ومصنفاته النحوية عن الزمخشري وغيره من العلماء، ومن بنظر في كتاب "شرح عمدة الحافظ" مثلا، يجد شخصية الزمخشري واضحة فيه، ولهذا فاننا نرجع أن ابن مالك كان ينظر الى صاحب المفصل وآرائه النحوية نظرة اعجاب وتقدير .

[(١)] المدارس النحوية / ٢٨٤، وانظر أيضا: اللغة العربية وعلومها / ١٢٢.

[(٢)] مقدمة الالفية / ٥ و وانظر: المدارس النحوية / ٣١٠

[(٣)] بغية الواعاة / ١ / ١٣٢

أما حكم أبي حيان زمن تابعه فلا يعول عليه ولايؤخذ به، أما أولا فلأن له مثل هذا الحكم في ابن مالك وغيره من النحاة [١] .

وأما ثانيا فلقول الشوكاني [٢]: "نافس أبو حيان الزمخشري فأكثر من الاعتراض عليه في البحر والنهر الماد، لكون الزمخشري ممن تفرد بهذا الشأن وان لم يكن عصره متصلا بعصره، وكان ابن هشام كثير المخالفة لأبي حيان شديد الانحراف عنه، ولعل ذلك لكون أبي حيان كان منفردا بهذا الفن في ذلك العصر غير مدافع عن السبق فيه، ثم كان المنفرد بعده هو ابن هشام كثيرا ما ينافس الرجل من كان قبله في رتبته التي صار إليها إظهارا لفضل نفسه بالاقتدار على مزاحمته لمن كان قلبه، أو بالتمكن من البلوغ الى مالم يبلغ اليه، والا فأبوحيان هو من التمكن من هذا الفن بمكان، ولم يكن للمتأخرين مثله، وهكذا نافس أبو حيان الزمخشري ..".

وأما ثالثا فلأن ابن هشام قد نقد أبا حيان في أكثر من موقف من المواقف التي خطأ فيها الزمخشري، وكان يصوب ماذهب اليه الزمخشري ويأخذ به [٣] .

صحيح أن الزمخشري قد ألم بما في كتاب سيبويه إلماما شاملا، زلكنه أخضع عذا الامام لنظام علمي ولضح، ولأسلوب أقرب إلى مانعرف اليوم من تقسيم وتعبير واصطلاحات في هذا العلم [٤]، وكان هونفسه يفتخر بهذا الالمام ويعتزبه، ويعد شمول مفصله للمادة التي تضمنها كتاب سيبويه أمارة من امارات النضج ففي أثناء التقديم لديوان الزمخشري قال ناسخه محمود شكري [٥] ":.. وكان يزعم – يعني: الزمخشري – أنه ليس في كتاب سيبويه مسألة الاوقد تضمنها هذ الكتاب – يعني: المفصل –، ويحكى أن بعض أهل الأدب أنكر عليه هذا القول وذكر له مسألة من كتاب سيبويه وقال: هذه ليست فيه، فقال: انها ان لم تكن فيه نصا فهي فيه ضمنا، وبين له ذلك".

ولئن قيل في الزمخشري ومفصله ما أسلفنا، فقد قيل في سيبويه وكتابه مثله، بل وأكثر منه، فقد شككوا في مادته العلمية، وفي نسبته الى سيبويه، وفي أمانة سيبويه العلمية في أثناء نقله عن الخليل وغيره [٦] .

---

[١] نفسه / ١ / ١٣٠ – ١٣١

[٢] لبدر الطالع / ى١ / ٤٠١

[٣] مغنى اللبيب / ١ / ٣٤ / ٣٥

[٤] عبد العزيز عتيق / المدخل الى علم النحو / ١٨٧– ١٨٨

[٥] مقدمة ديوانه / ورقة: ٢ –ظ، وانظر: نزهة الالباب / ٣٩١

[٦] الزبيدي / طبقات النحويين واللغويين / ٤٩

ولئن اتهموا الزمخشري بأنه أكثر النقل عن سيبويه، فقد اتهموا سيبويه من قبله بأنه أكثر النقل عن الخليل ويونس وغيرهما، وأن مجهوده لم يزد عن تسجيل ماكان يدور بين العلماء في مجالسهم، وفي حلقات دروسهم من أفكار وآراء وشواهد ونصوص[١] . ولئن أخذ سيبويه: (٨٥٨) رأيا عن الائمة الذين سبقوه، ومع ذلك ىبقى كتابه شامخا على غيره من المصنفات، وفرض نفسه على جهود النحاة اللاحقين، وظل معينا يصدرون عنه في مصنفاتهم، وبحرا يغترفون منه مادتهم اللغوية والنحوية منذ ظهوره، فان الزمخشري قد أخذ ما يزيد قليلا عن "٢٥٠" رأيا لمن سبقوه، فينبي أن يكون نقله عن السلف، والاستدلال بآرائهم، والافادة من جهودهم هم أيضا، سبيلا لاعلاء شأن " مفصلة "، وتعزيز الثقة به، وأن يكسبه قيمة علمية رفيعة، ويعلي مكانته بين الدارسين، ويجعل منه مصدرا يمكن أن يطمأن الى معطياته بين مصادر النحو العربي .

قيمة الكتاب

وكظي "المفصل" فعلا بمكانة مرموقة في عصر صاحبه وما اعقبه منن عصور، وبدت هذه المكمانة من خلال اهتمام الطلاب والمعلمين بدراسته وخدمة ما جاء فيه، والتركيز عليه دون سواه من خلال اهتمام الطلاب والمعلمين بدراسته وتدريسه وخدمة ما جاء فيه ، والتركيز عليه دون سواه من الكتب النحوية السابقة حلى اصبح الكتاب الرئيس الذي يعتمد عليه في الاوساط العلية شرقا وغربا بعد كتاب سيبويه، بل انه قد زاحم كتاب سيبويه فزحمه وحل مكانه في بعض الهيئات.

وعلمت مكانة "المفصل" لجى اولي الامر ايضا ، فلم يكد يمضي نصف قرن على وفاة الزمخشري حتى وجدناه الملك المعظم[٢]: عيسى بن الملك العادل ، صاحب دمشق (ت:٦٢٤هـ) يرصد لكل من يحفظ " المفصل" مكافأة ماملة قدرها مائة دينار ، يضاف اليها خلعة ، وهو حافز يدفع كثير من النشء الى دراسة المفصل والاقبال عليه وفهمه، ويحمل العلماء على شرحة واجلاء غامضة، ويحث من ثمن نشاطا ملحوظا في حلقات الدرس النحوى. واثنى عليه حاجي خليفة[٣] ورأى فيه كتاباً عظيم القدر ، جليل الفائدة ، ونقل اعجاب الدارسين به، وساق بعض ما نظم فيه من الشعر، من ذلك قول القائل:

---

(١) تطور الدرس النحوي / ٤٧ – ٤٨.

(٢) المكامل في التاريخ/ ١٣/ ١٢١، وانظر: تاريخ آداب اللغة العربية/ ٣/ ٤٧

(٣) طشف الظنون/ ٢/ ١٧٧٤

اذا ما اردت النحو هالك محصلا   عليك من الكتب الحسان مفصل

ووصفه شارحه: تاج الدين احمد بن محمود بن عمر الجندي بقوله[1] : "كتاب المفصل انيق الرصف، سامري الوصف" وهذا كلام المسجع يدل على مدى التقدير الذي يكنه الجندي لكتاب "المفصل".

وقدم ابن يعيش لشرحه بقوله[2] "... فلما كان الكتاب الموسوم بالمفصل...جليلاً قدره ذكره ، قد جمعت اصول هذا العلم فصوله ، واوجز لفظه فتيسر على الطالب تحصيله الا انه مشتمل على ضروب: منها لفظ أغربت عبارته.." ، وهذا التقديم يشف عما في نفس ابن يعيش من اجلال للمفصل، واشادة بفضله وشيوع ذكره ، وتنبيه على شموله للمادة النحوية ، واعجاب بايجاز لفظه وقرب تناوله.

وقد يكون غريباً ان يبلغ المفصل هذه الدرجة العالية من التقدير مع ان تأليفه لم يستغرق اكثر من سنة واربعة اشهر- من غرة رمضان المبارك سنة: ٥١٣هـ الى غزة محرم الحرام سنة ٥١٥هـ وتزول هذه الغرابة حين نكشف ان الزمخشري كانعلى علم وافر بالنحو ، وانه قرأ "الكتاب" واتقنه وشرح ابياته ورأى ما فيه من عيوب ، فبدت صورة المادة النحوية بأبعادها وتفاصيلها واضحة في ذهنه، ولم يكن يعوزه سوى وضع المنهد وتوزيع المادة ، ومن هنا ، لم يكن غريبا ان يحاط بظروف وملابسات كتلك التي احاطت بكتاب سيبويه.

ولئن قيل عن كتال سيبويه انه "قرآن النحو" فقد قيل في "المفصل"[3]:

لولا التقى قلت المفصل معجز   كآي واوالٍ من طوال المفصل

وادا كان الامر قد بلغ بالقائل هذا القدر من الاعجاب بالمفصل قد احتل مكانه مرموقة في نفسه ونفوس معاصريه ، واصبح اثيرا لدى العلماء والدارسين.

وكما نقل علماء اليهود في اسبانيا كتاب سيبويه الى اللغة العبرية ، ليكون دستوراً يؤلفون نحو لغتهم على نمطه، فانهم قد اهتموا بالمفصل ايضا، ورأى فيه ابن العبري غاية ما يمكن

[1] نفسه/ ٢/ ١٧٧٥

[2] شرح المفصل/ ١/ ٢

[3] كشف الطنون م٢/ ١٧٧٤

الوصول اليه في التأليف النحوى ، كما رأى ضرورة معرفة محتوى هذا الكتاب لجى اصحاب اللغاة الاخرى لمحاكاته والسير على نهجه [١] .

وهكذا الفت المفصل انظار والدارسين لما يمتاز به من ميزات اهلته لان يتصدر سائر المؤلفات النحوية التي عاصرته، والتي سبقته ايضاً، مما جعل بعض النقاد الحدثين يعدونه الكتاب الثاني بعد كتاب سيبويه، مع العلم بان كتبا نحوية كثير طهرت بين الكتابين وكان لهم وزنها العلمي نظرا لقيمة الاراي النحوية التي تضمنها ، والروح العلمية التي سيطرت عليها وطبعتها بطابعها[٢] ، ولعل اهم ما يمتاز به كتاب"المفصل" ما يلي:

- خلوه من الحشو والاستطراد وذكر الخلافات النحوبة الكثير التي كانت تشغل بال الذين سبقوه في التأليف كثيرا من جهودهم.

- والايجاز الشديد الذي يستغرق عبارات الكتاب، فتراه يسوق العبارة باقل قدر ممكن من الالفاظ ، وتلك ميزة في التعبير لا يجيدها الا من اوتى وافرا من علم العربية، وبلغ بها شأوه بعيداً، وقد اشار الزمخشري نفسه الى هذه الميزة في مقدمة المفصل حينما قال: [٣] ".. ولم ادخر فيما جمعت فيه من الفوائد المتكاثرة ، ونظمت فيه، افرائد المتناثرة مع الايجاز غير المخل..."

والكتاب فوق هذا سهل واضح في عباراته اسلوله العلمي بوجه عام ، وليس في الكتب التي بينه وبين كتاب سبويه مماوصل الينا كتاب عالج المباحث النحوية على هذا النحوية على هذا النحو من الكمال والشمول ، وانما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة ، او في مباحث صرفية هي اقرب ما تكون الى الصبغة اللغوية ، او هي بحوث نحوية تجيء في ثنايا الموضوعات الادبية، وفي خلال شرح القصائد او المقطوعات وما الى ذلك ، فكتال المفصل يعتبر مرحلة تامة النمو، وحلقة كاملة الوضع في سلسلة التحوث النحوية[٤] والتخلي عن التعليلات العقلية او المنطقية التي طغت في كثير من ابواب النحو وفصوله على المادة النحوية نفسها فجعلتها تختفي او تكاد في غمرة اثار الدراسة الفلسفية من جدل ويقاش وبحث عن الاسباب، واغراق التجريدات [٥]

---

[١] تطور الدرس النحوى / ١٠٠

[٢] عتد الله درويش / المعاجم العربية/ ١٢٦

[٣] المفصل/ ١/ ١٠ ، وانظر من تاريخ النحو / ١٤١- وابن يعيش وشرح المفصل/ ٣٣

[٤] عبد العزيز عتيق / المدخل الى علم النحو والصرف/ ١٩٠- ١٩١ ، وانظر: علد الحميد حسن / القواعد النحولة / ٢٦٨- وابن يعيش وشرح المفصل/ ٣٢

[٥] تطور الدرس النحوى / ٨٩

والتعليل في بعض المواطن من الكتاب لبعض الظواهر، وهو بهذا التعليل يدافع عن منهجه ويسوغ صنعيه فيما يمكن ان يؤيخ عليه من مخالفات لذلك المنهج ، وهذا يشير الى مبلغ الحرص على الالتزام بين المنهج والتطبيق، وقد اشرت الى مثل هذا التعليل في اثناء تحقيق الكتاب.

ويمتاز المفصل بالاصالة التي تتمثل في مخالفاته لسيبويه في كثير من المسائل النحوية ، مما حفز بعض العلماء الى تصنيف كتاب يجمع المسائل التي كانت موضع خلاف بين الزمخشري وسيبويه ومعنى ذلك ان الزمخشري كان يصدر احكامه في المفصل بجرأة وثقة وتشعران انه مجتهد في علم النحو على مذهب نحاة البصرة، يتبنى في المسائل الفرعية تبعا لغلبة الظن، مستندا الى الادلة والشواهد، مستأنسا بآراء من سبقوه ن ومعتدا على حسه اللغوي المرهف، وعلى تمكنه من زمام العربية حتى ليبدو احيانا انه صاحب الشأن في النص اللغوي ، يدرك اسراره وابعاده بفطره وحسه لا بدراسته وعقله.

والاستشهاد بالحديث الشريف، اذ كان الزمخشري من اوائل من اهتموا بامر الحديث، واتخذو اصلا من اصول اللغة، واستشهدوا به على قواعد النحو واحكامه ضاربا صفحا عن صنيع سيبويه فيه هذا المجال(1).

وقد اثر المفصل بمادة ونمنهجه واسلوب تناوله لقضايا النحو ن في أئمة علم النحو في عصره ومن جاء بعدهم في القرون التالية، فشغلوا انفسهم به، وعكف عشرات العلماء على دراسته واقرائه وروايته، وشرح مادته النحوية(2) ، وشواهد القرآنية والشعرية واللغوية ، ونظمه لاواختصاره حوله، واتباع منهجه في التأليف والتنسيق والترتيب ، كما فعل ابن الحاجب في" الكافية" ، يقول الاندلسي في شرح المفصل (3): "فني لما رأيت ابناء زماننا من اهل الاداب شغفين بكتاب" المفصل في صنعة الاعراب" ، صارفين هممهم اليه وقاصرين بجهم عليه ، كنت واحدا من رجالهم ، آخذا بمذهبهم ومقالهم:

وهل انا الا من غزية ان غوت   غويت ، وان ترشد غزية ارشد"

وهكذا ، اصبح "المفصل" محورا حوله المجهود الذهني والنشاط العقلي لقطاع كبير من العلماء ، وادى تأثر هؤلاء بمنهج الزمخشري الى خدمة المادة النحوية خدمة جليلة فقد قصروا

---

(1) المدارس النحوية/ ٣١٠

(2) وفيات الاعيان/ ٥/ ١٦٩

(3) شرح المفصل/ ١أ

جهودهم على دراسة هذه المادة تحليلا وتركيبا وفهما ، وحرصوا على جمع المتشابه من عناصرها ، وتأليف مجموعات عديدة من احكامها ، وهذا الاتجاه الجديد صرفهم عن الخوض في التفصيلات والشكليات والتعليلات النحوية والتطبيقات المنطفية والقضايا التجريدية.

والقاء نظرة على المؤلفات اللغوية والنحوية بعد الزمخشري ، كفيلة ان تفنع الباحث بان شخصية الزمخشري العلمية قد انتشرت على صفحات هذه المؤلفات انتشارا واضحا ، وان العلماء الذين جاءوا بعده استناروا بآرائه – موافقة ومخالفة- على صحة ما يصنعون.

وصفوة القول، فان الزمخشري، كان فريداً في اتجاهه من بين معاصريه الذين كانوا يحترمون القديم – لانه قديم – ويتمسكون به، ويحرصون على الحفا ظ عليه ، ومن اجل ذلك ساغ لنا ان نقول: ان الزمخشري استطاع ان يسهم في تطور الدرس النحوي ن وان يؤسس مدرسة نحوية جديدة لها اصالتها ، ولها منهجها وطلابها، وان هذه المدرسة اخذت تنمو ويتسع نفوذها، ويزداد عدد الدارسين فيها - اساتذة وطلابا- حتى استطاعت ان تفرض نفسها على البيئات العلمية بعد وفاته بقليل، وان تحل محل مدرسة سيبويه، وكان موضوع الدرس فيها مؤلفات الزمخشري ، وعلى رأسها جميعا كتاب" المفصل" الذي اعتبر من حيث: مادته وتصنيفه وطريقة معالجته للقضايا النحوية اعظم كتاب بعد كتاب سيبويه[1] ونمضى بعد هذه الوقفة على منهج المفصل ومصادره وقيمته العلمية الى الفصل الثاني من هذا الباب لنقف على الشواهد التي عزز بها الزمخشري مادته النحوية التي اودعها كتاب المفصل.

---

[1] تطور الدرس النحوى / ٨٩

الفصل الثاني

شواهد المفصل

- القرآن الكريم والقراءات
- الحديث النبوي الشريف
- كلام العرب
- أخطاؤه

نعني بالشواهد:

- القرآن الكريم والقراءات.
- الحديث النبوي الشريف.
- كلام العرب: ويشمل
الشعر، والامثال، والاقوال، واللغات.

وتعتبر هذه الشواهد المصدر الاول الذي يصدر عنه اللغويين والنحاة في تعزيز آرائهم وتدعيم وحها نظرهم، وخدمة مذاهبهم ، واثبات احكامهم في القواعد النحوية التي يقعدونها، والمسائل التي يتناولونها بالبحث والدراسة.

وحين نخص هذه الشواهد بالعناية والاهتمام، فانما نبغي ان نلقي الضوي على موقف الزمخشري منها، ونقف على منهجه في استعمالها، وعلى مدى نجاحه في استغلالها لتعضيد قواعده النحوية ، وتدعيم مسائله الصرفية التي بسطها في المفصل.

اولاً: القرآن الكريم والقراءات

القرآن: هو الوحي المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – للبيان والاعجاز. والقراءات: هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف او كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها[١] ومن سمات القرآن العظمى انه نقل نقلا متواترا[٢] . يقول الآمدي[٣]: اما حقيقة الكتاب فقد قيلفيه: هو ما نقل الينا بين دفتى المصحف بالاحرف السبعة المشهورة نقلا متواتراً. وقال البزدوى[٤]: "اما الكتاب فالقرآن المنزل على رسول الله المكتوب في المصاحف المنقول من النبي – عليه السلام – نقلا متواترا بلا شبهة" وقال ايضا: "ماينقل آحاد ليس بقرآن ، لان القرآن لما تتوفر الدواعر على نقله لما تصمنه من التحدى والاعجاز ، ولانه اصل سائر الاحكام، والعادة تقضر بالتواتر في تفاصيل ما هو كذلك، فما لم ينقل متواترا علم انه ليس قرآنا قطعا" ، ومن اجل هذا وفيره اكتسب القرآن ثقة العلماء والباحثين ، فاطمأنوا الى سائر الفاظه ومعانية، والتفوا حول آياته البينات يتخذون منه ادلة قاطعة يسندون بها آراءهم، فتدعيم المسألة بدليل قرآني يكسبها شيئا"

(١) البرهان في علوم القرآن / ١/ ٣١٨

(٢) ابو البركات بن الانبارى ودراساته النحوية/ ٢٠٨

(٣) الاحكام في اصول الاحكام / ١/ ١٤٧

(٤) كشف الالسرار / ١/ ٢١– ٢٢ ، وانظر ايضا: الاحكام في اصول الاحكام / ١/ ١٤٧– ١٥٢،ـ والابقان في علوم القران / ١/ ٧٧ – ٧٩، والاقتراح / ١٧، والشواهد واصول النحو / ٢٩ – ٣٠

كثيراً من القوة والثبوت ، اذ لا يمكن لاحد كائنا من كان – ان يبدي رأيه فيها لا بقدر ما يحتمل هذا الدليل القرآني من احتما تعدد الاراء وتفريع المسائل.وبهذا اصبح القرآن الكريم اول مصادر الفكر الاسلامي واعظمها وادقها على الاطلاع ، وغدا اصدق مرجع واصح مصدر يرجع اليه النحاة في تقنين القوانين واستخراج الاصول[1] واعتنى رهط من العلماء بضبط لغات القرآن الكريم، وتحرير كلماته، ومعرقة مخارج حروفه، وعددها ، وعدد كلماته وآياته وسوره واحزابه وانصافة وارباعه ، وعدد سجداته، والتعليم عند كل عشر آيات ، الى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابها، والآيات المتماثلة، من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما اردع فيه، فسموا القراء[2] . والقراء كلهم متبعون لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – في القراءة ، وما قراءة الرسول الكريم الا باذن الله وامره ن وليست صادره عن هوى اوميل ن فلا يصح للمسلم ان يتسامح في حق من حقوق الله ورسوله، وك لقراءة تستند الى الرواية – سندا ومتنا – فاذا ما تأكد القارئ ان قرائته مروية عن الرسول الكريم ، فانه يأخذها ولو كانت مخالقة لسيي العربية ، وكان ابو عمرو بن العلاء يردد دائما: "لو لم تكن القراءة سنة متبعة لقرأت الحرق: كذا وكذا: على كذا وكذا" ولكنه لايفعل لأن القراءة سنة، وهو متقيد بهذه السنة [3] .

ويرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة الى عهد الصحابة، فقداشتهر بلاقراء منهم سبعة: عثمان، وعلي، وأبي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الامصار، وكلهم يسند الى رسول الله . فلما كانت أواخر عهد التابعين في المائة الأولى، تجردم قوم، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، لما رأوا من المساس الى ذلك بعد اضطراب السلائق وجعولها علما، كما فعلو يومئذ بالحديث والتفسير، فكانوا فيها الأئمة الذين يرحل إليهم ويؤخذ عنهم، ثم اشتهر منهم ومن الطبقة التي تلتهم أولئك السبعة [4] الذين تنسب اليهم القرائات الى اليوم .

---

[1] مهدى المخزومى/ مدرسة الكوفة/ ٥١ ن وانظر: اثر القران والقراءات في النحو العربي/ ٣١- ٣٢ ، ٦٥- والمفضل واثره في الجراسات اللغوية والنحوية / ق ١/ ١٣ – وابن يعيش وشرح المفصل/ k1

[2] الرافعى / تاريخ آداب العرب/ ٢/ ١١١

[3] أبو عمرو بن العلاء ومذهبه في النحو / ١٢ – ١٣، وانظر: البرهان في علوم القرآن / ١ / ٣٣١ ومقدمة حجة القراءات لابي زرعة / ١٠ – ١١، وابن يعيش وشرح المفصل / ٧١، وانظر ايضا: النشر في القراءات العشر/ ١/ ١٧

[4] هم: أبوعمرو بن العلاء، ت: ١٥٤هـ-وعبدالله بن كثير،ت: ١٢٠ هـ - ونافع بن نعيم، ت: ١٦٩ هـوعبدالله بن عامر اليحصى،ت: ١١٨ هـ وعاصم بن بهدلة الاسدي،ت: ١٢٨هـوحمخزةابن حبيب الزيات،ت:١٥٦ هـ وعلي بن حمزة الكسائي،ت: ١٨٩ هـ

ولكل منهم سند في روايته، وطريق في الرواية عنه[1] .والمعروف أن القرآن الكريم قرئ بلهجات مختلفة باختلاف القبائل العربيةفي طريق النطق وأداء الكلمات، فبعضها يسهل حرفا تشدده غيرها، وبعضها تفك أحرفا تدغمها غيرها، ومن هنا اختلف أدائهم في قرائته، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أقرأ كل وفد بلهجة قبيلته فنشأ عن ذلك اختلاف في قراءة حتى يكون بعضهم ينكر قراءة البعض الآخر، ويتحاكمون الى رسول الكريم ليفض النزاع، وكان يقول:" نزل القرآن على سبعة أحرف" ولم تكن هذه الأحرف السبعة التي أشار اليها النبي عليه السلام الا القراءات السبع المتواترة [2] وكان الحكم على القراءة امنا يتوقف على سندها، فاذا كان السند متصلا فانه لامجال للتردد في الاخذ بها في الاحتجاج، وعلى هذا فان القراء ماكانوا يلتفتون في نقلهم للقراءة الى العربية وقواعدها بقدر ماكانوا يحرصون على صحة النقل عن اغلسلف وسلامته، فاذا تحقق لهم ذلك، فعندئذ لايكون لموقف نحوي عندهم من هذه القراءة أو تلك وزن، سواء أخذوا بها أم ردوها لضعف رأوه في مخالفة القياس، أو الشذوذ اجتهدوا في تخريجه في قراءة من القراءات [3] يقول أبو عمرو الداني [4]:" وأئمة القراء لاتعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ولأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر ولأصح في النقل والرواية، واذا ثبت عندهم لم يردها قياس عربية ولا فشولغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها".

واعتنى النحاة أيضا بالقرآن الكريم عناية بالغة، وكانت غاية النحوي منهم أن يجد آية تؤيد رأيه، وتدعم مذهبه في مسألة من المسائل، ولذلك فإنهم أقبلوا على دراسته دراسة شاملة، واستقصوا كل آية من آياته طمعا في خدمة قواعدهم، وإثراء مادتهم العلمي، فتناولوا المعرب منه، والمبني من الاسماء ولأفعال، والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الاسماء وتوابعها، وضروب الأفعال واللازم والمتعدي منها، ورسوم خط الكلمات، وجميع مايتعلق به حتى ان بعضهم أعرب مشكلة، وبعضهم أعربه كلمة كلمة، وتوسع النحاة وأهل اللغة في

---

[1] تاريخ آداب العرب / ٢ / ٣٤، وانظر: معجم الأدباء / ١ / ٤١٢ – ومقدمة حجة القراءات لابي زرعة / ١٠ – ٦٢ .

[2] أبو حيان النحوي / ٢٧٧، وانظر: البرهان / ١ / ٣٣٤ – ٣٣٦، والنشر / ١ / ٢٦ .

[3] ابن يعيش وشرح المفصل / ٧١

[4] النشر / ١ / ١٠ – ١١، وانظر: الاتقان في علوم القرآن / ١ / ٧٥

شواهد القرآن، ونقبوا عنها، واستعرضوا لها ما انتهى اليهم من كلام العرب، فلا يعرف في تاريخ العلوم اللسانية قاطبة شواهد تبلغ عدتها أو تقاربها أو تكون منها على نسبة متكافئة [1] .

وكانت مدرسة البصرة أسبق من مدرسة الكوفة في هذا المضمار، إذ كان النحو بصريا كله في الفترة الاولى، وكان كتاب سيبويه دستورا سار عليه نحاة البصرة وغيرهم في ضبط قواعد اللغة العربية وأصولها، وقد اتضحت معالم مدرسة البصرة ووجهتها العلمية بعد سيبويه، وبعد أن ظهر الكسائي والفراء في الكوفة، وخالفا كثيرا من آراء سيبويه [2] .

وقد أكثر نحاة البصرة الأوائل كالخليل وسيبويه من الاستشهاد بالايات القرآنية لتعزيز القواعد النحوية التي قعدوها، غيران اعتماد هم اعتمدهم على القرآن لم يكن في مستوى خصومهم الكوفيين، اذ كان الكوفيون يعتمدون على آيات القرآن على ماكان يصح لديهمفن اقوال العرب، ولم يكن الامر كذلك عند البصريين، وفيما ذكر ابن الانباري في: الانصاف من مسائل الخلاف بينهم وبين الكوفيين ما يؤيد ذلك [3] .. على ان هذا لا ينقص من قدر اعتداد البصريين بآيات القرآن فقد اثبت صاحب الانصاف أيضا مايدل دلالة قاطعة على أنهم بنوا كثيرا من آرائهم النحوية على كتاب الله [4]، كما أن كتاب سيبويه وحده قد اشتمل على أربعمائة نص من نصوص القرآن الكريم .

وابتنى البصريون قواعد مذهبهم النحوي على الأغلب الشائع من كلام العرب، وحكموا المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه، فاذا اصطدم أصل من اصوله بصماع غير مشهور فزعوا الى التأويل والتوجيه، أو رمي المسموع بالندرة والشذوذ، أو بالتخطئة أحيانا . وتصلبوا في أمر الرواية تصلبا لايتقيد به الكوفيون، وتشددوا في أخذ شواهدهم فلم يأخذوا منها الاماتأكدوا من صحته مما لايتطرق الشك اليه، وكان القرآن الكريم أعلى شواهدهم وأسماها، فالتخذوا من آياته البينات شواهد لايرقى اليها الشك، غير أنهم وقفوا من قراءاته موقفا غير محمود[5] ، فما وافق منها أصولهم وأقيستهم ولو بالتأويل قبلوه، وما اباها رفضوا الاحتجاج به . واذا اعجزهم التأويل، اعتبروا القراءة من الشواذ، وضعفوها، ولحنوها، وربما رموا الرواة بالوهم وعدم

---

[1] تاريخ آداب العرب/ ٢/ ١١٢– وانظر: البرهان / ١/ ٢٤١ – والنشر / ١/ ٦ – والاعراب الرواة / ٤٣– ٤٨.

[2] ابو حيان لاالنحوي / ٢٧٦ – وانظر: نشأة النحو للظنظاوي / ٢٨ .

[3] الانصاف في مسائل الخلاف / ٢ / ٢٧٢

[4] الانصاف في مسائل الخلاف / ٦١ – ٦٦، ١٠٢ – ١٠٦، ٢٦٠ – ٢٦٨

[5] ابو حيان النحوي / ٢٧٦– ٢٧٧، وانظر: ضحى الاسلام / ٢ / ٢٩٤ – ونظرات في اللغة والنحو / ١١ – وأثرالقرآن والقراءات في النحو العربي / ٣٢٠

التمكن من العربية، ولم يقتصر هذا الموقف على القراءة الشاذ والضعيفة، بل تجاوزها الى القراءات الصحيحة المعتبرة التي تواترت روايتها [1]، فهم مثلا:

- ردوا قراءة عاصم:" وقيل من راق: ببيان النون من " من "، وقالوا: ان ذلك معيب في الاعراب معيف في السماع [2] .

- وقالوا في قراءة أبي عمرو:" فأما قراءة أبو عمروا:" يغفر لكم " – بادغام الراء في اللام – فمدفوع عندنا وغير معروف عند اصحابنا، إنما هي شيء رواه القراء ولاقوة له في القياس [3] "، مع أنه قيل في قراءته:" خذ قراءة أبي عمرو فيوشك أن تكون إسنادا"[4].

وهذا أمر غريب حقا اذ المفروض أن تسير القواعد النحوية وراء النصوص الفصيحة لاأمامها، وخصوصا نصوص القرآن الكريم وقراءاته المعتمدة الموثوقة، فقد بذل القراء جهودهم لتميز السند الصحيح عن غيره، وقسموا القراءات الى: متواترة وآحاد وشاذة وفق أصول محددة دقيقة، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور [5] أضف الى ذلك أن علم النحو قد بنى اساسا على القراءات القرآنية والاساليب اللغوية المروية عن العرب حينما زاغت الالسنة عن القراءة الصحيحة [6] .

ان هذه الحملة الآثمة على القراء بتلحينهم، ورد قراءاتهم، استفتح بابها وحمل لواءها نحاة البصرة المتقدمون، ثم تطاير شررها الى بعض النحاة الكوفة فأهم فيها، فالفراء ينسب الوهم الى بعض القراء الذين تواترت قراءاتهم في السبعة، كما أن للكسائي مشاركة في هذه الحملة، وقد كان للمازني – أستاذ المبرد – نصيب موفور في قيادة هذه الحملة الآثمة، فقد طاب له يختم كتابه التصريف بالطعن على القراء، والسخري منهم، وقد اقتدى به تلمذه فيما بعد [7] .

---

[1] انظر: مدرسة الكوفة / ٣٣٧ – والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٤٠ – ٤١ وأبوه البركات بن الانباري ودراساته النحوية / ٢٠٨ – والمفصل واثره في الدراسات اللغوية والنحوية / ق ١ / ١٣ – وابن يعيش وشرح المفص / ٧٢ – ومقدمة المقتضب / ١١١، والتطور اللغوي التاريخي / ٧٣ .

[2] الخصائص / ١ / ٩٤

[3] سر صناعة الاعراب / ١ / ٢٠٦

[4] مراتب النحويين / ٣٥ .

[5] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٤١- ٤٢

[6] ابوعمرو بن العلاء ومذهبه في النحو / ٢٢٣ – وانظر: اثر القرآن والقراءات في النحو العربي / ٣٤٧ وما بعدها .

[7] مقدمة المقتضب / ١١١ – ونظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٤٣ – والمدارس النحوية / ١٥٧

وبعد، فهذا هو موقف النحاة – بصريين وكوفيين – من الحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته منذ بدأ عصر الاحتجاج، فما موقف الزمخشري في " مفصله " من هذا الاحتجاج ؟ فهل تراه خالف شرعة أصحابه من النحاة السلبقين والمعاصرين، وابتدع سنة جديدة في هذا السبيل أم فعل كما فعلوا ؟

الحق أن الزمخشري سار على نهج النحاة المتقدمين من البصريين، فاعتمد على القرآن الكريم في استخلاص قواعده النحوية وتثبيتها، وليس أدل على عنايته بالكتاب العزيز من تفسيره " الكشاف" الذي اعتنى فيه عناية فائقة بألفاظ القرآن ومعانيه وتراكيبه وقراءاته، وكشف عما فيه من البيان ودقة النظم وجمال التعبير، ومن ينظر في كتاب " المفصل " يجد أن الايات القرآانية الشاهدة كثيرة كثرة واضحة فيه، حتى أن هذه الشواهد قد عمت سائر الموضوعات النحوية التي تضمنها المتاب تقريبا، وقد قمت باحصاء هذه الشواهد القرآنية فتبين لي أنها تزيد عن ثلاثمائة وخمسين نصا، وزعها جار الله على المفصل توزيعا منهجيا، وخص كل موضوع من موضوعاته النحوية بما يناسبه من الايات ليعززه ويبعث روح الثقة العلمية، وهذا يعكس مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه صاحب المفصل للقرآن الكريم .

ومن صور احتجاجه بالقرآن الكريم أنه:

- يورد الكلمة ويبين أنها تستعمل استعماله كلمة أخرى ثم يعضد رأيه بالاية يقول في باب " فعلا المدح والذم "[1]: وقد يستعمل "ساء " استعمال " "بئس " ، قال الله تعالى: "ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ".
- يذكر معنى الكلمة، ثم يعززها ما ذهب إليه بأكثر من آية، من ذلك مثلا أنه يقول في باب " اسماء الافعال والاصوات "[2] " هلم .. على وجهين: متعدية كهات، وغير متعدية كهات، وغير متعدية، بمعنى تعال واقبل، قال الله تعالى:" قل هلم شهداءكم "، وقال تعالى:" هلم إلينا " .
- يسوق المسألة ويبين أن لها معنيين ثم يستشهد للمعنى الثاني بالاية، يقول في باب الأفعال الناقصة [3]:"... وظل وبات على معنيين:

أحدهما: اقتران مضمون الجملة بالوقتين الخاصين على طريقة كان .

---

[1] المفصل / ٢/ ٨١٥ .
[2] المفصل / ١ / ٣٨٢
[3] المفصل / ٢ / ٧٩٥

والثاني: كينونتهما بمعنى " صار "، ومنه قوله عزاسمه:" واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ".

- يذك المسألة وأوجهها ثم يستشهد بآية تتوجه على هذه الأوجه جميعا، من ذلك أنه يقول في باب " الافعال الناقصة"[1]:".. وكان على اربعة أوجه: ناقصة ... وتامه ....وزائدة .... والتي فيها ضمير الشأن . وقوله عز وعلا:" لمن كان له قلب" يتوجه على الاربعة "
- يقعد القاعدة ويسوق ما يجوز فيها من أوجه، ثم يسند رأيه في كل وجه منها بآية، وقد يعضد وجها منها بمثل وشاهد شعري، ويعزز ذلك بآية قرأنية تحتمل وجهين من هذه الأوجه يقول في باب " الجزوم " [2] ":.. وان لم تقصد الجزاء فرفعت، كان المرفوع على أحد ثلاثة أوجه: إما صفة كقوله عز وعلا:" فهب لي من لدنك وليا يرثني "، أو حلا كقوله تعالى: " ونذرهم في طغيانهم يعمهون "، أو قطعا واستئنافا كقولك: لاتذهب به تغلب عليه ..، وبيت الكتاب:

وقال رائدهم أرسو نزاولها　　　فكل حتف امريء يجري بمقدار

ومما يحتمل الأمرين: الحال والقطع ... قوله عز وعلا:" فاضربلهم طريقا في البحر يبسالاتخاف دركا ولاتخشى ".

- يبدي رأيه في المسألة، ويحتج بتوجيه الآية ليسند هذا الرأي، ومن ذلك قوله في باب " الحروف المشبهة بالفعل " [3]":.. ولكون المكسورة- يعني: إن – للابتداء لم تاجمع لامه إلا إياها، وقوله:

ولكنني من حبها لعميد

على ان الاصل:ولكن انني كما ان اصل قوله تعالى: لكنا هو الله ربي":ولكن انا"

- يسوق المسألة في:ابنية الثلاثي المزيد فيه، ويذكر مصدر بناء من ابنيته ثم يذكر ما ورد عن العرب فيه، ويحتج لذلك بالآية ، يقول في باب "المصدر" [4]: ويجرى في اكثر الثلاثي المزيد فيه والرباعي على سنن واحد، وذلك قولك في: "افعل": إفعال... وقالوا في: "فعل": تفعيل وتفعلة، وعن ناس من العرب: "فعال" وقالوا: كلمته كلاماً ن وفي التنزيل: "وكذبوا بآياتنا كذاباً.

---

[1] المفصل / ٢/ ٧٨٩- ٧٩١

[2] المفصل / ٢ / ٧٥١ - ٧٥٤

[3] المفصل / ٢ / ٨٨٩- ٨٩١، وانظر: حجة القراءات لأبي زرعة / ٤١٧.

[4] المفصل/ ٢/ - ٦١٧

- ويحذف الحرف الجر للتخفيف احيانا، حيث يصل الفعل بنفسه الى معموله ويؤثر عيه تأثيرا مباشرا، وقد ذكر المسألة النحوية فيها ثم احتج لها بنص قرآني بنفسه كقوله تعالى: "واختار موسى قومه سبعين رجلاً".
- قد يذكر المسألة احياناً ويتبعها بالشاهد القرآني، ولا يكتفي بآية واحدة يعزز مسألته، بل يذكر عدة آيات تقوية لمذهبه، من ذلك قوله في باب " التمييز"[1]: "... فمثاله في الجملة: طالب زيد نفساً.. وفي التنزيل: "واشتعل الرأس شيباً" "وفجرنا الارض عيوناً" ، "ومن احسن قولاً" ، ومن اصدق من الله حديثاً". – وقد يضع المسألة ويشفعها بالامثلة التي تلائم تفسير بعض النصوص القرآنية ، من ذلك قوله في باب حرفى التفسير[2]: " ... واما " ان " المفسرة فلا تأتي الا بعد فعل فيمعنى القول كقولك: ناديته ان قم ، وامرته ان اقعد ، وكتبت اليه ان ارجع ، وبذلك فسر قوله تعلى: " وانطلق الملأ منهم ان امشوا "وقوله تعالى: "وناديناه ان يا ابراهيم".
- – وكثيرا ما يورد المسألة النحوية ويبسط القول فيها ثم يحتج بآية قرآنية يعزز بها مذهبة ويثبته من ذلك مثلا قوله في باب"اللامات" [3] "... ولام الامر ،نحو قولك: ليفعل زيد ، وهي مكسورة ، ويجوز تسكينها عنج واو العطف وفائه ، كقوله تعالى: "فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي" . ومن ذلك ايضا قوله في باب "الاضافة"[4] : .... وتضاف اسماء الزمان الى الفعل، قال الله تعالى: "هذا يوم ينفع الصاجقين صدقهم".
- وتراه يضع القاعدة النحوية احيانا من خلال استقراء كلام العرب، ويسند القاعدة التي قعدها بالشاهد الشعرى، ثم لا يكتفى بذلك ، بل يعضدها ويشد من ازرها بالشاهد القرآني، يقول في باب" الموصولات" [5]: "والذي وضع وصلة الى وصف المعارف بالجمل .. وقد حذفوا النون من مثناه ومجموعه ، قال الخطل:

ابني كليـــب ان عـمي الـلــذا   قتلا الملوك وفككا الاعلا لا

وقال ايضا:

وان الذي حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا ام خالد

---

(1) المفصل/ ١/ ١٦٩- ١٧٠

(2) المفصل/ ٣/ ٩٦٥

(3) المفصل/ ٣/ ١٠٠٧

(4) المفصل/ ١/ ٢٤٤ – وانظر:١/ ٥٨ ، ١٤٦، ٤٣٢- ٢/ ٨١٨، ٩٠٢ -٣/ ١٢٤١ ، ١٢٧٤

(5) المفصل/ ١/ ٣٥٢ ، ٣٥٣— ٣٥٥.

وقال الله تعالى: " وخضتم كالذي خاضوا".

وقد يثبت مذهبه النحوى في المسألة ، ويمثل عليه بجملة على لغة قبيلة من القبائل العربية، ثم يتبع ذلك بآية قرآنية لتعزيز الثقة بهذه اللغة،من ذلك قولهفي باب ط المنصوب على الاستثناء [1]:" المستثنى في إعرابه على خمسة إضرب ":

أحدهما: منصوب أبدا، وهو على ثلاثة أوجه: منها ما استثنى ب إلا " من كلام موجب .. و ما كان استثناؤه منقطعا ، كقولك: ما جاءني أحدٌ إلاّ حمارا وهي اللغة الحجازية، ومنه قوله عز وجل: " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَحَم " .

وينقل المسألة النحوية أحيانا من كتاب سيبويه، و يتبنى مذهبه و مذهب أقرانه من نحاة البصرة، ثم يحتج لها بما احتجّوا به من آي القرآن الكريم، من ذلك مثلا قوله في باب " خبر ما " و " لا" المشبهتين ب " ليس " [2] :"و "لا " التي يكسعونها بالتاء هي المشبهة ب " ليس " بعينها، ولكنهم أبو الا ان يكون المنصوب حينا، قال الله عزوجل:" ولاتَ حينَ مَناصٍ " أي ليس الحين مناص " .

وهكذا وقف ابو القاسم الزمخشري من القرآن الكريم، اذ جعله سنام الشواهد النحوية على الاطلاق، و أفاد من آياته البينات افادة علمية كبيرة، حيث احتكم اليها في أثناء تصنيف مادته و صياغة مسائله، و صدر عنها في تقرير أحكامه و تثبيت آرائه، أما موقفه من القرّاء و القراءات .. فمختلف تماما، فهو قد جارى أكثر النحاة و انساق في تيارهم، فما وافق من القراءات و القواعد النحوية التي قعدها، أو أسهم في توثيقها ، أو أعانه على إثبات رأيٍ نحويّ أو لغويّ، أو انسجم مع القياس العقلي الذي أقام عليه أحكامه و قرر آراءه، أخذ به و ارتضاه و اغتبط به أما ما خالف مذهبه منها فانه يرده، أو يضعفه و يقلل من قيمته العلمية، بل ربما يخطىء القارىء و يرميه بالجهل و اللحن، أو يتطاول على من روى القراءة فيتهمه بالغفلة و التفريط .

وقد خصّ جار الله كتاب " المفصل " بقسط وافر من القراءات، وزعها على أربعة و تسعين موضعا من الكتاب، حيث إستعان بها على إثبات بعض الآراء النحوية و اللغوية، فهو: يذكر المسالة النحوية و يدعّمها بشاهد شعري، ثم يستدل بالقراءة لإثبات هذا الشاهد من ذلك قوله في باب " القول في الواو و الياء الامين " [3] : وتسقطان في الجزم سقوط الحركة،

---

[1] المفصل / ١ / ١٧٥ – ١٧٦ – ١٧٩

[2] المفصل / ١ / ٢١٥ – و انظر: كتاب سيبويه / ١ / ٢٢٨

[3] المفصل / ١٢٢٥ – ١٢٢٨

هَجْوتَ زَبّان ثمّ جِءْتَ معتَذراً   من هَجْوِ لم تهْجُو و لَم تَدَعِ

و قوله:

أَلَم يأتِيك و الأنباءُ تنمي   بما لاقت لَبونَ بني زِيادِ

و في بعض الروايات عن ابن كثير انه قرأ: " من يتّقي و يَصبر ".

ويسوق المسألة النحوية التي يجوز فيها وجهان، و يشفعان بالامثلة، ثم يعضدها بالقراءة التي تعزز مذهبة و تقويه، يقول في باب: توابع المنادى : (١) المضموم غير المبهم اذا أفردت حُملت على لفظه و محلّه، كقولك: يا زيد الطويل و الطويل ... و يا غلام بشرٌ و بشراً .. و قرىء: " و الطير – رفعاً و نصباً . ومن ذلك أيضا قوله في باب " حرفي الشرط (٢): " وقد تجئ " لو " في معنى التمني كقولك: لو تأتيني فتُحدثني .. ويجوز في " فتحدثني " النصب و الرفع، و قال الله تعالى ك و دّوا لو تدهَن فيدهنون، و في بعض المصاحف: " فيدهنوا ". وقد يذكر المسألة و يعطى حكما فيها ثم يستشهد بقراءة تثبت صحة هذا الحكم ز يقول في باب " التنوين (٣): و التنوين ساكن ابدا الا أن يلاقي ساكنا آخر فيكسر أو يضم كقوله تعالى: " وعذا بن اركض " و قد قرىء بالضم . ومن ذلك قوله ايضا في باب " الوقف (٤): " وتقول في الوقف على غير المتمكنة: " أنا – بالالف و أنه – بالهاء – و أكرمتك و أكرمتُله .. بالإسكان و إلحاق الهاء فيمن حرك الوصل .

وغُلام و ضَرَبْن فيمن أسْكنَ في الوصل، و في قراءة أبي عمروا: ربّي أكرمَنْ " و أهانَنْ . و من ذلك ايضا قوله في باب " مثال الامر (٥): " وقد جاء قليل أن يؤمر الفاعل المخاطب بالحرف، و منه قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم " فبذلك فلتفرحوا ". و تراه يورد المسألة اللغوية ثم يستشهد بقراءة أحد القراء السبعة ليقوي مذهبه فيها، يقول في " تخفيف الهمزة (٦): " و اذا خففّت همزة ط الاحمر " على طريقها فتحركت لام التعريف، و اتجه لهم في الف اللام طريقان: حذفها وهو القياس، و ابقاؤها الطرؤ الحركة، فقالوا لحمر و ألحمر . مثل: لحمر " عاد لولى " قي قراءة عمرو . ومن ذلك ايضا قوله في باب ك الادغام (٧): " و الغين و الخاء تدغّم كل واحدة منهما

---

(١) المفصل / ١ / ٩١

(٢) المفصل / ٣ / ٩٩٢ – و اغنظر: ١ / ٣٧٥ – ٢ / ٧٣٤ – ٣ / ٩٩٥

(٣) المفصل / ٣ / ١٠١٦

(٤) المقصل / ٣ / ١٠٦٥ – ١٠٦٦

(٥) المفصل / ٢ / ٧٦٣

(٦) المفصل / ٣ / ١٠٨٩ – ١٠٩٠

(٧) المفصل / ٣ / ١٢٦٦ – ١٢٦٧ – ١٢٦٨ – ١٢٧٨ .

في مثلها و في اختها . كقراءة ابي عمرو:" و من يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً . و الجيم تدغّم في مثلها نحو: أخرج جّابرا، وفي الشين نحو: أخرج شَبْثاً، وروى اليزيدي عن ابي عمرو ادّغامها في التاء في قوله تعالى: لذهب بسمّعهم" و في الفاء .. نحو اذهب فّمن تبعك .

ويذكر المسألة اللغوية و يبدي رأيه فيها ثم يحتكم الى القراءة التي تنسجم مع القياس، من ذلك مثلا قوله في باب " الادغام "[١]: و الطاء و الدال والذال و الثاء ستّتها يدّغم بعضها في بعض، و الصاد و الزاي و السين، وهذه لا تدغم في تلك الا ان بعضها يدغم في بعض . و في الصاد الزاي و السين، وهذه لا تدغم في تلك الا ان بعضها يدغم في بعض . و الاقيس في المطبقة اذا ادغمت تبقية الاطباق كقراءة أبي عمرو: فرطت في جنب الله .

وقد يسوق المسألة اللغوية و يستقصي سائر أوجهها و يمثل لكل وجه منها، ثم يذكر ما يجوز منها و يستشهد على صحة هذا الجواز بما حكى عن بعض القراء، و من ذلك قوله في باب الادغام "[٢]، وافتعل " إذا كان بعد تائها مثلها، جاز فيه البيان و الادغام، و الادغام سبيله ان تسكن التاء الاولى وتدغم الثانية، و تنقل حركتها الى الفاء، فيستغنى بالحركة عن همزة الوصل فيقال: قتلوا – بالفتح – ومنهم من يحذف الحركة ولا ينقلها فيلتقي ساكنان، فيحرك الفاء بالكسر فيقول: قِتّلو ... و من كسر قال: يقتّلون و مقتّلون بكسرها . و يجوز: مُقتّلون – بالضم اتباعا للميم كما حكى عن بعضهم: مُرُدّفين . و يذكر المسألة أحيانا و يثبت رأيه فيها ثم يسوق القراءة التي تخالف ما اثبت فيقضي بغرابتها أو ضعفها، وقد يلحن قارئها، أو يرميه بالجهل و يتهمه بالجرأة على الله، وربما يتجاوز القراءة ذاتها الى سندها فيصمه بالعيب و الخلل . يقول في باب الاضافة "[٣]: و ياء الاضافة مفتوحا ابداً الا ما جاء نافع: " مَحياي و مَماتيْ بالتسكين هو الغريب .و نافع من القراء السبعة، وقرأ ايضا: وُرش و قالون و عامة أهل المدينة[٤] وتقول في المنصوب: ضربتك وزيدا، ولا يقال: مررت به وزيد، ولكن يعاد الجارّ و قراءة حمزة: و الأرْحامِ ليست بتلك القوية . و حمزة من القراء السبعة .

---

[١] المفصل / ٣ / ١٢٧٦

[٢] المفصل / ١ / ٢٦٤

[٣] ابو زرعة / حجة القراءات / ٢٧٩

[٤] المفصل / ٣/ ٣٠٣ – ٣٠٤ – و انظر في ذلك: الكشاف / ١/ ٤٩٣ – و الاشباه و النظائر / ١ / ١٨٠ – ٢٧٥ و التطور اللغوي التاريخي / ٨٢ – ومن اسرار اللغة / ١٩٥ – و انظر ايضا: رسالة الغفران / ٢٢٩ – و اثر القران و القراءات في النحو العربي / ٣٢٢- ٣٢٣ – و اثر القراءات القرانية في تطور الدرس النحوي / ١١٠ .

ويقول في باب الادغام [١] و الفاء لا تدغم الا في مثل قوله تعالى: و ما اختُلِفَ فيه " و قرىء ايضا:" نخسِفْ بِهم الارض بادغامها في الباء، وهو ضعيف تفرّد به الكسائي . و الكسائي استاذ نحاة الكوفة، و من القراء السبعة .

ويقول في باب الادغام [٢] .... و اللام: إن كانت المعرّفة فهي لازم ادغامها في مثلها . و لايدغّم الا مثلها، و النون كقولك: من لك، و ادغام الراء لحن .

قال ابن الحاجب: [٣]: .... وهو يشير الى قراءة ابي عمرو، نحو: يغفر لكم .. و ابو عمرو من الاعلام في القرآن، و احد القراء السبعة .

قال ابن عصفور: [٤]: .. وقد اجازه الكسائي ايضا ... يقول في باب الحروف المشبهة بالفعل [٥]:... وتقول: علمت ان زيداً قائم، فإذا جئت باللام كسرت و علقت الفصل . قال الله تعالى:" و الله يعلم إنّك لرسوله،، و مما حكى من جراة الحجّاج على الله تعالى: أنّ لسانه سبق به في مقطع و العاديات " . و يشير بذلك الى قوله تعالى: إن ربّهم بهم يومئذ لخبير – سورة العاديات / ١١ . السخاوي [٦]: الحكاية عن الحجاج غير صحيحة، بل هي قراءته و قراءة جماعة معه: أنّ ربّهم بهم يومئذ خبير – بفتح الهمزة و اسقاط اللام –.

وفي حاشية المفصل / ١٨٠ م [٧] ورأيت في المغنى: قرأ الضحاك بن مزاحم – بفتح الهمزة و حذف اللام – وهكذا قرأ الحجاج و أبو السمّال، فما ادرى لم نسب الى الحجاج ما نسب، وهي قراءة بعضهم . و يقول في باب الادغام [٨] و الضاد لا تدغم الا في قولك: اقِبضْ ضِعْفَها، أما ما رواه ابو شعيب السوسي عن اليزيدي ان ابا عمرو كان يدغمها في الشين في قوله تعالى:" لبعض شأنهم " فما برئت من عيب رواية ابي شعيب . وبهذا نرى ان جار الله جارى من

---

[١] المفصل / ٣ / ١٢٧٧ – و انظر: المفصل / ٣ / ٢٧١ – و ايضاح شرح المفصل / ٢١٣ ب

[٢] المفصل / ٣ / ١٢٧١ – ١٢٧٤

[٣] الايضاح شرح المفصل / ٢١٣ ب

[٤] المتع / ٢ / ٧٢٥

[٥] المفصل / ٨٩٣

[٦] المفضل في شرح المفصل / ٥ / * ٨٣ ب

[٧] نسخة الاحمدية / حلب – رقم: ٩٠٤

[٨] المفصل / ٣ ١٢٧٠ – ١٢٧١ – و انظر الكشاف / ١ / ٤٠٧ – و انظر ايضا: ابو عمرو ابن العلاء و مذهبه في النحو / ٣٣٨ .

سبقوه من نحاة البصرة بصفة خاصة في موقفهم من الشواهد القرآنية، فرض و رفضوا، وضعف ما ضعفوا، و عاب ما عابوا و استشهد وا له من المسائل النحوية و الصرفية .

غير ان ابا القاسم كان على علم واسع بالقراءات ورجالها ووجوه الخلاف فيها، وما صاحب ذلك من جدل ونظرة فاحصةن في تفسيره "الكشاف" كفيله باقناع الباحث ان الزمخشري تعقب القراء والقراءات في كل صفحة من صفحاته، وخول لنفسه خلاحية الحكم على هذه القراءات بصورة اكثر وضوحا مما ورد في كتاب "المفصل"، ويرجع ذلك الى تلك الصلة القوية التي تربط تفسير القرآن الكريم بقراءاته، وما للقرءات من أثر وتأثير في معنى النص القرآني .

وقد بينا في الفصل الفئت أن من أخطاء جار الله المنهجية ظنه أن القراءة رأى واجتهاد، وأنها تؤدي حسب المعنى اللغوية، ومن هنا، فأنه أغفل أمر الرواية والسند، وانطلق على سجيته اللغوية، وقد أثبتنا بطلان هذا الظن فيما مضى، ومما يدل على منذهب اليه قوله في أثناء تفسيره قوله تعالى [1]:" ان الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ..":"فان رفعتها – يعني: بعوضة – فهي موصولة صلتها الجملة، لأن التقدير: هو بعوضة .. ووجه آخر حسن جميل، وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكر من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال: ان الله لايستحيي أن يضرب للأنداد ماشاء من الأشياء المحقرة مثلا: بله البعوضة فما فوقها ... وهذه القراءة تعزي الى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيخ والقيصوم، المشهود له بالفصاحة، وكانوا يشبهون به الحسن، وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه، وهو المطابق لفصاحته ..".

ورد عليه ابن المنير الاسكندري بقوله:".. توهم أن القراءة موكلة الى رأى القارئ وتوجيه لها ونصرته بالعربية، وفصاحته في اللغة، وليس كذلك، بل القراءة على اختلاف وجوهها وبعد حروفها سنه تتبع وسماع يقضي بنقله الفصيح وغيره على حد سواء، لاحيلة للفصيح في تفسير شيء منه عما سمعه عليه ..".

ونمضي بعد هذه الوقفة الطويلة مع الشاهد القرآني في كتاب المفصل، الى الحديث النبوي الشريف لنتبين موقف الزمخشري من الاستشهاد به أثناء تصنيفه لمادته النحوية واللغوية .

---

[1] سورة البقرة / ٢٦ – والكشاف / ١ / ٢٦٤ – وانظر أيضا: الكشاف / ٢ / ٤٨٦

ثانياً: الحديث النبوي الشريف

ويعتبر الاصل الثاني من أصول الاستشهاد بعد القرآن الكريم، ذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لاينطق عن الهوى، وانما يوحى اليه ربه، وقد اعتمد عليه الاصوليون والفقهاء اعتمادا مباشرا، واتخذوا منه دليلا كالقرآن سواء بسواء [١] فبنوا عليه كثيرا من القواعد الأصولية ولأحكام الشرعية . وكنا نطمح أن ينهج النحاة واللغويون المتقدمون نهج أولئك فيفيدوا من الألفاظ الحديث، ويتخذوا منها شواهد يحتجون بها على ما يصنفون من مادة علمية، ولكن ذلك لم يقع، لانصرافهم الى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصة انصرافا استغرق جهودهم، فلم يبقى فيهم لرواة الحديث ودرايته بقية، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل كلها وارد بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر [٢] .

فأمة النحو البصري والكوفي اذن، وكثير من العلماء الذين جاءوا بعدهم لم يعتدوا بالحديث الشريف،ولم يعتبروه اصلا من اصول الاستشهاد وتقعيد القواعد النحوية وتثبيت أحكامها كالقرآن الكريم وفصيح كلام العرب [٣]، وأرجعوا ذلك لسببين:

أولهما: أن المحدثين أجازوا نقل الحديث بالمعنى، ولم يتقيدوا باللفظ، لأن الأحكام الشرعية ترتبط بمعنى الحديث.

والثاني: أنه وقع للحن كثيرا فما روى من الحديث، لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ولايعلمون لسان العرب بصناعة النحو،فوقع اللحن في كلامهم وهم لايعلمون ذلك، وقد وقع في كلامهم ورواياتهم غير الفصيح من لسان العرب [٤] .

وحين اطل القرنان السادس والسابع الهجريان، ظهرت الحاجة واضحة الى مصادر جديدة للمادة اللغوية والنحوية ففزع كثير من العلماء الى الحديث يلتمسون فيه ما يؤيد أقسيتهم ويعضد أحكامهم، وكان في مقدمة هؤلاء جميعا: محمود بن عمر الزمخشري، ثم استفاض من بعده عندا بن مالك ومن عاصروه [٥].

---

[١] الاحكام في أصول الاحكام / ١ / ١٥٦ – ١٧٨، وانظر ايضا: الشخصية الاسلامية / ٣ / ٦٧

[٢] سعيد الافغاني / في اصول النحو/ ٤١

[٣] الشاهد واصول النحو في كتاب سيبويه / ٦١- وابن جنى النحوي / ١٣١

[٤] اصول التفكير النحوي / ١٣٨ – وانظر: الشاهد وأصول النحو / ٦٢ – ٦٣ – وابن جنى النحوي / ١٣١- وامفصل وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية / ق ١ / ٢١ .

[٥] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٨١ – وابن يعيش وشرح المفصل / ٨٣ .

وزعم يوهان فك أن أول من احتج بالحديث من أمور اللغة: هو أبو الحسن الأندلسي المعروف بابن خروف، ت: ٦٠٩، الذي نال شرحه على الكتاب لسيبويه، والجمل للزجاج * حظوة كبيرة، وتبعه ذلك أشهر نحاة القرن السابع: ابن مالك،ت: ٦٧٢ هـ، وقد كان عظيم الاعتداد بالحديث، فهو يرى أن القرآن يعتبر أوثق المصادر وأصحها في أمور اللغة، وتجيء أحاديث الرسول بعد ذلك مباشرة في المرتبة الثانية، على حين أن كلام البدويين من الاعراب في المرتبة الثلثة [١] وشارك ابن مالك في هذا التفسير: الرضى محمد بن الحسن الذي فرض عليه منهجه في القياس والتعليل أن يلجأ الى حديث النبوي عله يرجح ما انتهى إليه من احكامك، لتسلم له الأقيسة والتعليلات . وتبع هذين الشيخين – أعنى: ابن مالك والرضيّ – كثيرا من الاعلام كابن هشام والبدر الدمايمني، وناظر الجيش محب الدين بن يوسف الحلبي، والخطيب البغدادي [٢] . ويحتج المجيزيون بأن تطرق احتمال الرواية بالمعنى لايلزم منه عدم صحة النقل، ذلك أن الحديث قسمان:

- قسم مدون: وتدوين الاحاديث والأخبار، بل وكثير من الروايات، وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة، حين كان كلام أولئك المبدلين – على تقدير تبديلهم – يسوغ الاحتجاج به، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به، ومن الاخطاء الشائعة أن الحديث لم يدون الا بعد عهد عمر بن عبد العزيز .. إذ من الحقائق التاريخية الثابتة أن الحديث كان يدون على عهد صحابة رسول الله، في النصف الأول للقرن الأول من الهجرة، ومن المؤكد أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يدون مايسمع من رسول الله في صحيفة سماها " الصادق "، وأن همام بن منبة كان يكتب مايسمع من أحاديث الرسول التي يرويها أبو هريرة في صحيفة سماها " الصحيحة".

- وقسم غير مدون: ةتطرق احتمال الرواية بالمعنى الى هذا القسم، لايلغي حجية الاستشهاد به، وذلك لأن الأصل في المروي أن يروى باللفظ الذي سمع من الرسول – صلى الله عليه وسلم – والرواية بالمعنى – ان جازت- فانما تكون في بعض كلمات الحديث المحتمل لتغيير اللفظ بلفظ آخر يوافقه، إذ لو جوزنا ذلك في كل مايروى، لارتفع الوثوق عن جميع الأحاديث بأنها بلفظ الرسول، وهذا أمر لايجوز توهمه، فضلا عن أن يعتقد وقوعه [٣] .

---

* هو الزجاجي ابو الحسن على بن محمد بن الحضرمي، وهو صاحب الجمل، والزجاج ايتاذه:نشأة النحو/ ١٤٩، ١٩٨

[١] العربية / ٢٢٧- وانظر: نفح الطيب /١ / ٩٠٠

[٢] اصول التفكير النحوي / ١٤٠ – وانظر: ابن جنى النحوي / ١٣٤

[٣] اصول التفكير النحوي / ١٤٢- ١٤٣، وانظر: تعلق الفرئد / ١ /٥

قال الدماميني [1]: " اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب، وانما المطلوب غلبة الظن الذي هو مناط الأحكام الشرعية، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الأعراب، فالظن في ذلك كله كاف، ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدل، لأن الأصل: عدم التبديل، لاسيما والتشديد في الضبط والتحري في نقل الاحاديث شائع بين النقلة والمحدثين، ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى، فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافى وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون ، مع قولهم بجواز النقل بالمعنى فيغلب على الظن من هذا كله انها لم تبدل، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى، ولا يقدح في صحة الاستدلال بها".

وتوسط الشاطبى، ابراهيم بن موسى بت محمد اللخمى الغرناطى، ت:٧٩٠هـ، بين المجوزين والمانعين فقسم الاحاديث الى قسمين [2]:

اولهما: ما يعتني بمعناه دون لفظة، وهذا لم يقع به استشهاد اهل اللسان.

الثاني: عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص، كالاحاديث التي قصد بها فصاحته – صلى الله عليه وسلم- ككتابه لهمدان ، وكتابه لوائل بن حجر ، والامثال النبوية، وهذا القسم يصح الاستشهاد به في النحو.

وبهذا الموقف عارض الشاطبى المانعين للاحتجاج باجديث، ورماهم باتناقض، لانهم يستشهدون بحديث رسول الله ... في حين يستشهدون بكلام اجلاف العرب وسفهائهم الين يبلون على اعقابهم، واشعارهم التي فيها الفحش والخنا، ويتركون الاحاديث الصحيحة.

كما عارض المجيزين مطلقا دون تفرقة، كابن مالك وابن خروف، وكان تقسيمه هذا الاساس الذي بنى عليه المعاصرون موقفهم من نحجية الحديث[3]

اما ابو حيان الاندلسى فقد شدد النكير على من اجازوا الاحتجاج بالحديث، يقول في شرح التسهيل[4]: "قد اكثر هذا المصنف – يعنى: ابن مالك – من الاستدلال بما وقع في الاحاديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب ، وما رأيت احد من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على ان الواضعين الاولين لغلم النحو ، المستقرئين للاحطام من لسان العرب،

---

[1] تعليق الفرئد على تسهيل الفوائد / ١٠٨ – وانظر: الخزانة / ١/ ٧

[2] الخزانة/ ١/ ٦ ، وانظر الشاهد واصول النحو / ٦٥

[3] اصول التفطير النحوى/ ١٤٤- ١٤٥

[4] الاقتراح / ١٧- وانظر: خزانة الادب / ١/ ٥

كابى عمرو غيره بن العلاء وعيسى بن عمرو الخليلن وسيبويه من ائمنة البصريين ، والكسائي والفراء وعلى بن مبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم .. وانما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك لفظ رسول الله.. فالرواة جوزوا النقل بامعنى .. واللحن وقع كثيرا فيما روي من الحديث، لان كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعملون لسان العرب بصناعة النحو.."

وكان ابو الحسن علي بن كمحمكد الاشبيلي الكتامي المعروق بابن الضائع ، ت: ٦٨٠هـ ، قد وقف موقفا مماثلا لموقف تلميذه ابي حيان ، فقال في شرح الجمل[١]: "تحويز الرواية بالمعنى هي السبب عنجي في ترك الائمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثباتهم اللغة باحجيث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بامعنى في الحجيث لكان الاولى في اثبات فصيح اللغة ، كلام النبي، لانه افصح العرب".

قال الاستاذ طه الراوى [٢]: " .. والقول بان في رواة الحجيث اعاجم ليس بشئ، لان ذلك يقال في رواة الشعر والنثر اللذين يحتج بهما ، فان فيهما الكثير من الاعامج، وهل في وسعهم ان يذكروا لنا محدثا ممن يعتد به يمكن ان يوضع في صف حماد الروابة الذي كان يكذب ويلحن ويكسر، ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجماج بمروياته ، ولكنهم تحرجواا في الاحتجاج باحديث، ثم لو وصل الامر برواة الحديث الى هذه الدركة من الجهل بالعربية سليقة وصناعة، لما صح الاحتجاج بمروياتهم في الشريعة، يجهلون العربية من طرفيها ولم يقل بذلك قائل. وقال الدكتور صبحى الصالح[٣] ".. واغلب الظن ان من لم يستشهد باحديث من المتقدمين لو تأخر به الزمن الى العهج الذي راجت فيه لبين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية ، لقصروا احتجاجهم عله بعد القرآن الكريم ، ولما التفتوا قط الى الاشعار والاخبار التي لا تلبث ان يطوقها الشك اذا وزنت بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة" وعلى هذا يمكننا ان نقسم موقف النحاة من الاستشهاد بنصوص الحديث، ثلاثة اقسام[٤]:

---

[١] الاقتراح / ١٨- والخزانة / ١/ ٥- وانظر: الشاهد واصول النحو/ ٦٣- وابو حيان النحو / ٤٣٠ – ونشاة النحو / ٢٢٢

[٢] نظرات في اللغة والنحو/ ١٣- وانظر: ابن حنى النحوى/ ١٣٢

[٣] علوم الحديث ومصطلحة / ٣٣٣- وانظر: في اصول النحو لسعيد الافغاني / ٤٩

[٤] انظر: الدراسات النحوبة واللغوية عند ازمخشري / ٥٣- والشاهد واصول النحو / ٦٢- وابو حيان النحوى / ٤٣٠ – ٤٣١

- فسم يمنع الاحتجاج مطلقا، وعلى رأيه ابو حيان النحوى وشيخه اين الضائع ، متابعين في ذلك من تقدمهم من النحاة من أئمة المدرستين.

- قسم يجوز الاحتجاج مطلقا، وعلى رأسه ابن مالك الاندلسى، وبن هشام الانصارى

- قسم اتخذ سبيلا وسطا فأجاز الاستشهاد بما نقل بلفظ الحديث، ومنع الاستشهاد فيما نقل بمعناه ، وعلى رأسه هذا القسم: الشاطبى.

اما موقف المحدثين .. فقد تمثل في موقف الاستاذ: محمد الخضر حسين ، حيث قام باستقصاء الاحاديث في كتب الحديث وغريبه ليرى في اي جانب من الجانبين يكون الحق ،في جانب المانعين ام في جانب الجوزين؟

ورصد – من خلال ذلك- الالفاظ التي وردت في الاحاديث مما لا شاهد له في كلام العرب وذكر آراء من يرى ان في الحديث ما لم يرد في كلام العرب، وعرض للخلاف بين المحتجين والمانعين، وناقش ادله كل منهم[1] وانتهى به استقصاؤه الى ان من الحديث ما لا ينبغي الاختلاف في جواز الاستشهاد به في اللغة والنحو، وهوستة انواع:

اولها: ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته – عليه السلام – كقوله: "حمي الوطيس" و" مات حتف أنفه" و" الظلم " ظلمات يوم القيامة" الى نحو هذا من الاحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان كقوله:" ارجعن مأزورات غير مأجورات " و"إن الله لا يملّ ُ حتى تملّو ".

ثانيهما: ما يروى من الاقوال التي يتعبّد بها، أو أمر بالتعبد بها، كألفاظ القنوت و التحيات و كثير من الاذكار و الأدعية التي كان يدعو بها في أوقات خاصة .

ثالثهما: ما يروى على أنه كان يخاطب كل قوم العرب بلغتهم . و ما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الانواع الثلاثة الى رواية الحديث بلفظه .

رابعهما: الاحاديث التي وردت من طرق متعددة و اتحدت ألفاظها، فان اتحاد الالفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في الفاظها ...

خامسهما: الأحاديث التي دوّنها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة، كمالك ابن أنس، و عبد الملك بن جريج، و الأمام الشافعيّ .

سادسهما: ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى، مثل: ابن سيرين و القاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة، و عليّ بن المدينيّ .

---

[1] دراسات في العربية وتاريخها/ ١٦٧- ١٧٧

ومن هذه الاحاديث مالا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به، وهي الأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول، و انما في كتب بعض المتأخرين و الحديث الذي لا يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظه، وهو الحديث الذي دون في الصدر الاول و لم يكن من الأنواع الستة المُنّبه عليها آنفاً، وهو على نوعين: حديث يرد لفظه على وجهٍ واحد، وحديث أختلفت الرواة في بعض ألفاظه، وقد رجّح الأخذ بأحاديث النوع الأول منهما، كما اجاز الاستشهاد بأحاديث النوع الثاني اذا جاءت في رواية مشهورة خالية من الغمز، أما ما يجيء منها في رواية شاذّة أو مطعون في بعض رواتها، فانه يقف دون الاستشهاد بها .

ويميل الأستاذان: سعيد الأفغاني [1]، وطه الراوي [2] الى هذا المذهب، على الرغم مما يبدو من كلام الاستاذ الراوي من إجمال قد يلحقه بأصحاب القسم الثاني الذين يأخذون بالحديث جملة دون تفصيل. ومما ينبغي التنبيه اليه أن هذا المذهب الذي ذهب اليه الاستاذ: محمد الخضر حسين يقوم أساسا على المنهج الذي وضعه الشاطبي للاستشهاد بالحديث، وقد تبنى مجمع اللغة العربية في القاهرة مذهب الاستاذ محمد الخضر في الاحتجاج بالأحاديث النبوية، و صدر بذلك قرارا نصه:" اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبوية لجواز روايتها بالمعنى، و لكثرة الاعاجم، وقد رأى المجمعُ الاحتجاج ببعضها في أحوال خاصة ... " ثم أجمل ما فصّله الاستاذ: محمد الخضر في سبع نقاط[3] . على انه تبين لنا ان الاحتجاج بنصوص الحديث و قع منذ عصر سيبويه، فقد عثرَ في كتاب سيبويه على ستة أحاديث، أورد الاستاذ: أحمد راتب النفاخ خمسة منها في أثناء فهرسته لشواهد سيبويه [4]، وعززها الاستاذ: عبد اللطيف محمد الخطيب بحديثٍ سادس [5] . قال الاستاذ النفاخ [6]: " .. و أما شواهد الحديث فقليلة لاتتجاوز الخمسة، و ما أعرف في دارسي " الكتاب "، ولا فيمن تناولوا مسألة الاحتجاج بالحديث في أحكام النحو من أنبه على احتجاج سيبويه ببعض الاحاديث ، و لعل مرد ذلك ان سيبويه نفسه لم يكن يحكها بما يشعر أنها من الحديث .. ومن يدري ! فقد يرتفع عدد هذه الاحاديث في " الكتاب " إذا طرأ من يدرسُه دراسةً مستأنسية مشفوعة بقدرِ كافٍ من الصبر و

[1] انظر كتابه: في اصول النحو / ٤٤ / ٥٠

[2] انظر كتابه: نظرات في اللغة و النحو / ٣ - ٢٢

[3] انظر الشااهد و اصول النحو / ٦٩ – و الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٥٤ .

[4] انظر فهرس شواهد سيبويه / ٥٧ – ٥٨، و انظر ايضا: كتاب سيبويه / ١ / ١٦٤ – ١٦٥ -٢٥٧ – ٣٩٦- ٢ /٢٠

[5] ابن يعيش و شرح المفصل / ٥٨

[6] فهرس شواهد سيبويه / ٧ .

التحقيق و التدقيق . وبهذا يسقط زعُم أبي الحيان النحويّ وزعُم أستاذه ابن الضائع اللذين ذهبا الى ان سيبويه و أقرانه من البصريين من الرعيل اغلاول، أسقطوا الحديث النبوي من قائمة شواهدهم اللغوية و النحوية.. نعم، ان الاحتجاج بالحديث بدأ في حدودٍ ضيقةٍ، و لكنّ حدوده أخذت تتسع في المجال اللغوي اتساعا واضحاً، إذا استشهد به كثير من اللغويين في معاجمهم، و أن إلقاء نظرة واحدة على معاجم " التهذيب" و " الصحاح" و " المخصص" و " المجمل " و " مقاييس اللغة " و ألاساس ".لتكفي لاقناع الباحث بان الأزهري و الجوهري و ابن سيده و ابن فارس و الزمخشري، قد إحتجّوا جميعا بالحديث، في الاستدلال على معاني الكلمات العربية [١]، و ذكر الدكتور عبد الفتاح شلبي ان أبا الفارسي – ت: ٣٧٧ هـ قد استشهد به ايضا في بعض القضايا اللغوية [٢] وبعد، فنحن لم نجانب الحق حين ذكرنا أن جار الله كان رائدا من رواد الاحتجاج بالحديث النبوي، فقد كان فعلا من أوائل العلماء الذين اعتدوا به و أولوه الرعاية و الاهتمام [٣]، و خطا في جادة الاحتجاج به خطوات جريئة و عريضة، فاحتج به في تفسيره : الكشاف " و في معجمه " أساس البلاغة " وفي كتابه " الفائق في غريب الحديث"، وفي "كتابه المفصل في صنعة الاعراب" الذي ندرسه – و في غيرها من مصنفاته، وهو بهذا قد نبه حواس معاصريه على قيمة الحديث العلمية، وفتح عيون من جاءوا بعده على ضرورة الافادة منه في تصنيف المادة النحوية و اللغوية فأقبل عليه ابن خروف من بعده، و اتسعوا بعد ذلك في الاحتجاج به على مسائلهم حتى وصل هذا الاحتجاج ذروته في كتب ابن مالك و ابن هشام و غيرهما . واستغرق الاحتجاج بالحديث النبوي حلقات الدرس و صفحات المصنفات النحوية في القرن السادس و ما بعده، و يمكن أن يعد هذا القرن قرن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو العربي . و أن ابن خروف و ابن مالك كانا من التابعين لأعلام الاستشهاد بالحديث في هذا القرن، و مثل هذا يقال لغيرهم من علماء النحو و اللغة في العصور التي أعقبت القرن السادس الهجري، و اما أبو علي الفارسي وغيره فلا يكاد احتجاجهم بالحديث يتعدى بعض القضايا اللغوية على اوسع نطاق [٤] .

---

(١) دراست في العربية و تاريخها / ١٦٨

(٢) انظر كتاب: ابو علي الفارسي / ٢٠٢ – ٢٠٣

(٣) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ١٨١ – و ابن يعيش و شرح المفصل / ٨٣ – و المفضل و اثره في الدراسات اللغوية والنحوية / ق١ / ٢٢

(٤) المفضل و اثره في الدراسات اللغوية و النحوية / ق ١ / ٢٢ .

وإنه من الغريب حقا أن نجد أبا حيان نفسه يتأثر بمنهج معاصريه في الاحتجاج ، فيستشهد بالحديث بكثرة في تفسيره: " البحر المحيط "، و أغرب من ذلك أنه لم يقصر استشهاده بالحديث على ما يفسره حادثة أو خبرا كما يتطلب منهج التفسير، انما جاوز ذلك الى الاستشهاد به على المعنى اللغوي، بل و على اثبات الحكم النحوي ايضا، و تطرق استشهاده بالحديث النبوي الى مصنفاته النحوية نفسها ، ولولا حرصنا على منهجية البحث ، لأوردنا بعض الشواهد على صحة هذه الدعوة، بيد أننا – مع ذلك – نحيل الباحث على كتاب " أبو حيان النحوي " ليطلع على الامثلة التي ساقتها الدكتورة خديجة الحديثي في هذا المجال[1] ثم نمضي الى صاحبنا جار الله.

وحين نقف على كتابه " المفصل ط نجد أنه يستشهد على مادته النحوية و اللغوية بسبعة عشر حديثا، من ذلك أنه: يثبت الحكم على المسألة اللغوية، و يستشهد على صحة هذا الحكم بأقوال الفصحاء و بما يحكى عن العرب، و بالشاهد الشعري، ثم يقوّي هذا الحكم بالقراءة القرآنية و بالحديث النبوي . يقول في باب " إبدال الحروف "[2]: فالهمزة أبدلت من حروف اللين، ومن الهاء والعين، فإبدالها من حروف اللين على ضربين: مُطّرِد و غيرُ مُطّرِد .. و غير المُطّرد إبدالها من الألف في نحو: دأبّة و شأبّة و ادْهأمّ، وعن العجاج أنه كان يهمز: العألَمَ و الخأتم ... و حُكي: بأزٌ، و قوفأت الدجاجة، و قال:

يا دارَميّ بدَكادِيكِ البُرَقْ　　　صبراً فقد هيّجْتَ شوقَ المُشْتِئقْ

ومن الواو غير المضمومة في نحو: إشاح و إفادةٍ و إساءةٍ، و إعاءِ أخيه " في قراءة سعيد بن جُبير، وإناةٍ، و أسماءَ، و أحدٍ، وأحّدْ و أحِّدْ " في الحديث ".

وقد يذكر المسألة اللغوية و يتبعها بالأمثلة، ثم يعقب ذلك بالحديث لتثبيت الحكم، يقول في باب " المجموع "[3]: و للأسم مما آخره ألف تأنيث مقصورة أو ممدودة مثالان: فَعَالى وفِعَال، نحو صحارى و إناث .

وللصفة أربعة أمثلة: فِعالٌ – فُعلٌ – فُعَلٌ – فَعالى، نحو: عِطاش و بِطاحٌ و عِشار و حُمر و الصّغر و حَرَامي . و يقال: ذِفْريات و حُبليات و الصّغريات و صَحْراوات، إذا اريد أدنى

---

[1] ابو حيان النحوي / ٤٣٦ – ٤٤٠ – و انظر ايضا: البحر المحيط / ٥ / ٣٨٩ – ٦/ ٢٠٩ – ٢٧٩ – ٣٦٠ – ومنهج السالك / ١٧٧ – ٣٦٦ – ٤١١ .

[2] المفصل / ٣ / ١١٣٣ – ١١٣٩ –

[3] المفصل / ٢ / ١١٣٣– ١١٣٩

العدد، ولا يقال حَمْراوات، وأما قوله صلى الله عليه وسلم _:" ليسَ في الخَضْراوات صَدَقةٌ "، فاجريهِ مُجْرى الاسم..

ويورد المسألة النحوية أحيانا، و يعقبها بما يعززها من الامثلة، ثم يقّوي الحكم بحديثين، يقول في باب " المنصوب على الاستثناء "[1]: وقد أوقع الفعلُ موقع الاسم المستثنهى في قولهم: نشدتك بالله إلا فعلت، و المعنى: ما اطلبُ منك إلا فِعْلك، وكذلك: أقسمتُ عليك إلا فَعَلْتَ .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – " بإلايواء و النصر إلا جلستم " و في حديث عمر – رضي الله عنه : " عزمتُ لّما ضربْتَ كاتِبَك سَوطاً " بمعنى: إلا ضَرَبْتَ " .

وقد يسوق المسألة النحوية و يفصل القول فيها، فيذكر مَعْنَيَيْها و يشفُعهما بالامثلة، و يقوّي حكمه بالشاهد القرآني ثم يورد الحديث الذي يجتمع فيها الوجهان تعضيدا لرأيه و تدعيما لحجته، من ذلك قوله في باب " الاضافة "[2]: " .. و أفعل التفضيل يضاف الى نحو ما يضاف اليه " أيّ" في المضمر والمظهر، نقول: هو أفضل الرجلين، وأفضل القوم، وتقول: هو أفضل رجل، وهما أفضل رجلين، وهم أفضل رجالٍ، و المعنى في هذا: إثبات الفضل على الرجال إذا فُضّلوا رجلاً رجلاً، و اثنين اثنين، و جماعةً جماعةً، وله معنيان:

احدهما: أنْ يراد أنه زائد على المضاف اليهم في الخصلة التي هو وهم فيها شركاء .

الثاني: أن يؤخذ مطلقاً له الزيادة فيها إطلاقاً ثم يضاف مالا يضاف لا للتفضيل على المضاف اليهم، لكن لمجرد التخصيص كما يضاف مالا يضاف لا للتفضيل له فيه، و ذلك نحو قولك: الناقص و الأشجّ أعدلا بني مروان، كأنك قلت: عادلا بني مروان، فأنت على الاول يجوز لك توحيده

في التثنية و الجمع، وأن تؤنثه، قال الله تعالى: " و لتجدنّهم أحرصَ الناسِ على حَياة" .

وعلى الثاني: ليس لك إلا أن تُثنيّه و تجمعه تؤنثه، و قد إجتمع الوجهان في قوله عليه السلام:ألا أخبركم بأحبّكم اليّ و أقربكم مني مجالسَ يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، و الموطئوناأكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم اليّ و أبعدكم مني مجالس يوم القيامة، أساوئكم أخلاقا، الثرثارون المتفيهقون .

---

[1] المفصل / ١ / ١٩١ – ١٦٢ .

[2] المفصل / ١ / ٢٨١ – ٢٨٢

و يذكر المسألة النحوية أحيانا، و يعقبها بشاهد شعريّ، ثم يجمل معناه، و يتبعه بنظيره من الحديث، يقول في باب " الصفة ": و يوصف بالجمل التي يدخلها الصّدق و الكذب، و أما قوله:

جاءوا بِمذْقٍ هلْ رأيتَ الذئبَ قَطّْ

فبمعنى: مقولٍ عنده هذا القول لِورقته، لانه سمار، ونظيره قول أبي الدرداء – رضي الله عنه: - وجدتَ الناسَ اخْبُرْ تَقْلهْ: أي: وجدنهم مقولاً فيهم هذا المقال ..

ويبسط القول في السألة النحوية، ثم يعزّزقوله بالحديث، يقول في باب المفعول المطلق [1]: " ومن إضمار المصدر قولك: عبد الله أظنّنه منطلقٌ، تَجْعلُ الهاء ضمير الظنّ، كأنك قلت: عبدالله أظنّ ظنّي منطلقٌ، و ما جاء في الدعوة المرفوعة:" و اجْعَلْه الوارثَ منا " محتمل عندي أن يوجّه على هذا .

و من ذلك ايضا قوله في باب " المثنى [2]: و قد يثنى الجمع على تأويل الجماعتين و الفرقتين .. و في الحديث: مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين .

ويورد المسألة وما ذكر من لغايتها، ومازاد العلماء فيها، ومجيئها في لسان العرب، ثم يقوى قوله بالحديث، يقول في باب " أسماء الأفعال والأصوات " [1]:" حَيَّهَلَ: مركب من:"حي "و"هل " مبني على الفتح، ويقال: حَيَّهَلً – بالتنوين -، وحيهلا – بالالف -، ذكر هذه اللغات سيبويه، وزاد غيره: حَيَّهَلْ و حَيَّهْلَ وحَيَّهْلاً، وقد جاء معدى بنفسه وبالباء وبعلى وبالى، وفي الحديث:" إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ..." .

وقد يذكر المسألة النحوية ويثبت رأيه فيها، ويشفع هذا الرأي بالأمثلة اللغوية ثم يورد وضعها في لغة قبيلة من قبائل العرب، ويستشهد على صحة قوله بشعر شاعر من القبيلة نفسها، ويقوي رأيه بعد ذلك بالحديث، يقول باب " الإضافة " [2]:" وما اضيف إلى ياء المتكلم فحكمه الكسر، نحو قوله في الصحيح والجاري مجراه: غلامي ودلوي، إلا إذا كان آخره ألفا أوياء متحركة ما قبلها، أو واو، أما الالف فلا يتغير إلا في لغة هذيل في نحو قوله:

سشبقوا هوي وأعنقوا لهواهم   فتخرموا ولكل جنب مصرع

---

(1) المفصل / ١ / ٨٣ – ٨٤

(2) المفصل / ١ / ٤٧٣ – ٤٧٤ .

(1) المفصل / ١ / ٣٨٤ – ٣٨٥

(2) المفصل / ١ / ٢٦٢ – ٢٦٣

وفي حديث طلحة – رضي الله عنه –: فوضعوا اللج على قفي "، يجعلونها اذا لم تكن للتثنيه ياء ويدغمونها ".

– وربما يبسط القول في المسألة النحوية ويسوق خلاف العلماء البصريين فيها، ويتبع ذلك لغة احدى القبائل، ويحتج بحديث نبوي ويسند الحديث بشعر ليؤكد رأيه ويقويه . يقول في باب " اللامات " .. فأما لام التعريف فهي اللام الساكنة التي تدخل على الاسم المنكور فتعرفه تعريف جنس كقولك: أهلك الناس الدينار والدرهم .... أو تعريف عهد، كقولك: ما فعل الرجل ؟ وأنفقت الدرهم، لرجل ودرهم معهودين بينك وبين مخاطبك، وهذه الام وحدها هي حرف التعريف عند سيبويه، والهمزة قبلها همزة وصل مجلوبة للابتداء بها كهمزة: ابن واسم وعند الخليل: أن حرف " أل " .. وانما استمر بها التخفيف للكثرة، وأهل اليمن يجعلون مكانها الميم، ومنه:" ليس من امبر امصيام في امسفر".

وقال:

يرمى ورائي بامسهم وامسلمة"

من هذا ، نستطيع ان ندرك بوضوح ان الحديث النبوي الشريف كان نعمة علمية على كتاب "المفصل" ، اذ استطاع الزمخشري ان يفيد منه افادة جليلة، وان يستغل نصوصة استغلالا منهجيا واعيا في تقوية بعض الاحكام النحوية واللغوية، وتعزيز الثقة بها.

ثالثاً: كلام العرب

استشهد النحاة بكلام العرب الفصحاء من شعر ونثر، واعتبروا هذا الكلام اصلا رئيساً من الاصول التي تبتنى عليه القواعد النحوية، وحددوا لذلك فترة زمنية اباحوا فيها هذا الاستشهاد واصطلحوا على تسمية هذه الفترة بعصر الاستشهاد ، ويعنون بالاستشهاد: ذكر الادلة النصية التي تؤكد القواعد النحوية، وتبعث الثقة والاطمئنان في قيمتها العلمية. والاساس الذي ترتكز عليه قضية الاستشهاد عند النحاة العرب، هو فكرتهم عن اللغة، بلك الفكرة التي عبروا عنها باصطلاح: "السليقة اللغوية" ، فقد كانت تلك الفكرة وراء تحديدهم للنصوص التي تناولوها بالدرس وبنوا عليها القواعد ، كما كانت سببا في ما استلزمه هذا التحديد من اطار زماني

ومكاني معا[1] . وتعنى "السليقة اللغوية": ان النشاط اللغوي في الجنس العربي مرده الى: الطبع والحس والعادة ، وليس الى: الدربه والمران والتعليم ، فالاعرابي الفصيح اذا عدل به عن لغته الفصيحة الى اخرى سقيمة عافها ولم يبهأ بها[2] . كما تعنى ان العرب الخلص الذين لم يتصلوا بغيرهم من الامم ولم يخالطوا سواهم من الشعوب يتميزون لذلك بسلامة اللغة. وقد حدد النحاة الفترة الزمنية التي اطالقوا عليها: "عصر الاستشهاد" بما يقرب من ثلاثة قرون في الحواضر، في حين اوصلوها الى حوالى خمسة قرون في البوادي، منها قرابة قرن ونصف قرن قبل الاسلام ، وبقية المدة تمتد في العصور الاسلامية حتى تصل الى العصر العباسي، ويتصور النحاة ان هذه الفترة التاريخية تمتاز بخصائص لغوية بالغة الاهمية، هي: سلامة نصوصها من الخطأ، وبراءتها من اللحن ، وخلوصها من شوائب العجمة[3] ووقف علماء عند القبائل العربية المجمع على فصاحتها وصفاء لغتها اختها، قال السيوعلى "واما كلام العرب فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم" ، واول هذه القبائل قبيلة فريش، لانها كانت "أجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ ، واسهلها على اللسان عند النطق بها، واحسنها مسموعا وابانة عما في النفس على ان الذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقت\ى، وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم: قيس وتميم واسد ، فان هؤلاء الذين عنهم اكثر ما اخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب الاعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم اما غير هذه القبائل فقد امسك اللغويون عن الاخذ عنهم ، وذكروا اسباب التي حملتهم على ذلك ، بقول السوطي: "...ولم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف البلاد التي تجاور سائر الامم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام ، فانهم كانو مجاورين لاهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربي'، ولا من تغلب ولا النمر ، فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر، لانهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس ، لانهم كانوا سكان البحرين بخاطين للهند والفرس، ولا من ازد عمان ، لمخالطتهم للهنود والفرس، ولا من اهل اليمن اصلا، لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف ، لمخالطتهم تجار الامم المفيمين عندهم، ولا من حاضره الحجاز ، لان الذين نقلوا

---

[1] اصول التفكير النحوى/ ٢٤٧

[2] الخصائص / ٢/ ٢٥- ٢٦. وبهأ بالشئ: اذا انس به واحب قربه

[3] اصول التفكير النحوى/ ٢٤٩- والمفضل واثره في الدراسات اللغوية والنحوية / ق١/ ١٥٦

اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب ، قد خالطوا غيرهم من الاعاجم ، وفسدت ألسنتهم" وقسم اللغويين اللغة المنقولة الى قسمين: متواتر وآحاد ، فالمتواتر: القرآن الكريم قم ما تواتر من السنة النبوية وكلام العرب، ويعتبر هذا القسم دليلا قطعي الثبوت من ادلة النحو يفيد العلم واليقين. وعرفوا الاحاد بانه ماتفرد بعض اهل اللغة ، وافتقر الى شرط التواتر ، وهو دليل ماخوذ به، يفيد الظن لتطرق الاحتمال فيه. واختلفوا في شرط التواتر اختلافا كبيرا ، وقد ذكر ابن الانبارى هذا الاختلافي، ثم رجح الرأي الذي يشترط ان يبلغ عدد النقلة الى حد لا يجوز عيه على مثلهم فيه الاتفاق على الكذب[1] ومما يجدر ذكره ان هذا التقسيم قد سبق اليه علماء اصول الفقه حين اشترطوا ما اشترطوا في اسناد الحديث ونقله[2] . وجرى الخلاف ايضا فيما يحتج فيه من العشر، لانه موطن للضرورات الكثيرة التي طال فيها اختلاف العلماء، فنجد علماء النحو وعلماء البلاغة جميعا مهتمين بضرورات الشعر ، فقد بحثوها وقسموها الى مستحسنة ومستحسنة ومستقبحة وقبيحة وما الى ذلك ، واختلفوا ايضا فيما جاز للشعراءارتكابه منها وما امتنع [3] ففي كتاب المزهر [4]: قال حازمم القرطاجنى في منهاج البلغاء: الضرائر الشائعة منها المستقبح وغيره ، وهو ما لا تستوحش منه النفس، كصرف ما لا ينصرف ، وقد تستوحش منه في البعض ، كالاسماء المعدولة واشد ما تستوحشه منه: تنوين افعل منه ، ومما لا يستقبح: قصر الجمع الممدود، ود الجمع المقصور، واقبح الضرائر: الزيادة المؤدية لما ليس اصلا في كلامهم ، والزيادة المؤدية لما يقل في الكلام ... وكذلك النقص الجحف وكذلك العدول عن صيغة الى اخرى" . وقد عقد سيبويه في كتابه بابا بعنوان: "ما يحتمل الشعر" ،تكلم فيه على ما يجوز للشعراء ارتكابه في الشعر ولا يجوز في الكلام، من صرف ما لا ينصرف، وحذف ما لا يحذف الى غير ذلك من الموضوعات التي تجوز في الشعر ولا تجوز في النثر[5] وعقد بابا اخر بعنوان: "باب وجوه القوافي في الانشاد" تحدث فيه عما يجوز في الشعر والنثر ، وما يجوز في الشعر ولا يجوز في النثر [6] وبابا ثالثا بعنوان: "ما رخمت العرب في غير النداء اضطرارا[7] وذكر ابن يعيش في شرح المفصل: [8] " ان

---

(1) لمع الادلة / ٠ ، وانظر: المزهر / ١/ ١١٣- ١١٤

(2) الاحكام في اصول الاحكام / ٢/ ١٤- ٣٩، وانظر: الشخصية الاسلامية/ ٣/ ٧٥- ٧٩

(3) الشاهد واصول النحو في كتاب سيبويه/ ١٠١

(4) المزهر في علوم / ١٨٨- ١٨٩

(5) كتاب سيبويه / ١٨- ١٣

(6) كتاب سيبويه / ٢/ ٢٩٨- ٣٠٤

(7) كتاب سبويه / ١/ ٣٤٣

(8) شرح المفصل/ ١/ ٦٧

ضرورة الشعر تبيح كثيرا مما يحشره النثر ، واستعمال مالا يسوغ استعماله في حال الاختيار والسعة، فجميع مالاينصرف يجوز صرفه في الشعر لاتمام القافية، واقامة وزنها بزيادة التنوين، وهو من احسن الضرورات، لانه رد الى الاصل ، ولاخلاف في ذلك الامكان اخره الف التأنيث المقصورة، فانه لا يجوز صرفه للصرورة، لانه لاينفع بصرفه، لانه لا يسد ثلمة في البيت من الشعر..". على ان موقف النقاد من الضرورات الشعرية مختلف: مهم المتسامح مع الشاعر الذي لا يعد له ارتكاب الضرورة هفوة يحصيها عليه ، ومنهم المتشدد الذي يرى واجبا على الشاعر ان يخلص قريضة من الضرورات اللسانية، وعليه ان يهجرها ، لانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة[1] .

ويبدو ان فكرة الضرورة الشعرية عد خطرت في اذهان الرعيل الال من النحاة الذين وجدوا بعض الشواهد لا تنطبق على قواعدهم واصولهم ، ففروها على ان الناظم قد اضطرا اضطرارا لسلوك هذا الشطط خضوعا للوزن الشعرى وللعوافي الشعرية، ثم استنبطوا لنا عده ظواهر لتلك الضرورة جعلوا بعضها مباحا سائغا، قبلوه واط مأنوا اليه ، واغلب الظن ان اطمئنانهم لم يكن له سبب الا شيوعها في اشعار القدماء ، وجعلوا البعض الاخر من الضرورات القبيحة التي يجدر بنا ان نتحاشاه. اما الضرورات المباحة فقد جعلوها بمثابة الرخص الشعرية التي تبرعوا لنا بها، واجازوها لنا، كانما كانت اللغة ملكا لهم وجدهم يعطون منها ما يشاؤن ، ويمنعون منها ما يشاءون، فهم يتصوّرون الشعراء مكبلين بقيود ثقيلة في أثناء نظمهم، و أنهم لجأوا الى تلك الضرورات على مضض منهم، في حين أنّا نعلم من أمر الشعراء ميلهم الى الحرية، و الحرص على الخروج على المألوف، و مثلهم في هذا مثل كل فنّان، لا يعبأ بمظهر أو تقليد، ولا يسلك مسلك عامة الناس في كل ما يعنّ له [2] . والحق أن الضرورة الشعرية وصمة وصَم بها النحاةُ الشعرَ العربي عن حسن نيّة منهم، فالشعر المثالي الرائع هو هذا الذي يخلو من ارتكاب ضرورة يجفوها السمع، وتبعد بالكلام عن أنْ يكون مُتّسِقاً مع الشائع المألوف من كلام العرب . ويضاف الى علة الضرورة الشرية هذه، علة أخرى أشدّ منها خطورةً على القاعدة النحوية، تلك هي: ما نسب الى بعض رواة الشعر من اهتمامهم بوضع الشعر و نسبته الى غير أصحابه تكسبا به، فقد ذكر ابن سلام الجمحي أن [3]:" في الشعر مصنوع مُفتعل موضوع كثير

[1] اسس النقد الادبي عند العرب / ٤٧٢

[2] ابراهيم أنيس / من اسرار اللغة / ٣٢٦

[3] طبقات فحول الشعراء / ٧ و انظر: المزهر / ١ / ١٧١

لا خير فيه ولا حُجة في عربيته .. و قد تداوله قوم من كتابٍ الى كتاب، و لم يأخذوه عن أهل البادية، و لم يعرضوه على العلماء، و ليس لأحدٍ اذا أجمع أهل العلم و الرواية الصحيحة على إبطال شيء منه أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي .

وقد خصّص السيوطي ثلاث عَشرة صفحة من كتابه [1]: المزهر " لمعرفة المصنوع من منظوم العرب و منثورهم من ذلك قوله:[2] " عن محمد بن يزيد المبرد، عن أبي عثمان المازني قال سمعت اللاحقي يقول: سألني سيبويه: هل تحفظ للعرب شاهدا على إعمال " فَعِل" ؟ قال: فوضعت هذا البيت: حَذِرٌ أموراً لا تَضِيرُ و آمِنٌ ما ليسَ مُنجيهِ من الأقدارِ

ولعل هذا الاضطراب هو الذي جعل النحاة – بصفة عامة – ينظرون الى الشعر بعين الشك و الريبة، فلا يعتمدون منه الا ما يثبت عندهم صحة نسبته الى قائله، و فصاحة قائله، و صدق راويه والوثوق فيه، و خلوّه من الضرورات، و ليس أدلّ على ذلك من اعتنائهم بالرواية و انواعها و طرقها، و بصفات الراوي . و ما يجب عليه من الامانة و الصّدق، ونحوها من الصفات التي ذكرها السيوطي في ابواب من المزهر [3] . وكان البصريون شديدي التحوّط فيما ينقلون، اذ كانوا يرفضون أن يأخذوا عن غير العرب الفصحاء الخُلّص الذين لم تلن فصاحتهم، و لم يتسرّب الضعف الى ألسنتهم، و كانوا لا يقبلون كلام من اختلط بالحواضر، لذلك كانوا يخرجون الى البوادي ليُشَافهوا الأعراب و يسمعوا عنهم اللغة، وكان السماع عندهم اساس كل شيء، و عليه اعتمدوا في تقعيد النحو العربي، فهم ينظرون في الامثلة و الشواهد التي جمعوها، و يميّزون بين المُطّرد و الغلب، و الكثير، و القليل و النادر، و الشاذ، والضعيف، و الضرورة، و يستنبطون القاعدة، و قد الموا بجميع مظاهر كلام العرب، ولم يتركوا شيئا الا اثبتوه و نبّهوا على ما فيه، و لذلك أصبح علما واسعا و اختلفت آراء النحاة في اصوله و مسائله [4] . أما الكوفيون فقد اعتمدوا على القبائل التي اعتمد عليها البصريون، و اعتمدوا على لغات أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها وهي: لهجات سكان الارياف الذين وثقوا بهم كأعراب سواد الكوفة من تميم و اسد، و أعراب سواد بغداد من أعراب الحُطمية الذين غلّط البصريون لغتهم و لحنوها، و اتّهمو الكسائي بأنه أفسد ما كان أخذه بالبصرة، اذ وثق بهم و أخذ عنهم و احتج على سيبويه في المناظرة التي جرت بينهما بلغاتهم [5] .

---

[1] المزهر / ١ / ١٧١ – ١٨٣

[2] المزهر / ١ / ١٨٠

[3] الشاهد و اصول النحو / ١٠٤ و انظر: المزهر / ٢ / ٣٠٢ - ٣٤٠

[4] ابو حيان النحوي / ٢٨١- و انظر: ابن جني النحوي / ١٣٦ – ١٣٨

[5] الشاهد و اصول النحو / ٨١ - و اغنظر: الخلاف النحوي بين البصريين و الكوفيين / ٣٤٥ - ٣٤٧

قال يوهان فك [(١)]: " و لم يكن من السهل بالكوفة ملاقاة العرب الرحل وسط الجزيرة وشرقها وؤالهم كما كان ذلك متيسرا لأهل البصرة، و لذلك اعتمد العلماء في الكوفة بحكم الضرورة على إنصاف المقيمين من القبائل في سواد الكوفة، الذي لم يرد علماء البصرة الاعتراف بلغتهم على انها اصل الاحتجاج و حاول الدكتور المخزومي ان يبرّر موقف الكوفيين بقوله [(٢)]: لا يعني أخذهم بالهجات التي أباها البصريون أنهم كانو يترخصّون كل الترخّصّ في قبول اللهجات و اللغات، ولكنهم وثقوا بأولئك، و رأوا لغاتهم تمثل فصيحا من اللغات لا يصح إغفاله، و خاصة بعد ما رأوها متمثلة في قراءات القرآن السبع.

وكان الكوفيون يأخذون بالشاهد الواحد، و الرواية الشاذة، و يعتبرون ذلك اصلاً ثم يقيسون عليه، قال السيوطي [(٣)]: " اتفقوا على ان البصريون أصح قياساً لأنهم لا يلتفتون الى كل مسموع ، ولا يقيسون على الشاذ، و الكوفيين أوسع رواية .. " و قال في موضع آخر: [(٤)] مذهب الكوفيين القياس على االشاذ، و مذهب البصريين اتّباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاّهر . وفي همع الهوامع [(٥)]: " قال صاحب الافصاح: عادة الكوفيين اذا سمعوا لفظا في شعر، أو نادر كلام، جعلوه باباً أو فصلاً و ليس بالجيد " و ربما استشهدوا بشطر بيت لا يُعرف قائله [(٦)] و قد قسّم علماء العربية: الشعرَ و كلامَ العرب عموما من حيث الاستشهاد به في اللغة و النحو الى اربع طبقات: [(٧)]:

- الطبقة الاولى: الشعراء الجاهليون، وهم الذين عاشوا قبل الاسلام كامرىء القيس، و الأعشى .
- الطبقة الثانية: الشعراء المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية و الاسلام كلبيد و حسّان .

---

(١) العربية / ٦١ - و انظر: نشأة النحو للطنطاوي / ٩٩

(٢) مدرسة الكوفة / ١٧٨

(٣) الاقتراح / ٨٤

(٤) الاقتراح / ٨٦

(٥) همع الهوامع / ١ / ٤٥

(٦) المفصل / ٢ / ٨٩٠

(٧) انظر العمدة / ١ / ١١٣ - و انظر: المزهر / ٢ / ٤٨٩ - و الخزانة / ١ / ٣ - و الشاهد و اصول النحو / ١٠٦ - و الدراسات النحوية و الغوية عند الزمخشري / ٤٨ - و المفضل و اثره في الدراسات اللغوية و النحوية / ١٥٨- و ابن يعيش و شرح المفصل / ٩١

- و الطبقة الثالثة: المتقدمون، و يقال لهم: الاسلاميون وهم الذين عاشوا في صدر الاسلام، كجرير و الفرزدق .

-الطبقة الرابعة: المولّدون، و يقال لهم: المُحْدَثون، وهم الذين عاشوا بعد ءهلاء كبشار بن برد، و أبي نواس .

وزاد بعضهم طبقتين [(١)]:

-طبقة المحدثين الذين جاءوا بعد المولّدين كأبي تمام .

-طبقة المتأخرين، كالمتنبي .

وقد أجمع البصريون على صحة الاستشهاد بشعر شعراء الطبقتين الاوليين، و لم يستشهد كثير منهم بشعر شعراء الطبقة الثالثة، يقول البغدادي:" و أما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها، وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحاق، و الحسن البصري، وعبدالله بن شرمة يلحنّون الفرزدق و الكُميت وذا الرمة وأضرابهم .. وكانوا يعدّونهم من المولدين، لأنهم كانوا في عصرهم، و المعاصرة حِجابٌ، قال ابن رشيق في العمدة: كل قديمٍ من الشعراء مُحدَث" في زمانه بإلاضافة الى من كان قبله، و كان ابن عمرو يقول: لقد أحسن هذا المولّد حتى هَمَمْتُ أن آمر صبياننا بروايته، يعني بذلك: شعر جرير و الفرزدق، فجعله مولّدا بإلاضافة الى شعر الجاهلية و المخضرمين، وكان لا يعدُّ الشعر الا ما كان للمتقدمين، قال الاصمعيّ: جلست اليه عشر حِجَجٍ فما سمعته يحتجّ ببيت إسلامي .

اما شعراء الطبقة الرابعة فأمسكوا عن الاستشهاد بشعرهم، و أبوا استنشاده، ورفضوا سماعه، قال البغدادي [(١)]:" و أما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، و قد نقل ثعلب عن الاصمعي انه قال: خُتِمَ الشعر بابراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج [(٢)] و يروي كثير منهم أن هذا الموقف لا خلاف فيه [(٣)]، وقد توفي ابن هرمة في منتصف القرن الثاني الهجري [(٤)]، ومعنى هذا ان النحاة يجعلون المأثور من المنصوص، حتى هذا التاريخ معتمداً في مجال الدرس اللغوي على تعددها و اختلاف مستوياتها، و في المقدّمة من هذه المجالات البحوث التي تتناول ظواهر اللغة التركيبية بالتعقيد و التعليل جميعا [(٥)] .

---

(١) الخزانة / ١ / ٤

(١) الخزانة / ١ / ٤

(٢) الاقتراح / ٢٧ /، و المزهر / ٢ / ٤٨٤

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز / ٢٠

(٤) الخزانة / ١ / ٣

(٥) اصول التفكير النحوي / ٢٥١

و بعد: -

فهذا هو موقف النحاة بوجه عام من الاستشهاد بكلام العرب – شعراً و نثراً – فما موقف جار الله من هذا الاستشهاد ؟

لقد اتضح لنا مما تقدم أن استشهاد النحاة بكلام العرب مر بدورين أساسيّين:

-أولهما: الاستشهاد بكلام الجاهليين و الخضرمين ورفض ما عداه .

-الثاني: التوسع في هذا الاستشهاد بإضافة كلام الاسلاميين، و قد ساد هذا الاتجاه فيما بعد حيث أقبل النحاة على الاستشهاد بكلام الاسلاميين كجرير و الفرزدق و الكميت و غيرهم تماما كما يستشهدون بكلام الجاهليين و المخضرمين .

وهَمّ بعضُ العلماء بالاستشهاد بكلام من يوثق به شعراء الطبقة الرابعة كبشار بن برد و أبي نواس الحسن بن هانىء ومن بعدهما، فكان أبو عمر و الشيباني يقول في شعر أبي نواس" لولا أن أبا نواس افسد شعره بما وضع فيه من الاقذار لا حتججنا به" .

وذكر السيوطي ان سيبويه احتجّ بشعر بشار بن برد تقرّبا اليه، لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره و حين جاء الزمخشري اراد أن يوسّع دائرة الاستشهاد لتشمل كلام أعلام اللغة و الأدب من المولدين و المحدثين، اذ جعل النشاط اللغوي الفصيح لهؤلاء الأعلام حُجّة ينبغي اعتمادها في الدرس النحوي، و اعتبر هذا النشاط اساسا يبنى عليه، و أصلا يُستند اليه، قال البغدادي [1]: و أما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا، و قيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم و اختاره الزمخشري، و تبعه الشارح المحقّق: يعني: الرضي – فانه استشهد بشعر ابي تمام في عدة مواضع من هذا الشرح، و استشهد الزمخشري ايضا في تفسير أوائل سورة البقرة من الكشاف ببيت من شعره" .

يقول الزمخشري عند تفسيره قوله تعالى [2]:".. يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاوا ..:" وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون متعدياً منقولاً عن " ظلم الليل "، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب " أظلم " – على مالم يسم فاعله -، وجاء في شعر حبيب بن أوس:

هما اظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

---

[1] الخزانة / ١ / ٤ .

[2] الكشاف / ٢٢٠ – ٢٢١، وأنظر: الاقتراح / ٢٦ – ٢٧، والخزانة / ١/ ٤

وهو وإن كان محدثا لايستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ".

كما استشهد الزمخشري أيضا في تفسيره " الكشاف " بشعر البحتري الذي عاصر أبا تمام .

واعترض بعضهم على قول الزمخشري:".. فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه " بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق واعتبارا القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية، والإحاطة بقوانينها، ومن البين أن إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية ... فإن ستؤنس به ولم يجعل دليلا لم يرد عليه ما ذكر، ولا ماقبل من أنه لو فتح هذا الباب لزم الستدلال بكل ما وقع في كلام علماء المحدثين كالحريري وأضرابه، والحجة فيما رووه لا فيما رأوه، وقد خطأوا المتنبي وأباتمام والبحتري في أشياء كثيرة كما هو مسطور في شروح تلك الدواوين ، وهكذا اخفق هذا الاتجاه ولم يكتب له النجاح .

ومهما يكن من امر، فان اهم ما يهمنا هنا هو هذه الشواهد التي استشهد بهاالزمخشري في كتاب " المفصل" .. فهل تراه استشهد فيه بكلام المولدين والمحدثين كما فعل في تفسيره "الكشاف" [(١)] وفي كتاب"المقامات[(٢)] وفي كتاب الفائق[(٣)] ام هو التزم سننة النحاة الذين سبقوه ، فقصر شواهد من كلام العرب على الطبقات الثلاث؟ وفي سبيل الكشف عن ذلك ، سوف نتحدث عن الشواهد الشعرية اولا، ثم نتبعها بشواهد النثر بعد ذلك.

• الشعر

ذكر الدكتور فاضل السامرائي ان الزمخشري استشهد بـ"٢٤٢" شاهد شعري، فيها اكثر من سبعين ومائة شاهد مجهول القائل ، ومختلف في نسبته الى صاحبه[(٤)]، وليس الامر كما قال ، فقد كشفت لنا نتيجة التحقيق ان صاحب "المفصل" استشهد بـ"٤٦٩" شاهد شعري اثبتناه جميعا في فهارس الكتاب [(٥)] ، ومنها في موضعين ، ووجدنا ان شواهد المفصل قد توزعت بين الرجز والقصيد، استاثر الرجز وحده بـ "٨٨" منها.

[(١)] انظر: الكشاف/ ١/ ٤٢٦- ٣ / ١٤١، ١٥٣

[(٢)] انظر: المقامات / ٤٢، ١١٧، ١٢٤، ١٣٨

[(٣)] انظر الفائق/ ٢/ ١٤٦، ٣٣٦- ٣/ ١٣١،١٧٦

[(٤)] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٨٦

[(٥)] انظر المفصل/ ٣/ ١٣٣٩- ١٣٨١

وقد تبين لنا انه يمكن تقسيم هذه الشواهد من نحيث نسبتها الى خمسمئة اقسام:
- شواهد نسبها الزمخشري نفسه الى قائليها، وعددها: ١٧٢.
- شواهد لم ينسبها ، ونسبها غيره، وتنازع نسبتها اكثر من شاعر، وقد قمنا – بعد البحث والتدقيق – بترجيح نسبة كل شاهد منها الى قائل معين ، وعددها: ٧١ شاهدا
- شواهد اغفل نسبتها، واختلف فيها العلماء، وقد امسكنا عن ترجيح نسبة كل منها الى قائل معين، لافتقارنا الى الدليل او الى شبهة دليل نستأنس به لتدعيم وجهة النظر، وعددها: ١٨.
- شواهد مجهولة القائل ، ولم نجد من نسبها، وعددها: ٥٥

ومما هو جدير بالذكر ان: العيني والبغدادي والشنقيطي والنعساني كثيرا ما كانوا يقولون او يقول احدهم: ان الشاهد مجهول القائل، او انه من ابيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلوها، ثم نبحث عن البيت فيتبين لنا ان قائلة معورف، من ذلك مثلا قول الزمخشري في المفصل: وقال:

وكنت ارى زيدا كما قيل سيدا اذا انه عبد القفا واللهازم

قال البغدادي: "البيت من ابيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف لها قائل" ، وكذا قال النعساني في المفصل.. وتبين لنا بعد البحث ان الغاني غزاه الى: الفرزدق.
ومن ذلك ايضا، قال الزمخشري [1]: "... ومن ابيات الكتاب:

فكونوا انتم وبني ابيكم مكان الكليتين من الطحال"

قال العينى:" احتج به الزمخشري وغيره ، ولم نيسبه احد منهم الى قائله " ،وزاد النعساني:".. ولا ذكر به سابقا ولا لاحقا"، وقال عبد السلام هارون: "وهومن الخمسين " ولدى البحث عن الشاهد في المصادر ، وجدنا القالى في اماليه ، والكوفى في شرح ابيات المفصل ينسبانه الى: الاقرع بن معاذ القشيري، ووجدنا ابا زيد الانصاري يعزوه الى شعبة ابن قمير.على أن من يمعن في " المفصل " يجد أن الشواهد الشعرية التي وردت فيه لشعراء الطبقات الثلاث التي دأب النحاة على الاستشهاد بشعر شعرائها، ويجد أيضا أن: ذا الرمة والأعشى البكرى، والعجاج وجريرا ورؤية وأبا ذؤيب الهذلي والفرزدق وامرأ القيس، والنابغة الذبياني، وأكثر شعراء هذه الطبقات نصيبا في الأستشهاد، فقد خص الزمخشري ذا الرمة بثمانية عشر شاهدا، وخص العجاج بستة عشر، والأعشى بخمسة عشر، وخص كلاً من: جرير ورؤية وأبي ذؤيب بثلاث عشر، أما النابغة

---

[1] المفصل/ ١/ ١٣٩– وانظر ايضا:١/ ١٩٦– ٢/ ٤٩٠، ٧٩٠– ٣/ ١٠٠١، ١٠٧٥، ١٠٩٤

الذيباني والفرزدق فاستأثر كل منهما باثني عشر شاهدا، وكان نصيب أمرئ القيس أحد عشر شاهد فقط، وأما سائر الشعراء الذين استشهد لهم جار الله، فكان نصيب كل واحد منهم دون ذلك . ونجد من ناحية أخرى أن أكثر هذه الشواهد لقبائل: تميم وهذيل وطى، وأسد وبكر، وأن قبيلة تميم أوفر هذه القبائل حظا في الاستشهاد بشعر شعرائها، ويكفي للتدليل على ذلك أن نشير الى أن: ذاالرمة وجريرا والفرزدق والعجاج ورؤية جميعهم من قبيلة تميم .

ولكي يزداد موقف الزمخشري وضوحاًس من قضية الأستشهاد، نؤثر أن نذكر بعض النماذج لشعراء من الطبقات الثلاث ممن استشهد بشعرهم، فمن شعراء: الطبقة الأولى:

- المهلهل بن ربيعة التغلبي

استشهد بشعره في باب " إبدال الحروف " حيث قال [1]:" فالهمزة أبدلت من حروف اللين، ومن الهاء والعين ... ومن كل واو واقعة أولا شفعت بأخرى لازمة في نحو: أواصل وأوراق، جمعي: واصلة وواقية، قال:

يا عدي لقد وقتك الأواقي "

- طفيل الغنوي

استشهد بشعره " الفاعل " حيث قال [2]:" ومن إضمار الفاعل قولك: ضربني وضربت زيدا ... ومنه قول طفيل الغنوي:

وكمتا مدماة كأن متونها   جرى فوقها واستشعرت لون مذهب "

- أبو دؤلد الإيادي

وقد استشهد بشعره في باب " الاضافة " للتدليل على حذف المضاف والمضاف اليه معا حين قال[3]:" وقد جاءا محذوفين معا في نحو قول أبي دؤاد يصف البرق:

أسأل البحار فانتحى للعقيق ".

- عمرو بن قيئة

وقد استشهد بشعره في باب " الاضافة " أيضا للتدليل على جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف في الشعر، اذ لا يجيز البصريون – الذين تبنى مذهبهم – الفصل بينهما في الكلام بظرف ولا غيره، وأجازوا في الشعر بالظرف خاصة، وعللو ذلك بان الظرف ليس

---

[1] المفصل / ٣/ ١١٣٤ - ١١٣٥

[2] المفصل / ١ / ٤٥

[3] المفصل / ١ / ٢٦٠ – وانظر: ٢/ ٨٦٥ .

بأجنبى من الاشياء ، لانه لا يخلو شئ من زمان او مكان، فالفصل باظرف كلا فصل. قال: يجوز الفصل بين الاضاف والمضاف اليه بالظرف في الشعر، من ذلك قول عمر بن قميئة:لما رأت ساتيد ما استعبرت لله در اليوم من لامنا

♦ اوس بن حجر

استشهد بشعره في باب "المنيصوب بالازم اضماره" حيث قال: "... ومنه قولك لمن زكنت انه يريد مكة: مكة ورب الكعبة، ولمن سدد سهماً: القرطاس والله.. ومنه قولهم: كاليوم رجلاً ، باضمار، لم أر ، قال ارس:

حتى اذا الكلاب قال لها   كاليوم مطلوباً ولا طالباً

♦ امرؤ القيس

وقد اكثر من الاستشهاد بشعره كما بينا، من ذلك انه اورد له شاهداً في باب "المنصوب" ليقوى مذهبه في المسألة النحوية بما قال سيبويه في البيت، قال[١]: ".... وقرئ قوله تعالى: "تقاتلوهم او يسلمون" بالنصب على اضمار "ان" والرفع على الاشراك بين: يسلمون وتقاتلهم، او على الابتداء، كانه قيل: اوهم يسلمون .. وقال سيبويه في قول امرئ القيس:

فقلتُ له لا تبكِ عينَكَ إنما   نُحاولُ ملكا أو نموتَ فنعذَرا

ولو رفعت لكان عربيا جائزا على وجهين: على أن تشرك بين الأول والآخر ، كأنك قلت: إنما نحاول ملكان أو نموت، وعلى أن يكون مبتدأ مقطوعا من الأول ، يعني: أو نحن ممن يموت".

♦ الاعشى البكري

اكثر من الاستشهاد بشعره من ذلك مثلا قوله في باب "حروف الاضافة"[٢]: "...ورب: للتقليل، ومنن خصائصها ان لا تدخل الا على نكرة ظاهرة او مضمرة... والمصمرة حقها ان تفسر بمنصوب كقولك: ربه رجلا، ومنها ان الفعل الذي تسلطاه على الاسم يجب تأخره عنها، وانه يجئ محذوفاً في الاكثر كما حذف مع الباء في: "بسم الله"، قال الاعشي:

رب رفد هرقته ذلك اليو   م واسرى من معشر اقتال

فهرته، ومن معشر: صفتان لرفد واسرى ، والفعل محذوف"

♦ زهير بن ابي سلمى

---

[١] المفصل/ ٢/ ٧٣٥- ٧٣٧

[٢] المفصل/ ٢/ ٨٦٣- ٨٦٥

اورد له عدة ابيات، من ذلك انه استشهد ببيت له في باب" حرفى الشرط" للتدليل على المسألة النحوية التي اثبتها، حيث قال: "ولا يخلو الفعلان في باب "أن" من ان يكونا مضارعين او ماضيين، او احدهما مضارعا والاخر ماضيا، فاذا كانا مضارعين فليس فيهما الا الجزم وكذلك في احدهما اذا وقع شرطا، فاذا وقع جزاء ففيه الجزم والرفع، قال زهير:

وان أتاه خليل يوم مسألةٍ　　　　يقول لا غائب مالي ولا حرم

- النابغة الذبياني

وقد اكثر من الاستشهاد بشعره في مواضع من المفصل، من ذلك انه اورد بيتا من شعره بدلل له به على جواز الوجهين في "ما " لدى اتصالها بالحروف المشبهة بالفعل ، يقول[1]: "ومنهم من يجعل "ما " مزيد ويعملها، الا ان الاعمال في: كأنما ولعلما وليتما اكثر منه في: انما ولكنما، وروى بيت النابغة:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا　　　　الى حمامتنا ونصفه فقد

على الوجهين"

واستشهد الزمخشري ايضا بشعر شعراء آخرين من هذه الطبقة، منهم: المرفش الاكبر، وكرفة بن العبد البكرى، والاسود بن يعفر، وحاتم الطائي، وعنترة ، بن شداد ، وذوى الاصبع العدواني، والمنخل اليشكري، وساعدة بن جؤية الهذلي، وشر بن أبي خزام، وعبيد بن الابرص الاسدي وغيرهم.

ومن شعراء الطبقة الثانية:

- لبيد بن ربيعة العامري

استشهد بشعره في عدة مواضع من المفصل، من نذلك انه اورد بيتا له في باب "الظرف" ليدلل له على ما ذهب اليه من المجازاة بـ "أني" ، حيث قال [2]: "وكيف: حار مجرى الظروف، ومعناه: السؤال عن الحال... وفي معناها "أنى" الا انهم يجازون بأ "أنى" دون "كيف" قال لبيد:

فأصبحت أنى تأتها تلتبس بها".

- حسان بن ثابت الأنصاري

---

[1] المفصل/ ٢/ ٨٨٤ - ٨٨٥

[2] املفصل/ ١/ ٤٣٧- ٤٣٨

استشهد بشعره في ثلاثة مواضع، منها انه ذكر بيتا له في باب "تخفيف الهمزة" استدل به على ابدال حروف اللين من الهمزة ، ثم اعقبه برأي سيبويه في هذا النوع من الابدال ، قال: وقد تبدل منها – يعني: الهمزة حروف اللين، فيقال: منساة ..قال حسان:

سالت هذيل رسول الله فاحشة   ضلت هذيل بما جاءت ولم تصب

قال سيبويه: وليس ذا بقياس متلئب، وانما يحفظ عن العرب كما يحفظ الشئ الذي تبدل التاء من واوه، نحو: اتلج".

- ابو طالب بن عبد المطلب عم النبي– عليه السلام

استشهد بشعره في باب " اسمم الفاعل " للتدليل على اجراء اسم الفاعل عند المبالغة في الامر مجراه اذا كان على بناء فاعل ، قال[1]: "قال سيبويه: وأحروا اسم الفاعل اذا أرادوا ان يبالغو في الامر مجراه اذا كان على بناء فاعل ، يريد نحو: شراب وضروب ومنحار.. ولأبي طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها   اذا عدموا زاداً فانك عاقر"

- الشماخ بن ضرار الذبياني

تردد شعره في موضعين من المفصل، من ذلك ان الزمخشري استشهد ببيت له في باب "الصفة المشبهة" للتدليل على احد أوجه مسألة " حسن وحهه " حيث قال[2]: " وفي مسألة: حين وجهه ن سبعة اوجه.. وحسن وجهه ن قال الشماخ:

أقامت على ربعيهما جارتا صفا   كميتا الاعالي جونتا مصطلاحهما"

- زيد الخيل الطائي

استشهد بشعره في موضعين، مثال ذلك انه ساق بيتا له في باب" المضمرات" ليدلل به على ان النون التي تعتمد بها "ياء المتكلم" عند اتصالها بالفعل يمكن ان تحذف للتضعيف مع كثرة الاستعمال ، يقول[3]: " وتعمد ياء المتكلم اذا اتصلت بالفعل بنون قبلها صونا له من اخى الجر... وللتضعيف مع كثرة الاستعمال جاز حذفها ... وقد جاء في الشعر "ليتى"..

قال زيد الخليل:

كمنية جابر اذ قال ليتي   اصادفه وافقد بعض مالي"

---

[1] المفصل/ ٢/ ٦٣٦، ٦٣٨

[2] المفصل/ ٢/ ٦٤٩، ٦٥٣

[3] المفصل/ ١/ ٣٣٦– ٣٣٨

واستشهد الزمخشري ايضا بشعر شعراء كثيرين من هذه الطبقة، منهم: ابو زبيد الطائى، وابو ذؤيت الهذلى، والعباس بن مرداس السلمى، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والمخبل السعدى، ودوريد بن الصمة، وامية بن ابي الصلت، وحضرمى بن عامر، وعامر بن الطفيل، وكعب بن زهير، وغيرهم.

ومن شعراء الطبقة الثالثة:

- **ذو الرمة**

وكان اوفر شعراء الطبقات الثلاث حظا في المفصل، اذا استشهد الزمخشري بشعره في ثمانية عشر موضعا كما بينا، من ذلك مثلا انه استشهد ببيت من شعره في باب "المنسوب" لتدعيم ما ذهب اليه من النسب الى الاسم المضاف الى ما لا ينفصل في معناه عن الاول: يقول[1]: "والمضاف على ضربين: مضاف الى اسم معروف يتناول مسمى على حياله كابن الزبير... ومضاف الى ما لا ينفصل في المعنى عن الاول كامرئ القيس وعبد القيس. فالنسب الى الضرب الاول زبيري.. والى الثاني: عبدي ومرئي ، قال ذو الرمة:

ويذهب بينها المرئى لغوا".

ومن ذلك ايضا اها استشهد بشعره في باب "فعلي المدح والذم"ليدلل به على جواز تأنيث الفعل، يقول[2]: "ويؤنث الفعل ويثنى الاسمان ويجمعان، نحو قولك: نعمت المرأة هند، وان شئت قلت: نعم المرأة، وقالوا: هذه الدار انعمت البلد .. قال ذو الرمة:

أو حرة عيطل ثبجاء مجفرة   دعائم الزور نعمت زورق البلد"

- **العجاج**

تردد شعره في مواضع كثيرة من المفصل، مثال ذلك انه استشهد بشعره في باب "المركبات " اذ ساق المركب ثم اثبت معناه اللغوي، واتبعه بالشاهد الذي يثبت صحة رأيه، يقول[3]: "وتفرقوا شغرا وبغرا، أي: منتشرين في البلاد هائجين ، من اشتغرت عليه ضيعته: اذا فشت وانتشرت ، وبغر النجم: هاج بالمطر، قال العجاج:

بغرة نجم هاج ليلا فانكدر"

---

[1] المفصل/ ٢/ ٥٨٢- ٥٨٣

[2] المفصل/ ٢/ ٨١٨- ٨١٩

[3] المفصل/ ١/ ٤٤٦

واستشهد بشعره ايضا في باب "المفعلو له" لتدعيم رأيه في ان المفعلول له يكون معرفة ونكرة.. يقول: "ويكون معرفة ونكرة، وقد جمعها العجاج في قوله:

يركب كل عاقر جمهور مخافة وزعل المحبور

والهول من تهول الهبور

o جرير بن عطية

اكثر من استشهاد بشعره، من ذلك انه ارود بيتا له في باب "أسماء الاشارة" ليدلل على صحة ما قرره من مسألة جمع اسم الاشارة، يقول[1]:/ "... وذى: للمؤنث ، ولمثناه: تان وتين، ولم يثن من لغاته الا (تا) وحدها ولجمعها: "أولا" بالقصر والمد مستويا في ذلك أولو العقل وغيرهم، قال جرير:

ذم المنازل لعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الايام"

o الفرزدق

وقد تردد شعره في مواضع كثيرة من كثير من كتاب المفصل، مثال ذلك ان الزمخشري استشهد من شعره في باب "افعل التفضيل" ليثبت صحة رأيه الذي يقول فيه يحذف "من" ، جاء في المفصل[2]: " .. ومما حذفت منه " من " قولك: الله اكبر، وقول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز واعلول

اي: من كل دعائمه"

o ابو النجم العجلي

استشهد برجزه في عدة مواضع من المفصل ، فقد ذكر في باب "المثنى" انه يمكن تثنية الجمع على تأويل الجماعتين والفرقتين واستشهد على صحة جواز ذلك برجز له ، يقول[3]: "وقد يثنى الجمع على تأويل الجماعتين والفرقتين .. وقالوا: لقاحان سود اوان ، وقال ابو النجم

بين رماحي مالك ونهش

---

[1] المفصل/ ١/ ٣٤٢- ٣٤٣

[2] المفصل/ ٢/ ٦٦٤

[3] المفصل/ ٢/ ٤٧٣، ٤٧٦

o **الكميت الاسدي**

استشهد بشعره في عدة مواضع ن من ذلك: انه اورد بيتا له في باب "المجموع" حين اثبت قاعدة جمع المؤنث الذي لا تاء فيه، يقول: "وحكم المؤنث مما لا تاء فيه كالذي فيه التاء، قالوا: ارضات واهلات ، في جمع: أرض وأهل.. وقالوا: عرسات وعيرات في جمع: عرس وعير ، قال الكميت: عيرات الفعال والسؤدد العد اليهم محطوطة الاعكام".

o **عمر بن ابي ربيعة**

تردد شعره في المفصل عدة مرات ، من ذلك انه استشهد به مرة في باب "افعال القلوب" يستدل به على مجيء " تقول" مبعنى: "تظن" ،يقول[1]: "..ويقولون في الاستفهام خاصة: متى تقول زيدا منظلقا؟ و: اتقول عمرا ذاهبا؟ بمعنى: تظن .. قال عمر بن أبي ربيعة:

اما الرحيل فدون بعد غد   فمتى تقول الدار تجمعنا"؟

o **ابراهيم بن هرمة**

وهو آخر شعراء هذه الطبقة، وبه أقفل باب الاستشهاد بالشعر كما يقول الاصمعي ، استشهد الزمخشري بشعره في باب "القسم " ، يقول[2]: "والباء لاصالتها تستبد عن غيرها بثلاثة اشياء: بالدخول على المضمر، كقولك: به لأعبدن، وبك لأزورن بيتك .. وبظهور الفعل معها كقولك: حلفت بالله، وبالحلف على الرجل على سبيل الاستعطاف، كقولك: بالله لما زرتنى .. وقال ابن هرمة:

بالله ربك ان دخلت فقل له   هذا ابن هرمة واقفاً بالباب".

واستشهد صاحب المفصل بشعر شعراء كثيرين من هذه الطبقة ، منهم: رؤية بن العجاج والأخطل، وعبيد الله بن قيس الرقيات ، وابن احمر ، وكثير عزة، والقطامى، والحطيئة، ومسكين الدارمى، وجميل بن معمر، ومجنون بن عامر، ويزيد بن مفرغ الحميرى، وغيرهم.

ولا يفوتنا ان نذكرهنا، ان الزمخشري استشهد ببيت واحد من شعر الطبقة الرابعة التي منعوا الاستشهاد بشعر شعرائها، ولكنه اورد هذا البيت لينبه على ماوقع فيه الشاعر من الخطأ يقول في باب "أفعل التفضيل ": "وقد استعملت "دنيا" بغير ألف ولام .. لانها قد غلبت فاختلطت بالاسماء .. وقد خطىء ابن هاني- يعني: أبا نواس – في قوله:

---

(1) المفصل/ ٢/ ٧٧٤- ٧٧٥

(2) المفصل/ ٣/ ١٠٧٥- ١٠٧٦

كأن صغرى وكبرى من فواقعها　　حصباء در على أرض من الذهب"

قال النعساني: "وافعل التفضيل اذا كان كذلك يجب افراده وتذكيره، فتأنيثه لحن، وقد اعتذر لابي نواس خلق كثير ، وتكلفوا الجوارب عنا بكل غث وسمين".

قال ابن القواس في شرح الدرة [1]: " وقد اجيب عن قوله "صغرى وكبرى" أنه استعملها استعمال الاسماء كدنيا، لا استعمال الصفات ، أو أنها بمعنى: كبيرة وصغيرة، لا للمفاضلة أو أراد: صغراها وكبراها، فنوى الاضافة".

وجرى الزمخشري في الاستشهاد على سنة أصحابه البصريين، فهو حين يضع المسألة النحوية، أو يثبت الرأي، أو يرجح مذهباً نحوياً على آخر، لا يكتفى بشاهد واحد على ذلك ، وانما يسوق سيلاً من النصوص الشعرية وغيرها يستشهد بها على الماجة النحوية التي دونها ذات مرة ، وذات ليلة.. قال أنس بن مدركة الخثعمي:

عزمت على إقامة ذي صباح　　لأمر ما يسود من يسود

وقال الكميت:

إليكم ذوى آل النبي تطلعت　　نوازع من قلبي ظماء وألبب

وقالوا في نحو قول لبيد:

إلى الحصول ثم اسم السلام عليكما　　ومن يبيك حولا كاملا فقد اعتذر

وفي قول ذى الرمة:

داع يناديه باسم الماء مبغوم

وقوله:

تداعين باسم الشيب في متثلم　　جوانبه من بصرة وسلام

إن المضاف – يعنون الاسم – مقحم ، خروجه ودخوله سواء.."

ومن ذلك ايضا قوله في باب "الصفة" [2]: " ومن حق الصفة ان تصحب المصوف ، الا اذا تظهر أمره ظهورا يستغنى معه عن ذكره ، فحينئذ يجوز تركه واقامة الصفة مقامه ، كقوله:

وعليهما مسروجتان فضاهما　　داود أو صنع السوابغ تبع

وقوله:

رباء شماء لا يأوى لقلتها　　والا السحاب ولا الاوب والسبل

---

[1] شرح الجرة الالفية/ ٧٧٠

[2] المفصل/ ١/ ٢٨٥- ٢٩١ وانظر ايضا: ٣٣٢- ٣٣٥ ، ٢/ ٦١٢- ٦٢٥

وقوله عز وحل: " وعندهم قاصرات الطرف عين"، وهذا باب واسع ، ومنه قول النابغة يصف منهزما:

كأنك من جمال بني أقيش يقعقع خلف رجليه بشن

أي: جمل من جمالهم، وقال:

لو قلت ما في قومها لم تيثم يفضلها في حسب وميسم

أي: ما في قومها أحد، ومنه قوله:

انا ابن جلا

أي: رجل جلا، وقوله:

بكفي كان من ارمى البشر

يعني: بكفي رجل"

- وتراه يضع القاعدة النحوية، ويسوق بعد ذلك ما تقبله الكوفيون ثم يبين موقف اصحابه البصريين ، ويعزز هذا الموقف بأكثر من شاهد ، يقول "ذكر المجرورات " [1]: "وقضية الاضافة المعنوية ان يجرد لها المضاف من التعريف، وما تقبله الكوفيون من قولهم: ثلاثة الاثواب، والخمسة الدراهم، فبمعزل عنج أصحاب عن القياس واستعمال الفصحاء، قال الفرزدق:

ما زال مذ عقدت يداه ازاراه فسما وادرك خمسة الاشبار

وقال ذور الرمة:

وقل يرجع التسليم او يكشف العمى ثلاث الاثا في الديار البلاتع"

- وقد يورد راي سيبويه في المسألة، ثم يتبعه بما يخالفه من رأي الكوفيين مقروناً بالشاهد الذي احتجوا به على صحة مذهبهم ، ويقرر شذوذه عند نحاة البصرة، من ذلك قوله في باب "الموصولات" [2]: "ولم يثبت سيبويه " ذا" بمعنى "الذي" الا في قولهم: ماذا ، وقد أثبته الكوفيون، وانشدوا:

عدس مالعبد عليك امارة أمنت وهذا تحملين طليق

أى: والذي تحملينه طليق، وهذا شاذ عند البصريين"

- ويبسط القول في المسألة ثم يذكر الشاهد الشعرى، وينص على ما فيه من شذوذ، يقول في باب "الموصولات" أيضا: ومن: كـ "ما" في اوجهها... واذا استفهم بها المواقف من نكرة ، قابل

---

[1] المفصل/ ١/ ٢١٨- ٢١٩

[2] المفصل/ ١/ ٣٧٢- ٣٧٣

احركته في لفظ الذاكر من حروف المج بما يجانسها، يقول اذا قال جاءني رجل: منو؟ واذ قال رأيت رجلا: منا؟ واذا قال مررت برجل: منى؟ وفي التثنية: منان ومنين، وفي الجمع: منون ومنين

وفي المؤنث: منه ومنتان ومنتين ومنات، والنون والتاء ساكنتان، وما الواصل فيقول في هذا كله: من يا فتى ، بخير علامة قد ارتكب من قال:

أتو نارى فقلت: منون انتم

شذوذين: الحاق العلامة في الدرج ، وتحريك النون التي من حقها ان تكون ساكنة، لان "من" مبني على السكون".

شذوذين: الحاق العلامة في الدرج ، وتحريك النون التي من حقها ان تكون ساكنة ، لان "من" مبني على السكون"

- وكثيرا ما يورد المسألة ويستشهد عليها بالشاذ من الشعر، وينبه على شذوذه، يقول في باب "حروف الاضافة" [(١)]: والكاف: للتشبيه، كقولك: الذي كزيد اخوك، .. والا تدخل على الضمير استغناء عنها بـ "مثل" ، وقد شذ نحو قول العجاج:

وام او عالكها او اقربها".

وفي سبيل تقعيد النحوية، لجأ صاحب المفصل- كغيره من الننحاة- الى الاستشهاد باضرورة بالضرورة الشعرية، وبالابيات المصنوعة ايضا، اما الضرورة فكان ينبه عليها ، ويحدد موقفه منها، واما الابيات التي احكمت صناعتها لتدعيم وجهة النظر، او لانشاء القاعدة ، فتراه يستشهد بها دون ان يذكر مايثار حولها من أراء.

- من ذلك انه يضع القاعدة النحوية ثم يورد الشاهد الذي لا ينسجم مع هذه القاعدة ، ويقعب عليه بأنه من ضرورات الشعر، يقول في باب "المنصوب على الاستثناء" [(٢)] وحكم "غير" في الاعراب حكم الاسم الواقع بعد "إلا" تنصبه في: الموجب والمنقع وعند التقديم، وتجيز فيه البدل والنصب في غير الموجب... وأما سوى وسواء فلا يكونان الا منصوبين، لأنهما ظرفان، ولا يليهما عامل وقوله:

وما قصدت من أهلها لسوائكا

من ضرورات الشعر"

---

(١) المفصل/ ٢/ ٨٧٢- ٨٧٣

(٢) المفصل/ ١/ ١٨٣، ١٨٤

ومن ذلك ايضاً في باب "اللامات": "ولام الامر نحو قولك: يفعل زيد، وهي مكسورة، ويجوز تسكينها عند الواو العطف وفائه... وقد جاء حذفها في ضرورة الشعر، قال:

محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالاً"

- وتراه يذكر المسألة أحيانا ثم يستشهد عليها بشاهد مصنوع، من ذلك مثلا قولسه في باب حرفى الشرط: وقد تجيء الفاءمحذوفة في الشذوذ كقوله:

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عنج الله سيان[1]

قال ابو زيد في النوادر[2]: "أخبرنا أبو العباس عن المازني عن الاصمعي انه انشجهم: من يفعل الخير فالرحمن يشكره.

قال: فسألته عن الرواية الأولى فذكر ان النحويين صنعوها، ولهذا نظائر، ليس هذا موضع شرحها". وقال ابن جنى في سر الصناعة[3]: "هكذا انشده سيبويه، ورواه غيره من أصحابنا:من يفعل الخير فالرحمن يشكره

وقد خالف جماعة من اصحابنا سيبويه في اشياء كثيرة مما استشهده.."

وقد خالف جماعة من اصحابنا سيبويه في أشياء كثيرة مما استشهده.."

- ومن ذلك ايضا قوله في باب "حروف التصديق والايجاب"[4]: "وأجل: لا يدق بها إلا في الخبر خاصة .. ولا تستعمل في جواب الاستفهام

وير: نحوها – بكسر الراء وقد تفتح – قال:

وقلن على الفردوس أول مشربٍ أجل جيران أن كانت أبيحت دعاثره"

وفي شرح الشواهد الكبرى: "قال الصغاني: وقد غير النحاة هذا البيت وجعلوه خنثى.. وهو مغير من شعر مضرس ين ربعي:

وقلن ألا الفردوس أول محضرٍ من الحي ان كانت ابيحت دعاثره"

---

(1) المفصل/ ٣/ ٩٨٨

(2) النوادر/ ٣١

(3) سر صناعة الاعراب/ ١/ ٢٦٤

(4) المفصل/ ٢/ ٩٤٧- ٩٤٨

على ان الشواهد المصنوعة التي استشهد بها الزمخشري في الفصل، لا تكاد تزيد عن تسعة أبيات، وقد تداولها النحاة من قبله وتردد ذكرها في كتبهم، وجريرة نبهنا عليها جميعاً في حواشر المفصل في أثناء تحقيقنا.

ويستشهد الزمخشري احيانا بالابيات المركبة، وبالابيات التي عبثت أيدى النحاة – وربما الرواة – ببعض ألفاظها لتصبح صالحة للاستشهاد على مسألة من المسائل النحوبة، من ذلك مثلا فوله في باب "حروف الاضافة": "[1] وحاشا: معناها التنزيه، قال الشاعر:

حاشا أبي ثوبان أن به　　　ضنا عن الملحاة والشتم

قال ابن يعيش[2] وهكذا انشده ابو العباس المبرد والسيرافي وغيرهما من البصريين ، وفيه تخليط من جهة الرواية، وذلك انه ركب صدره على على عجز غيره.. اورده المفضل الضبي غى مفضلياته، وأوله:

باجار نضله قدأنى لك ان　　　تسعى بجارك في بني هدم

حاشا أبى ثوبان ان ابا　　　قايوس ببكمة غدم

عمرو بن عبد الله ان به　　　ضناعن الملحاة والشتم

ومن ذلك ايضا قوله في باب" افعل التفصيل" [3] "…. واما حسنى" فيمن قرأ "وقولوا للناس حسنى " ، و"سؤى" فيمن انشد: ولا يجزون من حسن بسؤى: فليستا بتأنيثى: احسن وأسوأ، بل هما مصدران كالرجعى والبشرى..."ورواه ابن قتيبة:

ولا يجزون من خير بشر　　　ولا يجزون من غلظ بلين

وعلى روايته هذه فلا شاهد في البيت

-قد يستشهد بقطعة من البيت احيان ا، من ذلك قوله في باب " التنوين" [4]: ".. واما "حسنى" فيمن قرأ: "وقولوا للناس حسنى" ،و"سؤى" فيمن انشد: ولا يجزون من حسن بسؤى فليستا باأنيثى: احين واسوأ ، بل هما مصدران كالرجعى والبشرى.."

ورواه ابن قتيبة:

ولا يجزون من نخير بشر　　　ولا يجزون من غلظ بلين

---

[1] شرح الشواهد الكبرى/ ٤/ ٩٨

[2] المفصل/ ٢/ ٨٧٥

[3] شرح المفصل/ ٨/ ٤٧

[4] المفصل/ ٢/ ٦٦٧- ٦٦٩

وعلى روايته هذه فلا شاهد في البيت.

- وقد يستشهد بقطعة من البيت احيانا، من ذلك قوله في باب "التنوين"[٥]

وهو على خمسة أضرب: الدار على المكانة .. والعوض من المضاف اليه في نحو: اذ وحينئذ، ومررت بكل قائماً،

ولات أوان".

وهو قطعة من بيت لابي زبيد الطائي، والبيت بتمامه:

وطلبوا صلحنا ولات اوان   فأجبنا أن:لات حين بقاء"

ومن ذلك أيضا قوله في باب "ابدال" الحروف": "[١] والدال: ابدلت من:التاء في ك ازدجر ... واجد معو واجدز في بعض اللغات ، قال: واجدز شيحاً"

والشاهد قطعة من بيت لمضرس بن ربعي الاسدي ، والبيت بتمامه[٢]:

فقلت لصاحبي لا تحبسنا   بنزع أصوله واجدز شيحا

أخطاؤه :

وعلى الرغم من هذا الجهد العلمي العتيد الذي بذله صاحب المفصل في اختيار شواهده الشعرية، فانه قد وقع في أخطاء كثيرة ترددت في أكثر من ثلاثين موضعا من " المفصل"، منها أخطاء في نسبة الشاهد الشعري الى قائله، و أخطاء أخرى في نص الشاهد نفسه فمثال الأول قوله في باب " النون المؤكدة "[٣]: " قال عمرو بن هند:

ربما اوفيتُ في علمٍ   تَرَفعنْ ثوبي شمالاتُ

و الصحيح ان البيت لَجَذيمة الابرش .

و من ذلك قوله في باب" المنصوب على الاستثناء "[٤]: قال طرفه:

أبني لُبَيْني لسَتم بيدِ   إل يداً ليستْ لها عَضُدُ

قال الصغاني: كذا في نسخة الزمخشري قال طرفة، و ليس البيت لطرفة، و انما هو لأوس بن حجر، وقد أنشده له سيبويه على الصواب "، ومما يلفت النظر أن الزمخشري نسبه في الكشاف

---

[٥] الشعر والشعراء / ١/ ٣٤٣

[١] المفصل/ ١/ ١١٦٨– ١١٦٩

[٢] شرح شواهد الشافية / ٤٨٣

[٣] المفصل / ٣ / ٢٣٨

[٤] المفصل / ١ / ١٨٩

أيضا لطرفة، ونسبه في الفائق لأوس بن حجر . ومن ذلك ايضا أنه قد يخطيء في اسم الشاعر، يقول في باب " الإضافة: قال انس ابن مدركه الخثعمي:

عزمتُ على إقامة ذى صباحٍ لأمر يُسوِّد من يَسَودُ

وصوابه: أنس بن مدرك الخثعمي . و مثال الثاني قوله في باب " المثنى ": [1] و انشد ابو زيد: لنا ابلان فيهما ما علمتم ، قال الصَّغاني: " كذا في نسخة الزمخشري – رحمه الله – و الرواية: هما إبلان، و البيت لشِعبة بن قمير أنشَد÷ أبو زيد في نوادره . ومن ذلك قوله في باب " المصدر ط و في: فعلل: فَعْلَلَه و فُعْلال، قال رؤية بن العجاج:

أيما سِرهاف"

قال الصغاني:" استشهد رحمه الله – على أن – فعلالاً مصدر: فعللت كفعللة، بما نسبه الى رؤية من قوله أيما سرهاف، و ليس لرؤية بيت فيه لفظة " سرهاف " مقرونة ب" أيما " و له بيت هو: فيه إزدهافٌ أيّما ازدهافِ وهذا الشاهد بَيّناً .

وتراه أحيانا ينسب البيت الى قائله نسبةً توقع في اللبس، و قد تكرر ذلك منه في عدة مواضع من المفصل،من ذلك قوله في باب " الخبر و الاسم في بابي: كان و ان "[2]: و منه قول الهذلي:

أبا خِراشة أما أنتَ ذانفرٍ فإنّ قَوميَ لم يأكلهم الضبُعُ

و يذكر اسم الهذلي هذا، مما يوقع باللبس في نسبة البيت، فالشعراء الهذليون الذين وردت أسماؤهم في المفصل كثيرون .

ومن ذلك أيضا قوله في باب " الصفة المشبهة"[3]: قال حميد:

لاحقِ بطنٍ بِقراً سمِينِ

دون أن يذكر أيّ حميد هو، أحميد بن ثور، أم حميد الأرقط ؟

وقد جرّت عليه ثقته المطلقة بسيبويه و كتاب بعض المزالق العلمية، إذ كان ينقل عن " الكتاب " أحيانا دون التحقّق من صحة المادة التي ينقلها، مثال ذلك قول سيبويه: كقول بعض ولد جرير:

---

[1] المفصل / ٢ / ٤٧٤ .

[2] المفصل / ٢ / ٦١٨

[3] المفصل / ١ / ١٩٥

يا زيدٌ زيدَ اليعملات الذّبلِ تَطالَ الليلُ عليك فأنزلِ

فتابعه الزمخشري في باب " توابع المنادى " بقوله: كقول جرير: يا تيّم تيمَ عديٍّ، و قول بعض ولده، و قائل البيت: عبد الله بن رواحة الانصاري . و من ذلك ايضا قوله في باب المضمرات قال يزيد بن ام الحكم:

وكَمْ مَوطن لولاي طحت كما هوى بإجرامه من قلّة النيّق منهوي

و نسبه سيبويه في الكتاب / ١/ ٣٨٨، الى: يزيد بن أم الحكم، وهو خطأ، و الصحيح أنه يزيد بن أبي العاص الثقفي البصري الشاعر المشهور .

ومما ينبغي أن نشير اليه أننا نبهنا الى هذه الاخطاء جميعا في مواضعها من حواشي المفصل.

النثر:

كما استشهد الزمخشري بالمنظوم من كلام العرب، فإنه استشهد بالمنثور ايضا، فقد تضمن " المفصل " كثيرا من أمثال العرب و أقوالهم و لغاتهم التي ساقها الزمخشري شواهد على الآراء النحوية التي صنفها، ولكي نُعطي صورةً واضحةً عن نهجه في الاستشهاد بمنثور العرب نذكر بعض الأمثلة منه:

أولاً: الأمثال

يذكر المسألة النحوية و يستشهد عليها بالمثل العربي، يقول في باب " أفعل التفضيل [(١)]: " و قد جاء أفعل منه و لا فعل له، قالوا: أحنك الشاتين و أحنك البعيرين، و في أمثالهم: آبل من حنيف الحناتم .

ويورد المسألة أحيانا و يعززها بالأمثلة ثم يقوي الرأي الذي ارتآه بالمثل السائر، يقول في باب المفعول فيه "[(٢)] و ينصب بعامل مضمر كقولك في جواب من يقول لك: متى سرت ؟ يوم الجمعة، و في المثل السائر: أسائر اليوم و قد زال الظهر ؟

وقد يسوق المثل أولا ثم يذكر حكم المسألة فيه و يثبت صحة رأيه بالأمثلة، و يذكر بعدئذ ما يستوي معها في الحكم ، و يقول في باب " الحال "[(٣)]: وجاؤا قَضّهم بقضيضهم، وفعلته جُهدك و طَاقتك، فمصادر قد تكلم بها على نية وضعها في موضع مالا تعريف فيه، كما وُضعَ: فاه الى

---

(١) المفصل / ٦٥٧ – ٦٥٨

(٢) المفصل / ١ / ١٣٧

(٣) المفصل / ١ / ١٦٠

فيّ، موضع شِفِها و عُني: قاطبةً وجاهداً . ومن الاسماء المحذو بها حذو هذه المصادر قولهم: مررتُ بهم الجَمّاءَ الغفير وتراه يقعد القاعدة أحيانا، و يستشهد على صحة ما ذهب اليه بسيل من أمثال العرب يقول في باب "المركبات [(١)]": وهي على ضربين: ضرب يقتضي تركيبه أن يبني الاسمان معا، و ضرب لا يقتضي تركيبه الا بناء الأول منهما، فمن الضرب الأول نحو: تركيب العشرة مع ما نيف عليها الا اثني عشر، و قولهم: وقعوا في حيص بيص، و لقيته كفّة كفّة، و صحرة بحرة، وهو جاري بيتَ بيتَ .. و تفرقوا شغربغر، و شذرَ مذرَ، و خِذعَ مِذع، و تركحوا البلاد حيث بيث .. و الضرب الثاني نحو قولهم: افعل هذا بادي بَدِى، و ذهبوا أيْدي سَبأ .. ويذكر المسألة اللغوية أحيانا و يستشهد على رأيه بما روى من الأمثال، يقول في باب "أسماء الافعال و الأصوات" [(٢)]: فعال: على أربعة أضرب: التي في معنى الأمر كنزال .. و بداد: أي ليأخذ كل منكم قرنه . و يقال أيضا: جاءت الخيل بداد، أي: مُتَبدّدة .. و عرار لبقرةٍ، و يقال: باءت عرار بكحلٍ وظفار للبلد الذي ينسب اليه الجزع، ومنها قولهم: من دخل ظفار حمّر ... وقد يضع القاعدة ثم يعقبها بأمثال التي تشذ عنها، في باب أفعل التفضيل [(٣)]: و القياس أن يفضل على الفاعل دون المفعول، و قد شذ نحو قولهم: أشغل من ذات النحيين و أزهى من ديك....

ثانياً: الأقوال و اللغات

يضع القاعدة النحوية، و يستشهد على صحة مذهبه بقول أو أكثر من أقوال العرب، و يقوي وجهة نظره بالقرآن الكريم، يقول في باب "المبتدأ و الخبر [(٤)]: و لا بد في الجملة الواقعة خبرا من ذكر يرجع الى المبتدأ، قولك: في الدار، معناه: استقر فيها، وقد يكون الراجع معلوما فيُستغنى عن ذكره، و ذلك في مثل قولهم: البُر الكربستين، و السمن منوان بدرهم و قوله تعالى: و لمن صبر و غفر ان ذلك لمن عزم الامور، وقد يسوق القول اولا ثم يثبت الحكم بعد ئذ، و يعزز ذلك بالشاهد الشعري، و يذكر ما يخالف هذا الحكم عند ناس من العرب، يقول في باب "المفعول معه [(٥)] و أما قولك ما انت و عبد الله ؟ و كيف انت و قصعةٌ من ثريد ؟

---

(١) المفصل / ١/ ٤٤٠ / ٤٤٣
(٢) المفصل / ١ ٣٩٠ – ٤٠١
(٣) المفصل / ٢ / ٦٥٩ – ٦٦٠
(٤) المفصل / ١ / ٥٥- ٥٦
(٥) المفصل / ١/ ١٤٢ – ١٤٣

فارفع، قال:يا زبرقان أخابني خلفٍ ما انت ويب أبيك و الفخرُ الأ عند ناس من العرب ينصبونه على تأويل: ما كنت أنت و عبد الله ؟ و كيف تكون أنت و قصعةً من ثريد ؟" .

وقد يذكر المسألة و يسوق ما قيل من كلام العرب و تأويله، يقول في باب " الأضافة "[١]:" ولا يجوز إضافة الموصوف الى صفته، ولا الصفة الى موصوفها، و قالوا: دارُ الآخرةِ، و صلاةُ الاولى، و مسجد الجامع، و جانبُ الغربيّ، و بقلة الحمراء، على تأويل: دار الحياة الآخرة، وصلاة الساعة الاولى، ومسجد الوقت الجامع، وجانب المكان الغربي، و بقلةُ الحبّة الحمقاء "....

ويفصل القول في المسألة أحيانا ثم يبين ان ما يخالفها مما حكي عن العرب و لا يعمل عليه، من ذلك قوله في باب " المضمرات "[٢]: و الحروف التي تتصل ب إيا من الكاف و نحوها لواحق للدلالة على أحوال المرجوع اليه، و كذلك التاءئ في " انت " ونحوها في أخواته، ولا محل لهذه اللواحق من الاعراب، و انما هي علامات كالتنوين وتاء التأنيث و يا النسب، و ما حكاه الخليل عن بعض العرب: " اذا بلغ الرجل الستين فأياه و ايا الشواب " مما لا يعمل عليه .

ويقعد القاعدة و يتبعها بالمثال، و يستشهد على صحتها بالشعر، قم يقوّيها و يعضدها بكلام العرب، يقول في باب " الافعال الناقصة "[٣]:" و كان: على أربعة أوجه: ناقصة .. و تامة .. وزائدة في قولهم: إن من أفضلهم كان زيدا . و قال:

جِيادُ بني أبي بكر تَسامى   على كان المسوّمة العرابِ

ومن كلام العرب: ولدت فاطمة بنت الخرشبّ الكملة من بني عبس لم يوجد كان مثلهم ...

ويورد المسألة اللغوية و يبيّن وضعها في اللغات الفصيحة، و يسوق أوجه الاختلاف و الاتفاق فيها فيقول في باب: أسماء الأفعال و الأصوات [٤]: هيهات: بفتح التاء لغة أهل الحجاز، و بكسرها لغة أسد و تميم، من العرب من يضمّها، وقرِيء بهن جميعا، و قد تمنون على اللغات الثلاث، قال:

تذكّرت أياما مضين من الصِبي   فهيهاتِ إليكَ رجوعُها

وقد ؤوي قوله: هيهات من مصبحها هيهات

---

[١] المفصل / ١/ ٢٣٦

[٢] المفصل / ١/ ٣١٢

[٣] المفصل / ٢ / ٧٨٩ – ٧٩٠ – ٧٩١

[٤] المفصل / ١ / ٤٠٣ – ٤٠٥

يضم الاول وكسر الثاني، ومنهم من يحذفها،ومنهم من يسكنها، ومنهم من يجعلها نونا، وقد تبدل هؤها همزة، ومنهم من يقول: أيهاك وأيهان وأيها..."

وترى صاحب المفصل يميل الى اللغتن الحجازية ويصفها بالجومدة، ويعتبرها أعلى لضات العرب وأفصحها، ويكثر الاعتماد عليها فيما يحتج به من لغات العرب، من ذلك قوله في باب "الادغام"[1]: "ومن الادغام الشاذ نحو قولهم: ست، أصله: سدس، فأبدلوا السين تاء وادغموا فيها الدال.

ومنه: وذ في لغة بني تميم، وأصلها: وتد، وهي الحجازية الجيدة"

- ومن ذلك ايضا قوله في باب "أسماء العدد" [2]: "وتقول في تأنيث هذه المركبات: احدى عشرة واثنتا عشرة.. تثبت علامة التأنيث في أحد اشطرين لتنزلهما منزلة شئ واحد، وتعرب الثنتين كما أعربت الاثنين ، وشين العشرة يسكنها أهل الحجاز ، ويكسرها ينون تميم.."

- وقد يورد المسأبة الصرفية وينص على ما يجوز فيها في لغة قبيلة فصيحة مثل طيئ ، يقول في باب " ابدال الحروف"[3]: "والصاد الساكنة اذا وقعت قبل الدال جاز ابدالها زايا خالصة في لغة فصحاء من العرب، ومنها: لم يحرم من فزد له ، وقول حاتم: هكذا فزدى أنه "

- ويسوق المسألة احيانا ثم يذكر ما تجئ عليه في بعض اللغات ،ويدعم ما ذهب اليه بالشاهد يقول في باب " الحروف المشبهة بالفعل" [4] "وتخرج "ان " المفتوحة الى معنى "لعل" وتبدل فيس وتميم همزتها عينا، فتقول "اشهد عن محمدا رسول الله"

يقول في باب " حروف الاستقبال"[5] ".. وان: تدخل على المضارع والماضي.. وتميم وأسد يحولون همزتها عينا، فينشدون بيت ذي الرمة:

أ أن ترسمت خرقاء منزلة

أعن ترسمت من، وهي عنعنة بنى تميم"

- ويثبت المسألة احيانا أخرى، ويتدي الراي فيها ، ويستشهد بما سمع من بعض قبائل العرب، يقول في باب "التقاء الساكنين" [6]: "وقد حركوا في نحو: رد وام يرد، بالحركات الثلاث، ولزموا

---

(1) المفصل/ ٣/ ١٢٨٧- ١٢٨٨

(2) المفصل/ ٢/ ٦٠٠، وانظر ايضا:٣/ ١٠٩٦

(3) المفصل/ ٣/ ١١٧٥- ١١٧٦

(4) المفصل/ ٢/ ٩٠٩

(5) المفصل/ ٣/ ٩٧٨، ٩٧٩- ٩٨٠

(6) المفصل/ ٣/ ١١٠٣- ١١٠٤

الضم عند ضمير الغائب، والفتح عند ضمير الغائبة، فقالوا: ودَّه، ورُدَّها، وسمع الاخفش ناسا من بني عقيل يقولون: مُدِّهِ وعِضِهِ،بالكسر.
ولزمو فيه الكسر عند ساكن يعقبه، فقالو: رد القوم، ومنهم من فتح، وهم بني أسد .."
- ويضع المسألة الصرفية ثم يستشهد على ذلك بلغة قبية من قبائل العرب، يقول في باب " إبدال الحروف " [1]:" والجيم أبدلت من الياء المشددة في الوقف،قال أبو عنرو: وقلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت ؟ فقال: فقيمج، فقلت: من أيهم ؟ فقال: من ..."
- ويقعد القاعد، ويفصل القول فيها ثم يذكر ما تلغو به بعض القبائل ويحكم برداءته، من ذلك قوله في باب " تاء التأنيث الساكنة " [2]:" وهي التاء في نحو: ضربت، ودخولها للإذان من أول الأمر بأن الفاعل مؤنث، وحقها السكون، ولتحركها في:" رعتا " لم ترد الألف الساقطة لكونها عارضة إلا في لغة رديئة يقول أهلها: رماتا " .
وبعد، فيمكن أن نجمل رأى الزمخشري في الشواهد بما يلي:
- يستشهد بالقرآن الكريم وبالقرءات .
- يرجح بعض القراءات على بعض، ويستعين ببعضها على بعض، ويلحن بعضها، وينسب الوهم والخطأ إلى بعض رواتها، ويرى أن القراءة تؤدى حسب المعنى والرأي .
- يستشهد بالحديث النبوي في النحو واللغة، وهو بذلك يخالف أكثر النحاة .
- تشهد بكلام العرب الفصحاء – شعرا ونثرا – كما فعل غيره من النحاة .
وبهذا نكون قد فصلنا القول في شواهد المفصل المنقولة، مما يبيح لنا أن ننتقل الى المفصل الثالث من هذا الباب، لنكون على بينه من موقف جار الله من أدلة الصناعة ..

---

[1] المفصل / ٣ / ١١٧٠
[2] المفصل / ٣ / ٠١٠١١

الفصل الثالث

أدلة صناعة الأعراب

في كتاب المفصل

- القياس
- العلة
- العامل

القياس:

القياس في اللغة [1]: التقدير، من قولهم: قاس الشيء يقيسه قيسا، واقتاسه وقيسه: اذا قدره على مثاله، ومنه القياس، أي المقدار . أما في اصطلاح النحاة، فقد حده الرماني بأنه [2]:" الجمع بين أول وثان، يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني، وفي فساد الثاني فساد الاول ".

وحده العسكري [3]:" حمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لوجه من الشبه، وقيل: حمل الشيء على الشيء واجراء حكمه عليه لشبه بينهما عند الحامل ". وحده ابن الأنباري بقوله [4]:".. وهو في عرف العلماء: عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل: حمل فرع على أصل بعلة، واجراء حكم الأصل على الفرع . وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجانع، وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع"[5].

وهذا يعني: أن القياس حمل معلوم على معلوم، وحمل غير المنقول عل المنقول إذا كان في معناه، وحمل مالم سمع في حكم من الاحكام وبعلة جامعة بينهما، أو [6] " هو حمل ما يجد من تعبير على ما اختزنته الذاكرة وحفظته ووعته من تعبيرات وأساليب كانت قد عرفت أو سمعت ".

واذا اشتق اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى سمي عمله هذا قياسا، فالقياس اللغوي: هو مقرنة كلمات بكلمات، أوصيغ بصيغ، أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسع اللغوي، وحرصاً على طراد الظواهر اللغوية [7].

---

[1] لسان العرب / مادة قيس .

[2] كتاب الحدود/ ٣٨ – وانظر أيضا: ابن برهان / شرح اللمع / ٥

[3] الفروق في اللغة / ٦٩ .

[4] لمع الأدلة / ٩٣ – وانظر: عباس حسن / اللغة والنحو / ٢٢ .

[5] يبدو من هذه الحدود جميعا أن النحاة قد تأثروا بعلماء أصول الفقه وأخذوا عنهم، فقد حد الأصليون القياس عدة حدود، قالو: إنه إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت، وقالو:إنه حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما ونفيه عنهما،وقالوا: انه استخراج مثل حكم المذكور لما لم يذكر بجامع بينهما،وقالوا ايضا:هو الأستواء بين الفرع والأصل في العلة المستنبطة من حكم الأصل،فهو الحكم الذي أخذه الأصل لإثبات مثله في الفرع لتشابههما في علة الحكم ٠- الشخصية الاسلامية / ٣ / ٣١٣ – وانظر أيضا: ضحى الاسلام /٢ / ٢٨١، ومحمد عيد / أصول النحو العربي / ٧٥ – ٧٦.

[6] مهدي المخزومي / في النحو العربي – نقد وتوجيه – / ٢٠ – وانظر أيضا: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه / ٢٢١ – ومحمد عيد / أصول النحو العربي / ٩٥ .

[7] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه / ٢٢١ – وانظر: ابراهيم أنيس / من أسرار اللغة / ٨-٩.

من هذا يتبين لنا أن القياس لايزيد عن كونه محاكاة للعرب في طرائقهم وأساليبهم اللغوية، وحمل الكلام المحدث على كلامهم في صوغ أصول المادة وفروعها، وترتيب الكلمات وما يتبع ذلك [1] . وتبين لنا أيضا أن هذه المحاكاة مرهونة بمراعاة القواعد اللغوية والنحوية والصرفية التي قعدها شيوخ اللغة ومؤسسو علم النحو، بعد أن وقفوا عند القبائل العربية التي تتسم لغاتها بالصفاء والفصاحة، وقاموا بجمع هذه اللغات ورواياتها وحفظها وتداولها .

ولما كانت اللغة العربية – شأن اللغات العالمية الأخرى – في تطور وتجدد مستمرين في ألفاظها وعبارتها، ولما كانت هذه الالفاظ والعبارات الجديدة تتطلب منا ضبطها، والحد مما يبعدها عن الأصول التي أصلها العرب الموثوق بفصاحتهم، برزت حاجتنا واضحة إلى وضع قواعد اللغة والنحو والصرف . وليست هذه القواعد- في حقيقتها – إلا مقاييس وضعت على أساس نسبة معينة من الاستعمال اللغوي الفصيح الصحيح، وهذا القياس لا يقتصر على الكلمات المفردة، وإنما يتعداه إلى العبارات، فهو يشمل الكلمة المفردة من ناحية اللغة والتصريف وتركيبها مع غيرها في مجال القواعد التي تقاس بها صحة الاستعمال لكل من هذه العلوم الثلاثة[2] .وقد اقترن علم النحو بالقياس منذ نشأته، إذ لجأ إليه النحاة منذ أن تكلموا في مسائل النحو وأصوله التي بدأت على صورة مناقشات بين الشيوخ، ومنذ أن بدأوا بالتأليف فيه، بعد أن أصبح علما قائما برأسه [3] ثم أصبح القياس -عدئذ- ظاهرة عملية استأثرت بمجهود النحاة وأشغلت أذهانهم، وخاصة بعدة أن عرف المنطق وشاع في الاوساط العملية . وأصبحوا ينظرون الى القياس على أنه جزء لا يتجزأ من علم النحو، بل قالوا: إن النحو كله قياس، وليس أدل على ما نذهب إليه من قول ابن الانباري [4]:" إن إنكار القياس في النحو لا يتحقق، لأن النحو كله .. فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا نعلم أحدا من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة .."، ومما نسب الى الكسائي أنه قال [5]:"إنما النحو قياس يتبع ".

---

[1] عباس حسن / اللغة والنحو / ٢٢ .

[2] الشاهد وأصول النحو / ٢٢٤ .

[3] من أسرار اللغة / ٩- وانظر: محمد عيد / اصول النحو العربي / ٨٠ .

[4] لمع الأدلة / ٩٥ .

[5] أخبار النحويين البصريين / ٣٢ – ٣٣ – وضحى الاسلام / ٢ / ٢٨٢ .

ونشأ القياس – أول ما نشأ – في رحاب مدينة البصرة، يدل على ذلك قول أبي فيد مؤرج السدوسي أنه قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس في العربية، وإنما كانت معرفته قريحته، وأول ما تعلمه في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة.

ونرجح أنه بدأ بدءاً سهلاً ميسوراً قريب المأخذ، مغايرا تماما لصورته التي وصلت الينا بما احاطها من تفصيلٍ وتعقيدٍ و مناقشلتٍ و مقارناتٍ جعلت منه علماً صعباً بعيد المأخذ، ذا أصول و فروع و أحكام كثيرة . فقد ذكروا ان عبد الله بن أبي اسحاق الحضرميّ كان أعلم اهل البصرة و أعقلهم، ففرّع النحو و قاسه [1] . وذكروا أيضاً أنه أول من بعَجَ النحو و مدّ القياس، و شرح العلل، و أنه كان يحمل ما لم يُسمع عن العرب على ما سمع عنهم، و جعله تمسّكه الشديد بالقواعد النحوية المعللة و القياس عليها قياسا دقيقا – بحيث لا يصحّ الخروج عليها – يُخطّيءُ كلّ من ينحرف في تعبيره عنها، و كان لذلك كثير التعرض للفرزدق لما يورد في أشعاره من بعض الشواذّ النحوية [2] .وسار عيسى بن عمر الثقفي على نهج أستاذه عبد الله، فكان يطرق القياس و يعمّمه، و يتشدّد في استعمال ما رُوي عن العرب الموثوق بفصاحتهم و صفاء عروبتهم و سلامة السنتهم،ولا يخطّيءُ من قاس على كلامهم، فقد روى الزُبيديّ عن علي بن محمد بن سليمان انه قال:[3] " قلت يوما: أخبرني عن هذا الذي وضعت، يدخلُ فيه كلامُ العرب كله ؟ فقال: لا، فقلت: فَمن تكلم بخلافك و احتذي على ما كانت العرب تتكلم به، أتراه مخطئاً ؟ قال: لا، قلت: فما ينفع كتابك ؟".

وكان ابو عمرو بن العلاء – تلميذُ عبد الله و معاصر عيسى – يأخذُ بالاطّراد في القواعد، و يتشدّد في القياس، و يدل على ذلك ما روى الزبيدي أيضاً عن أبي نوفل أنه قال:[4] سَمعتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميّته العربية . أيدخلُ فيها كلام العرب كله ؟ فقال: لا فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حُجّة ؟ قال: أعملُ على الاكثر و أسمّي ما خالفني لغات .وقوي القياس على يدي الخليل بن أحمد – استاذ سيبويه – فقد ذكروا أنه كان " الغاية في استخراج مسائل النحو و تصحيح القياس فيه و لم يكن قبله

---

(1) مراتب النحويين / ٧٢

(2) المدارس النحوية / ٢٣ / ٢٥ – و انظر: مهدي المخزومي / الخليل بن احمد الفراهيدي / ٣٢ – ٢٤ – و اصول الشاهد / ٢٢٥ – ٢٢٦ . و انظر ايضا: مراتب النحويين / ١٢ – ١٣ – و اخبار النحويين البصريين / ١٩ – ٢٢ – ونزهة الالباء / ١٠ -١٢ – للوقوف على موقفه من شعر الفرزدق الذي خالف القياس النحوي .

(3) طبقات الزبيدي / ٤١ – و انظر: من اسرار اللغة / ١٢ – و المدارس النحوية / ٢٧ – و الشاهد و اصول النحو / ٢٢٧

(4) طبقات الزبيدي / ٢٤ – و انظر: من اسرار اللغة / ١٢ – و المدارس النحوية / ٢٧ / و الشاهد و اصول النحو / ٢٢٧

ولا بعده مثله، فقد كان منقطع القرين بين علماء العربية باتّقان الآراء و قد عكف على العلم يخترع فيه و يستنبط أصوله على طريقة لم يُسبق إليها، وهو الذي بسط النحو و مدّ اطنابه و سبّب عِلله و فتق معانيه [(١)] .

وحين جاء سيبويه اقتدى بأستاذه في البحث النحويّ، وجمَع ما تناهى اليه من أقيسة الخليل و شيوخه، و أقيسة غيرهم ثم أودعها "كتابه" و سار النحاة فيما بعد على هدى كتاب سيبويه، و اعتمدوا عليه في الدرس و التصنيف، و اعتبروه حُجّة في علم النحو، كما بينا من قبل .

وبلغ القياس ذروة مجده في القرن الرابع الهجري على يدي: أبي عليّ الفارسي و تلميذه ابن جنّي، اللذين نهضا به نهضةً لم يحظ بمثلها قبلهما و لا بعدهما حتى اليوم [(٢)] . و ليس أدلّ على ذلك من قول ابن جني [(٣)] نفسه: قال لي ابو علي – رحمه الله – بحلب سنة ست و اربعين: أخطِيءُ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطيء في واحدة من القياس " و قال ابن جني ايضا: " مسألة واحدة من القياس أنبلُ و انبهُ من كتاب لغةٍ عند عيون الناس [(٤)] .

من هذا كله نرى ان مذهب البصريين النحويّ يقوم – أساسا – على القياس، و انهم قد تشدّدوا فيه، فلم يقيسوا إلا على ما توافرت شواهده و أمثلته، و لم يعتدوا بالشاهد الواحد لوضع القاعدة النحوية، بل لا بد من الكثرة الفياضة من هذا المسموع التي تُخول لهم القطع بنظائره، وإلا اعتبروه مرويا يحفظ و لا يقاس عليه، إلا اذا لم يرد من نوعه ما يخالفه [(٥)] . كما أنه لا يقاس – عندهم – على كل مسموع الا اذا كان من القبائل اشتهرت بفصاحتها، و لم تختل لغتها بالاختلاط بالاعاجم . و جعلوا أقيستهم الحكم بينهم فيما يرد من الكلام، غير مكترثين بما جاء مخالفا لها مما لا ظهير له و لا مثيل في كثرة الاستعمال و التداول، فهم إما أن يؤوّلوه تأويلا يتّفق و قواعدهم، و أما أن يستنكروه لكثرة ما اندسّ من الرواة و ذوي الاهواء في اللغة، و اما أن يلتمسوا الضرورة اذا كان في نظم، فإذا اعتاص كل ذلك عليهم، فانهم يضطرون الى جعله جزئيا شاذّاً يوضع في صف المحفوظات التي لا يقاس عليها [(٦)] .

---

(١) ضحى الاسلام / ٢ / ٢٩٠ .

(٢) سعيد الافغاني / في اصول النحو / ٧٦ .

(٣) الخصائص / ٢ / ٨٨

(٤) الخصائص / ٢ ٨٨

(٥) الطنطاوي / نشأة النحو / ١١١

(٦) الطنطاوي / نشأة النحو / ١١٣

و لعل خير ما يمثل رأي البصريين في القياس، ما ذكره ابن جني في كتاب الخصائص، و يمكن تلخيصه بما يلي:

- مطرد في القياس والاستعمال جميعا، وهذا هو الغاية الذي لا خلاف فيه، نحو: قام زيد، وضربت عمراً، ومررت بسعيد.

- مطرد في القياس شاذٌ في الاستعمال، نحو الفعل المفضي من: يذر ويدع، نحو قولهم مكان مبقل.

- مطرد في الاستعمال شاذ في القياس، نحو قولهم: أخوص الرمث، واستحوذ، واستصوبت الامر.

- شاذ في القياس والاستعمال جميعاً، وهو كتتيم "مفعول"فيما عينه "واو" ، نحو: فرس مقوود، ورجل معوود من مرضه، وهذا لا يجوز القياس عليه ولا رد غيره اليه، ولا يحسن ايضا استعمال فيما استعملته فيه الا على وجه الحكاية[1] .

- قد يكثر الشئ وليس بقياس كالنسب الى: يثقيف – ثقفي، وقريش: قرشي، وسليم – سلمي. وقد يقل الشئ وهو قياس، وذلك نحو قولهم: شنؤة- شنئي[2] .

- اذا تعارض السماع ، والقياس نطقت بالمسموع على ما جاء عليه، ولم تقسه في غيره، في نحو قوله تعالى: "استحوذ" فهذا ليس بقياس، لكنه لا بد من قبوله[3] .

- قد يمتنع العرب عما يجوز في القياس اذا استغنو بلفظ آخر كاستغنائهم بقولهم: "أجود جوابة" عن قولهم: ما أجوبه ، ونحو استغنائهم عن: وذر، و: ودع، بقولهم: ترك[4].

- اذا ورد شئ واوجب له القياس حكما، وكان الجائز ان ياتي السماع بضد ذلك الحكم فلا يتوقف في ذلك الى ان يرد السماع، بل يقطع بظاهر القياس، وذلك نحو: "نون" عنتر وعنبر وقرناس، يحكم بأصليتها وان كان يجوز ان يرد دليل يقطع به على هذه النونات بالزيادة ، ولا يتوقف في ذلك انتظار لورد السماع[5]

---

[1] الخصائص/ ١- ٩٩- وانظر: الاقتراح/ ٢٠- ٢١- والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٧١

[2] الخصائص/ ١/ ١١١٦

[3] الخصائص/ ١/ ١١٧

[4] الخصائص/ ١/ ٣٩١

[5] الخصائص/ ٣/ ٦٦

وقد ذكر السيوطي ان ابن هشام الانصاري قسم الكلام المسموع عن العرب الى واهتم نحاة الكوفة بالقياس وتوسعو فيه ايضا، الا ان جل اهتمامهم كان في السماع ،فهم قد اتسعوا في الرواية عن العرب ، وتساهلوا في شروط المروى، ومن روي عنهم ، ولم يقفوا عند القبائل التي احتج البصويون بلغاتها وقاسوا نحوهم على كلامها، بل تجاوزوا ذلك الى الاخذ عن اعراب الحطمية وغيرهم من سكان الحواضر الذين يشك بفصاحتهم عند البصريي، كما بينا في الفصل الثاني من هذا الباب وكان الكوفيون يعتبرون الشاهد الواحد اصلا ثم يقيسون عليه، فاذا لفظاً في شعر او نادراً في كلام جعلوه بابا، ولو سمعوا بيتاً واحدا فيه جواز شئ مخالف للاصول، جعلوه اصلا وبوبوا عليه"[1] .

وكان الكسائي شيخ نحاة الكوفة وأكثرهم توسعا في القياس واعتمادا عليه، وتساهلا فيه، حتى كانت معظم حملات البصريين الموجهة الى الكوفيين لهذا التساهل في الرواية، والتوسع في القياس، منصبة على الكسائي، قال ابن درستويه:" كان يسمع الشاذ – يعني: الكسائي – الذي لا يجوز إلا في الضرورة، فيجعله أصلا ويقيس عليه، فأفسد النحو بذلك " [2]. وذكر الدكتور شوقي ضيف ان الكوفيين ، وكانوا يتحرجون من الاخذ عنهم لضعفهم وتعلقهم بالشاذ، ولا تفاعهم عن البوادي الفصيحة، وكانوا لا يرون الاعراب الذين يحكون عنهم حجة في العربية لانهم غير خلص[3] . وذكروا امثلة من القياس الكوفي، من ذلك مثلا: العدد على وزن: "فعال" في: سداس وسباع وثمان وتساع،وهو غير مسموع[4]، والنصب تـ "ان " مضمرة في غير المسائل المعدودة[5] .

ومن هنا، كان القياس سببا قويا في ظهور الخلافات النحوية واتساعها وشمولها، اذ كان النحوى يجتهد بقدر ما يملك من حس لغوي ونفاذ ذهني، يفهم بهما العبارة العربية فهما قد يختلف عن فهم غيره، وذلك يفسر لنا كلمة المبرد لتلميذه ابن كيسان[6]: "هذا شئ خطر لي فخالفت النحويين" ، وكلمة ابن جني: .. فالخلاف اذن بين العلماء اعم منها بين العرب، ذلك ان

---

[1] الاقتراح/ ١٨٤– وهمع الهوامع / ١ / ٤٥ – وانظر أيضا: المدارس النحوية / ١٥٩ – وأبو علي الفارسي / ٤٤٠.

[2] الرافعي/ تاريخ آداب العرب/ ١م٣٧٠– والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٧٣– والشاهد واصول النحو/ ٢٣٠– ٢٣١

[3] المدارس ٦٣– ١٦٤– والشاهد واصول النحو/ ٢٣١

[4] همع الهوامع / ٢/ ٥٨

[5] همع الهوامع/ ٢/ ١٧

[6] الاشباه والنظائر/ ٣/ ٣٨

العلماء اختلفوا في الاعتدال لما اتفقت العرب عليه ، كنا اختلفوا فيما اختلفت العرب فيه ، وكل ذهب مذهبا، وان كان بعضه قويا وبعضه ضعيفاً".

ولم يقتصر هذا الخلاف النحوي في مسألة ما على مدرستي: البصرة والكوفة، بل تعداه الى داخل صفوف المدرسة الواحدة نفسها، فلم يعد غريبا ان تجد رجال المدرسة البصرية مثلا يختلفون في مسألة واحدة من مسائل النحو فيذهب كل منهم مذهباً يؤيده وينافح عنه، ويجتهد في سوق الادلة العقلية والشواهد النقلية لاثبات صحته.

وقد بدأ هذا الخلاف النحوى في وقت مبكر جداً، إذ يبدو واضحا كل الوضوح في كتاب سيبويه، فمن ينظر في "الكتاب" يجد كثيرا من الخلافات بين استاذي سيبويه ويونس، فقد كان لونس – كما قالوا- قياس في النحو ، وذهب يتفرد بها[(١)] كما ان كثيرا من النحاة الذين اعقبوا سيبويه خالفوه في مسائل نحوية كثير، فقد خالفه الاخفش الاوسط والمبرد والمازني والزجاج وابن جني والزمخشري وغيرهم. وتصاعت جدة الخلاف بين تلاميذ ثعلب والمبرد[(٢)] ، ثم اصبح الخلاف ملازما لهذا العلم ، وسجيه من سجاياه، فيما تلا من عصور.

وظلت المسائل الخلافية تنمو وتزداد ، سواء بين رجال المدرستين جميعاً، او بين رجال المدرسة الواحة، فكلما جاء علم من اعلام النحو، شمر عن ساعديه، واضاف الى هذا الرصيد الضخم ما تفيض به قريحته، وتجود به بنات افكاره، وربما اضاف حججاً وأجلة وتعليلات جديدة، لاثبات صحة مسألة معينة سبقة الاختلاف فيها ، ولكنه يقف في نهاية مطافة الى جانب احد الطرفين، فيضيف الى حصيلة حجج هذا الطرف ما يقويها ويزيد في ثباتها امام حجج الخصم وأدلته[(٣)] وجاء الفرن السادس من الهجرة ، فوجد هذا الرصيد الكبير من المسائل الخلافية فلم يفرط بها ، بل افاد منها افادة حليلة، اذ جعل منها دعامة قوية صرح الدرس النحوي، ووجد الدرس النحوي في هذه المسائل مادة عليمة غزيرة اعرقت بها حلقاته، وحشا بها مصنفاته، فظهرت في هذا القرن مؤلفات خاصة في مسائل الخلاف النحوى ، منها: كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين "لابي البركات بن الانباري الذي عاصر الزمخشري ،

---

(١) اخبار النحويين / ٢٧- ونزهة الالباء/ ١٣١

(٢) الخلاف / ٧٥

(٣) للوفوغ على امثلة من هاذا الخلاف ، انظر مثلا: كتاب سيبويه / ١/ ٣٠٩، ٢ / ١٢٥- والخصائص/ ١/ ٢٢٥- واسرار العربية/ ، ١٢٦، ١٢٧- والامالي الشحرية / ١/ ٤٣ ١٦٢، ١٦٥، ٢٩١، ٣٤٦، -٢/ ١٣، ٢٤٠- والمفـصل/ ١/ ٦٣- ٢ / ٥٢٨، ٥٧٠، ٣/ ١٠٠٣- والخزانة/ ٣/ ٦١٢-٤ / ٢٩١ ، ٣٣٥

وكتاب "مسائل خلافية " لابي البقاء العكبري، الذي شرح كتاب المفصل، وكتاب اللباب في علل البناء والاعراب ، وغيرها .

وحملت المؤلفات النحوية التي الفت في هذا القرن، عددا ضخما من مسائل الخلاف، حتى انه يمكن القول: انه قل ان يخلو باب من ابواب النحو اشتملت عليها هذه المؤلفات من هذه المسائل.

ولم يقتصر هذا الخلاف النحوي في مسألة ما على مدرستي: البصرة والكوفة، بل تعداده الى داخل صفوف المدرسة الواحدة نفسها، فلم يعد غريبا أن تجد رجال المدرسة البصرية مثلا يختلفون في مسألة واحدة من مسائل النحو فيذهب كل منهم مذهبا يؤيده وينافح عنه، ويجتهد في سوق الأدلة العقلية والشواهد النقلية لإثبات صحته .

وقد بدأ هذا الخلاف النحوي في وقت مبكر جداً، اذ واضحا كل الوضوح في كتاب سيبويه، فمن ينظر في " الكتاب " يجد كثيرا من الخلافات بين أستاذي سيبويه: الخليل ويونس، فقد كان ليونس - كما قالوا – قياس في النحو، ومذاهب يتفرد بها [1] . كما أن كثيرا من النحاة الذين أعقبوا سيبويه خالفوه في مسائل نحوية كثيرا، فقد خالفه الأخفش الأوسط والمبرد والمازني والزجاج وابن جني والزمخشري وغيرهم . وتصاعدت حدة الخلاف بين تلاميذه ثعلب والمبرد [2]، ثم أصبح الخلاف ملازما لهذا العلم، وسجية من سجاياه، فيما تلا من عصوره .

وظلت المسائل الخلافية تنمو وتزداد، سواء بين رجال المدرستين جميعا، أو بين رجال المدرسة الواحدة، فكلما جاء علم من أعلام النحو، شمر عن ساعديه، وأضاف الى هذا الرصيد الضخم ما تفيض به قريحته، وتجود به بنات أفكاره، وربما أضاف حججا وأدلة وتعليلات جديدة، لإثبات صحة مسألة معينة سبق الاختلاف فيها، ولكنه يقف في نهاية مطافه الى جانب أحد الطرفين، فيضيف إلى حصيلة حجج هذا الطرف ما يقويها ويزيد في ثباتها أمام حجج الخصم وأدلته [3] وجاء القرن السادس من الهجرة، فوجد هذا الرصيد الكبير من المسائل الخلافية فلم يفرط بها، بل أفاد منها إفادة جليلة، إذ جعل منها دعامة قوية أقام عليها صرح الدرس

---

[1] أخبار النحويين البصريين / ٢٧ – ونزهة الألباء / ١٣١.

[2] الخلاف النحوي / ٧٥

[3] للوقوف على أمثلة من هذا الخلاف، انظر مثلا: كتاب سيبويه / ١ / ٣٠٩، ٢ /١٢٥ – والخصائص / ١ / ٢٢٥ – وأسرار العربية / ١٢٦، ١٢٧ – والأمالي الشجرية / ١ / ٤٣، ١٦٢، ١٦٥، ٢٩١، ٣٤٦، ٢ / ١٣، ٢٤٠- وامفصل / ١/ ٦٣-٢/ ٥٢٨، ٥٧٠ – ٣/ ١٠٠٣ – والخزانة / ٣ / ٢/ ٦- ٤/ ٢٩١، ٣٣٥.

النحوي . ووجد الدرس النحوي في هذه المسائل مادة علمية غزيرة أغرق بها حلقاته، وحشا بها مصنفاته، فظهرت في هذا القرن مؤلفات خاصة في مسائل الخلاف النحوي.

منها: كتاب " الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين " لأبي البركات بن الأنباري الذي عاصرالزمخشري، وكتاب " مسائل خلافية " لأبي البقاءالعكبري، الذي شرح كتاب المفصل، وكتاب، "اللباب في علل البناء ةالاعراب، وغيرها [1] . وحملت المؤلفات النحوية التي ألفت في هذا القرن، عددا ضخما من مسائل الخلاف، حتى أنه يمكن القول: إنه قل أن يخلو باب من أبواب النحو التي اشتملت عليها هذه المؤلفات من هذه المسائل .

على أن من ينظر نظرة سريعة في المؤلفات النحوية التي تم تأليفها في هذا القرن، يجد أن مؤلفيها يقفون – في الأغلب الاعم – في جانب المدرسة البصرية، ولا يكادون يتحولون عن هذا الجانب إلا في مسائل قليلة لاتتجاوز عدد أصابع اليد .

ولما كان القياس: حمل المحدث الطارئ في اللغة الكلام المسموع منها، فقد رأى النحاة أنه لابد من أ ركان معينةتتوافر فيه حتى تصبح عملية القياس ممكنة، وهذه الاركان – كما يراها النهاة – أربعة:

- أصل: وهو المقيس عليه .
- وفرع: وهو المقيس
- وحكم: وهو ما يسري على المقيس مما هو في المقيس عليه
- وعلة جامعة: وهي مايراه النحاة من أشياء استحق بها المقيس حكم المقيس عليه، أو كما يقول الأصوليون: هي الباعث على الحكم .

وبهذه الأركان الأربعة مجتمعة تتم عملية القياس، وذلك مثل أن تركب قياسا في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله، فتقول: اسم أسند الفعل إليه مقدما عليه، فوجب أن يكون مرفوعا قياسا على الفاعل، فالاصل: هو الفاعل، والفرع: هو مالم يسم فاعله، والعلة الجامعة: هي الاسناد، والحكم: هو الرفع، والاصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل، وانما أجري على الفرع الذي هو: مالم يسم فاعله، بالعلة الجامعة التي هي الأسناد [2] وعلى هذا النحو تتم عملية القياس في كل قياس من أقسية النحو . ولكل ركن من هذه الاركان الأربعة شروط ينبغي توافرها فيه حتى تصبح عملية القياس صحيحة . على أن الذي ينبغي أن يؤخذ به ويقاس

---

[1] المفصل في شرح المفصل / ق ١ / ٣٥

[2] لمعة الأدلة / ٩٣ – والاقتراح / ٣٩- وانظر: الشاهد وأصول النحو / ٢٣٣.

عليه، ماهو إلا كلام سكان البوادي الذين يوثق بفصاحتهم وصحة لغتهم، لأن سكان الحاضرة وأهل المدن قد عرض للغاتهم من الاختلال والفساد ماهو كفيل بتركها،ويرى ابن جني أنه لا يمنع أن نأخذ لغة سكان الحاضرة إن هي كانت صحيحة فصيحة، يقول في الخصائص [1]:".. ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعرض للغتهم شيء من الفساد لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر سكان البادية . وكذلك لو نشأ في لغة أهل البادية ماساع في لغة أهل الحاضرة وسكان المدن من الخلل، لوجب رفض لغتها وعدم الأخذ بها".

ويرى أيضا أنه ينبغي أن يستوحش من الأخذ عن كل أحد إلا أن تقوى لغته وتشيع فصاحته، وقد قال الفراء في بعض كلامه: إلا أن تسمع شيئا من بدوي فصيح فتقوله .."،ثم يحذر بعد ذلك من الأخذ بكل ما يسمع ويدعو إلى ضرورة التحقق مما يؤخذ، فيقول [2]: ".. فاياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه، بل تأمل حال مورده، وكيف موقعه من الفصاحة، فاحكم له أو عليه".

وهذه القاعدة التي وضعها ابن جني وحدد إطارها، وهي خلاصة طريقة البصريين في المسموع الذي نقلوه ورووه عن العرب، وبنوا عليه قواعد القياس وأحكامه في اللغة والنحو والصرف [3] .

واختلف النحاة أيضا على أي اللغات يقاس، أيقاس على كل ما سمع عن العرب الفصحاء، أم أن هنالك شروطاً ينبغي توافرها فيه؟ ثم: أيقاس على كل اللغات، ام ان هنالك لغات معينة يؤخذ بها دون غيرها ويقاس عليها ن ولغات أخرى يؤخذ بها دون ان يقاس عليها. ثم: ما مقدار ما يقاس علية: اتشترط فيه الكثرة، ام يقاس على القليل، كما يقاس على الكثير، سواء بسواء؟

لقد اباح بعض النحاة القياس على جميع كلام العرب الذي سمع منهم ، فاعتبروا كل منا كان على وزن لفظه عربية كثيرة الاستعمال قوية في القياس عربياً ، حتى ان المازني كان يرى: ان ما قيس على كلام العرب هو من كلامهم ، ويعتبر هذا مذهب الخليل نوسيبويه، فقد جاء في كتاب المنصف[4]: ".. فاذا سئلت عن مسألة فانظر: هل بنت العرب مثالها، فانا كانت بنت فبن

[1] الخصائص / ٢ / ٩- وانظر: الاقتراح / ٢٥ – والشاهد وأصول النحو / ٢٤٠

[2] الخصائص / ٢/ ١٠

[3] الشاهد وأصول النحو / ٢٤٠

[4] المنصف/ ١/ ٩٥- ٩٦

مثل ما بنت، وان كان الذي سئلت عنه ليس في ابنيه العرب فلا تبنه ، لانك انما تريد امثلتهم ، وعليها تقيس".

ووافق ابن جني واستاذه الفارسي المازني في مذهيه هذا، وفيما تقله عن الخليل وسيبويه، فقد جاء في الخصائص: "... واعلم: ان من قوة القياس عندهم ، اعتقاد النحويين: ان ما قيس على كلام العرب ، فهو عندهم من كلام العرب ، نحو قولك في قوله: كيف تبني من: "ضرب" مثل: "ضربب" ، هذا او نحو ذلك ، لم يعتقد من كلانهم العرب ، لانه قياس على الاقل استعمالا والاضعف قياسا[1] أما اللغات التي يقاس عليها فهي: ليست جميع لغات العرب، انما يقاس عليها فهي: ليست جميع لغات العرب، انما يقاس على لغات معينة منها. وكان اكثر النحاة يرون ان لغة الحجاز هي الفصحى ، وهي التي يسمونها لغة قريش[2] . وكانوا يعتمدون ايضا على القبائل التي نقلت عنها اللغة العربية وبهم اقتدي، وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، كقيس وتميم واسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الفريب، وفي الاعراب ، وفي التصريف، ثم قبيلة هذيل، وبعض كنانة ، وبعض الطائين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم[٤] ، وقد بينا هذا آنفا. فلغة قريش – وهي بعض قيس – أفصح اللغات جميعا، وهي التي يؤخذ بها ويقاس عليها، لان قريش ارتفعت في الفصاحة عن: عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوزن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء[٥] .

ويذهب ابن جني الى ان القياس انما يكون على الاكثر في الاستعمال من اللغات او من الاساليب، فان كانت اللغتان متراسلتين في الاستعمال ، اخذ بهما جميعا، يقول[٦]: " .. الا يرى ان لغة التميميين في ترك اعمال "ما" يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين في اعمالها كذلك، لان لكل واحد من القولين ضربا من القياس يؤخذ به ويخلد الى مثله ، وليس لك ان ترد احدى اللغتين احداهما فتقويها على اختها ، وتعتقد ان أقوى القياسين اقبل لها واشد انيا بها، فاما رد احداهما بالخرى فلا .." ، فالافصل في القياس اذن، ان يكون على: ما كثر وروده واستعماله في لغات العرب، وقد اعتبر النحاة ذلك اصلا في قياسهم، فان قل الاستعمال وكان لعة قبيلة لم

---

[1] الخصائص/ ١/ ١١٤، ٣٦٠- ٣٦٤

[2] الصاحبي في للغة / ٥٢- ٥٣- وانظر: البحر المحيط/ ١/ ٢٣

[٤] الاقتراح/ ١٩- ٢٠

[٥] الخصائص / ٢/ ١١- والصاحبي/ ٥٢- ٥٣

[٦] الخصائص/ ٢/ ١٠- وانظر: الشاهد واصول النحو / ٢٤٣

يتكلم اصحابها الا بهذا الاستعمال، فانه يقاس عليه. اما ان قل الاستعمال في اللغة نفسها عن استعمال آخر كثر في هذه اللغة، فانه يقاس على ما كثر استعماله منها وصفوة القول، فان الننحاة متفقون على ان ما يقاس عليه: هو الكثير المطرد في لغات القبائل العربية الفصيحة، فان قل الشئ في هذه اللغات وخالف ما عليه بقية الباب، فهو: الشاذ الذي لا يقاس عليه ، فان كان النطوق به قليلاُ،وهو كل ما تكلمت به هذه القبائب، فانه يقاس عليه عند سائر النحاة، لأنه كل ما تكلم به في بابه، فان كان لغة لقبيلة، وكان قليلا بالنسبة للغات القبائل الأخرى، فانه يقاس عليه باعتباره لغة لقبيلة معينه، وطريقة خاصة لها في التعبير . ويقال للقياسي: الأصل والمطرد والكثير والأكثر والغالب وأشباهها، مما يفيد الكثرة والقوة، كما يقال للشاذ: القليل والأقل والنادر، وأمثالها مما يفيد القلة والضعف أيضا[1] .

وهكذا، دأب النحاة على الأخذ بالقياس، حتى إذا جاء القرن السادس الهجري، كانت علوم المنطق والفلسفة وأصول الفقه قد بلغت ذروتها في النضج، وسعة الانتشار، والتأثير على العلوم الأخرى، بتحريكها في اطارها الفكري والعقلي [2]، فازداد تأثير هذه العلوم على القياس، وطبعته بطابعها في التأصيل والتفريع والمنهجية، فوضعت للقياس النحوي أحكام وأقسام هي أشبه شيء بما في كتب المنطق وأصول الفقه، فهو قياس علة، وقياس شبه، وقياس طرد [3]، واستتبت بذلك تقسيمات القياس وأنواعه وأركانه وبحوثه .

ومهما يكن من أمر، فقد أسهم القياس – ولا شك- في إقامة البناء الفكري للدرس النحوي خلال هذا القرن، فكان أحد دعائمه القوية، حتى أنه فرض نفسه في أكثر من موضوع في المؤلفات النحوية، بأقسامه المختلفة التي أوجدتها الحركة العقلية في هذا العصر . ولكن المتتبع لحركة القياس في الدرس النحوي يجد أن الذهنية البصرية هي التي كانت تعمل وتؤثر في حركته، وبالتالي، هي التي كانت توجه مسيرته داخل حلقات الدرس والتأليف [4]

وبعد،فقد وقفنا على القياس، واستعرضنا بشيء من الإيجازمواقف النحاة – على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم – منه وواكبنا مسيرته حتى القرن السادس الهجري، لنستطيع في ضوء ذلك أن نتبين موقف الزمخشري من هذا القياس، ومن كلام العربي المسموع الذي يقاس عليه، ثم

---

[1] عباس حسن / اللغة والنحو / ٣٩

[2] المفضل شرح المفصل / ق١ / ٣١ .

[3] لمع الادلة / ١٠٥ – ١٠٦ – والاقتراح / ٦١- ٦٢ .

[4] الاقتراح / ٤٦- ٦١- ودراسات في العربية وتاريخها / ٧٦

موقفه من المقيس والعلة والحكم، وكيف استطاع أن يستغل هذه الأركان جميعا في تصنيف مادته النحوية في كتاب "المفصل".

أننا نستطيع أن نقرر – ونحن مطمئنون – أن الزمخشري سار على نهج النحاة البصريين في استغلال أدلة الصناعة،و نستطيع ان نقرر ايضا أنه لا يكاد يخلو باب من الابواب النحوية و الصرفية و اللغوية في كتاب المفصل من دليل قياسي، فهو يزخر بأقيسة الخليل و سيبويه و يونس و الأخفش و المبرد و غيرهم من نحاة البصرة، يُضاف اليها أقيسة الزمخشري نفسه.

ثم ان اهتمام الزمخشري بالقياس حقيقة غنية عن الدليل، فالرجل كان رأسا في الاعتزال، و منهج المعتزلة في البحث العلمي يقوم أساسً على العقل، فهم قد درسيوا المنطق اليوناني دراسةً شاملة، و استحدثوا عِلم الكلام في الاسلام، وكانوا فرسان المناظرة و الجدل العقلي كما بينا في التمهيد لهذا البحث. و من هنا. لم يعد غريبا ان نجد أدلة الصناعة العقلية ماثلة أمامنا في كل مسألة من المسائل النحوية التي بسطها في "المفصّل.

وقد سلك الزمخشري طرقاً مختلفة في التعبير عن القياس الذي يراه هو،أو الذي يراه أصحابه البصريون، أو خصومهم من نُحاة مدرسة الكوفة. فهو يورد المسألة النحوية ثم ينصّ على أن بعض النحاة يجرونها على القياس، يقول في باب "الاسم المعرب [1]: و ما أحدُ سببية أو أسبابه العلمية، فحكمه الصّرف عند التنكير، كقولك: ربّ سعادٍ و قَطام، لبقائه بلا سبب أو على سبب واحدٍ.. و ما فيه سببان من الثلاثيّ الساكن الحَشو كنوحٍ ولوطٍ، منصرف في اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل، لمقاومة السكون أحد السببين، وقوم يجرونه على القياس، فلا يصرفونه.... ويبسط المسألة و يوضّح معناها، ثم يثبتُ الذي عليه الفصحاء من العرلاب، و يعزّز مذهبه بالشواهد الشعرية ثم يعقب ذلك بشاهدٍ شعريٍّ آخر، و يسوق رفض علمٍ من أعلام اللغة له، ثم يبيّن بعد أنّ بعض علماء النحو لا يستبعده عن القياس. يقول في باب "أسماء الأفعال و الاصوات"[2]: "المعنى شتان: تباين الشيئين في بعض المعاني و الأحوال دون المكان، و الذي عليه الفصحاء: شتانَ زيدٌ و عمروٌ، و شتان ما زيدٌ و عمروٌ، قال الشاعر:

شتّانَ ما يَومي على كورها ويومُ حيّانَ أخي جَابِر

و أما نحو قوله:

لشتّانَ ما بينَ اليزيدَينِ في النّدى يزيدَ سُلَيْمٍ و ألغرّ ابنِ حَاتمِ

---

(1) المفصل / ١ / ٤٠ – ٤١

(2) المفصل / ١ / ٤٠٥ – ٤٠٩

فقد أباه الأصمعي، ولم يستبعده بعض العلماء عن القياس".

- ويورد المسألة ويعززها بالأمثلة ثم يبين أنها قياس عند سيبويه، يقول في باب " أسماء والأفعال والأصوات " أيضا [٣]: " فعال: على أربعة أضرب: التي في معنى الأمر كنزال وتراك وبراك ونظار ... وهي قياس عند سيبويه في جميع الأفعال الثلاثية ...".

- وقد يورد الباب ويفصل القول فيه، ويختمه بمذهب سيبويه الذي ينص على أنه قياس عند بعض النحاة، وسماعي عند النحاة الآخرين . يقول في باب " المفعول معه " [١]: " وهو المنصوب بعد الواو الكائنة بمعنى: مع، وانما ينتصب إذا تضمن الكلام فعلا، نحو قولك: ما صنعت وأباك ... قال سيبويه:... الباب قياس عند بعضهم، وعند الآخرين مقصور على السماع ".

- ويسوق المسألة ويشفعها بالأمثلة والشواهد الشعرية، وينص في آخرها على أنها ليست قياسا عند سيبويه، ثم يورد ما أنكر سيبويه وأجاز المبرد . يقول في باب " الحال " [٢]: "وقد يقع المصدر حالا كما تقع الصفة مصدرا في قولهم: قم قائما ... وذلك: قتلته صبرا، ولقيته فجاءة وعيانا وكفاحا، وكلمته مشافهة، وأتيته ركضا وعدوا ومشيا، وأخذت عنه سمعا، أي: مصبورا ومفاجءا ومعاينا، وكذلك البواقي . وليس عند سيبويه بقياس، وأنكر: أتانا رجله وسرعته، وأجازه المبرد في كل ما دل عليه الفعل ".

- ويذكر المسألة ويفصل القول فيها، ويتبع ذلك بالأمثلة، ثم يختمها بقياس قول الأخفش الأوسط، يقول في باب " المنسوب " [٣]: " وما كان على حرفين فعلى ثلاث أضرب: ما يرد ساقطه، وما لايرد، وما يسوغ فيه الأمران، فالأول نحو: أبوي وأخوي ... والثاني نحو: عدى وزني، وكذا الباب، إلا ما اعتل لامه نحو: شية، فانك تقول فيه: وشوى ... والثالث نحو: غدي وغدوي، ودمي ودموي، ويدوي ... وأبو الحسن يسكن ما أصله السكون فيقول: غدوي ويديي، ومنه: ابني وبنوي، واسمي وسموي، بتحريك الميم، وقياس قول الأخفش إسكانها " .

- وقد يفتتح الفصل بما يجيزه أحد أعلام النحو في المسألة، ويذكر وجه قياسة، ويذكر وجه قياسه، ثم يعضد ذلك بما جاء في الشعر، يقول: في باب " الحروف المشبهة بافعل ": " وقد أجاز الأخفش: لعلأن زيدا قائم، قاسها على: " ليت "، وقد جاء في الشعر:

---

[٣] المفصل / ١ / ٣٩٠ - ٣٩١

[١] المفصل / ١ / ١٣٨، ١٤٣ – ١٤٤- .

[٢] المفصل / ١ / ١٥١، ١٥٤

[٣] المفصل / ٢ / ٥٧٨ - ٥٨٠

لعلك يوما أن تلم ملمة عليك من الائي يدعنك اجدعا

قياسا على "عسى".

- ويورد المسألة، ويذكر ما تقبله الكوفيون فيها، ثم يبين أن هذا التقبل بمعزل عن قياس عند أصحاب البصريين، يقول في باب "ذكر المجرورات "[٣]:".. وقضية الإضافة المعنوية ان يجرد لها المضاف من التعريف، وما تقبله الكوفيون من قولهم: الثلاثة الأثواب، والخمسة الدراهم، فبمعزل عند أصحابنا عن القياس واستعمال الفصحاء ...".

- وقد يذكر الباب ويمثل له، ثم يبين أن منه ما يعرف بالقياس، ومنه ما يؤخذ سماعا، ويحدد بعد ذلك طريق معرفة القياسي منه . يقول في باب "الاسم المقصور والممدود"[٢]: " والمقصور: ما في اخره الف، نحو العصا والرحى، والممدود: ما غي اخره همزة قبلها ألف كالرداء والكساء. وكلاهما: منه ما يكون طريقة القياس، ومنه لا يعرف لال بالسماع ، فالقياسي طريق معرفته ان ينظر الى نظيره من الصحيح ، فان انفتح ما قيل آخره فهو مقصور، وان وقعت قبل آخره الف فهو ممدود".

- وقد يفتتح الفصل بالقياس ثم يذكر ما شذ عن هذا القياس مما سمع من العرب ، من ذلك قوله في باب" أفعل التفضيل"[٣]: والقياس ان يفضل على الفاعل دون المفعول ، وقد شذ نحو قولهم: اشغل من ذات النحيين ، وازهى من ذيك، وهو أعذر منه، وألوم وأشهر وأعرف وأنكر..."

- وربما يذكر المسألة يذكر المسألة ويبين الافيس فيها، ثم يشفع مذهبه بالدليل، من ذلك قوله في باب: "الادغام"[٤] " والطاء والتاء والظاء والذال والثاء ستتها يدغم بعضها في بعض، وفي: الصاد والزاء والسين: والاقيس في المطبعة اذا ادغمت تبقية الاطباق، كقراءة أبي عمرو ك "فرطت في جنب الله"

- وقد يصدر الحكم في المسألة، ثم يسوق ما يخالف هذا الحكم من شعر مروي عن العرب، ويبين انه لا معرج عليه للقياس، ويلتمس العذر للقائل بما يتفق ورأي البصريين. يقول في باب" هاء السكت": "وحقها ان تكون ساكنة، وتحريكها لحن، ونحو ما في اصلاح ابن السكيت من قوله:

يا مرحباه بحمار عفرا

---

(١) المفصل / ١/ ٢١٨

(٢) المفصل / ٢/ ٦٠٨

(٣) المفصل/ ٢/ ٦٥٩- ٦٦٩- وانظر ايضا: ٦٥٥

(٤) المفصل/ ٣/ ١٢٧٦

يا مرحباه بحمار ناجيه

ما لا معرج عله للقياس، واستعمال الفصحاء. ومعذرة من قال ذلك: انه اجرى الوصل مجرى الوقف مع تشبيه هاء السكت بهاء الضمير".

- وقد يصف القياس بالمتلئب، يقول في باب "المنسوب"[1]: "وتقول في:نمر وشعره الدئل ، ونحوها مما كسرت فينه: نمرى وشقرى ودؤلي- بالفتح- قياس متلئب...".

- وربما يعبر عن القياس بعبارات اخرى يفهم من خلالها انه انما يريد القياس، من ذلك قوله في باب "المصدر"[2]: "ويجرى في اكثر الثلاثي المزيد فيه، والرباعي على سنن واحد وذلك قولك في أفعل: إفعال، وفي افتعل: افتعال..".

- وقد يعبر عن القياس بعبارة: "ومما يجرى هذا المجرى" أو ما يشبهها ، ومن امثلة ذلك قوله في باب" الاختصاص"[3]: "وفي كلامهم ما هو على طريقة النداء، ويقصد به الاختصاص لا النداء وذلك قوهلم: أما أنا فأفعل كذا ايها الرجل، ونحن نفعل كذا أيها القوم.. ومما يجري هذا المجرى قولهم: إنا معشر العرب نفعل كذا، ونحن آل فلان كرماء.."

- وقد يعبر عنه بالمطرد كقوله في باب" إبدال الحروف"[4]: "والياء أبدلت من اختيها ومن الهمزة، ومن أحد حرفي التضعيف.. فابدالها من الالف في نحو: معيتح ومفاتيح، وهو مطرد ، ومن الواو نحو: ميقات وعصي وادل وقيام... وهو مطرد ، وفي نحو: صبية وثيرة وعليان... وهو غير مطرد..."

- وموقف الزمخشري من المقيس عيه، لا يكاد يختلف في شئ عن مواقف من سبقوه من نحاة البصرة، فالمقيس عليه عنده: هو كلام العرب الذين يوثق بفصاحتهم وصفاء لغتهم ، وأفصح اللغات عنده: لعات قريش وتميم وأسد وقيس وطيئ وبعض هذيل، ويلي هذه اللغات: ما كثر استعماله، واطرد وروده، وشاع واشتهر من كلام العرب الذين صحت السنتهم ن وصفت عروبتهم/ وقد أشرنا الى ان النحاة احتموا بالكلام العربي اهتماما كبيرا . فجمعو واطالوا النظر فيه، وصنفوه، وميزاوي غثه من سمينه، وجعلوه الاساس الذي اقاموا عليه صرح قواعد النحو

---

[1] المفل/ ٢/ ٥٦٦- ٥٦٧

[2] المفصل/ ٢/ ٦١٦

[3] المفصل/ ١/ ١٠٩- وانظر: ٣١١، ٤٣٧- ٢/ ٥٠٦، ٨٢٦، ٨٥٢

[4] المفصل/ ٣/ ١١٤٣- ١١٤٤

والصرف، وقاسوا على مثاله ما جد على اللغة من الفاظ وتراكيب. وقام ابن هشام وغيره من النحاة المتأخرين بتقسيم هذا الكلام الى: مطرد وغالب وكثير ونادر، وما الى ذلك من تقسيمات.

وقد استخدم الزمخشري – كغيره من النحاة- هذا التقسيمات وغيرها في "المفصل"، واعتبر كثر النظائر هي الاصل الذي يقاس عليه ، فهو يورد المسألة ويبين انها مطردة ثم يشفعها بالامثلة، يقول في باب" زيادة الحروف" والتاء اطردت زيادتها اولا في نح: تفعيل وتفعال وتفعل وتفاعل وفعليهما، وآخر في التأنيث والجمع..."[1].

- وقد يذكر المسألة وينص على انها على ضربين: ضرب يجري على القياس، وآخر معدول عنه، من ذلك قوه في باب "المنسوب"[2]: "... والنسبة: مما طرق على الاسم لتغييرات شتى، لانتقاله بها عن معنى الى معنى، وحال الى حال. والتغيير على ضربين: جاريةعلى القياس المطرد في كلامهم، ومعدولة عن ذلك...".

- وقد يعبر عن المطرد بالكثير المستمر ، يقول في باب " حروف الاضافة"[3]: "... وتحذف حروف الجر فيتعدى الفعل بنفسه، كقلوله تعلى: "واختار موسى قومه سبعين رجلاً" ، وقوله"

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا هب الرياح الزعازع

......وتقول: استغفر الله ذنبي، ومنه: دخلت الدار، وتحذف مع "أن" و "أن" كثيرا مستمرا،

- ويعبر عنه احيانا بقوله: "العرب تقول" ، "أو" روى الثقات عن العرب" "أو" وقد التزم " او غير ذلك من العبارات التي يفهم منها معنى الاستمرار، يقول في باب "المذكر والمؤنث"[4]: "... وعن ابي عثمان المازني: العرب تقول: الاجذاع انكسرن، لادنى العدد، والجذوع انكسرت.....".

- ويقول في باب "المضمرات"[5]: "...وقد روى الثقات عن العرب: لولاك ولولاي، وعساك وعساني....".

وجاء في باب " المبتدأ والخبر" [6]:" ويجوز تقديم الخبر على المبتدأ، كقولك: تميمي أنا ... وقد التزم تقديم فيما وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظرفا، وذلك قولك: في الدار رجل ....".

---

[1] المفصل/ ٣/ ١١٢٥

[2] المفصل/ ٢/ ٥٦٤

[3] المفصل/ ٢/ ٨٧٨، ٨٨٠

[4] المفصل/ ٢/ ٥٣٢

[5] المفصل/ ١/ ٣٣٢

[6] المفصل / ١/ ٥٦، وانظر: ٥٩، ٦٨

- أما " الغالب ": وهو القسم الثاني عند ابن هشام فقد استخدامه صاحب المفصل في مواضع قليلة من كتابه، من ذلك مثلا قوله في باب " الفعل الثلاثي ":" وفعل: يؤاخي أفعل في التعدية، نحو: فرحته وغرمته، ومنه: خطأته وفسقته ... ومجيئة للتكثير هو الغالب عليه، نحو قولك: قطعت الثياب، وغلقت الأبواب، وهو يجول ويطوف، أي: يكثر الجولان والطواف...".

- واستخدم الزمخشري:" الكثير "- وهو القسم الثالث عند ابن هشام - في مواضع كثيرة من المفصل، يقول في باب " من المنصوب باللازم اضماره [1]:" وحذف المفعول به كثير، وهو في ذلك على نوعين:

أحدهما: أن يحذف لفظا ويراد معنى وتقديرا .

والثاني: أن يجعل بعد الحذف نسيا منسيا كأن فعله من جنس الأفعال غير المتعدية كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل للمفعول به ....".

ويقول في باب " الكنايات " [2]:" والخبرية - يعني: كم - مضافة إلى مميزها عاملة فيه عمل كل مضاف في المضاف إليه، فاذا وقعت بعدها "من" وذلك كثيرا في استعمالهم، منه قوله تعالى:" وكم من قرية "، "وكم من ملك في السموات "، كانت منونة في التقدير، كقولك: كثير من القرى ومن الكلائكة، وهي عند بعضهم منونة أبدا، والمجرور بعدها بإضمار: من ".

وقد يصف هذا الكثير بالشيوع، يقول في باب " المذكر والمؤنث " [3]:" ودخولها - يعني تاء التأنيث - على وجوه: للفرق بين المذكر والمؤنث في الصفة كضاربة ومضروبة وجميلة، وهو الكثير الشائع، وللفرق بينهما في الاسم كامرأة وشيخة وانسانة وغلامة ورجة وحمارة وأسدة وبرذونة وهو قليل،....".

وقد يعبر عنه بلفظ " الأكثر " أحيانا، فقد جاء في باب " الاسم المجموع " [4]:" ويقال في: أفعل وفعول من العتل اللام: أدل وأيد، ودلي ودمي، فقالوا: نحو وقنو، والقلب أكثر ....".

وجاء في باب " ابدال الحروف " [5]:" والصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال، جاز إبدالها زايا خالصة في لغة فصحاء من العرب ... وأن يضارع بهاالزاي ... قال سيبويه: والمضارعة أكثر

---

(1) المفصل / ١ / ١٣٠ - ١٣١ .

(2) المفصل / ٢ / ٤٦١ - ٤٦٢ .

(3) المفصل / ٢ / ٥٢٥ .

(4) المفصل / ٢ / ٤٩٤ - ٤٩٥ .

(5) المفصل / ٣ / ١١٧٥، ١١٧٧

وأعرب من الإبدال، والبيان أكثر ..". و الجملة تقع حالاً، ولا تخلو من أن تكون اسميّة أو فعلية، فإن كانت اسمية فالواو، الا ما شذ من قولهم: كلّمته فُوهُالى فيّ . و ما عسى أن يعثر عليه الندرة .

وقد يعبّر عن " النادر " بألفاظ وعبارات معينة، مثل: " غريب"، وضعيف "و" لم يجيء غيره "و" عن ناسٍ من العرب " وما الى ذلك . يقول " باب " الادّغام[1] " و افتعل: اذا كان بعد تائها مثلها، جاز فيه البيان و الادغام .. و تقلب مع تسعة احرف، اذا كُنَّ قبلها: مع الطّاء و الظّاء و الصّاد و الضّاد ": طاءً ، ومع الدّال و الزاي الذال: دالا و مع الثاء و السين: ثاءً و سيناً، فأما مع الطاء فتدغم ليس الا .. و مع الضاد تُبيّن و تدغّم بقلب الطاء: ضادا، كقولك: اضطرب و اضّرب، ولا يجوز اطّرب، وقد حُكي: اطّجع في: اضطجع وهو في الغرابة ك " الطجع ..

وجاء في باب المنصوب ب "لا" التي لنفي الجنس [2]: .. فان جاء –يعني: اسم " لا" – مفصولا بينه و بين " لا " أو معرفة: وجبَ الرفعُ و التكرير كقولك: لا فيها رجلُ ولا إمرأة، ولا زيدٌ فيها ولا عمرو ... كقوله:

وأنت امرؤٌ منّا خُلقتَ لغيرنا حياتُك لا نفعٌ وموتكَ فاجعُ

وقوله: ... ضَعيف، لا يجيْ إلا في الشعر .

وجاء في باب الجموع [3]: و الجمع بالواو و النون فيما كان من هذه الصفات للعقلاء الفذكور غير ممتع كقولك: صعبون ... و أما جمع المؤنث منها بالأف و التاء فلم يجيء فيه غيره، و ذلك نحو: عَبلاتٍ وحلواتٍ ...

وجاء في باب القول في الواو و الياء الى: عَينين [4]و قد حوّلو عند اتصال ضمير الفاعل: فَعَلَ من الواو الى: فَعُل، ومن الياء فَعِلَ، ثم نُقلت الضمة أو الكسرة الى الفاء . فقيل: قُلتُ وقُلن، و بِعتُ و بِعنَ، و لم يحوّلو ا في غير الضمير إلاّ ما جاء من قول ناسٍ من العرب: كِيدَ يَفعلُ ذاك، وما يزيل يفعلُ ذاك .

وأكثر الزمخشري من استخدام " الشاذ " في أثناء تصنيف مادته النحوية و الصرفية، إذ ورد في خمسة و أربعين موضعا من المفصّل، و هذا يفسّر لنا منهج البصريين في القياس، فكثرة

---

[1] المفصل / ٣/ ١٢٧٩ -١٢٨٢
[2] المقصل / ١ / ٢٠٩ – ٢١٢
[3] المفصل / ٢ / ٤٨٩
[4] المفصل / ٣ / ١١٨٩

الامثلة و النظائر: هي الاصل الذي يقاس عليه في عرفهم، أما الكلام المسموع الذي تقلّ نظائره، فإنهم يؤولونه ليتفق مع القواعد التي قعّدوها، فإن أعياهم التأويل فإنهم يحكمون بأنه ضرورةٌ إن كان شعراً، و الا فإنهم يرفضونه و يحكمون بشذوذه .

ويقصد بالشاذ: ما خالف ما عليه القياس، أو ما خالف ما عليه الباب، أو ما كان خارجا عن طريق الكلام و سبيله [1] فترى الزمخشري يُثبت الحكم في المسألة ثم يذكر ما شذّ نحو: أقوسُ و أثوبُ و أعينُ و أنيبُ ...

وقد يفتتح الباب بالقياس، ويعُزّز القاعدة التي و ضعها بالأمثلة، ثم يذكر بعض ما يشذّ عن هذه القاعدة يقول في باب " أفعل التفضيل [2] ": قياسه: أن يصاغ من ثلاثيّ غير مزيد فيه مما ليس بلون ولا عيبٍ، فلا يقال في: أجابَ و انطلقَ، ولا في: سَمُرَ و عَوَرَ: هو أجوبُ منه وأطلق، ولا: أسمرُ منه و أعورَ، و لكن يتوصّل الى التفضيل في نحو هذه الافعال: بأن يصاغ " أفعلَ " مما يُصاغ منه، ثم يميّز بمصادرها، كقولك: هو أجودُ منه إجابةً و أسرعُ انطلاقا . و اشدّ سُمّرةً . و أقبحُ عوراً . و مما شذّ من ذلك: هو أعطاهم للدينار و الدرهم،و أولاهم للمعروف، و أنتَ أكرمُ لي من زيدٍ، أي أشدّ إكراما ...".

وربما يسوق ما أثبت سيبويه من المسألة لينفذ من خلاله إلى ما أثبت الكوفيون، ثم ينص على شذوذه عند البصريين، يقول في باب " الموصولات " [3]:" ولم يثبت سيبويه " ذا بمعنى: " الذي "، إلا في قولهم:" ماذا "، وقد أثبته الكوفيون، وأنشدوا:

عدس مالعباد عليك إمارة   أمنت وهذا تحملين طليق

أي: والذي تحميلنه طليق، وهذا شاذ عند البصريين ".

قال ابن الحاجب [4]:"ماذكره الكوفيون ليس يثبت، لخروجه عن القياس، ولقلته ".

ويذكر الحكم في المسألة ويتبع ذلك الأمثلة، ثم يذكر ماشذ عنه، فقد جاء في باب " القول في الواو والياء عنيين " [5]:" وأما الأسماء المزيد فيها، فأنما يعل منها ما وافق الفعل في وزنه، وفارقه:

---

[1] الشاهد و اصول النحو / ٢٦٧
[2] المفصل / ٢ / ٤٩٤
[3] المفصل / ١ / ٣٧٢- ٣٧٣ .
[4] الايضاح شرح المفصل / ١٧٧.
[5] المفصل / ٣/ ١٢٠٢.

إما بزيادة لاتكون في الفعل كقولك: مقال ومسير ومعونة . وقد شذ نحو: مكوزة ومزيد ومريم ومدين ومشورة ومصيدة، والفاكهة مقودة إلى الأذى ...".

وقد يثبت الحكم في المسألة ويذكر أن مخالفة ذلك خروج عن كلام العرب، ثم يستشهد بشعر يخالف الحكم ويبرر هذه المخالفة بأنها ضرورة شعرية، من ذلك قوله في باب " حكم أوائل الكلم"[1]:".. واثبات شيء من هذه الهمزات في الدرج خروج عن كلام العرب ولحن فاحش، فلا تقل: الإسم والإنطلاق والإقتسام والإستغفار، ومن إبنك، وعن إسمك، وقوله: إذا جاوز الأثنين سر فأنه من ضرورات الشعر ..".

وربما يعبر عن " الشاذ " بألفاظ أخرى،فقد جاء في باب " زيادة الحروف "[2]:"والهاء: زيدت زيادة مطردة في الوقف، لبيان الحركة أو الحرف المد، في نحو: كتابيه ... وغير مطردة في جمع" أم " وقد جاء بغير هاء، وقد جمع بين اللغتين من قال:

إذا الأمهات قبحن الوجوه　　　فرجت الظلام بأماتكا

وقيل: قد غلبت الأمهات في الأناسي، والأمات في البهائم ... وفي كتاب العين: تأمهت، وهو مسترذل ".

قال ابن القواس[3] :"... وأما: أمهة وتأمهت فشاذان..".

- أما المقيس، وهو الركن الثاني من أركان القياس فقد بينا أن النحاة الأوائل كانو يرون أن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، واشترطوا أن يكون كلام العرب الذي يقاس عليه صحيحا فصيحا مقبولا في استعمالهم، وله معنى في كلامهم . وأمثلة المقيس كثيرة في " المفصل "، من ذلك قوله في باب:" المتعدي وغير المتعدي " [4]:"والأفعال المتعدية الى ثلاثة أضرب: ضرب منقول بالهمزة عن المتعدي الى مفعولين، وهو فعلان: أعلمت وأريت .... وضرب متعدٍ إلى مفعول واحد، وقد أجري مجرى " أعلمت " لموافقة له في معناه، فعدي تعدية، وهو خمسة أفعال: أنبات ونبأت وأخبرت وخبرت وحدثت ...".

- وقوله في باب " الاسم المصغر " [5]:"..ولا يصغر إلا الثلاثي والرباعي، وأما الخماسي فتصغيره

---

(١) المفصل / ٣/ ١١١٠- ١١١٢

(٢) المفصل / ٣/ ١١٢٦- ١١٢٨

(٣) شرح الدرة الألفية / ١١٠٠.

(٤) المفصل / ٢/ ٧٦٦

(٥) المفصل / ٢/ ٥٤٢ – ٥٤٣ .

مستكره كتكسيره، لسقوط خامسه، فان صغر قيل في فرزدق: فريزد، وفي جحمرش: جحمير .
ومنهم من قال: فريزق وجحيرش – بحذف الميم – لأنها من الزوائد، – والدال – لشبهها بما هو منها وهو التاء .
والأوائل: الوجه، قال سيبويه: لأنه لايزال في سهولة حتى يبلغ الخامس ثـم يرتدع،فانماحـذف لذي ارتدع عنده ....".
وقوله في باب "فعلا المدح والذم "[1]: "وفي ارتفاع المخصوص بالمدح مذهبان: أحدهما: أن يكون مبتدأ خبره ما تقدمه من الجملة، كأن الأصل:زيد نعم الرجل .
والثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: نعم الرجل هو زيد، فالأول محمول علـى كـلام، والثاني على كلامين".
وقوله في باب:" الوقف "[2]: "وتاء التأنيث في الأسم المفـرد تقلـب هـاء في الوقـف، نحـو: غرفـة وظلمة، ومن العرب من يقف عليها: تاء ... وهيهات: إن جعل مفردا وقف عليه بالهـاء، والا فبتاء . ومثله في احتمال الوجهين: استأصل الله عرفانهم وعرفاتهم".
وقوله في باب" القسم "[3]:"وتحذف الواو، ويعوض منها حرف التنبيه في قولهم: لاهـا الله ذا،...
وفي: لاها الله ذا، لغتان: حذف ألف"ها" واثباتها، وفيه قولان:
أحدهما: قول الخليل أن " ذا " مقسم عليه، وتقديره: لا والله للأمرذا، فحذف " الأمر " لكثرة الاستعمال، ولذلك لم يجز أن يقاس عليه فيقال: ها الله أخوك، على تقدير: ها الله لهذا أخوك .
والثاني: وهو قول الأخفش: إنه من جملة القسم توكيد له، كأنه قال: ذا قسمي، قال: والدليل عليه أنهم يقولون: لاالله ذا لقد كان كذا، فيجيئون بالمقسم عليه بعده".
ويقول في باب" القول في الواو والياء فاءين "[4]: "واذا بني " افتعل " من: أكل وأمر، فقيل: ايتكل وايتمر، لم تدغم الياء في التاء، كما ادغمت في: اتسر، لأن الياء ههنا ليست بلازمة، وقول من قال: اتزر: خطأ".

وأما اركن الثالث من أركان القياس، ونعني به الحكم، فقد عرفنا أنه: ما يسري على المقيس مما هو في المقيس عليه . وقد وضع النحاة لهذا الركن شروطا يصح بها ولا يثبت بغيرها،

---

(1) المفصل / ٢ / ٨١٧ – ٨١٨ .
(2) المفصل / ٣ / ١٠٦١، ١٠٦٣
(3) المفصل /٣ / ١٠٧٩ – ١٠٨٠ .
(4) المفصل / ٣ / ١١٨٤

ولكنهم اختلفوا في هذه الشروط اختلافا كبيرا [1]، والذي عليه أكثر النحاة أن شرطه:أن يكون ثبت استعماله عن العرب .

وقد تعدادت الأحكام التي أطلقها النُحاةُ على القواعد النحوية، والعلَّ أهم ما اتفقوا عليه منها: الواجب والجائز والممنوع والحسن والقبيح وخلاف . يضاف الى ذلك أنهم قسموا الأحكام أيضا إلى رُخْصةٍ وغيرها، ويعنون بالرخصة: ما جازَ استعماله لضرورة الشعر .

ومن يُمعن النظر في هذه الأحكام، يتبين له بوضوح أن النحاة المتأخرين قد تأثروا فيها بعلماء أصول الفقه، أثبت الأصوليون هذه الأحكام جميعاً حين بحثوا الحكم الشرعي، وأحكام الوضع، والحسن والقبح، وغيرها من البحوث [2] .

على ان هذه الاحكام التي ذكرها النحاة المتأخرون ، وافاضوا في الحديث فيها، وبينوا ما يجوز منها ويثبت، وما لا يجوز، وما الى ذلك ، قد استخدمها الزمخشري كغيره من النحاة فقد زخر كتاب "المفصل" بمثل هذه الاحكام، حتى اننا نستطيع ان نقول: انه لا يخلوا باب من الابواب التي بحثها من حكم او اكثر منها، واولها:

- الواجب: يقول في باب "افعل التفضيل" [3]: "وتعتبروهحالتان متضادتان: لزوم التنكير عند مصاحبة "من" ولزوم التعريف عند مفارقتها، فلا يقال: زيد الافضل من عمرو، ولا: زيد أفضل. وكذلك مؤنثه وتثنيتهما وجمعهما، لا يقال: فضلى، ولا: أفضلان،ولا: فضليان، ولا: أفاضل، ولا: فضليات، ولا: فضل، بل الواجب تعريف ذلك باللام أو بالاضافة،كقولك: الافضل والفضلى ، وأفضل الرجال، وفضلى، وأفضل الرجال، وفضلى النساء"

وقد ساق ثلاثة احكام في مسألة واحدة، كما جاء في باب "الفعل المنصوب"[4]

مع هذه الاحرف الأ"اللام" اذا كانت لام "كي" فان الاضهار جائز معها، وواجب اذا كان الفعل الذي تدخل عليه "لا" كقولك: لئلا تعطيني، واما اللم المؤكدة ، فليس معها إلا التزام الاضمار.

---

[1] اذا أردت التفصيل في موضوع الحكم هذا، فانظر: الخصائص / ١ / ٢٠٨ – ٢١٠، ٢ / ٣٥٧– ٣٥٩، ٣/ ١٥٧– ١٦٤ – والاقتراح / ٤٥ – ٤٦ – والشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه / ٢٧٧– ٢٨٣

[2] انظر مثلاً: كتاب الشخصية الآسلامية / ٣ / ٣١ / – ٥٧, ١١٤ – ١٨٨، ٧٣١ – ٣٣٤

[3] المفصل/ ٢/ ٦٦٠–٦٦١

[4] المفصل/ ٢/ ٧٣١

وقد يستعمل ألفاظا وعبارات أخرى تدل على حكم الوجوب، مثل: "أبوا الا" و "ليس الا" و "لا غير"، و"لا بد"، و "التزم" و "حقه"، و"حكمه"، وما الى ذلك، فقد جاء في باب خبر "ما" و"لا" المشبهيتين بـ "ليس"[1]: "و" لا": التي يكسعونها بالتاء هي المشبهة ب – ليس" بعينها، ولكنهم أبوا إلا أنْ يكون المنصوب بها حيناً، قال الله عزوجل:" ولات حينَ مناصٍ" أيْ: ليس الحينُ حينَ مناصٌ.

وجاء في باب القول في الواو و الياء عينين [2] و تقول فيما لم يسمّ فاعله: قيل و بيع و قيل و بيع بإلاشمام، و قول و بوع بالواو. و كذلك: اختير و انقيد له، و تكسر و تشمّ، وتقول أختور بالواو، وانقود له. وفي: فُعلتَ من ذلك. عُدتَ مرِيضُ، و اخترت يا رجلِ – بالكسر و الضم الخالصين والاشمام. و ليس فيما قبل ياء: أقيم وأستقيم، و إلا الكسر الصّريح.

وقال في باب " الموصولات "[3] وذا استفهم بها عن نكرة في وصل، قيل لمن يقول: جاءني رجل ك أيّ بالرفع، ولمن يقول: رأيتُ رجلاً: أيا، بالنصب، و لمن قال: مررتُ برجل: أيّ بالجر، وفي التثنية والجمع في الأحوال الثلاث: أيّان و أيّون وأييّن و أيين، و في المؤنث: أيّةٌ و ؟أيّاتٌ ... و كذلك " من " في قولك: منْ زيدٌ ؟ و منْ زيداً ؟ ومن زيدٍ ؟ مَنْ الاسم بعده فيه: مرفوعا المحلّ، مبتدأ و خبراً، ويجوز إفراده على كل حال، و أنْ يقال: أيا، لمن قالَ: رأيتُ رجلين أو أمرأتين، أو رجالاً أو نساءً. ويقال في المعرفة اذا قال: رأيت عبد الله: أيّ عبدُ اللهِ ؟ بالرفع لا غير.

وقال في باب " حرفا الشرط [4] .. و ان كان الجزاء أمرا، أو نهياً، أو ماضياً صحيحاً، أو مبتدأ أو خبراً، فلا بدّ من الفاء، كقولك: إن أتاك زيدٌ فأكرمه، و ان ضربك فلا تضربه، و إن أكرمتني اليوم فقد أكرمتك أمس، و إن جئتني فأنت مكرمٌ.

ويقول في باب " أفعل التفضيل " [5]: و ل " آخر " شأن ليس لاخواته، وهو أنه التزم فيه حذف " من " في حال التنكير تقول: جاءني زيدٌ و رجلٌ آخر، و مررت به و بآخر ...

وجاء في باب " الفاعل " [6] " هو ما كان المسند اليه من فعل او شبه مقدما عليه أبداً، كقولك: ضرب زيد، وزيد ضارب غلامه، وحسن وجهه. وحقه الرفع، وارفعه ماأسند أليه .."

---

(1) المفصل/ ١/ ٢١٥

(2) المفصل / ٣ / ١١٩٠

(3) المفصل / ١ / ٣٧١ – ٣٧٢

(4) المفصل / ٣/ ٩٨٧

(5) المفصل / ٢ / ٦٦٥

(6) المفصل / ١/ ٤٤.

وجاء في باب " الممنوع من الصرف "[1]:".. وما أحد سببه أو أسبابه العلمية: فحكمه الصرف عند التنكير كقولك: رب سعاد وقطام، لبقائه بلا سبب، أو على سبب واحد ..".

- والحكم الثاني: الجائز، وقد ورد في مواضع كثيرة من المفصل بألفاظ مختلفة مثل: جاز وأجاز وجوز وأستجيز، ويجود، وجواز، وغير ذلك . يقول في باب " المبتدأ والخبر "[2]:" وذا تضمن المبتدأ معنى الشرط جاز دخول الفاء على خبره، وذلك على نوعين: الاسم الموصول، والنكرة الموصوفة، اذا كانت الصلة أو الصفة فعلا أو ظرفا، كقول الله تعالى:" الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية، فلهم أجرهم عند ربهم ".

وكقولك: كل رجل يأتيني، أوفي الدار، فله درهم ".

ويقول في باب " الفعل المنصوب "[3]:"... وتقول: كان سيري حتى أدخلها، بالنصب ليس إلا، فان زدت أمس، وعلقته ب "كان"، أو قلت: سيراً متعباً، أو: أردت "كان " التامه، جاز فيه الوجهان، وتقول: أسرت حتى تدخلها، بالنصب، وأيهم سار حتى يدخلها ؟

بالنصب والرفع ".

وجاء في باب " حروف النفي "[4]:" وان: بمنزلة "ما" في نفي الحال،وتدخل على الجملتين: الفعلية ولاسمية كقولك: ان يقوم زيد، وان زيد قائم ... ولا يجوز إعمالهم عمل"ليس " عند سيبويه، وأجازه المبرد ".

وجاء في باب " اسم الفاعل "[5]:" قال سيبويه: وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء الفاعل، ويريد، نحو: شراب وضروب، ومنحار .. وحكي عن بعض العرب: إنه لمنحار بوائكها، وأما العسل فأنا شراب ... وجوز: هذا ضروب رؤوس الرؤجال، وسوق الإبل ".

ويقول في باب "الحال"[6]:" والجملة تقع حالاً، ولاتخلو من أن تكون اسمية أو فعلية ... ويجوز اخلاء هذه الجملة عن الراجع الى ذي الحال، إجراء لها مجرى الظرف، لانعقاد الشبه بين الحال وبينه، تقول: أتيتك وزيد قائمٌ، ولقيتك والجيش قادم ".

---

[1] المفصل / ١ / ٤٠ .
[2] المفصل / ١/ ٦٢.
[3] المفصل / ٢/ ٧٣٥
[4] المفصل / ٢ / ٩٣٨.
[5] المفصل / ٢/ ٦٣٦، ٦٣٩ – ٦٤٠ .
[6] المفصل / ١/ ١٦٤، ١٦٦.

وجاء في باب " الفعل المجزوم" [(١)]: " ويجزم بـ"إنْ" مضمرة إذا وقع جوابا لأمر، أو نهي، أو استفهام، أو تمن، أوعرض ... وجواز إضمارها، لدلالة هذه الأشياء عليها، قال الخليل إن هذه الأوائل كلها فيها معنى "إن"، فلذلك: انجزم الجواب ".

وقد يستخدم ألفاظا وعبارات أخرى يفهم منها حكم الجواز، نحو قوله:" يحتمل الأمرين" و"غير ممتنع "، و"سوغ "، وغيرها . من ذلك قوله في باب " الفعل المبني للمفعول " [(٢)]: ".. وأما سائر المفاعيل فستوية الأقدام لا تفاصل بينهما إذا اجتمعت في الكلام، في أن البناء لأيها شئت صحيح غير ممتنع، تقول: استخف بزيد استفافا شديدا يوم الجمعة أمام الأمير، إن أسندت الى الجار مع المجرور، ولك أن تسند الى: يوم الجمعة، أو إلى غيره وتترك ما عداه منصوبا ".

ومن ذلك أيضا قوله في باب " النون المؤكدة" [(٣)]:".. وطرح هذه النون سائغ في كل موضع إلا في القسم، فإنه فيه ضعيف، وذلك قولك: والله ليقوم زيدٌ".

- والحكم الثالث: الممنوع أو الممتنع: وقد أصدر الزمخشري هذا النوع من الحكم على كثير من المسائل النحوية والصرفية التي أوردها في "المفصل "، من ذلك قوله في باب " الصفة "[(٤)]:" ومن حق الموصوف أن يكون أخص من الصفة، أو مساوياً لها، ولذلك امتنع وصف المعرف باللام: بالمبهم، وبالمضاف إلى ماليس معرفا باللام، لكونهما أخص منه، نحو: جاءني الرجل صاحب عمرو".

ويقول في باب " الفعل المبني للمفعول " [(٥)]:" وللمفعول به النمتعدى اليه بغير حرف من الفضل على سائر ما بني له،أنه متى ظرف به في الكلام، فممتنع أن يسند إلى غيره، تقول: دفع المال إلى زيد، وبلغ بعطائك خمسمائة، برفع " المال وخمس المائة ". ولو ذهبت تنصبهما مسندا إلى: زيدا وبعطائك، قائلا: دفع الى زيد المال، وبلغ بعطائك خمسمائة، كما تقول: منح زيد المال، وبلغ عطاؤك خمسمائة، خرجت عن كلام العرب ...".

وجاءفي باب " زيادة الحروف " [(٦)]:" والألف لا تزاد أولاً، لامتناع الابتداء بها ...".

[(١)] المفصل / ٢/ ٧٤٩.

[(٢)] المفصل / ٢/ ٧٧٢ .

[(٣)] المفصل / ٣ / ١٠٢٢- وانظر: ١/ ٥٨، ٦٩ .

[(٤)] المفصل / ١ / ٢٨٤ - ٢٨٥

[(٥)] المفصل / ٢ / ٧٧١ .

[(٦)] المفصل /٣/ ١١١٨.

واستعمل الزمخشري ألفاظا وعبارات تدل على حكم المنع كقوله:" لايجوز "و " وليس لك أن "و"مما لا يعمل عليه " و"بمكان من الإحالة "، وغيرها . من ذلك مثلا، قوله في باب " حرفا الاستفهام "[1]:" وللاستفهام صدر الكلام، لايجوز تقدم شيء مما في حيزه عليه، لاتقول: ضربت أزيداً، وما أشبه ذلك ".

ويقول في باب " المفعول معه "[2]:" وليس لك أن تجره حملاً على المكني، فاذا جئت بالظاهر، كان الجر الاختيار كقولك: ما شأن عبد الله وأخيه يشتمه ؟ وما شأن قيس والبر تسرقه ؟ والنصب جائز ".

- أما الحكم الرابع، فهو: الحسن، وقد استخدمه الزمخشري بهذا اللفظ ست مرات في المفصل،إلا أنه ساق ألفاظا وعبارات أخرى يفهم منها هذا الحكم، نحو قوله:" وهوالصحيح" و" أجود الوجهين،"والمختار " و " جيد"، وغير ذلك . يقول في باب " المنسوب "[3]: "والياء المكسورة ما قبلها في الآخر، لاتخلو من أن تكون ثالثة أو اربعة أو خامسة فصاعداً، فالثالثة تقلب واواً كقولك: عموي.. وفي الرابع وجهان: الحذف، وهو أحسنهما والقلب، كقولك: قاضيّ وحَانيّ، وقاضوي وحانوي....".

ويقول في باب " الافعال الناقصة "[4]:" وفصل سيبويه في تقديم الظرف وتأخيره بين اللغو منه والمستقر فاستحسن تقديمه إذا كان مستقرا، نحو قولك: ما كان فيها أحد خير منك، وتأخيره كان لغوا، نحو قولك: ماكان أحد خيراً منك فيها ..".

- وجاء في باب "المصغر": "والواو: اذا وقعت ثالثة وسطا، كواو: أسود وجدول، فأجود: أسيد وجديل....".

- والحكم الخامس، هو: القبيح، وقد ورد بهذا اللفظ مرتين في المفصل، يقول في باب"الحال"[5]: "وتنكير ذى الحال قبيح، إلا اذا قدمت عليه ، كقوله:

لعزة موحشاً طلل قديم ... عفاه كل أسحم مستديم

---

[1] المفصل / ٣/ ٩٨٤، وانظر: ١/ ٦٢، ٢٣٢، ٢٣٦- ٢/ ٧٥٠، ٧٨٣، ٨٩٨- ٣/ ١٢٨٣ .

[2] المفصل / ١ / ١٤٢- وانظر أيضا: ٢٢٣، ٢٣٥، ٣١٢.

[3] المفصل / ٢ / ٥٧٢ – ٥٧٣.

[4] المفصل / ٢ / ٨٠١ – ٨٠٢.

[5] المفصل/ ١/ ١٦٢

- ووردت في المفصل ألفاظ كثيرة يفيهم منها حكم القبح، كقوله: " مستكره"و" مسترذل"و" "رديء" و "غريب" و"ضعيف" و "تعسف"،فقد جاء في باب "فعلا التعجب" " .... واما: أكرم بزيد، فقيل: أصله: اكرم زيد، أي: صار ذا كرم، كأغد البعير اي: صار ذا غدة، الا انه اخرج على لفظ الامر ما معناه الخبر، كما اخرج على لفظ الخبر ما معناه الدعاء في قولهم: رحمة الله، والباء مثلها في: كفى بالله، وفي هذا صار ذا غدة الدعاء في قولهم: رحمة الله، والباء مثلها في: كفى بالله، وفي هذا ضرب من التعسف..."

- اما الحكم السادس ، فهو ما أطلق عليه: على خلاف الاولى، ولم اعثر في "المفصل" على هذا الحكم بنصه، ولعل الزمخشري استعاض عن هذا اللفظ باستعمال لفظ آخر، هو "الشذوذ"، فان ما شذّ عن القواعد التي قعدها النحاة، يعتبر على خلاف الاولى في عرفهم، يدل على ذلك قوله في باب "الامالة" [(١)] "وانما تؤثر الكسرة قبل الالف اذا بقدمته بحرف كعماد ، أو بحرفين أولهما ساكن كشملال.فاذا تقدمت بحرفين متحركين او بثلاثة احرف، كقولك: أكلت عنباً، وفتلت قنباً، لم تؤثر، وأما قولهم: يريد أن ينزعها ويضربها وهو عندها، وله درهمان، فشاذّ ، والذي سوغه أن الهاء خفية، فلم يعتد بها"

- وقوله في باب "الفعل الثلاثي " [(٢)]: "... وأما: فعل يفعل، فليس بأصل، ومن ثم لم يجئ إلا مشروطاً فيه أن تكون عينه أو لامه أحد حروف الحلق: الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين، الا ما شذ من نحو: أبي يأبى، وركن يركن...".

على ان الزمخشري استخدم عبارات تفيد معنى هذا الحكم، نحو قوله: "الاصل فيه..." وعدل عن ..." و" لأداء حذفها الى الالباس"[(٣)] و "وانحراف الشاعر عما عليه الاستعمال وما الى ذلك. يقول في باب "الفعل المرفوع" ، "وقولهم: كاد زيد يقوم، وجعل زيد يضرب، وطفق يأكل، الأصل فيه أن يقال: قائماً وضارباً آكلاً، ولكن عدل عن الاسم الى الفعل لغرض"[(٤)] .

- ويقول في باب "حروف الاستقبال ": "وان": تدخل على المضارع والماضي ، فيكونان معه في تأويل المصدر، وذا دخل على المضارع ، لم يكن معه الا مستقبلا كقولك: أريد ان تخرج ، ومن ثم بد في خبر "عسى" . ولما انحرف الشاعر في قوله:

---

(١) المفصل / ٣/ ١٠٣٩

(٢) المفصل/ ٢/ ٨٢٩- ٨٣٠

(٣) المفصل/ ٣/ ١١١٢

(٤) المفصل/ ٣ / ١٠٣٩

عسى طيئ من طيئ بعد هذه   ستطفئ غلات الكلى والجوانح

كما عليه الاستعمال، جاءبالسين التي هي نظيرة: أن ".

- اما حكم الرخصة فقد استعمله الزمخشري كثيراً في "المفصل" ، شأنه في ذلك شأن سائر النحاة الذين سبقوه والذين عاصروه، من ذلك مثلا: قوله في باب "توابع المنادى"[1] "والوصف بابن وابنة كالوصف بغيرهما، اذا لم يقعا بين عليمن، فان وقعا: أتبعت حركة الاول حركة الثاني... تقول: يا زيد بن عمرو، ويا هند ابنة عاصم. وقالوا في غير النداء ايضا اذا وصفوا .. هذا زيد بن عمرو، وهند ابنة عاصم، وكذلك النصب والحر فاذا لم يصفوا ، فالتنوين لا غير. وقد جوزوا في الوصف: التنوين في ضرورة الشعر: كقوله:

جارية من قيس بن ثعلبة"

العلة:

وتعتبر العلة الركن الرابع والاخير من اركان القياس، وهي: الباعث الذي يحمل العلم النحوى على اصدار الحكم في المسألة النحوية، وذلك باعطاء المقيس عليه ، وقد اشترطوا فيها ان تكون هي الموجبة للحكم في المقيس عليه[2] . مثال ذلك: ان للفاعل وضعا خاصا في الجملة ، فاذا تحقق مثل هذا الوضع في أية كلمة، صارت "فاعلاً" واستحقت الرفع، ففي قولنا: "سافر زيد" مثلا ، فان كلمة "زيد" قد دلت على من وقع منه الفعل، وكل كلمة توفر فيها هذا الشرط . فانها تكون " فاعلاً" ، فالباعث الذي جعلنا نعتبر "زيد فاعلا هنا: وهو وقوع الفعل منه، ولذلك حكمنا له بالحكم النحوي الذي هو الفاعلية، ثم نقول: ان نكلمة "زيد" مرفوعة ، لذلك: حكمنا لكلمة " زيد" بالحكم الذي هو الرفع[3] وكانت العلة في بادئ الامر فطرية، يدركها العرب من خلال سياق كلامهم بفطرتهم، اذ كان عملهم كله وليد قرائحهم.

وكانت تعتمد حينذاك على الشواهد الكثيرة والحس السليم والفطرة، ولم يكن للمنطق ومذاهبه وقواعده اثر فيها ، او علاقة تربطه بها من قريب او من بعيد ، كما ان لم تكن موصع بحث ومحل دراسة وتقعيد، فقد ذكر الزجادي ان الخليل بن احمد قد سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له: عن العرب اخذتها، ام اخترعها من عند نفسك؟ فقال: ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وعامت في عقولها علله، وان لم ينقل ذلك عنها ،

---

[1] الفصل/ ٣/ ٩٧٨

[2] الاقتراح/ ٥٢

[3] الشاهد واصول النحو / ٣١٧

واعتللت انا بما عندي انه علة لما عللته منه ، فان اكن اصبت العلة فهو الذي التمست[١] وكان عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي صاحب الفضل الاول في تعليل النحو وذكر اسباب اعرابه[٢] ثم اخذه عنه تلاميذه فتوسعو فيه ، وأعطوه من عنايتهم ومجهوداتهم شيئاً كثيرا. وحين جاء الخليل وضع كثيرا من علل النحو[٣] وتوسع فيها توسعا لفت اليه انظار معاصريه[٤] ويرى مازن المبارك ان تعليلات الخليل قريبة من روح اللغة وانه كان ملتزما موافقه الاعراب للمعنى، ومن ثم لم يكن لنحوى ان يجيز وجوهاً من الاعراب متعددة دون مراعاة المعنى، وكانت علله تبدو على صورة أقرب الى الجزم والتقرير، ومع هذا هي بعيدة عن الخيال والافتراض[٥] وجاء بعد الخليل تلميذه سيبويه، فنهد استاذه، وأثرى كتابه بالقياس والعلل، وقد استعمله في مهارة وكثرة، فهو يولد من الشئ أشياء، ويعلل ويقيس، وذكرنا عمله بتفريع الحنفيه وتعليلها وقياسها[٦] . وتتبع العلل في "الكتاب" ظاهر في ملاحقته استاذه الخليل بالأسئلة الكثيرة، إذ كمان يعتمد في استنباطها على ما وقر في نفسه، وعلق في ذهنه من سلامة ذوق العرب، ورهافة حسهم، وحبهم التخفيف من الثقيل، مكما انه يذكر العلل دون ان يشير الى انه يعلل، ا و ينبه على ذلك صراحة كما فعل النحاة من بعده[٧] . وكان الخليل – كما يبدو –سبباً في انتشار ظاهرة التعليل النحوى وتوسعها وتعميمها، فقد أخذت المدارس النحوية جميعا بمبدأ العلية، فكل حكم نحوي يعلل ، وكل ظاهرة نحوية كليةأو جزئية، لا بد لها من علة عقلية اوجدتها. ولم يكتف النحاة بما قرب وسهل من العلل، وانما ظفقوا يغوصون على كوامن العلل وخفياتها ودقائقها، وكل نحوي كوفي أو بصري، يجري ملكاته الذهنية، ومواهبه العقلية في استنباط علل جديدية لم يعلل بها السابقون على حسب ما استخزن عقله من قوة البرهان وحشي من عمق الدلالة[٨] . وهكذا فتح باب التعليل امام النحاة على مصراعيه ، فأخذ كل متعمق في علم انلحو مه يستنبط ما يستطيع من غرائب ونوادر لم يقفوا بها عند احكام الاعراب الظاهرة، بل

---

(١) الايضاح في فلل النحو / ٦٦– والاقتراح / ٥٧.

(٢) نزهة الاباء/ ٢٣– وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان / ٢/ ١١٣– وتطور الدرس النحوى / ٧١– ٧٢

(٣) نزهة الالباء/ ٢٥

(٤) الشاهد واصول النحو / ٣١٧

(٥) النحو العربي/ ٥٧– ٥٨

(٦) ضحى الاسلام/ ٢/ ٢٩٢

(٧) مازن المبارك / النحو العربي/ ٦٤–٦٦

(٨) الشاهد واصول النحوي / ٣١٨– وترزى/ في أصول اللغة والنحو/ ١٣١

داروها في واقع الكلام الاعرابي، وتجادلوا فيها طويلا مفضين في كثير من جدلهم الى فوض وهمية ادت – مما ادت اليه- الى تعقيد مصنفاتهم تعقيداً شديداُ

وحتى غدا كثير من مباحثها عسيراً[1] . واستفحل امر ظاهرة التعليل في القرن الثالث وما بعده، ومما ساعد على ذلك، امتزاج علم النحو بالمنطق آنذاك، امتزاجاً اعتبره السيرافي من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة، ويتبين ذلك واضحاً عند الرماني الذي دأب على مزج النحو بالمنطق حتى قال فيه نده ومعاصره ابو على الفارسي- وهو من كبار النحاة في القرن الرابع-: ان كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وان كان النحو ما نقوله نحن، فليس معه منه شيء[2] وكان ابن جني احد العلماء البارزين الذين اهتموا بأمر العلة اهتماما بالغا، وبرز هذا الاهتمام عنده في كتاب "الخصائص" حيث ساق فيه ابوابا تناولت طاهرة التعليل من نواح متعددة، وجوانب مختلفة[3] وكان يرى ان التعليل النحوي اشبه ما يكون بتعليل المتكلمين، يقول في الخصائص[4]: "اعلم ان علل النحويين اقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين، وذلك انهم يحيلون على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك انها انما هي اعلام وامارات لوقوع الاحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا، بخلاف النحو، فانه كله لو غالبه مما تدرك علته وتظهر حكمته..."

وصرف كثير من النحاة مجهودهم الى البحث والتأليف في العلة، وكان في مقدمة هؤلاء جميعا- فيما نعلم- تلميذ سيبويه: محمد بن المستنير المعروف بقطرب ت: ٢٠٦هـ ، ثم نواتر التأليف في العلة خلال القرون: الثالث والرابع والخامس الهجرية. وحين جاء القرن السادس، كانت الكتب التي عنيت بهذهالظاهرة كثيرة كثرة تلفت النظر[5] ، وفي هذا الفرن بذات اعني

---

[1] الشاهد واصول النحو/ ٣١٨

[2] نزهة الالباء/ ٣٩٠- وانظر: عباس حسن / اللغة والنحو/ ٢٢- ومن اسرار اللغة / ١٨٤- والمخزومي/ في النحو العري/ ٢٦- وتظور الدرس النحوي / ٧١- ٧٥- ومحمد عيد/ اصول النحو العربي/ ٧٧- والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٧٤- وابو عمر بن العلاء ومذهبه في النحو/ ٢٢٠

[3] من هذه الابواب مثلا: باب تخصيص العلل/ ١/ ٤٤، تعارض العلل- ١/ ١٦٦، العلة وعلة العلة- ١/ ١٧٣ ، حكم المعلول بعلتين – ١/ ١٨١، دور الاعتلال – ١/ ١٨٣

[4] الخصائص/ ١/ ٤٨- وانظر: الالقتراح / ٤٦- ٤٧

[5] من هذه الكتب على سبيل المثال: "علل النحو" للمازني معجم الادباء/ ٧/ ٢١٨- و"المختار في علل النحو" لمحمد بن كيسان ت: ٣٢٠هـ، معجم الادباء/ ٦/ ٢٨٢- و"الايضاح في علل النحو" للزجاجي ت: ٣٤٠ (مطبوع) – و "المجموع على العلل " لمحمد بن علي العسكري المعروف بمبرمان ت: ٣٤٠هـ معجم الادباء / ٧/ ٢٤٣

القرن السادس، ألف أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الانباري ت: ٥٧٧هـ: كتاب "اسرار العربية" ، ثم عززه بكتابين آخرين هما: "الاغراب في جدول الاعراب"،"لمع الادلة في اصول النحو" . ولم يتوقف امر التأليف في العلة عند العلماء هذا القرن، بل استمر الاهتمام بها، والبحث فيها فيما جد من قرون، فها هو ذا جلال الدين السيوطي ت: ٩١١ هـ يطالعنا في القرن العاشر بكتابه: "الاقتراح في اصول النحو" وعنيت هذه الكتب او معظمها باصل العلة واقسامها وانواعها وشروطها وصفاتها، وما تثبت به وتصح ، وما يتعارض منها، وانواع هذا التعارض، كما بحثوا في مسالكها وطرق اخذها، بضيق بها الصدر، من ذلك مثلا أن: أبا عبد الله الحسين بن موسى الدينورى، قد جعل في كتابه: "ثمار الصناعة" اعلالات النحاة صنفين: علة تطرج على كلام العرب وتنساق الى قانون لغتهم ، وعلة تظهر حكمتهم، او تكشف عن صحة اغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم، ثم نص على ان الاولى اكثر استعمالا واشد تداولا عندهم، وقسمها الى اربعة وعشرين نوعا. وقام بعض العلماء بشرح هذه الانواع والتمثيل لها، ومنهم من صرح بعجزه عن فهم بعضها، فقد جاء في الاقتراح: "قال التاج بن مكتوم:.... واما علة التحليل فقد اعتاص على شرحها، وفكر ت فيها اياما فلم يظهر لي فيه شئ . وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ: قد رأيتها مذكورة في كتب المحققين كابن الخشاب البغدادي ، حاكياً لها عن السلف ، نحو: الاستدلال على اسميه"كيف" ينفي حرفيتها...".

وبهذا ، يمكن ان تعتبر ظاهرة التعليل من اهم مظاهر التطور، ان لم تكن اهمها على الاطلاق ، حيث استحوذت على عقلية النحاة ، واستنفذت الكثير من طاقاتهم ، وتغلغلت في المسائل النحوبة كلية كانت ام جزئية، وصارت تلقائيا النمط المميز والطابع العام لثقافة العصر واتجاهه وانتاجه. وبذلك حمل النحاة قواعد النحو من العلل اكثر مما تحتمل، واسرفوا في طلبها كثيرا فتجاوزا بها الحد الذي كان ينبغي ان تقف عنده ، فخرجت بهذا عن البساطة والعفوية اللتين عرفت بهما في بداية القول فيها[1] ويرجع حسن عون ذلك لسببين:

اولهما: يأس العلماء بعد سيبويه من الوصول الى جديد في موضوع النحو.

والثاني: اتساع نطاق الدراسة المنطقية والمباحث الفلسفية، ومحاولة المثقفين ان يظهروا بمظهر العرفين بالفلسفة الاغريقية، وتطبيق حدودها وقوانينها على معارفهم ، كل في ميدان تخصصه[2] .

---

[1] انظر: مدرسة البصرة/ ٢٨٣- وابن يعيش وشرح المفصل/ ٢٠٦

[2] تطور الدرس النحوي/ ٨٢

وأدى هذا الاغراق في التعليل الى تشعب البحث النحوي وتعقد دراسته تعقدا لا فائدة فيه لمن يتعلم اللغة العربية حتى انتهى الامر الى ان ذهب بعض النحاة مذاهب غريبة في افتعال العلل لكل ظاهرة نحوية او لغولة ا صرفية، وهكذا احلت الدراسة التعليلية في النحو محل الدراسة الموضوعية الوصفية ، وغزت المصطلحات المنطقية والفلسفية ميدان النحو وتحولت مباحثه الى ما يشبه القضايا التجريدية حتى كادت المادة اللغوية والنحوية تختفي في غمرة هذه التعليلات والمناقشات والخلافات والتجريدات[1] . ولم يكن صاحب "المفصل: مقصراً عن أقرانه في هذا المجال ، فقد اهتم بـأمر اللعة كما اهتم غيره من النحاة ، واولاها قسطا وافرا من العناية ، فحفلت ابواب"المفصل" وفصوله بأنواع كثيرة منها، وقد ذكرها بعض هذه العلل كأمن اللبس، والشذوذ والضرورة ، والكثرة، واجراء الشئ مجرى الشئ الآخر في اثناء حديثنا عن القياس فيما مضى من صفحات ، ولذلك . فسوف نتجاوز عن اعادة التمثيل لها. كما ان استقصاء سائر انواع العلل التي وردت في "المفصل" استقصاء شاملا، من شأنه ان يغرقنا في بحر الاطالة، وعليه ، فقد آثرنا ان نقتصر على ذكر قسم منها- على سبيل التمثيل- لنعطي صورة واضحة الملامح عن اسلوب الزمخشري في تعليل قواعد ومسائله واحكامه ، فمن أمثلة هذه العلل:

- الخفنة: وهي من العلل المهمة التي يراعيها العرب، إذ كانوا يجدون في طلبها ، وخاصة فيما يكثر تردده على ألسنتهم، لتمضي حركة اللسان به دون تعثر، فلا يكون مستثقلا تنفر منه الاسماع. يقول في باب "التقاء الساكنين"[2]: "ولقد جد في الهروب من التقاء الساكنين من قال: دأبة وشابة".

وجاء في باب "الادغام"[3]: "... ولأن المتصل- يعني: الضمير- أخضر ، لم يسوغوا تركه الى المنفصل، إلا عند تعذر الوصل...".

- والاستغناء: يقول في باب "المضمرات" [4]: "والكاف: للتشبيه، كقولك: الذي كزيد أخوك ... ولا تدخل على الضمير استغناء عنها بـ"مثل" وقد نحو قول العجاج:

---

[1] انظر: عباس حسن / اللغة والنحو/ ١٣٣- ١٣٥ ، وتطور الدرس النحوى/ ٧٢، وتـرزي / في اصـول اللغـة والنحـو / ١٧٩، والشاهد واصول النحو/ ٣٤٧.

[2] المفصل/ ٣/ ١١٠٥

[3] المفصل/ ٣/ ١٢٥٩- ١٢٦٠- وانظر: ١١١٠

[4] المفصلم١/ ٣١٣

وأم أو عالٍ كها أو أقربها

- وعدم البدء بالساكن: يقول في باب "المثنى": والبناء على السكون هو القياس، والعدول عنه الى الحركة لاحد ثلاثة اسباب: للهرب من التقاء الساكنين في نحو: هولاء ، ولئلا يبتدأ بساكن لفظاً أو حكماً كالكافين: التي بمعنى: "مثل" والتي هي ضمير ..."

- والاتباع: جاء في باب "الادغام"[1] .

- والتشاكل والشبه: جاء في باب "المنصوب على الاستثناء[2]": "وحكم " غير" في الاعراب حكم الاسم الواقع بعد "الا"... وقالوا: انما عمل فيه غير المتعدي لشبهه بالظرف لابهامه".

وقال في باب "الامالة" [3]: "والشمس وضحاها" وهي من الواو، لتشاكل: "جلاها" و "يغشاها".

- والحمل على المعنى: جاء في باب "المجموع": "ويحمل الشئ على غيره في المعنى فيجمع جمعه، نحو قولهم: مرضى وهلكى.... حملت على: قتلى وجرحى ... ونحوها مما هو: "فعيل" بمعنى: مفعول".

- والحمل على المحل: فقد جاء في باب "المشبه بالفعل"[4]: .. و لأنّ محلّ المكسورة و ما عملت فيه الرفع، جاز في قولك: إن زيداً ظريفٌ و عمراً و" إن بشراً راكبٌ لا سعيداً، أو بل سعيداً، أن ترفع المعطوف حملا على المحل" ..

والحملُ على اللفظ: قال في باب " المنصوب ب "لا" التي لنفي الجنس [5] وفي صفة المفرد وجهان:

أحدهما: أن تبنى معه الفتح كقولك: لا رجلَ ظَريفَ فيها .

و الثاني: أن تعرب محمولةً على لفظه أو محلّهِ، كقولك: لا رجُلَ ظريفاً فيها أو ظريفٌ .. و الحمل على النقيض: جاء في باب " خبر" لا " التي لنفي الجنس [6] وقول حاتم: ولا كريمَ من الوِلدَانِ مصْبوحُ

يحتمل أمرين:

أحدهما: أنْ يُترَكَ فيه طائِيّتَهُ الى اللغة الحجازية .

---

[1] المفصل/ ٣/ ١٢٧٩- ١٢٨٠- وانظر ايضا: ١١٠٢.

[2] المفصلم٢/ ١٨٣- وانظر ايضا:٧٠

[3] المفصل/ ٣/ ١٠٤٧

[4] المفصل / ٢ / ٨٩٤

[5] المفصل: ١ / ٢٠٦

[6] المفصل / ١ / ٦٩

و الثاني: أن لا يجعل "مصبوحا " خبرا، ولكن صفةً محمولةً على محلّ " لاً" مع النفي، و ارتفاعه بالحرف أيضاً، لأن "لا" محدّ بها حذوّ "إنّ" من حيث أنها نقيضتها، ولازمة للأسماء لزومها .

و الحملُ على النظير: جاءَ في باب " حروف العطف ":" و لكنْ: إذا عُطفَ بها مفردٌ على مثله كانت للاستدراك، بعد النفي خاصة، كقولك: ما رأيتُ زيداً لكن عمراً . و اما في عطف الجملتين فنظيره "بل" في مجيئها بعد النفي و الإثبات .

ومما يجدر التنبيّه اليه أنّ علل: حمل الشيء على الشيء قد وردت في مواضع كثيرة من المفصل و يبدو أن النحاة قد أهتموا بمثل هذه العلل اهتماما واضحاً، فقد ذكر ان الحمل على المعنى كثير في العربية [1] .

العامل:

العامل في اصطلاح النحاة: " هو موجب لتغييرٍ في الكلمة على طريق المُعاقَبَةِ لاختلاف المعنى "[2] أو " هو الامر الذي يتحقق به المعنى للآعراب "[3] أو: هو ما اوجب كوْن آخر الكلمة على وجه مخصوص "[4] و معنى هذا ان العامل عندهم: هو ما يدخل على الكلمة العربية فيحدث تأثيرا في آخر هذه الكلمة: رفعاً أو نصباً أو أجرا أو جزماً . وفكرة العامل و ملاحظته في الكلام العربي، و بيان أثره في هذا الكلام، هي فكرةٌ قديمةٌ، نشأت مع النحو منذ نشأته [5]،و استقرت في أذهان النحاة بعد الخليل بن أحمد، إذ اتفق البصريون و الكوفيون على السواء، على الأخذ بها "[6]، فَمن ينظر في كتاب سيبويه – أقدم مُصنّفٍ نحوَيّ يصلُ الينا – يلمس أثر هذه الفكرة و اضحة فيه [7] .

وحين تقدم الزمن، تحولت هذه الفكرة بمجهود النحاة الى نظريةٍ منطقية تقوم على وجهة نظر معينة، و أخذتْ توجّه علم النحو وجهةً مخصوصةً، و تتحكم في قواعده و مسائله تحكّما تعسفياً، حتى غدت مِحور جَدلٍ بين النحاة، إذ يرجع النّزاع في كثيرٍ من المسائل النحوية او

---

[1] شرح المفصل / ٥ / ٧١، ٨١ – و انظر: الخصائص / ٢ / ٤٢٣ .

[2] الرماني / كتاب الحدود / ٤ .

[3] ابن الحاجب / الايضاح شرح المفصل / ٢٠ أ .

[4] كتاب التعريفات / ١٢٦ .

[5] الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٦٣ – ٢١٩ .

[6] ابن يعيش و شرح المفصل / ٢٢٦ .

[7] انظر مثلا: الكتاب / ١ / ٢٠ / ٣٧ / ٤٦ / ٩٩ / ١٢٠ و غيرها .

رفضها، أو ترجيحها على مسألة اخرى، كان يتمّ على اساس هذه النظرية، فأمسى العامل و كأنه علّة" حقيقية في علم النحو، تؤثّر وتوجّه و تمنع يقول الرضي: وهم – يعني النحاة – يجرون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية . و يقول السيوطي قال ابو البقاء في – التبيين: العامل مع المعمول كالعلة العقلية مع المعلول .

واختلف النّحاة في العامل و المعمول اختلافاً كبيراً، فلا نكاد نجد باباً من أبواب النحو، ويكون للعامل فيه أثرٌ واضحٌ و يكثر فيه إختلاف النّحاة، و يذهبكلّ منهم مذهباً، فهذا يجعلُ العامل معنوياً، و ذاك يجعله لفظياً، و ذلك يجعله ما قبله من: فعلٌ أو كلامٍ أو أداة [1] .

وقد حاول ابن مضاء أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الظاهري القرطبي (ت: ٥٩٢ هـ) في كتابه:" الرد على النحاة " أن يهدم نظرية العامل، و يلغي العلل الثواني و الثوالث، و القياس، و التقديرات و التأويلات . وكانت محاولته هذه استجابه للمذهب الظاهريّ في أصول الفقه، الذي يقوم على وجوب إلغاء القياس و التعليل في سائر الأحكام الشرعية، و الاخذ بمظاهر النص الشرعي [2] . قصدي من هذا الكتاب ان أحذف ما يستغني النحويّ عنه، و أنبّه على ما اجمعوا على الخطأ فيه، ومن ذلك ادّعاؤهم ان النصب و الخفض و الجزم لا يكون إلا بعاملٍ لفظي، أن الرفع منها ما يكون بعامل لفظيّ و بعامل معنويّ . و قال في موضع آخر من الكتاب "[3]: و مما يجب ان يسقط من النحو: العلل الثواني و الثوالث، و ذلك مثل سؤال السائل عن " زيدٌ ط من قولنا: قامَ زيدٌ " لِم رفع ؟ فيقال لأنه فاعلٌ، و كل فاعلٍ مرفوعٌ، فيقول: و لم رفع الفاعل ؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقتْ به العرب، ثبت ذلك بالأستقراء من الكلام المتواتر " . و يرى ابن مضاء ان اجماع النحاة على رأيٍّ لا يعتبر حجة يقول [4]: .. فإن قيل: قد أجمع النحويون على بكرة أبيهم على القول بالعوامل، و ان اختلفوا فبعضهم يقول: العاملُ في كذا: كذا، و بعضهم يقول: العامل في كذا: ليس كذا، و انما هو كذا .. قيل إجماعُ النحويين ليس حجّة على من خالفهم ..

ويعد عمل ابن مضاء القرطبي خطوةً جليلةً في تطور علم النحو، إذ أراد الرجل أن يحرر هذا العلم من كابوس نظرية العامل هذه ليريح النحاة أولا، و كلّ من يدرس علم النحو

---

[1] أبو حيان النحوى / ٣٩٧ .

[2] انظر ابو حيان النحوي / ٣٩٧ – ومن اسرار اللغة / ١٩٦ .

[3] الرد على النحاة / ١٥١

[4] الرد على النحاة / ٩٣ – وانظر: ٩٦ – ٩٧ .

بعد ذلك من أدران التعقيدات والخلافات التي تطيل المسائل النحوية طولاً يبعث الضجر في نفس القارىء من جهة، و يبعد الدارس عن إمكان تتبع قواعد هذا العلم و قضاياه من جهةٍ أخرى .

ولكن مما يؤسف له أنّ محاولته البناءة هذه كانت صيحة في وادٍ، فلم تلقَ آذاناً صاغية من جمهرة النحاة، ولم يؤخذ بها من جاءوا بعده، بل ظلّ النحاة سادرين في خلافاتهم و تعقيداتهم .

ومهما يكن من أمرٍ فقد قسم النحاة العوامل الى: عوامل قياسية و سماعية و لفظية و معنوية [١] . ثم وضعوا لهذه الاقسام شروطا محددة، و مواصفات خاصة . منها:

اولاً: عوامل الاسماء لا تعمل في الافعال، و عوامل الافعال لا تدخل على الاسماء [٢]، وهذا متفق عليه عند البصرييثن و الكوفيين جميعاً، إلا أننا نجدُ أن "كي" من عوامل الاسماء و الافعال عند البصريين، فهي تنصب بنفسها في مثل: جئت لكي استفيد، وتجرّ بنفسها اذا دخلت على "ما" الاستفهامية في نحو: كيمةٌ بمعنى: لِمَ، و نجدُ "حتى" من عوامل الافعال و الاسماء عند الكوفيين، فهي تنصبُ الفعلَ المضارع بنفسها في نحو قوله تعالى "حتى يقولَ الرسولُ .. و تجرّ الاسماء في مثل قوله تعالى: "حتى مطلع الفجر" [٣]

والاختصاص: فالحرف يعمل اذا كان مختصاً بالمعمول، فحروف الجرّ مُختصة بالأسماء، و حروف الجزم مختصة بالدخول على الافعال [٤] و بذلك رجحوا لغة تميم في إهمال "ما" التي تعمل عمل ليس" عند اهل الحجاز، و قالوا: ان لغة تميم أقي، و بذا قال الزمخشري نفسه [٥] .

- ووجوب تقدم العامل على المعمول[٦] ، فان قيل لهم: فما تقولون في نحو: من تكرم أكرم"، وذلك ان كلا من اسم الشرط "من" والفعل، عامل ومعمول في آن واحد، فهل يصح ان تكون الرتبة متقدمة متأخرة في آن واحد؟ أليس ذلك تناقضا؟ فزعوا الى تأويل والتخريج البعيد[٧].

- وان كل علامة من علامات الاعراب اثر للعامل، ان كان موجوداً فهو عامل لفظي، وإلا فهو عامل معنوي، ولذلك كالابتداء عند البصريين.

---

(١) التعريفات / ١٢٦ – ١٢٧

(٢) انظر: المقتضب / ٣ / ٢٦٣ – و الانصاف في مسائل الخلاف / مسألة: ٧٨ – ٧٩ – و الاشيباه و النظائر

(٣) الدراسات النحوية و اللغويه عند الزمخشري / ٦٨

(٤) شرح المفصل / ١ / ٦ – ٧ / ١٢

(٥) اعجب العجب / ٤٦

(٦) الاشباه والنظائر/ ١/ ٢٤٨

(٧) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٦٦

- ومنع عمل العاملين في معمول واحد، وللذلك أوجدوا باب التنازع في نحو قولهم: "جاء ورجع زيد".

- ولا يعمل الشئ في نفسه ، لأنه محال[١].

- والاصل في الاسماء ألا تعمل[٢] ، وأصل العمل للفعل، وما بعمل عمله من الاسماء فمشبه به، ومن أجل ذلك قاموا بتحديد الاسماء التي تعمل الفعل. وهذا القول ليس فمشبه به ، ومن أجل ذلك قاموا بتحديد الاسماء التي تعمل عمل الفعل. وهذا الكتاب ليس على اطلاقة ، فهم قد أعملوا المضاف في المضاف اليه، نحو: "هذا كتاب زيد" ، وأعملوا المميز في التمييز[٣] وعوامل النصب والجزم لا تدخل على العوامل[٤] قال فاضل السامرائي[٥] " ولست ادري ما يراد بهذا القول علما بان ذلك وارد بكثرة في القرآن الكريم،: "وان لم تغفر لنا وترحمنا"،ونحو قوله: "فان لم تفعلوا ولن تفعلوا" ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى: اليست عواملل النصب والجزم تدخل على الافعال امهات العوامل. "

- والعامل في "الحال" هو العامل في "ذي الحال"[٧] .

- حذف العامل[٨]:

- قالوا: لما كانت قرائن الاحوال تغني عن اللفظ ، ولما كان المراد من اللفظ الدلالة على المعنى اذا ظهر بقريبته لم يعد ثمة حاجة الى اللفظ، فان أتي به جاز، وان لم يؤت به فللا ستغناء عنه، ولذلك يجوز حذف العاملن وجعلوا هذا الحذف ثلاثة أضرب:

* ضرب لا يجوز حذف العامل فيه.
* وضرب يجوز واثباته
* وضرب يحذف ولا يجوز اثباته.

- وقالوا: عوامل الافعال ضعيفة فلا يجوز حذفها.

---

(١) الانصاف في مسائل الخلاف/ ٢٢٩١

(٢) شرح المفصل/ ١/ ٨٥

(٣) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٦٨

(٤) الانصاف في مسائل الخلاف/ ٢/ ٢٩٠

(٥) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٦٨

(٧) ابنت يعيش وشرح المفصل/ ٢٣٢

(٨) ابن يعيش وشرح المفصل/ ٢٣٠- وانظر: المفصل / ١/ ١٦٧- والانصاف في مسائل الخلاف/ ٢/ ٢٩٦- وشرح المفصل لابن يعيش / ٢/ ٢٧، ٢٥

- ومنعوا ظهور العامل في "الأمثال العربية" لانها لا تغير، واعتبروا ظهور العامل ظرباً من التغيير.
- وأجازوا حذف العامل تخفيفاً لكثرة الاستعمال، نحو: "اخذته بدرهم فصاعداً" أي: أخذته بدرهم فذهب الثمن صاعداً، واعتبروا "الثمن" صاحب الحال، و"ذهب" العامل في الحال.
- وقالوا: قد يكثر حذف العامل حتى يصير من الاصول المرفوضة، كما هي الحال في التحذير الى غير ذلك من الشروط والمواصفات التي وضعوها لنظرية العامل، وأخذوا يرجحون ويقبلون ويرفضون بموجب هذه النظرية ، واستعانوا بها أيضاً لنظرة العامل، وأخذوا يرجحون ويقبلون ويرفضون بموجب هذه النظرية ، واستعانوا بها أيضا على تعيين نوع الكلمة العربية، أهي اسم ام فعل ام حرف ، فابن هشام مثلاً يرجح أن "لما" حرف لا ظرف، واستدل على حرفيتها بقوله تعالى" فلما قضينا عليه الموت ما دلهم" قال[١]: "فلو كانت ظرفا لاحتاجت الى عامل يعمل فيها النصب، وذلك العامل اما "قَضَينا" أو "دلهم"، بطل ان يكون "قضينا" لانه مضاف اليه ، والمضاف اليه لا يعمل في المضاف، وكذلك بطل ان يكون "دلهم "لان " ما" النافيه لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، واذا بطل ان يكون لها عامل ، تعين انه لا موضع لها من الاعراب ، وذلك يقتضي الحرفية".
ووقف ابو القاسم الزمخشري من نظرية العامل هذه، موقف غيره من النحاة الذين سبقوه والذين عاصروه[٢] ، وغزز هذا الموقف عنده مذهبه الاعتزالي، اذ كان المعتزلة كما بينا مولعين بالتعليل والتأويل، والعامل في حد ذاته عله من العلل النحوية. ومن هنا، فقد كان طبيعياً ان يظهر اثر مذهبه الفكري واضحاً في آرائه العلمية، فيتناول المسائل في كتاب "المفصل" وفي غيره من مصنفاته العديدة بالقبول والرفض، والتجويز والترجيح على اساس نظرية العامل[٣] وما يهمنا في هذا الموضوع هو موقفه من هذه النظرية في كتاب"المفصل" دون غير ، لانه هو وحدة موضوع دراستنا واهتمامنا، وعليه فسوف نسوق من الامثلة من هذا الكتاب، ما يكفي لاعطاء فكرة جليلة عن مدى اهتمام الزمخشري بهذه النظرية ، من ذلك:
- انه يرى ان اختلاف اواخر الكلم المعربة لفظاً او محلاً، يرجع الى اختلاف العوامل الداخلة عليها، يقول في باب "الاسم المعرب"[٤]: و" الاسم المعرب" ما اختلف آخره باختلاف العوامل

[١] قطر الندى/ ٤٣– وانظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٦٩
[٢] انظر: المفضل شرح المفصل/ ق١/ ٣٩
[٣] انظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ٢١٩-٢٣٤
[٤]:المفصل/ ١/ ٥٣

لفظا او محلا بحركة او بحرف، فاختلافه لفظا بحركة في كل ما كان حرف اعرابه صحيحا او جارياً مجراه، كقولك: جاء الرجل، ورأيت الرجل، ومررت بالرجل. واختلافه لفظا بحرف في ثلاثة مواضع: في الاسماء الستة مضافة وذلك نحو: جاءني أبوه ... وفي: "كلا" مضافا الى مضمر، تقول: جاءني كلاهما،ورأيت كليهما، ومررت بكليهما، وفي التثنية والجمع على حدها، تقول جاءني مسلمان ومسلمون.. واختلافه محلا في نحو: العصا وسعدى"

- انه يذهب الى: ان العامل في المبتدأ والخبر تجريدهما من العوامل اللفظية، وان الخبر يرتفع بالابتداء وحده، يقول في باب "المبتدأ والخبر"[1] يرفع المبتدأ ، وعلى ذلك فهما بترافعان، لان كل واحد منها لا ينفك عن الاخر، ولا يمتنع ان يكون الشئ عاملا ومعمولا في حال واحدة ، ولذلك نظائر في العربية. ويذهب كثير من البصريين الى ان: الابتداء والمبتدأ جميعا يعملان في الخبر، قال ابن يعيش[2]: "ولا ينفك من ضعف، وذلك من قبل ان المبتدأ اسم، والاصل في الاسماء ألا تعمل، واذا لم يكن تأثير في العمل، والابتداء له تأثير ، فاضافة ما لا تأثير له الى ما له تأثير، لا تأثير له...".
- ويرى أن أصل العمل للافعال ، وما عمل من: المصادر والمشتقات ، فلمشابهته الافعال فقد جاء في باب "المصدر"[3]: "ويعمل المصدر اعمال الفعل مفرداً... ومضافاً الى الفاعل أو الى المفعول... ويعمل ماضياً كان أو مستقبلا، تقول: أجبني ضرب زيداً أمس... ولا يتقدم عليه معموله..."وجاء في باب "اسم الفاعل"[4] .. ويعمل عمل الفعل في التقديم والتأخير ولاظهار ولاضمار.."
- ويذهب الى أن الحرف لا يعمل الا اذا كان مختصاً بالمعمول ، فقد ذكر في باب "خلر" ما" و"لا" المشبهتين ب "ليس" [5]: "هذا التشبيه لغة أهل الحجاز ، واما بنو تميم فيرفعون ما بعدهما على الابتداء..."قال الحاجب [6]: "النحويون يزعمون أن لغة تميم في ذلك هي القياس ، ويقولن: ان الحرف اذا لم يكن له اختصاص بالاسم او بالفعل ، لم يكن له عمل في احدهما، و "ما" و "لا" تدخل على القسمين ، فالقياس ألا تعمل في احدهما".

---

[1] المفصل/ ١/ ٥٣

[2] شرح المفصل/ ١/ ٨٥- وانظر: المقتضب / ٤/ ١٢٦- والانصاف في مسائل الخلاف/ ١/ ٣١- ٣٨

[3] المفصل/ ٢/ ٦٣٠، ٦٣٥

[4] المفصل/ ٢/ ٦٣٦- وانظر: أعجب العجب/ ٤٧

[5] المفصل/ ١/ ٢١٤- وانظؤ:اغجب العجل/ ٤٦

[6] الايضاح شرح المفصل/ ١٥٩أ

• ويتفق مع نحاة البصرة والكوفة في ان: عوامل الاسماء لا تعمل في الافعال، وعوامل الافعال لا تعمل في الاسماء، ومع ذلك نراه يخالف هذا الشرط فيذهب مذهب أصحابه البصريين في أن 'كي' تنصب الفعل المضارع بنفسها وتجر الاسم بنفسها، يقول في باب "حروف الاضافة"[1]: "وكي" في قولهم: كيمه ، من حروف الجر بمعنى لمه". ويقول في باب "حروف التعليل"[2]: "وانتصاب الفعل بعد:كي" اما ان يكون بها نفسها أو باضمار "أن" واذا أدخلت اللام فقلت: لكي تفعل، فهي العاملة، كانك قلت لان تفعل ". وفي كتاب سيبويه[3]: "وبعض العرب يجعل 'كي' " بمنزله "حتى" ، وذلك انهم يقولون: كيمة في الاستفهام فيعملونها في الاسماء كما قالوا: حتامه وحتى متى..."قال ابن يعيش[4]: "والكوفيون يقولون: ان 'كي' من نواصب الافعال ، وليست حرف جر، يقولون: "مه" من: كيمه" في موضع نصب بفعل محذوف نصب المصدر، وتقديره: كي تفعل ماذا ؟ قال: وفيه بعد، لان "ما" لو كانت منصوبة لكانت موصولة ، ولو كانت موصولة لم تحذف الفها، لان الف الموصولة لا تحذف الا في موضع واحد، وهو قولهم: ادع بما شئت ، أي: بالذي شئت..."

• ويرى ان رتبة العامل قبل المعمول، فلا يقع المعمول الا حيث يقع العامل، وعليه، فقد أجاز تقديم خبر "ليس" عليها اذا تقدم معمول خبرها عليها. يقول في باب " الافعال الناقصة"[5]: "وهذه الافعال في تقديم خبرها فى ضربين: فالتي في أوائلها"ما" يتقدم خبرها على اسمها لا عليها، وما عداها يتقدم خبرها على اسمها وعليها. وقد خولف في "ليس" فجعل من الضرب الاول ، والاول هو الصحيح".قال ابن يعيش[6]: "... وقوله: والاول هو الصحيح، يريد: الاول من القولين، وهو جواز تقديم خبرها عليها، وهو الذي أفتى به ، والثاني: ما حكاه من قول المخالف، وهو عدم جواز تقديمه".وفي شرح ابن عقيل على الالفية/ ١/ ٢٤٠: "... وانما ورد من لسانهم ما ظاهرة تقدم معمول خبرها عليها كقوله تعالى: "الا يوم ياتيهم ليس مصروفاً عنهم " وبهذا استدل من أجاز تقديم خبها عليها،

---

(١) المفصل/ ٢/ ٨٧٧

(٢) المفصل/ ٣/ ٩٨٨- وانظر: اعجب العجب / ٦٣

(٣) كتاب سيبويه/ ١/ ٤٠٨

(٤) شرح المفصل/ ٩/ ١٥

(٥) المفصل/ ٢/ ٨٠١- ٨٠٢- والانموذج/ ٩٦أ

(٦) :شرح المفصل/ ٧/ ١١٤

وتقريره أن: "يوم يأتيهم" معمول الخبر الذي هو "مصروفاً" ، وقد تقدم على "ليس" ، قال: ولا يتقدم المعمول الا حيث يتقدم العامل".

- ويتفق مع غيره من نحاة البصرة والكوفة في:انه لا يجتمع عاملان على معمول واحد، فقد جاء في باب "الفاعل"[1]: "ومن اضمار الفاعل قولك: ضربني وضربت زيداً ، تضمر الاول اسم من ضربك وضربته اضمارا على شريطة التفسير، لانك لما حاولت في هذا الكلام ان تجعل زيداً فاعلا ومفعولا، فوجهت الفعلين اليه، استغنيت بذكره مرة. ولما لم يكن بد من اعمال احدهما فيه ، أعملت الذي أوليته إياه.. وكذلك اذا قلت: ضربت وضربني زيد، رفعته لايلائك اياه الرافع، وحذفت مفعول الاول استغناء عنه. وعلى هذا تعمل الاقرب ابدا ، فتقول: ضربت وضربني قومك... واليه ذهب اصحابنا البصريون . وقد يعمل الاول وهو قليل... وعليه الكوفيون .."- قال السخاوي في المفصل[2]: "اختار سيبويه والبصريون الاكتفاء بالثاني ، واختار الكوفيون الاكتفاء بالاول..."
- ويذهب الى ان العامل يمكن ان يحذف: على سبيل الالتزام، أو على شريطة التفسير او يستغني عنه لكثرة الاستعمال، فمثال الاول قوله في باب "التحذير " [3]:"ومن المنصوب باللازم اضمار قولك في التحذير: اياك والاسد ، أي: اتق ان تتعرض للاسد، والاسد ان يهلك..."- ومثال الثاني قوله[4]: "ومن المنصوب باللازم اضماره: ما اضمر عامله على شريطة التفسير في قولك: زيداً ضربته كانك قلت: ضربت زيداً ضربته، الا انك لا تبرزه استغناء عنه بتفسيره..."- ومثال الثالث قوله في باب "المنادى " [5]: "... اذا قلت: يا عبد الله ، فكانك قلت يا اريد أو أعني عبد الله ، ولكنه حذف لكثره الاستعمال، وصار "يا" بدلا منه، ولا يخلو من أن ينتصب لفظاً أو محلاً..."

أنواع العامل:

وتبين لنا من خلال البحث والايتقصاء ان الزمخشري قد استخذم عدة انواع من العوامل في كتاب المفصل:

---

[1] المفصل/ ١/ ٤٥- ٤٧
[2] المفصل شرح المفصل/ ١/ ٢٦٤- وانظر كتاب سيبويه / ١/ ٣٩
[3] المفصل/ ١/ ١١٧- وانظر:١٠٨.
[4] المفصل/ ١/ ١٢٣
[5] المفصل/ ١/ ٨٨

♦ اولها: العامل المعنوي: وهو ما لا يظهر في الكلام وانما يمكن ادراكه عن طريق العقل ، وذلك كالابتداء عند البصريين. ويقول في باب "المضارع المرفوع" [١]: "هو في الارتفاع بعامل معنوي نظير المبتدأ وخبره، وذلك المعنى: وقوعه حيث يصح وقوع الاسم، كقولك: زيد يضرب ، كما تقول: زيد ضارب ، رفعته لان ما بعد المبتدأ من فظان صحة وقوع الاسماء. وكذلك اذا قلت: يضرب الزيدان، لأن من ابتداء كلاما منتقلا الى النطق عن الصمت، لم يلزمه ان يكون اول كلمة يفوه بها اسما او فعلا، بل مبدأ كلامه موضع خيرةٍ في اي قبيل شاء. وقولهم: كاد زيد يقوم ، وجعل زيد يضرب.... الاصل فيه ان يقال قائما وضاربا... ولكن عدل عن الاسم الى الفعل لغرض " . قال ابن الحاجب [٢]: "الافعال الواقعة خبرا في: "كاد هذه الافعال لما كانت لمقاربة حصول الشئ والاخذ فيه، جعل ذلك الشئ بلفظ الحال، ليكون تقوية للمعنى المراد".ويقول ابو القاسم في باب " الحال"[٣] " والعامل فيها اما فعل او شبه من الصفات او معنى فعل ، كقولك: فيها زيد مقيما، وهذا عمرو منظلقاً، وما شأنك قائماً.. وفي التنزيل: "وهذا بعلي شيخاً..."قال الصفاني [٤]: "هذا هو الذي يكون به صاحب الحال فاعلا معنويا أو مفعولا معنويا لا لفظيا، فمثال الفاعل قولك: زيد في الدار قائما، فـ "قائم" حال من الضمير في "في الدار" لانه في المعنى: "فاعل" ، ومثال المفعول قولهم: هذا زيد قائما، وهذا بعلي شيخا، و "قائما وشيخا" حال من المشار اليه، لانه مفعول في المعنى ، لان التقدير: أشير اليه في خال كونه قائما، فالضمير هو: ذو الحال ، والعامل فيه وفي الحال واحد".

♦ وثانيا: العامل اللفظي: وهو ما يظهر في النطق والمكتابة نحو: احترمت محمداً، أو يقدر تقديرا واجبا نحو: اخاك أخاك، أو جائزاً كقولنا في الاغراء: اخاك. وقد خصصه ابن الحاجب بكان واخواتها وان اخواتها وظننت واخواتها، كذا قال السيوطي في الاشباه والنظائر[٥] ، وليس الامر كذلك. ومن امثلة العامل اللفظي في "المفصل" قول الزمخشري في باب "خبر" إنّ" واخواتها"[٦]: هو المرفوع في نحو قولك ان زيدا اخوك، ولعل بشرا صاحبك،

---

[١] المفصل/ ٢/ ٧٢٧- وانظر: / ٥٣

[٢] الاسضاح شرح الممفصل/ ١١٧ب

[٣] المفصل/ ١/ ١٥٠- وانظر:٢٧٨

[٤] حاشية الاصل/ ٢٥ت- وانظر: ابن يعيش: شرح المفصل/ ٢/ ٥٧

[٥] المفصل/ ٢/ ٧٢٤.

[٦] المفصل/ ١/ ٦٤

وارتفاعه عنج أصحاب بالحرف، لانه اشبه الفعل في لزومع الاسماء، والماضي منه في بنائه على الفتح ، فألحق منصوبه بالمفعول ومرفوعة بالفاعل، ونزل قولك: إن زيدا اخوك ، منزلة: ضرب زيداً أخوك .. وعند الكوفيين: هو مرتفع بما كان مرتفعا به في قولك: زيد أخوك، ولا عمل للحرف فيه". قال السخاوي[(١)]: "وانما كان اللزوم والاختصاص عله العمل، لان الختصاص واللزوم دليل القوة، لأن ما لا يختص يضعف، وما لزم يقوى ، وما قوي يعمل ، لأن العمل أثر القوة. وأيضا قان معانيها معاني الافعال، وأيضا فانها يتصل بها الضمير كما يتصل بالافعال، نحو ك انني وانك وأنه..."ويرى أن العامل في الفعل المضارع لفظيٌ ما دام معربا، فان هو بني لم تعد تعمل فيه العوامل لفظاً. فقد قال في باب "الفعل المضارع"[(٢)]:".... واذا اتصلت به- يعني: المضارع – نون جماعة المؤنث ، رجع مبنيا، فلم تعمل فيه العوامل لفظا، ولم تسقط الالف والواو والياء التي هي ضمائر، لأنها منها، وذلك قولك:لم يضربن" ويذهب الى أن الفعل أقوى العوامل اللفظية وغيرها، وأقوى الأفعال هو المضارع ، لأنه قد ضارع الاسم فاعرب بارفع والنصب ، والجزم مكان الجر"[(٣)] ومن عوامل اللفظية عنده: الحروف المشبهة بالفعل ، وحروف الاضافة ، وحروف النصب، وادوات الجزم[(٤)].

- وثالثها: العامل باعتبارين: باعتبار لفظه وباعتبار معناه ، وذلك نحو: كأن وليت ولعل ، فان لفظ كل منهما ينصب ويرفع، ومعنى الفعل..."

وبعد، فقد تبين لنا بوضوح أن الزمخشري تأثر بنظرية العامل في بحثة النحوى، شأنه في ذلك شأن غيره من نحاة مدرستي: الكوفة والبصرة، فهو يرجع ويجوز ويرد على اساس هذه النظرية . ولو استطاعان يتحرر من قيودها ويتجاوزها الى الاهتمام بالمعنى دون غيره ، لأمكن أن يسدى للعربية ولطلابها خدمة أجل مما أسداه لهم ولها.

استصحاب الحال:

استصحاب الحال هو ابقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الصل عند عدم دليل النقل عن الاصل، وهو من ادلة الصناعة المعتبرة، كاستصحاب حال في الاسماء وهو الاعراب، حتى

---

(١) المفضلشرح المفصل/ ١/ ٣٥٦

(٢) المفصل/ ٢/ ٧٢٥

(٣) المفص/ ٢/ ٧٢٤

(٤) انظر المفصل/ ٢/ ٨٨٢، ٨٥٣، ٧٤٩

يوجد دليل البناء ، واستصحاب حال الاصل في الافعال وهو البناء ، حتى دليل الاعراب[1] ومثال التمسك باستصحاب حال الاصل في الاسماء الاعراب ، وانما يبنى منها ما اشبه الحرف، او تضمن معناه ، وهذا الاسم لم يشبه الحرف ولا تضمن معناه، فكان باقيا على أصلة في الاعراب[2] وقد اجمع البصريون – مثلا – على: ان الاصل في حروف الجر ان لا تعمل مع الحذف ، وانما تعمل معه في بعض المواضع اذا كان لها عوض ، ولم يوجد هنا ، فبقي في ما عداه على الاصل، والتمسك بالاصل تمسك باستصحاب الحال. واجمعوا ايضا على عدم تركيب "كم" بان الاصل الافراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل، ومن عدل عن الاصل افتقر الى اقامة دليل، بعدو به عن الاصل له عن الاصل[3] . والمسائل التي استدل فيها النحاة بالاصل كثيرة، تتجاوز عن ذكرها تجنبا للاطالة، والتزاما بمنهجية البحث.

واستدل الزمخشري بدليل استصحاب الحال في مواضع عديدة من "المفصل"، من ذلك ما جاء في باب " ذكر وجوه اعراب المضارع"[4] "هي الرفع والنصب والجزم، وليست هذه الوجوه باعلام على معان كوجوه اعراب الاسم ، لأن الفعل في الاعراب فير اصيل... وما ارتفع به الفعل وانتصب وانجزم ، غير ما استوجب به الاعراب...." ومنه ايضا ما جاء في باب "الاسم المبني" [5]: "وهو الذي سكون آخره وحركته لا بعامل ، وسبب بنائه مناسبة ما لا تمكن له بوجه قريب أو بعيد ، وبتضمن معناه نحو: أين وأمس ، أو شبهه كالمبهمات..."

وقد نص النحاة على ان الاصل في البناء: السكون، الا بموجب تحريك قال العكبري: "والبناء في اللغة: ترتيب شئ على شئ على وجه يثبت، أو وضع شئ على شئ مقصوداً به الثبوت والدوام، ومنه سمي كل مرتفع ثابت بناء كالسماء ، وبهذا المعنى استعمله النحاة".

وبعد ان وقفنا في هذا الفص على أدلة صناعة الاعراب في كتاب "المفصل" ، ننتقل الى الفصل التالي لنواصل فيه رحلتنا العلمية مع الزمخشري، فنتعرف على مذهبه النحوى، ونقف على آرائه النحوية، ومدى اتفاق هذا الاراء في "المفصل" مع آرائه في مصنفاته الاخرى. ثم تبين بعد ذلك موقف بعض العلماء منه، لتكتمل ملامح الصورة العلمية لهذا الرجل.

---

[1] الاغراب في جدول الاعراب/ ٤٦- والاقتراح/ ٧٢

[2] لمع الادلة/ ١٤١

[3] الاقتراح/ ٧٢

[4] المفصل/ ٢/ ٧٢٦- وانظر: اعجب العجب / ٣١، ٣٢

[5] المفل/ ١/ ٣٠٥- وانظر ايضا:١/ ٣٠٩، ٤٤٥- ٢/ ٤٩٦، ٧٢٨- ٣/ ١١٠١، ١١١٤

الفصل الرابع

شخصيته النحوية

وموقف العلماء منه

- مذهبه النحوي ومصطلحاته
- مصطلحاته
- آراءه النحوية
- آراءه اللغوية في بعض مصنفاته
- مواقف بعض العلماء من آرائه

مذهبه النحوي ومصطلحاته:

ذهب بعض الباحثين الى أن الخلاف النحوي بين علماء مدرستي: البصرة و الكوفة قد أدى الى ظهور مدرسة نحوية جديدة، هي المدرسة البغدادية، و قالوا: إنّ مذهب هذه المدرسة الجديدة في عامخ النحو يقوم على اساس الاختيار و الانتخاب من آراء المدرستين جميعاً. و الابتعاد عن حدّة التعصب المذهبي في البحث العلمي.

وربما يكون بروكلمان أول من رأى هذا الرأي ثم تابعه فيه بعض الدارسين، يقول بروكلمان[1]:" حقاً بقي كثير من العلماء الذين اجتذبهم عاصمة الخلافة اليها، شديدي التمسك و التعصب .. و لكن الجيل الذي تلا هؤلاء، و الذي تهيأت له فرصة الاستماع الى ممثلي كلا المدرستين، لم يُلق كبيرا اهتمام للخلافات القديمة، بل عمد الى انتخاب مزايا كلا المدرستين، وتوحيد هذه المزايا في مذهب جديد مختار .. ثم يقول بعد\ ذلك: اننا لن نستطيع أن نصدر حكما على آرائهم إلا بمشقة و عسر.

ويقول أحمد أمين – بعد أن ساق أسس الخلاف النحوي بين البصريين و الكوفيين [2]: و مع هذا، فقد كان التقاء الكوفيين و البصريين في بغداد سبباً في عرض المذهبين و نقدهما، و الانتخاب منهما، ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه: ابن قتيبة، و استشهد على رأيه هذا بقول ابن النديم: " وكان ابن قتيبة يغلو في البصريين، الا أنهخلط المذهبين و حكى في كتبه عن الكوفيين.

ويقول عبد الحميد حسن – بعد أن ذكر نشاط علماء الكوفة في بغداد، و نشاط علماء البصرة في منتصف القرن الثالث الهجري [3] – انه اتيح للبغداديين بهذا ان ينظروا في المذهبين: البصري و الكوفي. و يوازنوا بين آراء الفريقين، فأنشأوا لهم مذهبا كان على اساسه: المستحسن من المذهبين، و أضافوا الى ذلك ما عنّ لهم من آراء خاصة، وكانوا أول الأمر أكثر ميلا الى موافقة الكوفيين، لمكانة نُحاة الكوفين عند الخلفاء و لكنهم اتّبعوا المذهب البصريّ في كثير من المسائل ..

ويذهب شوقي ضيف الى أن المدرسة البغدادية التي قامت على اساس الاختيار و الخلط بين المذهبين قد اتّجهت اتجاهين: إتجاها مبكرا عند ابن كيسان و ابن شقير و ابن الخياط، ونزع

---

(1) تاريخ الادب العربي / ٢ / ٢٢١ – و انظر: المفضل شرح المفصل / ق١/ ٢١٥ .

(2) ضحى الاسلام / ٢ / ٢٩٨، ٢٩٤، ٢٩٧ – و انظر ايضا: كتاب الفهرست / ٧٧ .

(3) القواعد النحوية / ١٠٥ – و انظر: الدر اسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٣١٤ .

فيه اصحابه الى آراء المدرسة الكوفية و أكثروا من الاحتجاج لها، مع عدم فتح الأبواب لكثيرمن آراء المدرسة البصرية، و ايضا: مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، و اتجاهامقابلا عند الزجّاجيّ ثمّ أبي عليّ و ابن جنيّ . نزع فيه اصحابه الى آراء المدرسة البصريه، وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد، لا في بغداد وحدها، بل في البيئات التي عنيت بدراسة النحو [1] أنّ البغداديين لم يسمّوا هذه التسمية لأنهم سكنوا و حاضروا في بغداد، و انما لأنهم لَقِنوا مذهباً جديداً مزيجاً من تعاليم المدرستين القديمتين من تفاوت و علمٍ في النزوع الى احداهما دون الاخرى .

ويعني هؤلاء الباحثون و غيرهم [2] بنُحاة بغداد: ذلك الرهط من العلماء الذين نشأوا في مدينة بغداد . و أولئك الذين مارسوا نشاطهم العِلمي فيها، ثم الذين ساروا على نهج هؤلاء العلماء في الدرس النحوي بعد رجال طبقات البصريين و الكوفيين . و انطلاقاً من هذا الفهم، فقد عدّ عبد الرحميد حسن [3] و شوقي ضيف ابا القاسم الزمخشري من نحاة بغداد، يقول شوقي[4]: واذا أخذنا نتعقب آراء الزمخشري وجدناه يمثل الطراز البغدادي الذي رأيناه عند أبي عليّ الفارسي و ابن جنّي..

ويذهب باحثون آخرون الى نفي أمر وجود مدرسةٍ بغدادية، ذلك أن المدارس النحوية عندهم مدرستان فحسب: مدرسة البصرة و مدرسة الكوفة، فقد ذهب " فايل" الى أن النحاة الذين جاءوا بعد المبرد " لم يكونوا مدرسة ذات اتجاه خاص يسوّغ تسميتها مدرسة مزجٍ و اختيار، بل يمثلون دراسة في دائرة النحو البصري [5] و الى مثل هذا ذهب طارق الجنابي فردّ على شوقي ضيف و من تابعه برأيه [6] و قال فاضل السامرائي[7] ولا نرجّح أن هناك مدرسة نحوية مستقلة اسمها المدرسة البغدادية و يذهب عبد الكريم جواد الى ما ذهب اليه زملاؤه [8] .

---

(1) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٣١٥ .

(2) انظر: اللغة العربية وعلومها / ١١٩ – ونشأة النحو / ٢٦، ١٤٤، ١٤٧ – و مدرسة الكوفة / ٧٠

(3) انظر القواعد: النحوية / ١١٢

(4) المدارس النحوية / ٢٨٤

(5) عن المفضل شرح المفصل / ق ١ / ٢١٧

(6) ابن الحاجب النحوي / ١٦ – ٢٥

(7) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٣١٨

(8) المفضل شرح المفصل / ق١ / ٢١٧

وبعد البحث و الاستقرار وجدنا أنفسنا نتبنّى وجهة نظر هؤلاء الذين ينفون وجود مدرسة نحوية بغدادية و شواهدنا على ما نتبناه كثيرة منها: -

- ♦ أن باب التاريخ لعلماء النحو قد أغلقفي نهاية القرن الثالث الهجري، إذ خُتمت طَبقات النحاة البصريين و الكوفيين بأبي العباس المبرد البصري ت: ٢٨٥ هـ، و أبي العباس ثعلب الكوفي: ٢٩١ هـ، فقد كان هذان العَلَمان المتنافسان آخر ممثّلين للمدرستين، و قد سكنا مدينة بغداد [(١)] أما علماء النحو الذين وجدوا بعد القرن الثالث فقد سلكوا سبيل من قبلهم من نحاة المدرستين، فتقيدوا بالاصول التي أصّلوها، و بالقواعد العامة التي قعّدوها، إلا أن جمهرة هؤلاء النحاة المتأخرين كانوا يميلون الى الأخذ بآراء البصريين و الكوفيين و بكثيرٍ من المسائل التي اختلفوا فيها، ولا يوجد فيها ما يشير الى وجود مدرسة أخرى .
- ♦ أن كلّ مدرسة ينبغي أن تقوم على أسس و قواعد، فتصوغ نظرياتها و مادتها العلمية في إطار هذه الأسس و القواعد، كما ينبغي أن تكون لها وجهة نظر معينة فيما ينقل اليها من مادة لغوية، و مدى إلافادة من هذا المنقول و كيف تقيس عليه و تبني القواعد من خلاله، و ما الى من خُطةٍ تنتظم مسالك البحث مسال البحث العلمي، و لم يصلنا شيء من هذا علما أطلق عليه تجاوزا: مدرسة بغداد .
- ♦ أننا لم نجد في كتاب " المفصل " ذكراً للفظ: " بغدادي أو" بغداديين "، وانما وجدنا الزمخشري يكثر من ذكر البصريين و الكوفيين، خاصة أثناء حديثه عن الخلاف النحوي بين علماء المدرستين .
- ♦ ان ورود لفظ " البغداديين " في بعض كتب النحو لم يقصد به أنهم كانوا اصحاب منهج خاص في تناول قواعد علم النحو و مسائله بل كان يطلق و يراد به – في الاغلب – الكوفيون، ذلك أنهم وجدوا و أحُظوا لدى الخلفاء في بغداد، و اكتملت معالم و أسس مدرستهم فيها، وظلّ نحوهم يوجّه حلقات الدرس فيها فترة طويلة من الزمان دون منازع [(٢)] . يدل ذلك على قول أبي الطيب في كتاب " مراتب النحويين [(٣)]": قال ابو حاتم:

---

(١) عبد الفتاح شلبي / أبو علي الفارسي / ٤٤٥ .

(٢) المفضل شرح المفصل / ق١ / ٢١٨

(٣) مراتب النحويين / ١٠٤ – و انظر: الخصائص / ١ / ١٦٦ / ١٩٩ – ٣ / ١٦٣ – ٢٠٤ – وسر الصناعة / ١ / ١٩٧ / ١٩٨ – و الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري / ٣١٦ – ٣١٧ .

أهل بغداد حشْو عسكر الخليفة، لم يكن بها من يوثّق به كلام العرب، ولا من يرتضي روايته، فإن أدّعى أحدهم شيئا، رأيته مُخلّطا صاحب تطويل و كثرة كلام و مكابرة .. و إنما همُّ أحدهم إذا سبق الى العلم أن يسيّرا سما يخترعه لينسبه إليه، فيسمّي الجرّ خفضا، و الظرف صفة و يسمون حروف الجرّ: حروف الصفات، و العَطف: النّسق .. ونحو هذا من التخليط" و هذه المصطلحات كما ترى مصطلحات كوفية .

- ♦ أن الاختيار من آراء المدرستين النحويتين، الذي زعم بعضهم أنه الاساس الذي قامت عليه مدرسة بغداد، لا يصلح بحال أن يكون دليلا على وجود هذه المدرسة، ذلك ان كل عالم نحوي سواء كان في بغداد أو في غيرها:

- كان يتبنى مذهبا معينا في القواعد و الأسس، ثم يجتهد في المسائل النحوية فيبدي رأيه و يعلل و يأخذ ما يغلي على ظنه أنه صحيح ، ولو كان من مذهب آخر، فقد ذكر ابن الانباري أن الكسائي- رأس المدرسة الكوفيه
- تابع البصريين في اربع مسائل[1] ، وأن المبرد- رأس المدرسة البصرية في عصره – ايد الكوفيين في سبع مسائل[2] ، كما ان الاخفش الاوسط وافق نحاة في كثيرمما ذهبوا اليه حتى بلغت موافقاته لهم خمسين مسألة[3]

وقد قام مهدي المخزومي بدراسة علماء ممن قيل عنهم انهم مزجوا بين المذهبين ، وثم: أبو الحسن محمد ابن احمد المعروف بابن كيسان، وابو بكربن محمد المعروف بابن الخياط ، وابو الحسن على بن سليمان المعروف بالاخفش الصغير، فتضح له أن ابن كيسان بصري، وأنه كان ينهج نهج البصريين في تناول موضوعات على بن سليمان المعروف بالاخفش الصغير، فاتضح له ان ابن كيسان بصرى، وانه كان ينهج نهج البصريين في تناول موضوعات النحو، ويستخدم مصطلحاتهم، ويذهب مذهبهم في التخريج والتأويل ، وانه لم يستخدم مصطلحات الكوفيين، اما ابن الخياط فتبين له أنه كوفي، وساق موافقاته للكوفيين ومواقفه معهم، وأما الاخفش الصغير ، فذكر ، انه لم يضف شيئا البتة، وانه لم يكن واسعا في الرواية والعلم، وانه كان اذا سئل في مسائ النحو، ضجروا وانتهر[4]

---

[1] انظر: الانصاف في مسائل الخلاف / المسائل: ١٤، ١٥، ٤٩، ٨٦.

[2] انظر الانصاف في مسائل الخلاف/المسائل/٦، ١٨، ٣٤، ٥٥،٦٤، ٨١،١٢

[3] منهج الاخفشالوسط في الدراسات النحوبة / ٣٢٤

[4] المفصل شرح المفضل / ق١/ ٢١٩

لقد صنف بعض العلماء كتبا في الخلاف التنحوى بين المدرستين: البصرة والكوفة ، ككتاب "المهذب في النحو" لاحمد بن جعفر الدينوري[1] وكتاب "المقفع في اختلاف البصريين والكوفيين" لاحمد بن محمد بن اسماعيل المعروف بالنحاس، ت:٣٣٧هـ، وقد وصفه القفعي بانه كتاب حسن[2] وكتاب "النصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين البقاء العكبري ت: ٦١٦هـ [3] ـ ولم يصلنا اي كتاب يدل على وجود مسائل خلافية بين ما اطلق عليه مدرسة بغداد ، وغيرها من المدرستين الاخريين. لهذا كله، فاننا ننفى وجود مدرسة نحوية ثالثة نفيا قاطعا . وكان ابو القاسم الزمخشري – وموضوع هذه الدراسة – من النحاة المتأخرين الذن جاء وابعد القرن الثلث الهجري، فقد ولد سنة:٤٦٧هـ ، أي بعد مضى قرنين من الزمان على اغلاق باب التاريخ الطبقات النحويين البصريين والكوفيين . ولمع نجمة في علم النحو بعد ان صنف كتاب "المفصل في صنعهت الاعراب " و غيره من المصنفات التي ابدى فيها آراء نحوية كمكتاب الكشاف "وكتاب " المجادة في المسائل النحوية "وكتاب" المحاجاه في المسائل النحوية "وكتاب" الانموذج" وغيرها .

وقد نهج الزمخشري في "مفصله" وغيره نهج البصريين ، وتمذهبهم في القواعد العامة والاسس التي اقام عليها صرح مادته التحوية، ولكنه م ذلك كان ذا شخصية علمية مستقلة، اذ كان يجتهد في علم النحو في اطار هذه الاسس والقواعد العامة الت يارتضاها فيثبت ما يغلب على انانه صحته ، وكان من نتيجة ذلك انه خالف البصريين في كثير من المسائل، ووافق الكوفيين في تعض المسائل ، تمام كما ان كأنه في علم الفقه، فقد بينا أنه كان على مذهب أبي حنيفة في الاصول وانه خالفه في بعض الفروع، وكان معتزلي الاتجاه ، متشددا في اعتزاله ، ومع ذلك ، فانه خالف المعتزلة في بعض الفروع ايضا[4] .

ومن هنا ، فقد تسرع عبد الحميد وشوقي ضيف حين قررا ان ابا القاسم يعتبر من نحاة المدرسة البغدادية ذا اطلق كل منها هذا الحكم دون ان يشفعه بالادلة والشواهد التي تشبع نهم الباحه المدقق . واغلب الطن انهما لم يطلعا على كتاب "المفصل" اطلاعا يتيح لهما ان يحكما على اتحاهه النحويةكما صائبا، يقول شوقي ضيف مثلا... ونضرب لذلك بعض الامثلة من كتابه

(1) انباه الرواة / ١/ ٣٤

(2) انباهالرواة / ١/ ١٠٣

(3) اضحى الاسلام / ٢/ ٢٩٧– ونشأة النحو/ ١٨٠

(4) انظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/ ٢١٧– ٢١٩

ومن صحفة الاولى التي شرحها ابن يعيش .. "فقوله هذا يوحي انه اطلع على القسم الاول فقط من شرح ابن يعيش على كتاب"المفصل" وانه لم يطلع على كتاب "المفصل" نفسه ، وهذا امر لا نراه طائفا في البحث العلمي . ثم ان الرجل- نعني: الزمخشري- لم يولد في بغداد ، ولم يقم فيها، ولم يتلق علومه النحوية وغيرها على يدى علمائها، وانما الم بها المامة قصيرة في اثناء ذهبة لاداء فريضة الحج والمجاورة في مكة.

على ان الحكم على الاتجاه العلمي لعالم من العلماء يتطلب اولا وقبل كل شئ، اطلاعا دقيقا وشاملا على منهجة والاسس التي يعتمد ها في بحثه، ولامصطلحات التي يسنخدمها، والمصادر العلمية التي يصدر في احكامه عنها، لاراء التي يطلقها. لهذا كله فاننا نرد هذا الرأي جملة وتفصيلا، ونقرر ان ابا القاسم بصري الاتجاه في الدرس القرار نأخذه من تصريح الزمخشري نفسه في مواضع كثيرة من المفصل. يقول في باب " خبر ان " واخواتها " [(١)]:- "هو المرفوع في نحو قولك: ان زيدا اخوك ، ولعل بشرا ساحبك ، وارتفاعه عند اصحابنا بالحرف.. وعند الكوفيين هو مرتفع بما كان مرتفعا به في قولك: زيد اخوك ، ولا اعمل للحرف فيه".

ويقول في باب "اسماء الافعال والاصوات" [(٢)]: "هلم: مركبة من حرف التنبيه مع: "لم" محذوفة من "ها" ألفها عند اصحابنا، وعند الكوفيين من: هل ، مع "ام " محذوفة همزتها.." قال العكبري[(٣)]: "واتفق الكوفيين والبصريون على تركيبها ، وانما الخلاف فيما ركبت منه..." وجاء في باب "مثال الامر"[(٤)]: "وهو مبني على الوقف عند اصحابنا البصريين، وقال الكوفيون: هو مجزوم بللام مضمرة، وهذا خلف من القول". وجاء في باب "اللامات" [(٥)]: "... ويجوز عندنا: ان زيدا لسوف يقوم ، ولا يجيزه الكوفيون" قال ابن الحاجب [(٦)]: انما جاز عنج البصريين ، لان اللام عندهم ليست للحال ، وانما هي لام الابتداء أخرت لاجل "ان " فجاز ان تجامع ما معناه الحال والاستقبال..." ويقول في باب "الحروف المشبه بالفعل "[(٧)] ": وتخففان – يعني: ان وان – فيبطل عملهما، ومن العرب من يعملهما، والمكسورة اكثر اعمالا . ويقع بعدهما الاسم والفعل،

---

(١) المفصلم١/ ٦٤

(٢) المفصل/ ١/ ٣٨١- ٣٨٢

(٣) المحصل شرح المفصل/ ٢/ ١٢١ب

(٤) المفصل/ ٢/ ٧٦٤

(٥) المفصل/ ٣/ ١٠٠٩

(٦) الايضاح شرح المفصل/ ١٦٧ب

(٧) المفصل/ ٢/ ٨٩٩- وانظر ايضا: ١/ ٤٦، ٢١٨-٢/ ٩٠٣ ـ ٩١٦- ٣/ ١٠٨٤

والفعل الواقع بعد المكسورة يجب ان يكون من الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر، وجوز لكوفيون غيره.."

وبعد، فهذه النصوص صرح بها الزمخشري نفسه في كتاب"المفصل" ، وقد حدد فيها مذهبه النحوى تحديدا واضحا كما ترى، فارتضى لنفسه صحته نحاة البصرة: يرى رأيهم ، وينهج نهجم في الدرس النحوي، ويرد على خصومهم ، ونحن هنا، يصبح لزاما علينا ان نقرر بانه نحوي بصري المذهب، ولا نتردد في ادراج اسمه في قائمة نحاة المدرسة البصرية.

مصطلحاته :

ولما كان ابو القاسم قد تمذهب بمذهب المدرسة البصرية، وارتضى لنفسه ان يكون نحويا من نحاتها، وكان طبيعا والحالة هذه ، ان يلتزم بمنهجها في تناول المسائل النحوية ، وان يكون حريصا على استخدام تلك المصطلحات النحوية التي اصطلح عليها نحاة هذه المدرسة. وقد بدا ذلك واضحا في "المفصل" اذ بلغ من حرصه على الالتزام بهذه المصطلحات انه يثبت المصطلح الذي تواضع عليه نحاة البصرة المتأخرون، ثم ينبه على ما كان عليه في عهد سيبويه ، فحين تناول "المفعول المطلق " قال[1]: "هو المصدر ، سمي بذلك لان الفعل يصدر عنه، ويسميه سيبويه: الحديث والحدثان ، وربما سماه الفعل.."

قال الحاجب [2]: "المصدر: هو اشهر اسماء المفعول المطلق عند النحويين، ولاسيما المتأخرين فانهم لايكادون يقولون الا المصدر ، ولاتسمعهم يقولون: المفعول المطلق. وربما خصه بهذا الاسم تنبيها على الرد على الكوفيين في انه بشتق من "الفعل" ومقتضى مذهب الكوفيين ان يسمى المصدر صادرا ، والفعل: مصدرا ، لان المصدر محل الصدور، وهو عندهم الفاعل، والصادر: من حصل له الصدور، وهو المصدر عندهم".

وفي كتاب "سيبويه [3]:"واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل، يتعدى الى اسم الحدثان الذي أخذ منه لأنه إنما يذكر ليدل على الحدث". ومن ذلك أيضا قوله في باب "الموصولات " [4]: " والموصول: ملا بدله في تمامه اسما من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه، وتسمى هذه الجملة: صلة، ويسميها سيبويه: الحشوة .."

---

(1) المفصل/ ١/ ٧٢

(2) الايضاح شرح المفصل/ ١٣٠أ

(3) كتاب سيبويه / ١٦/١

(4) المفصل / ١ / ٣٤٩ - ٣٥٠

واستعمل الزمخشري [1]: المنصرف وغير النصرف " وهومصطلح بصري، أما الكوفيون فيقولون: "المجرى وغير المجرى".وسمى " الظرف " [2]: المفعول فيه، وهي تسمية بصرية، ويسميه الكوفيون: الصفات والمحال . قال السخاوي " الظرف في الأصل: الوعاء، وسميت هذه ظروفا لأنها أوعية للأحداث، ويسميها الكسائي: الصفات ويسميها الفراء وغيره من الكوفيين: المحال .." [3]

واستخدام مصطلع البصريين [4]:"لا: التي لنفي الجنس "، ويسميها الكوفيون: التبرئة، كما استخدم مصطلح البصريين [5]:"المفعول له "، وهوعند الكوفيين، من جملة المصادر، قال السخاوي:" معنى: مفعول له، أي: لأجله فهو علة إصدار الحكم، ولهذا يسمى الغرض أيضا، وعلة الفعل في عذر الفاعل، لقبه بذلك البصريون، وأما الكوفيون فأنه عندهممن جملة المصادر.."

والتزم بمصطلحات البصريين في:

- العطف بالحرف، ويسميه الكوفيون: النسق . قال ابن يعيش [6]:" يقال: حروف العطف وحروف النسق فالعطف من عبارات البصريين .. والنسق من عبارات الكوفيين ..".

- وحروف الأضافة والجر، ويسميها الكوفيون: الصفات . قال ابن يعيش[7]:"ان هذه الحروف تسمى حروف الأضافة لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها الى الأسماء بعدها ،وتسمى حروف الجر، لأنها تجر ما بعدها من الاسماء، أي: تخفضها وقد يسميها الكوفيون: حروف الصفات، لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات .."

- واللام الفارقة بين "ان " المخففة والنافية [8]، ويسميها البصرويون أيضا: لام الإيجاب ولام الفصل، وهي عند الكوفيين: لام"إلا"، لأن " إن " عندهم في هذا المكان هي النافية، والمعنى عندهم في:"إن زيد لقائم ": ما زيدا قائم، قال السخاوي:" هذه اللام يسميها البصريون: الفارقة، ولام

---

[1] المفصل / ١ / ٣٧- وانظر: الأشباه والنظائر / ٢/ ٢٩

[2] المفصل / ١/ ١٣٣

[3] المفضل شرح المفصل / ٢/ ٥٩٩-٦٠٠

[4] المفصل / ١ / ١٩٨ – والمفضل شرح المفصل / ق١/ ٢١٣

[5] المفصل / ١/ ١٤٦- والمفضل شرح المفصل / ٢/ ٦٥٥

[6] المفصل / ٢/ ٩٢١- وابن يعيش / شرح المفصل / ٨/ ٨٨

[7] ابن يعيش / شرح المفصل / ٨/ ٧-٨، وأنظر: المفصل / ٢/ ٨٥٣

[8] المفصل / ٣/ ١٠٠٢، ١٠١٠

الايجاب، ويسميها الكوفيون: لام "إلا" ..وهذه اللام لازمة للفرق بين "إن" التي بمعنى"ما" وبين "إن" المخففة من الثقيلة .."

والتزم بمصطلاح البصريين أيضا في: القاب الإعراب روالبناء، والبدل، والنعت، والمتعدي، واللازم، وغيرها.

وربما يذكر المصطلح النحوي ثم ينص على تسميته عند كل من: الكوفيين، وأصحابه البصريين، فقد جاء في باب " المضمرات " [1] " ويتوسط بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده .. أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة .. ويسميه البصريون: فصلا، والكوفيون: عمادا ..". قال يحيى بن حمزة [2]:" يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل العوامل وبعدها صيغة ضمير مرفوع منفصل، والنحاة مختلفون في لقب هذا الضمير، فالذي ذهب إليه نحاة البصرة واختاره الزمخشري ونصره ابن الحاجب وغيره من محققي النتأخرين تلقيبه بالفصل، وذهب الكسائي والفراء،، وغيرهما من نحاة الكوفة: أن تلقيبه بلقب العماد أحق .. "

وجاء في باب " المضمرات " أيضا [3]:" ويقدمون قبل الجملة ضمير الشأن والقصة، وهو المجهول عند الكوفيين .." على أن ابا القاسم قد استخدم في قسم الحروف مصطلح الكوفيين [4]:" حروف الصلة "، ولكنه أرادبه: الزيادة والإلغاء كما يرى أصحابه البصريون، لقوله:" وتقول في زيادة "أن".. وزيادة الباء لتأكيد النفي ..". وربما فعل ذلك لأنه غلب على ظنه أن هذه التسمية أكثر دقة وانسجاما مع واقع هذه الحروف . قال ابن الحاجب [5]: .... فسميت حروف صلة لانه يتوصل بها الى زنة واعراب لم تكن عند حذفها..." وقال ابن يعيش[6]: يريد بالصلة انها زائدة ، ويعني بالزائد ان يكون دخوله كخروجه من غير احداث معنى والصلة والحشو من عبارات الكوفيين والزيادة والالغاء من عبارات البصريين....".

---

[1] المفصل / ١/ ٣٢٤

[2] الازهار الصافية / ٤٤- وانظر: المحصل شرح المفصل / ٢/ ٥٤ب – وابن القواس / شرح الكافية / ٩٣ ب

[3] المفصل / ١/ ٣٢٦ – ٣٢٧ – وانظر: الايضاح شرح المفصل / ٧٢ ب- وابن القواس / شرح الكافية / ٩٤ب

[4] المفصل / ٣/ ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٦٣

[5] الايضاح شرح المفصل / ١٦٣ب

[6] شرح ابن يعيش/ ٨/ ١٢٨

آراؤه النحوية:

وكان ابو القاسم اماما من أئمة علم النحو في عصره، اذ خص هذا العالم بعدة مصنفات ، كما حرص ان يثبت آراءه النحوية في كثير من مصيفاته الاخرى. نعم، انه ذهب في نحوه مذهب نحاة مدرسة البصره في القواعد العامة والاصول كما بينا ، ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يكن مقلدا في كل شي ،ولم تذب شخصيته النحولة في غمرة بحث المسائل والفروع ، وانما برزت هذه الشخصية بروزا واضحا، اذا نراه يقبل على بحث مسائله النحوية اقبال المجتهد العارف بخبايا العلم، الخبير بطرق الاستدلال وعرض النظير على النظير، القدير على التعليل والتأويل والاستنباط ، ويعطى من ثم الرأي الذي يقتنع بصحته.

ونراه من ناحية اخرى ينظر في المسألة النحوية، ويستقصي آراء العلماء الذين سبقوه فيها ، ويقلب هذه الاراء ظهر لبطن ، ثم يختار منها رأيا يقتنع بصحته ايضا فيتبناه . ومن هنا ، فانه اختار في اغلب الاحيان كثير من نحاة مدرسة البصرة، واختار في بعض الاحيان آراء بعض النحاة مدرسة الكوفة، وادى به اجتهاده الى الانفراد بمائل كثيرة ربما خاف فيها اجماع النحاة المدرستين جميعا.

ويعنينا اجتهاده في مسائل النحو – في كثير من الاحيان – عن التقديرات النحوية التي لا داعي لها، والتي تحجب المعنى عنا وتمزق اوصال الجملة ، او انه يبين لنا معنى يدركه باحساسه اللغوي ولم يذكره النحويون، ولا يضيره في هذا الا يلتفت اليه احد من النحويين ، بل ان هذا اللون من الاجتهاد هو الذي يكسب اللغة والغناء والنماء ، وان امثال هؤلاء النحاة، هم الذين يدركون اسرار التعبير الذين عاصروه، والذين جاءوا هم فيها. اذ وقفوا على هذه الاراء ابي القاسم كثيرا من الاهتمام والتقدير من لدن العلماء الذين عاصروه، ولذين جاءوا من بعده وكان من نتيجة ذلك ان تأثر به بعضهم في المنهجية وطريقة البحث والتنسيق، بل وفي المادة العليمة ايضا كما فعل ابن الحاجب مثلا: ـ وقام بعض آخر يشرح هذه الاراء وتبسطها ليستفيد منها الدارسون لمادة هذا العلم ، وشهد له بعضهم بطول الباع المجال النحوى، ونالت بعض آرائه استحسان بعض كبار النحاة من أمثال ابن هشام الانصاري وغيره.

ومهما يكن من امر، فانه يمكن تقسيم آراء الزمخشري هذه ثلاث اقسام:

- آراء تابع فيها نحاة البصرة، وهي اكثر آرائه
- آراء تابع فيها نحاة الكوفة، وهي قليلة.

• آراء انفرد بها، وهي كثيرة.

اما الاراء التي تابع فيها أصحابه البصريين فكثيرة كثرة تدل دلالة قاطعة على انه واحد منهم فمن ينظر في كتاب"المفصل" تطالعه اسماء نجوم النحاة البصرة ولغوييها كالخليل وسيبويه والاخفش الاوسط والمبرد والاصمعي وأبي زيد الانصاري وغيرهم في مواضع كثيرة، فهو لا يفتأ يرد آراءهم، ويثبت أحكام ، وذهب مذاهبهم. وكانت آرائه البصريين ومصنفاتهم اهم المصادر التي اعتمد عليها في تصنيف "المفصل" ، وقد بينا ذلك في اثناء حديثنا عن مصادر الكتاب.

وكان ابو القاسم شديد الاعجاب بكتاب سيبويه ، شديد الثقة بمادته العلمية، وقد حمله ذلك على الاستشهاد بشواهد دون ان يناقشها او يتحقق منها احيانا، مما جعله يتورط فيه سيبويه من الخطأفي نسبة بعض الشواهد الشعرية الى قائليها، والتغاضي عن تلفيق بعض الشواهد ، لتناسب القاعدة النحوية التي قعدها[(١)] .

وكثيرا مانجده يثبت رأي البصريين ويرجح هذا الرأي بالادلة القوية، ويرد على الكوفيين بما يبطل حججحجم، اويصف مذهب البصريين بانه الحق او الاصح او الاضهر ، ويصف مذهبه وتدعيمه / وليس ادل على متابعة المذهب ابصري من قوله في الكشاف[(٢)]: "... وعند أبي الحسن- يعني: الاخفش"مهما" هي/ "ما" المصمنة معنى الجزاء المتجانسين ، وهو المذهب السديد البصري... ونحوه قول زهير:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يدله في علم العربية، فيضعها غير موضعها، ويحسب " مهما " بمعنى: "متى ما"بمعنى: "مهما تأتنا به من آية .. .. معنى: الوقت ، فيلحد في آيات اللهوهو لا يشعر ، وهذا وامهاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه"

ولما كان الزمخشري بصري النزعة في البحث النحوي، فان المجال هنالا يتسع لاثبات جميع الاراء التي تابع فيها البصريين ما يلي:

وجاء في "المفصل" [(٣)]: "والواو الاولى في نحو: "والليل اذا يغشى" للقسم وما بعدها للعطف كما تقول: بالله فالله..." وهذا رأي الخليل وسيبويه والمرد، قال ابن الحاجب [(٤)]: "اختلف الناس في

---

(١) انظر:حاشية الاصل/ ٥٢ب، ٦٤أ،١٧١ب

(٢) الكشاف / ٢/ ١٠٦- ١٠٧

(٣):المفصل/ ٣/ ١٠٧٠

(٤) الايضاح / ١٧٨- وانظر: المقتضب / ٢/ ٣٣٦

مثل"الواو " مع مع اتفاقهم على ان الواو الاولى للقسم، فذهب الخليل وسيبويه وصاحب الكتاب- يعني: كتاب المفصل- انهما للعطف..."

وذهب الى ان الحروف لولا، ولوما ، وهلا، والا، تكون للتحضيض مطلقا، سواء وليها الفعل الماضي او الماضي، او وليها الفعل المضارع ، وهو الذي يشير اليه كلام الزمخشري، فانه في اغلب احواله ينحو على كلام سيبويه ولا يخالفه"[1] . وقال في باب "المفعول فيه"[2]: "وقد يجعل المصدر حينا لسعة الكلام فيقال: كان ذلك مقدم الحاج، وخفوق النجم، وخلافة فلان وصلاة العصر، ومنه: سيرعليه تروجتين، وانتظربه نحرجزورين" ،وهو كلام سيبويه.

وتابع ابا العباس المبرد في اضافة اسم الفاعل المشتق من العدد حيث أجاز: هو حادي احد عشر، وثاني اثنتي عشر، ومنع: هو حادي عشر احد عشر، وثاني عشر اثنى عشر، وامثالها من المركبات. قال يحيى بن حمزة: "فيه مذهبان: احدهما جائز، وهذا هو رأي سيبويه ، وفعلى هذا تقول: هذا رابع عشر ثلاثة... وثانيهما ان ذلك ممنوع ، وهذا هو المحكي عن المبرد ، لان مثل هذا انما يجوز باعتبار الفعلية ، ولا وجه لتركيب الفعل من حيث انه فعل، والى هذا ذهب الزمخشريز.."[3] .

وقال في باب "فعلا المدح والذم" [4]: "وقد يجمع بين الفاعل الظاهر وبين المميز تأكيدا فيقال: نعم الرجل رجلا زيد..." وهو رأي المبرد وابي علي، قال ابن يعيش[5] ، وهو رأي مدرسة البصرة. وقال انه[6] " اذا اجتمع للرجل اسم غير مضاف ولقب ، اضيف اسمه الى لقبه، فقيل: هذا سعيد كرز" وهو مذهب البصريين . قال ابن عقيل: "... فان كانا مفردين- يعني: الاسم واللقب – وجب عند البصريين الا ضافة واجاز الكوفيون الاتباع.."

وذكر ان "المنادى" مفعول به لفعل التزم اضماره، لان المنادى منصوب بفعل مقدر دل عليه حرف النداء، لانك اذا قلت: يا عبد الله ، فكانك قلت: يا أريد ، أو: أعني عبد الله ، ولكنه حذف لكثرة الاستعمال، وصار"يا" بدلا منه[7] ، وهو مذهب البصريين.

---

[1] المفصل/ ١/ ٢٨٤- ٢٨٥

[2] المفصل/ ١٣٤- وكتاب سيبويه/ ١/ ١٠٨، ١١٤، ١١٨

[3] المفصل/ ٢/ ٦٠٦- ٦٠٧- والازهار الصافية/ ٣٦٥- وانظر: المقتضب/ ٢/ ١٨١- ١٨٤

[4] المفصل/ ٢/ ٨١٦

[5] شرح المفصل/ ٧/ ١٢٣- وانظر: كتاب سيبويه / ١/ ٣٠٠- والمقتضب/ ٢/ ١٥٠- والمرتجل/ ١٢٤

[6] المفصل/ ١/ ١٨- وشرح ابن عقيل / ١/ ١٠٧

[7] المفصل/ ١/ ٥٥- والايضاح شرح المفصل/ ٢٤ب

وذكر انه التزم حذف حرف النداء في "اللهم" لوقوع الميم خلفا عنه ، وهو رأي البصريين، قال ابن يعيش: ".. فأما قولهم: اللهم ، فهو نداء ، والضمة فيه بناء بمنزلتها في: يا زيد، والميم فيه عوض من حرف النداء، وهذا رأي البصريين فيه"[١] . ونص على انه "لا ينادي ما فيه الالف واللام إلا "الله" وحده، لانهما لا تفارقانه..."[٢] ، وهذا الذي نص عليه هو مذهب البصريين. وقال انه:[٣] "لا يندوب الا الاسم المعروف، فلا يقال: وارجلاه.. "فمنع هذا ندبة النكرة ، وهو مذهب البصريين، اما الكوفيون فقد اجازوا ندب النكرات.

ومنع تقديم الحال على صاحبها المجرور، فلا يقال – في رأيه-: مررت راكباً بزيد[٤] ، وهو الذي ذهب اليه كثر البصريين. قال ابن الحاجب: "واكثر البصريين على منعه ..." وجوز تقديم الخبر على المبتدأ في نحو: تميمي أنا ، وعليه البصريون ، قال ابن الانباري: "ذهب الكوفيون الى انه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، مفردا كان او جمبة وذهب البصريون الى جوازه.."[٥].

وقال المثنى: "هو ما لحقت آخره زيادتان: ألف أو ياء مفتوح ما قبلها ، ونون مكسورة ، لتكون الاولى علماً لضم واحد الى واحد، والاخرى عوضا ممامنع من الحركة والتنوين الثابتين في الواحد .." ، وهو بذهب بمعنى: الى ، وواو الجمع ، والفاء.."[٦] ، وهو رأي البصريين، قال ابن الحاجب: "هذا مذهب البصريين، والكوفيون يزعمون انه منتصب بنفس هذه الخمسة من غير اضمار".

وذكر ان دخول الباء في الخبر في نحو قولك: ما زيد بمنطق ، انما يصح على لغة اهل الحجاز، لانك لا تقول: زيد بمنطلق، وهو مذهب الكوفيين . قال ابن يعيش: "وقوله: لا يصح دخول الباء الا على لغة اهل الحجاز ، لانك لا تقول: زيد بقائم ، يريد: ان ما بعد "ما" التميمية: مبتدأ وخبر، والباء لا تدخل في الخبر المبتدأ ، وهذا فيه اشارة الى مذهب الكوفيين، وليس بسديد.."[٧].

وقال في الفعل المضارع: "ويشترك فيه الحاضروالمستقبل،واللام في قولك: ان زيدا اليفعل، مخلصة للحال كالسين او سوف للاستقبال .." وعليه الكوفيون. قال اين الحاجب: "قوله: واللام

---

[١] المفصل /١/ ١٠٨- وابن يعيش / شرح المفصل/ ١٤٠أ

[٢] المفصل/ ١/ ٩٨

[٣] املفصل/ ١/ ١٠٥- وانظر:ابن يعيش/ شرح المفصل/ ٢/ ١٣

[٤] المفصل/ ١/ ١٥١- ولاايضاح شرح المفصل/ ١٤٨أ

[٥] المفصل/ ١/ ٦- والانصاف في مسائل الخلاف/ ١/ ٤٨

[٦] المفصل/ ٢/ ٧٢٩- والايضاح شرح المفصل/ ١١٧ب – وانظر: ابن يعيش/ شرح المفصل/ ٧/ ١٩

[٧] المفصل/ ١/ ٧٢٤- ولاايضاح شرح المفصل/ ١١٦ب

في قولك: ان زيدا ليفعل، مخلصة للحال ، هذا مذهب الكوفين، جعله ههنا قوله، وان كان يخالفه..[1] . وقال في باب "القسم"[2]: "ولكثرة القسم في كلامهم اكثروا التصرف فيه، وتوخوا ضروبا من التخفيف، من ذلك حذف الفعل في: بالله ، والخبرفي:لعمرك ما أقسم به ، ونون ايمن وهمزته في الدرج" وفي حاشية ز/ ١٦٥أ: "هذا يدل على ان الهمزة عنده همزة قطع، ومذهب سيبويه والمرد انهما همزة وصل ، وما اشار اليه الشيخ- يعني: الزمخشري – مذهب الفراء"

ولما كان الزمخشري بصري الذهب ، فقد حاول السخاوي ان يلتمس له عذرا ، فقال: "وقوله: ونون ايمن وهمزته في الدرج: اما ان يكون سهوا، او يكون مذهبه في هذه مذهب الكوفيين، والا فهمزة الوصل ابدا تحذف في الدرج"

وذكر ان "لو" قد تجيء في معنى التمني، وتكون حينئذ مصدرية مثل: "أن" وهو رأى الفراء الكوفي[3] . واختار رأي الكوفيين في الافعال المتعدية الى ثلاثة مفاعيل ، وزاد معهم الفعل: "حدث" ، واستشهد بقول الحارث بن حلزة:

او منعتم ما تسألون فمن حدثتموه له علينا العلاء [4]

وذهب مذهب اغلكوفيين و بعض البصريين على ان تكون "أنّ" المشدّدة المفتوحة – وما بعدها، فاعلاً لفعلٍ محذوف مقدرٍ، إذا وقعت بعد لو " تتطلب أن يتلوها فِعلٌ، قال: .. لأنّ تقدير: لو ألأنك منطلق لانطلقت: لو وقع أنك انطلقت، أي: لو وقع انطلاقك " [5] .

قال ابن يعيش [6]: فعلى مذهب ابي العباس محمد بن يزيد، فإنها فاعلةٌ في موضع مرفوع بفعل محذوفٍ، فإذا قال: لو أنّ زيداً جاء لأكرمته، فنقديره: لو وقَع مجيء زيدٍ لأكرمتُه، وهو رأي صاحب هذا الكتاب بمعنى: الزمخشري – لأنّ الموضَع للفعل، فإذا وقعَ فيه اسمٌ، أو ما هو في حكم الاسم، كان على إضمار فعل و تقديره .. " و قال ابن هشام [7]: و ذهب المبرد و الزجّاج و الكوفيون الى انه على الفاعلية، و الفعل مُقدّر بعدها .. قال الزمخشري: و يجب كون خبرخبر: أنّ فِعلاً ليكون عوضاً من الفعل المحذوف .

---

[1] المفصل/ ٣/ ٩٧٧- وشرح المفصل/٨/ ١٤٨- وانظر: المفصل شرح المفصل/ ٥/ ١٥١أ

[2] المفصل/ ٣/ ١٠٧٠- واملفضل شرح المفصل – وانظر: المفصل شرح المفصل/ ٥/ ١٥١أ

[3] المصل / ٣/ ٩٢٢- وانظر:ابن يعيش / شرح المصل / ٩/ ١١- والمدارس النحوية / ٢٨١

[4] المفصل/ ٢/ ٧٦٧- وانظر: ابن يعيش / شرح / المفصل/ ٧/ ٦٥- والمدارس النحوية/ ٢٨٤- ٢٨٥

[5] المفصل / ٢ / ٨٨٧

[6] شرح المفصل / ٨ / ٦٠

[7] المغني / ١ / ٢٧٠ – و انظر: المقتضب / ٣ / ٧٧ – و شرح المقدمة المحسبة / ١/ ٢٢١ – ٢٢٢

و ذكر أن صيغة التعجب: أفعل به " هي أمر لا ماضٍ، قال [1]"، و أما: أكرِمْ بزيدٍ، فقيل: أصله: أكَرَمَ زيدٌ، أي: صار ذا كرم .. الإ أنه أخرج على لفظ الامر ما معناه الخبر كما أُخرج على لفظ الخبر ما معناه الدعاء في قولهم: رَحِمهُ الله، و الباء مثلها في: كفى بالله، و في هذا ضرب من التَعَسّف . و عندي أن أسهل منه مأخذاً أن يقال: انه أمرٌ لكل أحدٍ بإن يجعل زيداً كريماً، أي: بأن يصفه بالكرم، و الباء مزيدة مثلها قوله تعالى: ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة للتأكيد و الاختصاص، أو بأن يصيره ذا كرم، و الباء للتعدية، هذا اصله، ثم جري مجرى المثل فلم يغير .. وهذا الذي ذكره هو رأي الكوفيين و الاخمش و الزجاج .

قال ابن يعيش [2]: .. وهذا الذي زعم انه اسهل مأخذا و عزاه الى نفسه، فهو شيء يُحكى عن أبي اسحاق الزجاج " و قال ابن القواس [3] قال الأخفش و الزجاج وحُكي عن الكوفيين و اختاه في المفصل: أنَّ اللفظ محمول على حقيقته الاصلية، أي: هو أمرٌ لكلّ أحدٍ بأن يجعل زيداً حَسَناً و كريماً.

و أما الآراء التي تفرّد بها أبو القاسم فكثيرةٌ، ومن أمثلة هذه الآراء:

- ذكر أنَّ في: "أما" معنى: الشرط و التوكيد قال [4]: فإذا قلت: أما زيدٌ فمنطلقٌ، فكأنك قُلت: مهما يكن من شيءٍ: فزيدٌ منطلق، إلا ترى ان الفاء لازمةٌ لها ". قال ابن هشام [5]:" و أما التوكيد فقلّ من ذكره ولم أرَ من أحكم شرحه غير الزمخشري ...
- وقال في باب التوكيد ايض[6]: "واكتعون وابتعون وابصعون: اتباعات لاجمعون، لاجئن الا على اثره قال الرضى[7]: "والزمخشري يقدمكم ابتع على ابصع ، وتبعه ابن الحاجب ، ولا ادرى ما صحتهه".
- ورأى أن "من " المبعضة تكون اسما ، لامكان سد " بعض" مسدها، عليها ما يجرى على الاسماء وستقر هذا الرأي بين اللغويين والنحاة بعد الزمخشري ن وساروا عليه قائلين: انه مذهب الزمخشرين وعلى هذا فقد اعرب المعربون الفية ابن مالك هذا البيت:

---

(1) المفصل / ٢ / ٨٢٤ – ٨٢٦

(2) شرح المفصل / ٧ / ١٤٨

(3) شرح الكافية / ١٨٥ ب و انظر: شرح المقدمة المحسبة ١ / ٢ ٣٨١ – واوضح المسال / ٢ / ٢٧٣ – ٢٧٤

(4) المفصل / ٣ / ٩٩٣

(5) المغني / ١ / ٥٧ – و انظر: البرهان في علوم القرآن / ٢ / ٤٠٦ .

(6) المفصل/ ١/ ٢٧٨

(7) شرح الكافية / ١/ ٣٣٤، ٣٣٦

والاسم منه معرب ومبني

هكذا: منه: مبتدأ، ومعرب: خبره[1].

- وذهب الى ان: "قد" يقترب الماضي من الحال اذا قلت: قد فعل ، ولا بد فيه من معنى التوقع ، وانه يدخل لتوكيد العلم ،وان "هل" بمعنى: قد دائما[2]
- وذهب في باب "افعل التفضيل" الى انه قد جاء أفعل" منه، ولا فعل له ، واستشهد على صحة مذهبة بقول العرب: احنك الشاتين واحمك البعرين، وبالمثل العربي: آبل من حنيف الحناتم، ثم قاس "اول" على آبل" فقال: واول: من افعل الذي لا فعل له "آبل" ، ومما يدل على انه أفعل: الاولى والاول.."[3] قال ابن القواس[4]: كذا دكره في المفصل، قيل:ان "آبل" له فعل ن يقال: أبل يأبل أبالة: اذا حذق لمصلحة الإبل"
- وذكرأن: أمس" معرب عند بني تميم مطلقا ، أي في جميع الاحوال، فقد جاء في باب "الظروف" ما نصه: "... وبنو تميم يعربونها ويمنعونها الصرف..."[5]
- ومنع التعليق في غير افعال" القلوب ، لانها اذا علقت عن العمل، استقلت في الاخبار ، والفائدة بانعتدها جملة، وهذا الايتأتى في غيرها من الافعال[6] . قال ابن يعيش[7]: "ان التعليق ضرب من الالغاء ، والفرق بينهما ان الافاء: ابطال عمل العمل لفظا وتقديرا، والتعليق: ابطال عمله لفظا لا تقديراً... ولما كان التعليق نوعا من الالغاء ، لم يجزأين يعلق من الافعال الا ما جاز الغاؤه، وهي افعال القلب، وهي: علمت وأخواته"
- وذهب الى ان " لن تفيد توكيد النفي، قال: "فاذا وكدت وشددت. قلت: لن ارح اليومن مكاني".

آراؤه النحوية في بعض مصنفاته :

ولكي تكمل ملامح الصورة لشخصية أبي القاسم النحوية ، رأينا أن نخص آراءه النحوية في مصنفاته بنظرة فاحصة، لنستطيع من خلال هذه النظرة مدى موافقة آرائه في هذه المصنفات

---

(1) المفصل/ ٢/ ٨٥٤، ٨٠٤، ٨١٠، وانظر الدرس النحوى/ ١٠٥

(2) تلكفصلك٣:٩٧٤ وانظر المعنى / ١/ ١٧٤، ٢/ ٣١٥- ومهدى المخزومي/ في النحو العربي/ ١٥٠

(3) المفصل/ ٢/ ٦٥٧- ٦٥٨- ٦٦٣

(4) شرح الكافية/ ١٥١أ- وانظرك الصحاح / أبل

(5) المفصل/ ١/ ٤٣٥- وننظر: الرضى / شرح الكافية / ٢/ ١٢٦

(6) المفصل/ ٢/ ٧٨٢

(7) شرح المفصل/ ٧/ ٨٦- وانظر: الازهار: الصافية / ٧٤٥

لآرائه التي تضمنها كتاب" المفصل" شاملا في هذه المصنفات، يعتبر ضربا من المستحيل، كما انه – اذا تيسرت استقاصاء آرائه النحوية استقصاء شاملا في هذه المصنفات ، يعتبر ضربا من المستحيل ، كما انه – اذا تيسرت الامور – يحتاج الى وقت طويل وجهيد ، ويشغل من ثم حيزا ضخما لا يحتمله هذا المبحث ، ناهيك عن ان هذا الاستقصاء انما يحتاج الى دراسة متخصصة ، بل ان آراءه النحية في كتاب "الكشاف" وحدة ، جديرة بأن يقام عليها دراسة ومن هنا ، فننا سنكتفي – دفعا للاطالة- بالوقف على بعض مصنفاته، واكثرها هاصلة بالحث النحوي، فنعرض امثلة في كل منها ، مراعين ان تكون كافية لا عطاء عكرة وافية عن مدى الانسجام العلمي والتواؤم الموضوعي بين هذه الاراء ، وتلك التي وردت في كتاب "المفصل" ، ومن هده المصنفات:

♦ **الكشاف:**

ويعتبر كتابا ذا قيمة علمية متميزة كما بينا، وقد اكتسب قيمته هذه لأن مصنفه لم يقصر همه وهمته فيه على تفسير الآيات القرآنية فحسب، بل وسع دائرة اهتمامه لتشمل النواحي: اللغوية والبلاغية والنحوية، قصدا منه الى ابرازبلاغة القرآن ووجه إعجازه. ويبدو في تفسيره الآيات ذواقة، مرهف الحس لجمال النص القرآني، وإذ تراه بارعا في دقة اختيار الكلمة من حيث: مادتها وصياغتها، ماهرا في "تقليب الجملة والكلام على ما يحتمله من أوجه وفي ذلك غناء وسعة للغة، وتوسيع للأفق، واستدعاء للمعاني المختلفة التي يحتملها التعبير"[١]. وتراه ايضا يعير اهمية بالغة لعلاقة النحو بالمعنيين: اللغوي والبلاغي، ويبني ترجيحه في الاعراب على اساس سمو المعنى وبلاغته، حتى اعتبر تفسير"الكشاف" من أشهر التفاسير التي عنيت بوجوه الإعراب[٢]. وهذا كله أضفى عليه شهرة واسعة، وجعله محط أنظار الدارسين للتفسير والنحو والبلاغة واللغة،فتدولوه واقبلوا على دراسته، وأفادوا من مادته العلمية فوائد جليلة، واستشهدوا بالآراء التي وردت فيه. واعاره كثير من النحاة أهمية خاصة فكاتب"مغنى اللبيب" لابن هشام،و"البحر المحيط"لابي حيان-على سبيل المثال- زاخران بآراء الزمخشري النحوية التي تضمنها كتاب"الكشاف".

---

[١] الدراسات النحوية اللغوية عند الزمخشري / ٢٤٢

[٢] القرآن وأثره في الدراسات النحوية/ ٢٢١

وقد استشهد الزمخشري" الكشاف" بكثير من الشواهد الشعرية التي استشهد بها في كتاب "المفصل" ولدي حصاء هذه الشواهد تبين لنا انها تزيد على تسعين شاهد بقليل ، منها شواهد وردت في اكثر من موضع من الكتاب بقول في معرض تفسيره لايه البقرة[1]: وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسكم به الله ، فيغفر لمن يشاء يعذب من يشاء: "وقرئ: فيغفر يعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ، ومرفوعين على: فهو يغفر فان قال كيف يقرأ الجازم ؟ قلت: يظهر الراء ودغم الباء ، ودغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا ، ورروايه عن ابي عمرو مخطئ مرتين ، لانه يلحن ، وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظي .

وقال عند ما فسرأية سورة يوسف [2]: "وقلن حاشا لله ما هذا بشرا: حاشا: كلمة بفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء ، تقول: اساء القوم حاشا زيد ، قال

حاشا ابي ثوبان ان به طنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر، فوضعت موضع التنزيه والبراءة ، ومن قرأ: حاشا لله فنحو: سقيالك، كانه قال: براءة ثم قال: "لله" بيان من يبرأ وينزه ، والدليل " حاشا" منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله باتنوين ، وقراءة ابي عمرو: حاش لله بجذف الالف الاخرة ، وقراءةالاعمش: حشا لله "بجذف الالف الاولى " .وما قاله هنا في موضع واحد اورده في "المفصل" في موضعين في باب "المنصوب على الاستثناء، وفي باب الحروف الجر".

وقال حين فسرآية سورة الحاقة[3]: هاؤم اقرؤا كتابيه: "وكتابيه: منصوب ب"هاؤم" عند الكوفيون، وعند البصريين بـ "اقرؤا" لانه اقرب العاملين ، واصله: هاؤم كتابي اقرؤا كتابي، فحذف الاول الدلالة الثاني عليه، ونظيره: "آتوني افرغ عليه قطرا " . قالوا: ولو كان العامل الاول لقيل: اقرؤه وافرغه الوهاء والهاء للسكت في كتابه ، وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانية ان تثبت في الوقوف وتسقط في الوصلن وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف ، وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط .." وقد ورد قوله هذا في موضعين من "المفصل": في باب الفاعل ، وفي باب هاء السكت.

---

[1] الكشاف / ١/ ٤٠٧- ٣/ ١٢٧٤

[2] الكشاف / ٢/ ٣١٧ والمفصل/ ١/ ١٨١٨، ٢/ ٨٧٥- ٨٧٧

[3] الكسشاف / ٤/ ١٥٢- ١٣٥- والمفصل/ ١/ ٤٦-٣ / ١٠٢٥- وانظر ايضا: الكشاف/ ١/ ١٠٢- والمفصل/ ٣/ ١٢٤٨، والكشاف / ٤/ ١٦٥

◆ **المحاجاة بالمسائل النحوية:**

كتاب صغير يشتمل على خمسين مسألة من مسائل النحو والصرف مسوقة في مسائل المحاجاة ، منسوقة في سلوك المعاياة[1] . وهي عبارة عن مجموعة من الاسئلة المركزة يبسطها الزمخشري في كل باب من ابواب الشرح ، ويفتحح كل مسألة من هذه المسائل بصيغة واحدة " أخبرني عن.." بالسؤال عما يجوز وعمالا يجوز، وعن علة هذا الجواز وعدمع ثم تتفرع بعد ذلك الى أسئلة كثيرة، وتتخصص تبعاً لطبيعة كل باب .

وترى الزمخشري فيه ماهرا في تنويع الاسئلة وتفريعها ، حتى ليبدو لك ان بعضها اجابة الاخر، وقد فرع مسائل بعض الموضوعات على اكثر من باب واحد ، ولكنه راعي اختلافاتها الجزئية فيما بينها من ناحية ، وراعى من ناحية ثانية عوامل الشبه بين مجموعاها فربها بالمنعنى العام للموضوع ، ووضع اجوبة الابواب مقابل المسائل التي اثارها ، فكان لكل سؤال جواب يقابله في موضعه[2] واتبع الزمخشري في عرض مادة هذا الكتاب ما اتبعه في عرض مادة "المفصل" وغيره ، حيث اثراه بالشواهد القرآنية والاحاديث والشعر والاقوال والقراءات ، وما إلي ذلك ، ليدعم وجهة نظره، ويعضه حجته. وتراه يثير الى ذلك في اثناء تقديم كتابه فيقول[3]: لا تستملي منه مسألة الا سقطت على املوحة من الاماليح العلمية ، وافكوهة من الافاكيه الحكمية.

◆ **الانموذج :**

كتاب صغير[4] يشتمل على اقسام ثلاثة: الاسماء والافعال ، ثم الحروف ، ألفه الزمخشر قبل كتاب "المفصل" وكانه قد الفه للدارسين المبتدئين، اذ راعى فيه السهولة والبساطة، فعرض المسائل النحوية عرضا سريعا، وشفع كل مسألة منها بمثال او اكثر ، لتسير فهمها واستيعابها، دون ان يعير اهتماما للشواهد ، أو عناية لاراء النحاة وخالفاتهم ، واغفل ايضا ذكر القياس وغيره من ادلة الصناعة ، وتجنب تعليل المسائل، لان هذه جميعا وربما تجهد الدارسين المبتدئين وترهقهم، وربما توقعهم في شئ من اللبس ، وتجعل الماد ة النحوية عسيرة الفهم وربما تجهد الدارسين المبتدأين وترهقهم ن وربما توقعهم في شئ من اللبس ، وتجعل المادة النحوية عسيرة الفهم

---

[1] الممة الزمخشري/ ٧٠

[2] المحاجة / مقدمة التحقيق / ٥-٦

[3] المحاجاة/ مقدمة الزمخشري/ ٧٠

[4] تقع النسخة المصورة التي بين يدي في: تسع عشرة ورقة ، في كل صفحة: ثلاثة عشر سطرا

لديهم، وكأنه قد رأى ان بعض الحروف: كالتنوين وشين الوقف وحرف التذكر وحرف الانكار لاحاجة للطالب المبتدئ بها ، فاسقطها من قسم الحرف.

ومن ينظر في "الانموذج" يجد ان مؤلفه قد راعى فيه الترتيب الموضعي الذي اتبعه فيما بعد في "المفصل" مراعاة دقيقة. ذلك ان الموضوعات النحوية التي بحثها فيه بايجاز شديد ن قد اعاد بحثها في المفصل مراعة دقيقة . ذلك ان الموضوعات النحوية التي بحثها فيه بايجاز شديد، قد اعاد بحثها في "المفصل" بالتفصيل فهد "الانموذج كتابا مختصرا للمفصل ليس غير . وللتدليل على ما نذهب اليه، نورد مثالا من كل فسم من اقسامه الثلاثة، يقول في قسم الاسماء[1]: "والصفة نحو: جائني رجل ضارب وضروب وكريم وهاشمي وعدل وذو مال . وتوصف النكرات بالجمل نحو: مررت برجل وجهه حسن ، ورأيت رجلا أعجبني كرمه.

والصفة توافق الموصوف في: اعرابه وافراده وتثنيته وجمعه ن وتعريفه وتنكيره، وتعريفه وتنكير ن وتذكيره وتأنيثه. ويوصف الشئ بفعل ما هو من مسببه ، نحو: مررت برجل منيع جاره ، ورجب فناؤه، ومؤدب خدامه". وقد تناول موضوع" الصفة" في المفصل" فتوسع فيه توسعا ظاهرا[2] .

وجاء في قسم الحروف [3]: "حرفا الشرط: "ان" للاستقبال وان دخل على الماضي، ولو: للمضي وان دخل على المستقبل . ويجئ فعلا الشرط والجزاء مضارعين وماضيين ، واحدهما ماضيا والاخر مضارعا ن فان كان الاول ماضيا والاخر مضارعا: جاز رفعه وجزمه ، نحو ك ان ضربتني. ولا تدخل الفاء في الجزاء اذا لم يكن مستقبلا ، او ماضيا في معناه ، نحو: ان جئتني فانت مكرم ، وان تكرمني كقولك ممن حدثك: اذن اظنك كاذبا، اومعتمدا على ما قبلها، نحو: انا اذن اكرمك" وقد توسع فيهما في "المفصل".

♦ مقدمة الادب

كتاب كبير الحجم في اللغة والنحو جميعا ، الفه لتعليم الفرس اللسان العربي، ووزع مادته العلمية على خمسة اقسام، خص اللغة بالقسمين: الاول والثاني، وخص بالاقسام الثلاثة الاخرى.

---

[1] الانزذج (ضمن) / ٦١أ

[2] المفصل/ ١/ ٢٧٧- ٢٩٢

[3] الانموذج / ٧٤أ- وانظر: المفصل/ ٣/ ٩٨٥- ٩٩٧

وقد تناول في القسم الثالث: "الحرف"فجعلها ثمانية انواع ، ليسهل حفظها ، وبحث في القسم الرابع الذي سماه: "تصرف الاسماء": بعض الموضوعات النحوية التي تخص المتعليمن كالعلم والمعرفة والتأنيث والصفة والمثنى والجمع والنسب والتصغير، وما الى ذلك وساق في القسم الخامس الذي سماه: تصرف الافعال" بعض الموضوعات التي رآها تسهم في تيسير تعلم اللسان العربي كلافعل المتعدي وغير المتعدي ، وفعلي التعجب، والفعل الصحيح والمعتل ، والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول واسم التفضيل ، وختمه باسماء الزمان والمكان.

وحين امعنا النظر في الاقسام التي خصصها الو القاسم لعلم النحو، وجناها تنسحم تماما مع الغاية التي الف الكتاب من اجاها ، فهو قد سرد فيها الموضوعات النحوية باسلوب تعليمي سهل التناول ، بعيد كل البع عن مناخ التعليل والتأويل والاستشهاد، وما شاكلها. ووجدنا ايضا ان هذه الموضوعات قد اوردها برمتها في كتاب المفصل بعد ان احاطها بشيء كثيرمن العناية والتركيز والتفصيل والموضوعات قد اوردها برمتها في كتاب "المفصل بعد ان احاطها بشيء كثير من العناية والتركيز والتفصيل والموضوعية .

يقول في قسم الحروف [1]:"فصل: في الحروف التي تنصب المضارع، وهي أربعة: أحب ان تقوم وتضمر "أنْ" بعد حروف خمسة: سِرتُ حتى ادخلها، لا تأكل السّمك وتشرب اللبن، لألزمنك أو تعطيني حقي، جئتك لتكرمني، زرني لأكرمك، لا تشتمني فأشتمك، اين بيتك فأزورك، ما تأتينا فتحدّثنا، ليت لي مالاً فأنفق، الا تنزل فتُصيب خيرا . لن يقوم زيدٌ، جئت كي تعطيني ، و كي ما تكرمني إذن أكرمك" .

وقد وردت هذه الحروف و أمثلتها في كتاب المفصل"، إذ بسط القول فيها بالتفصيل في قسم الافعال حين بحث موضوع نصب الفعل المضارع، ثم أعاد بحثها في مواضعها من القسم الثالث، وهو قسم الحروف [2] .

و يقول في قسم تصرف الاسماء [3]:" فصل: إذا اثني الاسم الحق بآخره الف ونو مكسورة، أو ياءً مفتوح ما قبلها ونون مكسورة كقولك: رجلان ورجلين، وغلامان و غلامين . الالف علامة الرفع، و الياء علامة الجر و النصب، تقول: جاءني غلامان و هذان رجلان، كما

---

(1) مقدمة الادب / ١٩٤ أ – ب

(2) المفصل / ٢ / ٧٢٩ – ٧٤٨، ٩٣٦، -٣/ ٩٥٨، ٩٦٧، ٩٧٨، ٩٩٧ .

(3) مقد\مة الادب / ١٩٥ ب

تقول: جاءني غلامٌ و هذا رجلٌ، ورايتُ غلاماً . ومررت بغلامين كما تقول: مررت بغلام . وقد بحث موضوع "المثنى" بحثاً وافياً في كتاب "المفصل .

وجاء في قسم تصرف الافعال"[1]: فصل: اعلم أن الفعل: متعدي، وغير متعدي، فالمتعدي: ما تعدّىمن الفاعل الى غيره، كقولك: ضربته وقتلته، الا ترى ان الضرب لا يتصور الا ان يحدثه المحدث في آخر، و كذلك القتل و غير المتعدي: ما اقتصر على الفاعل فلم يتجاوزه الى غيره، كقولك: قعد و قام، الا ترى ان المحدث القيام و القعود، لا يحدث فعله في آخر .

ومما يوضحه انك تقول: ضربته و قتلته، ولا تقول: قمته و قعدته، فاذا قلت: أقمته و أقعدته جاز، لأنه صار متعدياً، لأنك أحدثت في آخر قياما و قعوداً . وما أورده الزمخشري موجزاً هنا، و توسّع فيه كتاب "المفصل"[2] . وهكذا نهج في سائر الموضوعات النحوية التي عالجها في كتاب "مقدمة الأدب . إذ راعى فيها الإيجاز و التبسيط و التوضيح، بحيث تكون مناسبة لمستوى من يقبل على تعلم العربية .

- **أعجبُ العجبِ في شرح لامية العرب**

وهو كتاب صغير شرح فيه ابو القاسم قصيدة الشاعر الجاهلي: الشّنفرى" التي عرفت باسم: لامية العرب"، و قد حظيت اللامية هذه باهتمام العلماء و خاصة في القرن الرابع وما بعده[3]، وربما يرجع سبب هذا الاهتمام الى ما تضمنته أبياتها من معان سامية و صفات حميدة كالصبر والإباء و القناعة و الاعتزاز بالنفس، وما الى ذلك .

فأقبل عليها اللغويون و النحاة و غيرهم يدرسونها و يشرحونها و يبرزون المعاني التي تضمنتها، فكتاب أعجب العجب" مثلا يضم شرحين لعالمين كبيرين من علماء النحو و اللغة: المبرد والزمخشري .

ومن ينظر في الكتاب يجد أن الزمخشري قد بذل في شرح القصيدة جهدا محموداً يدلّ على قدرته اللغوية و يجد ايضاً ان الكتاب ثريّ بالمسائل النحوية، فترى الزمخشري يتناول كل بيت من أبيات القصيدة على حدّةٍ فيشرح ألفاظه التي تبدوا صعبة، و يورد معناه في أغلب الاحيان، ثم يقوم بإعرابه .

---

[1] مقدمة الادب / ٢٠٠ أ – ب .

[2] المفصل / ٢ / ٧٦٥ – ٧٦٩

[3] اعجب العجب / المقدمة / ٨-٩ .

وقد وقف من خلال إعرابه الابيات على بعض المسائل النحوية، فبسط القول فيها، و أطال الوقوف عليها، فأبرز أوجه الخلاف بين النحاة فيها، و رجّح بعض آراء على بعضها الآخر، واهتم بأمر القياس و العلة و العامل و استشهد بالشواهد التي تعضد رأيه، كما هو شأنه في بحثه النحوي . على أن الآراء النحوية التي وردت في هذا الكتاب قد اتفقت تماما مع آرائه التي وردت في المفصل " من ذلك مثلا قوله في معرض شرحه للبيت:

أقيموا بني أميّ صُدور مطّيكم   فإنيّ الى قوم سواكمْ لأميَلُ [١]

و اختصت " إنّ" بدخول اللام في خبرها لبقاء معنى الابتداء بعد دخولها، و أما لكنّ فلم تدخل اللام في خبرها في الاختيار . و ما يروى: و لكني في حبها لعميدُ

فشاذٌ لا يعول عليه . ويؤكد زوال معنى الابتداء بدخول " لكنّ أنها موضوعةٌ للاستراك " وان للتحقيق، و الابتداء لا للاستدرك فيه، و أنما كسرت اذا دخلت اللام في خبرها، لأنها في موضع المبتدأ، ولو حذفتها لكان ما بعدها مرفوعاً بالابتداء [٢] .

ورأيه في "أن" و"لكنّ" هنا يتفق مع رأيه فيهما في كتاب المفصل [٣] و قال في اثناء شرحه للبيت:

أديمُ مطالَ الجوعِ حتى أميتهُ   وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل [٤]

اما حتى فالظاهر من حالتها معنى الغاية: " الى التي هي حرف جر مقابلة ل" من" التي لابتداء الغاية ، " وحتى محمولة على " الى" و لذلك جرّت .. ثم ان " حتى خرجت " الى ابواب أخر عن هذا الاصل، من عطف و ابتداء فلم تتمكن في الجر تمكن " الى " فكانت الى " أقعد منها في هذا الباب، ودليل ذلك انك تقول: جئتُ الى زيدٍ، و اليك و اليه و اليهما، ونظائره، واقتصرت في حتى على: حتى زيدٍ، و لم تقل: حتّاه، ولا حتاك، ولا حتّاهما، ولذلك اختلفوا في المجرور بعدها، هل الجارله "حتى " نفسها، أو نيابة عن الى، وقيل: بإضمار " الى "بعدها، وان لم يظهر لفظها، والصحيح: القول الاول .

---

[١] يقال: أقام صدر مطيته: اذا سار، واذا توجّه فقد أقام صدر مطيته، و المطية كل ما يتمطى من الدواب . و المعنى: جدّوا في أمركم و انتبهوا من رقدتكم .

[٢] أعجبُ العجب / ٣٣ / ٣٤ .

[٣] المفصل / ر٢ / ٨٨٩ – ٨٩٣ – ٩٠٩ – ٩١٠ .

[٤] المطال من المماطلة، وهي امتداد المدة، وضربت بالشيء صفحا: اذا اعرضت عنه و تركته، و أذهل عن الجوع أنساه، و المعنى: انني أقوى على رد نفسي عمال تهوى و اغلبها،

فإذا وقع الفعل بعدها وكان منصوبا، روعي تقديرُ "أن" بعد" حتى" ليكون النصب ب أن" لأنّ" المقدرة ومعمولها في موضع جرّ ب" حتى"، و" حتى" و معمولها في موضع نصب بالفعل قبلها، او يقوم مقام الفعل، ولا تنقل اذا عملت في الفعل الا ان تكون بمعنى:الى" ان" او" كي" او هما .. [1] . و ما ذكره هنا ورد في ثلاثة مواضع من كتاب المفصل " في باب المضارع المنصوب"، و في باب " حروف الجدرّ" و في باب حروف العطف " [2]، و قال عندما شرح البيت:

فلما لواهُ القوتُ من حيثُ أمهُ دعا فأجابنهُ نظائر نحّلُ [3]

ولما: هي المزيدةعليها " ما" وعند التركيب حدث لها معنى لم يكن عند الإفراد، وهذه اصل في كل شيئين ينفرد احدهما بمعنى يغاير معنى الاخر عند الانفراد . فاذا رُكّبا حصل – أي حدث – للمركب معنى لم يكن، فاذا وليها المستقبل جزمته وكانت حرفا ، وان تعقبها الماضي كانت ظرفا ، و اقتضت جوابا .. وهو ما ذهب اليه في الفصل [4] وعقد فصلا خاصا لمسألة حسن الوجه، وجعلها ست مسائل مشغوفة بالشواهد الشعرية التي استشهد بها في كتاب" المفصل" و توسّع في شرحها و ساق آراء العلماء و الخلاف بينهم فيها . أكثر مما فعل في المفصل" حيث خصص لها ثماني صفحات ، و لذلك فاننا أعرضنا عن ذكرها ها هنا لطولها . [5] .

ومن الامثلة ايضا على موافقة آرائه في مصنفات للآراء التي اوردها في المفصل -

قوله في كتاب "الفائق في غريب الحديث" [6] " ... كأين: فيها عدة لغات ذكرتها في كتاب المفصل، وهي في اصلها مركبة من كاف التشبيه وأي " وقوله فيه أيضا [7]: "حس به وأحس به معنىً ويقال كحست به، قال:

احسن به فهن اليه شوس

---

[1] أعجب العجب / ٦٢

[2] المفصل / ٢ / ٧٢٩، ٧٣٢- ٧٣٥، ٨٥٥، ٩٢٤

[3] لواه: دفعه، يقال: لويت الرجل عن حاجته ليا: اذا صرفته عنها، و امه: قصده . و النظائر: الاشباه و الامثال جمع نظيره، و اراد بها إناث الخيل، و نحلّ: ضوا مرومها زيل، يريد: انه لما عز عليه القوت طلبه عند غيره، فوجد حاله كحاله في الهزال مع الجوع .

[4] اعجب العجب / ٧٣ – و المفصل / ٢ / ٧٤٩، ٩٣٤

[5] اعجب العجب / ٧٦ – ٨٣ – و المفصل / ٢ ٦٤٨ – ٦٥٤ .

[6] الفائق / ٢/ ٣٨٥- والمفصل / ٢/ ٤٦٢

[7] الفائق / ٢/ ٢٠٠- والمفصل/ ٣

ونحوهما:ظلت ومست ، يحذفون اول المثلين لتعذر الادغام من حيث سكن الثاني سكونا لازماً" وهو منقول بنصه من باب "الادغام" في "المفصل"

ومن أمثلة ذلك ايضا قوله في مقدمة الادب حين عرف حركات الاعراب: "تسمى الرفع والنصب والجر ، وهي الحركات المختلفة التي تحدث في آخر الاسم بعوامل مختلفة تدخل عليه"، زخز كزتفق نكتكت لكت دء في كتاب "المفرد والمؤنث" وكتاب "المفصل"[1] .

وبعد ، فان هذه الاراء النحوية التي تبين لنا انها تتفق مع قرينتها في كتاب "المفصل" ، نعكس لنا ابعاد شخصية أبي القاسم النحوية، وتقنعنا انه كان منسجما مع نفسه ، ثم انها الترقي ان تكون شاهدا قويا على انه عالم نحوي مجتهد، وانه يصدر في آرائه عن قواعد واصول محددة الاطر، وان الرؤية في اصدار الاحكام واعطاء الاراء واضحة لديه.

اما الرأي الذي اوردناه له في "الكشاف" وبينا انه مخالف لما قاله في "المفصل" ، فانه لان ينقض ما قلناه ذلك انه من حق العالم المجتهد عن رأيه اذا تراءى له فيما بعد وجه الخطأ فيه،وهذا امر درح عليه المجتهدون في مختلف العالم المجتهد ان يتراجع عن رأيه اذا ترائى له فيما بعد وجه الخطأ فيه، وهذا امر درج عليه المجتهدون في مختلف العصرو حتى كاد ان يكون عرفا. وقد قصدنا الى ايراد هذا الرأي قصدا منا، لنبين ان ابا القاسم يستمتع بروح العالم المجتهد الذي لا يجد عضاضة في التراجع عن رأيه حين يتبين له انه خطأ . ومن هنا فان مثل هذا الرأي المخالف لا يصلح ان يكون حجة على الزمخشري، وانما هو حجة له، فهو قد صنف "الكشاف" بعد "المفصل" كما قلنا، وربما تراءى له وجه الخطأ فيما "المفصل" ، فتحول عنه الى ما يغلب على ظنه انه الصحيح في "الكشاف".

وقبل ان نختم القول في هذا الفصل، رأينا ان طبيعة البحث تلح علينا ان نقف قصيرة عند طائفة من العلماء الذي جاءوا بعد الزمخشري، لنبين مواقفهم من آرائه: قبولا ورفضا.

مواقف بعض العلماء من آرائه :

لقد كان ابوالقاسم عالما محبا لعلم النحو، حفيا باصوله وفروعه، فاكثر القول فيه، وأثرى كثيرا من مصنفاته بمسائله وقضاياه كما رأينا، وتوسع في ذلك حتى أصبح الحث سجيه من سجاياه، وغدت آراؤه الكثيرة طاهرة نحوية شغلت العلماء والدارسين ، واستنفذت قسماً كبيراً من طاقاتهم العلمية فترة طويله من الزمان. ونحن لا نجانب الصواب حين نقول: ان اكثر

[1] مقدمة الادب/ ١٩٥أ- والمفرد والمؤلف/ ٢/ والمفصل/ ١/ ٣٥

المؤلفات النحوية – ان لم يكن كلها– التي الفت في اواخر القرنالسادس الهجري وما بعده ، قد أفاد مؤلفوها من هذه الأراء ، وأقاموا عليها على غيرها دراساتهم النحوية، فمن يستعرض هذه المؤلفات استعراضا سريعا يجد ان آراء الزمخشري تتردد على صفحاتها بين الحين والحين. واختلفت مواقف العلماء من هذه الارء ، وتباينت وجهات نظرهم منها ، وذلك ان موافقة عالم كالزمخشري في جميع الاراء النحوية التي اثبتها، لا يمكن ان يعتبر ظاهرة صحيحة في الدرس النحوى، لان ذلك يعني ان باب الاجتهاد في هذا العلم قد اوصد ، فم يعد هنالك زيادة لمستزيد . ومن هنا،كان من الطبيعي ان يبفق العلماء معه في آراء، وان يخالفوه في آراء اخرى، وبلك سنة طبيعية في المجال العلمي، اذلا توجد ثمة آراء قطعية، فسائر الاراء العلمية التي يضعها واضعوها خاضعة للنظر والدرس والتمحيص والرفض والقبول.

على ان استقصاء آراء العلماء جميعا في صاحب "المفصل" يعتبر علملية شاقة من جانت ، واضالة قد تخرج البحث عن جادته من جانت آخر. ثم انه ليس من عايتنا هنا ان نولي اهتما منا لكم ، وانما غايتنا من ايراد هذه الاراء تنصب على الكيف، فنحن نود أن نتبين: كيف نظر بعض هؤلاء العلماء الى آراء ابي القاسم النحوية ، وكيف وقفوا منها. ولما كان الامر كذلك ، فسوف نكتفى بعرض بعض آراء طائفة م العماء الذين جاءوا بعده ، واهتموا بامر مفصله ، فنبسط قسما من الاراء التي تابعوه فيها ، وقسما من الاراء التي عارضوه فيها، وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، لنلقي ضوؤا على النشاط العلمي الذي أحدثته آراؤه في مجال الدرس النحوي ومن هؤلاء العلماء:

- **ابن يعيش[1] :**

وقد أولى آراء الزمخشري التي وردت في كتاب "المفصل" عناية خاصة ، فاقبل عليها: دراسة واستيعابهاوشرحا ، واحاط اكثرها بالتأييد والاستحسان ، وتابع الزمخشري في جمهرة آرائه ، وليس أدل على هذه التابعة من مبادرته لشرح "المفصل" ، إذ رأى فيه كتابا جليل القدر ، عظيم

---

[1] هوموقف الدين ابو البقاء ، يعيش بن علي بن يعيشبن محمد الحلبي الكشهور بابن يعيش ، وكـان يعـرف بـابن الـصانع ايضاولد بحلب سنة: ٥٥٣هـ ، وقرأ النحو على: أبي العباس البيزوري وغيره، واصبح من كبا أئمة العربية في عصره وقصدر للاقراء بحلب زمانا، وطال عمره ، وشاع ذكره ، وكثرتلا مذته. واخد عنـه: ابـن مالـك وابـن خلكـان ويـاقوت الحمـوي والقفطي، وغيرهم . ورحل الى بغداد ودمشق ، وجالس العلماء فيهما، ومات بحلب سنة: ٦٤٣هـ . ومن اشهر مـصنفاته: شرح المفصل، وشرح الملوكي ي التصريف.

= اخبار في: بغية لوعاة/ ٢/ ٣٥٢ ، والبلعة في تاريخ ائمة اللغة/ ٢٨٩، ومعجم المؤلفين / ١٣/ ٢٥٦، والاعلام / ٩/ ٢٧٢

الفائدة ، جديرا بالشرح والتبسيط حتى يسهل على الدارسين استيعابه وقطف ثمار قوائده، فقام بشرحه ، واحسن فيما فعلز ومن امثلة موافقاته للزمخشر:

قال الزمخشري في التأكيد ومتى اكدت بـ " كل واجمع " غير جمع ، فلا مذهب لصحته حتى تقصد أجزاءه كقولك: قرأت الكتاب كله ، وسرت النهار كله واجمع ، وتبحت الارض.."

فقال ابن يعيش "إن" كلا وأجمع" معناهما الاحاطة والعموم، فلا يؤكدبهما الا ما يتبعض ويصح تجزئته فتقول قرأت الكتاب كله ، لانه يمكن قراءة بعضه، وسرت النهار أجمع ، لامكان سير جزء ، وتبحرت الارض، أي:توسعت فيها، كل هذه الاشياء يجوز تأكيدها بـ " كل واجمع " لامكان تجزئتها وتبعضها.."

وقال في باب "الكتابات" ".. وكيت وذيت: مخففتان من: كية وذية . وكثيرمن العرب يستعملونها على الاصل.." فقال ابن يعيش.. وقد نطقت بذلك العرب فقات: كان الامر كية وذية ، ثمن انهم حذفوا الهاء، وابدلو من الياء التي هي لام كما فعلوا في ثنتين.."

وجاء في باب " لفعل المبني للمفعول": "واما قوله: معدولا عن صيغة: "فعل " الى فعل " الاشارة الى ان هذهالصيغة منشاة ومركبة من باب الفاعل ، وعليه الاكثر من اننحويين ، ومنهم من يقول: ان هذا الباب اصل قائم بنفسه، وليس معدولا عن غيره.. والمذهب: الاول.."

وجاء في باب "ابدال الحروف"[1]: " والنون ابدلت من الواو واللام في نحو: صنعاني وبهراني.."

فقال ابن يعيش[2] " القياس في النسب اليهما صنعاوي وبهراوي.. وقد قالوا: صنعانى وبهرانى على غير قياس ، واختلف الاصحاب في ذبك ، فمنهم من قال: النون بدل الهمزة في صنعاء وبهراء،ومنهم من قال النون بدل من الواو، كأنهم قالوا: صنعاوي كصحراوي، ثم أبدلوا من الواو نوناً، وهو رأي صاحب هذا الكتاب، وهو المختار .."

وفي أثناء حديث الزمخشري عن " تخفيف الهمزة: ذهب الى انهم التزموا حذف الهمزة في باب:يرى و أرى يُري، لأن اصلها: يرأى و يُرئي، فوقعت الهمزة متحركة و ما قبلها حرفٌ صحيحٌ ساكنٌ، فحذفت لكثرة الاستعمال [3] قال ابن يعيش [4]: و لزم هذا التخفيف و

[1] المفصل/ ٣/ ١١٥٦

[2] شرح المفصل ٣٦/١٠

[3] المفصل / ٣ / ١٠٨٢ – ١٠٨٤

[4] المفصل / ٩ / ١١٠

الحذف لكثرة الاستعمال، و الى هذا الوجه يشير صاحب الكتاب، وهو أوجه عندي لقربه من القياس ."

وعلى أن ابن يعيش لم يكن ظِلاً لصاحب " المفصل"، بل عارضه في مسائل نحوية كثيرة . فتراه يرد برأيه أحيانا وقد يسوق رأياً مغايراً لرأيه، و قد يتناول عبارته فيقيدها و يحدّد موضع الإطلاق فيها، وربما يبسط القول في اغلعبارة الموجزة التي يرى انها ج\ديرة بالتفصيل، و قد يستدرك على الزمخشري ما فاته و يكمل بعض جوانب النقص في المسألة كما يفعل الشارحون في أغلب الاحيان، فمن أمثلة معارضته له:

قال الزمخشري في باب الجموع " و قد يجمع الجمع فيقال في كل: أَفْعُلٍ و أَفْعِلةٍ: أفاعل، و في كلّ أَفْعال: أفاعيل .."

فقال ابن يعيش:" إن جميع الجمع ليس بقياس، فلا يجمع كل جمع، وإنما يوقف عندما جمعوه من ذلك، ولا يتجاوز الى غيره، وذلك لأن الغرض من الجمع: الدلالة على الكثرة، وذلك يحصل بلفظ الجمع، فلم يكن بنا حاجة إلى جمع ثان، وأم قول صاحب الكتاب: فيقال في كل افعال وأفعله: أفاعل، وفي كل أفعال: أفاعيل، فتسمح في العبارة والصواب ماذكرناه ".

وقال في باب " التنوين" [(1)]:" وهو على خمسة أضرب: الدال على المكانة في نحو: زيدٍ ورجل .. والنائب مناب حرف الأطلاق .. والتنوين الغالي .."

فقال ابن يعيش [(2)]:" وسموا الحركة التي قبل النون: الغلو، لأنه دخل دخولاً جاوز الحد، لأنه منع من الوزن، والغلو: تجاوز الحد، وصاحب الكتاب جعل هذا الغالي قسماً غير الأول، والصواب أنه ضرب منه، ويجمعهما: الترنم، إذ الأول إنما يلحق القوافي المطلقة معاقباً الحروف الإطلاق، والثاني: وهو الغالي إنما يلحق القوافي المقيدة".

وجاء في باب " الحال " [(3)]:" والجملة تقع حالاً، ولا تخلو من أن تكون اسمية أو فعلية، فان كانت اسمية فالواو،إلا ماشذ من قولهم: كلمته فوه إلى في .."

فقال ابن يعيش:" إن اراده أنه شاذ من جهة القياس فليس بصحيح، لوجود الرابط في الجملة الحالية، وهو المضمر " فوه" وان أراد أنه قليل من جهة الاستعمال فقريب، لأن استعمال الواو في هذا الكلام أكثر، لأنها أدل على الغرض، وأظهر في تعليق ما بعدها بما قبلها ".

---

(1) المفصل / ٣/ ١٠١٢- ١٠١٥

(2) شرح المفصل / ٩/ ٣٤

(3) المفصل / ١/ ١٦٤

وفي أثناء حديث الزمخشري عن الجمع الصحيح والجمع المكسر قال:".. فالذي بالواو والنون لمن يعلم في صفاته.."

فتناول ابن يعيش عبارة:" لمن يعلم في صفاته " مبيناً سبب عدول الزمخشري عن عبارة " لمن يعقل " مع أن المقام يقتضيها ويبقى النص صحيحا وسياقه معقولاً، وهو ما تعارف عليه النحاة، حيث قال:" وانما قال: لمن يعلم، ولم يقل: لمن يعقل، لأن هذا الجمع قد وقع في القديم سبحانه، نحو قوله:" والأرض فرشناها فنعم الماهدون " وهوكثير، فلذلك عدل عن اشتراط العقل إلى العلم،لأن الباريء يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل، وإنما قال: لِمَنْ يعلمُ، ولم يقل: لأولى العلم،لأن الباري سبحانه عالم لذاته، لايعلم عنده، فجرى في العبارة على قاعدة مذهبه " يعني: الاعتزال وقال في باب " الأدغام "[1]:".. ولم يدغموا نحو: تذكرون، لئلا يجمعوا بين حذف التاء الالولى وادغام الثانية " فرد عليه ابن يعيش بقوله [2]:" وقوله صاحب الكتاب:" ولم يدغموا نحو ذكرون، لئلا يجمعوا.. إشارة منه بأنه كان يسوغ الاغام اولا الحذف، وليس ذلك صحيحا، لأن هذا النوع من الادغام لايسوغ في المضارع ".

• السخاوي[3]:

وكان فيما يبد وأكثر اهتماما بآراء الزمخشري النحوية من ابن يعيش، فهو قد خص كتاب " المفصل" بشرحين: أولهما: " المفصل في شرح المفصل " الذيتناول فيه شرح المسائل النحوية التي بسطها الزمخشري في " المفصل "، والثاني: " سفر السعادة " الذي خصصه لشرح الألفاظ الغريبة التي وردت في أبنية الأسماء والأفعال وأبواب المثنى والمجموع والمصغر والمنسوب، وغيرها من أبواب الكتاب، ورتبها حسب حروف المعجم .وقد تجاوز حدود كتاب " المفصل " فتعقب آراء الزمخشري في بعض مصنفاته الأخرى، حيث أولى عنايته بآراء الزمخشري التي وردت في كتاب " المحاجاة "،

---

(1) لمفصل / ٣/ ١٢٨٧

(2) شرح المفصل / ١٠ / ١٥٢

(3) هو: علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمد اني الشافعي، ولد ببلدة " سخا" من أعمال المحلة بمصر سنة: ٥٥٨ هـ ثم أقام في دمشق الى ان توفى بها سنة: ٦٤٣ هـ . أخذ عن الشاطبي والوصري والسلفى، ولازم تاج الدين الكندي بدمشق، وأخذ عنه: ابن مالك وغيره . كان علما بالقراءات والاصول واللغة والنحو والتفسير، وله نظم، وتصدر للإقراء في جامع دمش فترة من الزمان من مؤلفاته: المفاخرة بين دمشق والقاهرة والضوابط النحوية – منظومة، وشرح مصابيح السنة للبغوي.

= أخباره في: بغية الوعاة / ٢/ ١٩٢– وانباه الرواة / ٢ / ٣١١ – وطبقات الشافعية / ٥/ ١٢٦– والبلغة في تاريخ أئمة اللغة / ١٦٦– ومعجم الادباء / ١٥/ ٥٦– والاعلام / ٥/ ١٥٤– والمفضل شرح المفصل / ق١/ ٦٩ – ١٠٠.

فخصه هو الآخر بشرح قيم أسماه:" منير الدياجي ودر التناجي في تفسير الأحاجي " .وقد علج السخاوي آراء الزمخشري في كتاب " المفصل " بالاستيعاب والشمول، فتراه يقبل على المسألة فيحيط بجوانبها جميعا، ويستوعب سائر تشعباتها، وقد يسرف في شرحه أحيانا فيطيل إطلة تخرج به عن القصد وربما كان ذلك حرصا منه على اجلاء آراء الزمخشري إجلاء يتيح للدراسين فهمها .ومهما يكن من أمر، فإن السخاوي قد وافق أبا القاسم في اغلب الآراء التي قام بشرحها، ومن أمثلة موافقاته: قول الزمخشري في باب " الصفة :" ومن حق الموصوف أن يكون أخص من الصفة أومساويا لها .."

فقال السخاوي [1]:" انما وجب أن يكون الموصوف أخص من الصفة وأعلى منها درجة في التعريف، لانه متبوع والصفة تابع، والمتبوع دون التابع، وقيل: انما كانت الصفة أعم من الموصوف من قبل حقيقتها، وذلك أنها لفظ دال على معنى يصلح ذلك المعنى،فلا بد على هذا أن تكون اعم من الموصوف"، فهو بقوله هذا قد عزز ما ذهب إليه الزمخشري .

- وذهب ابو القاسم في باب البدل إلى [2]: "أنه لايحسن إبدال النكره من المعرفة إلاإذا كانت موصوفة " فوافقه أبو الحسن في مذهبه بقوله [3]:" وأما بدل النكرة من المعرفة فلا يجوز اذا كان خاليا عن البيان والإيضاح "
- وذكر في باب " الكنايات" أنّ" كم" [4]: الخبرية مضافة الى مميزها، عاملية فيه عمل كل مضاف في المضا٦ف اليه فاذا وقعت بعدها "من"، وذلك كثير في استعمالهم .. كانت منونة في التقدير .."، فتابعه السخاوي فيما ذكر، اذ بين أ، ما ذهب اليه الزمخشري هو رأي البصريين، ثم أورد رأي الكوفيين ورده لضعفه، فقال [5]: " كم الخبرية مضافة عند البصريين الى ما بعدها، وهو مجرورها، لان " كم " بمنزلة العدد الكثير الذي يضاف الى ما يبينه، ثم يدخل " من " بعدها للجنس. وقال الكوفيون: الحفض بعد " كم " في كل حال، ب " من " ظاهرة، أو " من " مقدرة .. ولذلك جازا الفصل بين " كم " وبين المخفوض، وقد رد هذا من باب أ، حذف الجار وإبقاء المجرور ضعيف .. ".

---

[1] المفضل في شرح المفصل / ٢ / ٩٦٨
[2] المفصل / ١ / ٢٩٥
[3] المفضل في شرح المفصل / ٢ / ٩٨٣
[4] المفصل / ٢ / ٤٦١
[5] المفضل فغي شرح المفصل / ٣ / ١٥٩ ب

• وقال في باب " الجموع : وأمثلة صفاته كأمثلة أسمائه، وبعضها أعم من بعض، وذلك قولك: أشياخ ووجاع، وقد جاء: وجاعي.. " فقال السخاوي: " .. وذكر صاحب المفصل: وجاع في جمع: وجع، وهو صحيح، يقال: وجاع وأوجاع ووجعى "

• وذكر في باب " حروف الجر " أن: " الباء: معناها الإلصاق.. ويدخلها معنى: الاستعانة، في نحو: كتبت بالقلم ونجرت بالقدوم .." فتابعه السخاوي فيما ذكر، ومضى يوضح عبارته ويبين مدلولها فقال: " وقوله في المفصل: ويدخلها معنى الاستعانة، يريد: أنها للإلصاق في وضعها، ويدخلها مع ذلك ما ذكره مع الالصاق من الوجه المتقدم ". وعلى هذه الشاكلة يمضي السخاوي في كتاب " المفضل شرح المفصل "، فيعرض رأي الزمخشري في المسألة، ثم يذهب الى تأييده في أغلب الأحيان، ويستعين على ذلك بالشواهد والآراء التي تدل على صحة هذا الرأي. ولكنه على الرغم من ذلك، قد خالفة في بعض الآراء، ومن أمثلة مخالفاته له:

• قوله في أثناء " شرح " باب الإضافة "[1]: " .. ومن حذف المضاف قولهم: لا غير، وليس غير، قال سيبويه: تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب، ولم يذكره الزمخشري في الباب ".

• وقال الزمخشري في باب " التأكيد "[2]: " ولا يقع كل " و " أجمعون " تأكيدين للنكرات، لا تقول: رأيت قوما كلهم أو أجمعين، وقد أجالز ذلك الكوفيون فيما كان محدودا ..." فبين السخاوي أن هذا القول من شأنه أن يوهم، ويوقع باللبس فوضحه ثم التمس العذر للزمخشري فقال [3]:" وقوله: ولايقع كل وأجمعون تأكيدين للنكرات يوهم أن "نفسه وعينه" يقعان تأكيد، والكل غير جائز، وعذره في ذلك، أنه أراد أن يذكر موضوع الخلاف، إذا أجاز الكوفيون تأكيد ما كان من النكرات مؤنثا بكل وأجمع .."

• وذهب أبو القاسم في باب " حرفا الشرط " الى انه [4]:" لايخلوا لفعلان في باب " إن " من أن يكونا: مضارعين، أو ماضيين،أو أحدهما مضارعا والآخر ماضيا "ثم قال:"فاذا كانا مضارعين فليس فيهما إلا الجزم، وكذلك في أحدهما إذا وقع شرطا، فاذا وقع جزاء، ففيه: الجزم والرفع .."

---

[1] المفضل في شرح المفصل / ٢ / ٩٠٧

[2] المفصل / ١ / ٢٧٤

[3] المفضل شرح المفصل / ٢/ ٩٤١

[4] المفصل / ٣/ ٩٨٥ -٩٨٦

فقال أبو الحسن السخاوي:"قوله: " وكذلك في أحدهما إذا وقع شرطا، فاذا جزاء ففيه الجزم والرفع: العبارة في الوجهين غير صحيحة، لانه قال: فان كانا مضارعين فليس فيهما الا الجزم، ثم قال: وكذلك في احدهما اذا وقع شرطا، وان أراد باحد هما:" الماضي والمضارع " كان ايضا فاسد ظاهر الفساد، وكذلك إن أراد أحد الماضيين، ويترتب على هذا فساد قوله: فاذا وقع جزاء "، لأن معناه: فاذا وقع احدهما جزاء، ومن المحال وقوع الشرط جزاء إن اراد المضارعين، وان أراد الماضي والمستقبل، أو الماضيين، فظاهر الفساد".

وذكر الزمخشري في باب " الإمالة" أنه [١] يشترك فيها الاسم والفعل، وهي أن تنحو بالألف نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء ليتجانس الصوت .. وسبب ذلك أن تقع بقرب الألف كسرة أو ياء، أو تكون هي منقلبة عن مكسورة أو ياء، أو صائرة ياء في موضع، وذلك نحو قولك:.. هاب وخاف وناب ورمى .." فاعترض السخاوي على ما مثل به فقال [٢]:" إلا مالة في: هاب وناب: الألف المنقلبة عن الياء، وليست للمشاكلة كما ذكر الزمخشري .. وأما التي تمال لأنها تصير "ياء" في بعض المواضع، فذكر منها " رمى "، و"رمى" ألفه منقلبة عن ياء، فهذا من الباب السابق، فذكره ههنا غلط .."

وقال في باب " الوقف " [٣]:" وبعض العرب يحول ضمة الحرف الموقوف عليه وكسرته على الساكن قبله، دون الفتحة، في غير الهمزة .."، فاعترض السخاوي على هذا الالطلاق، ونص على أنه ينبغي أن يقيد بشروط فقال: " ليسهذا التحويل للحروف الموقوف عليه ما لقاكم ذكر، بل له شروط، منها: ألا يخرج الكلمة بالتحويل الى مالا نظير له فلا يقال: هذا عدل، باتفاق، لأن العربية ليس فيها فعل .." [٤]

ونص الزمخشري في باب " المنصوب على الاستثناء " على أن [٥]:" إلا وفيرا، يتقارضان مالكل واحدٍ منهما، فالذي ل"غير" في أصله أن يكون وصفا يمسه إعراب ماقبله .." ويعني بقوله " يتقارضان ": أن يعطي كل واحد منهما صاحبه الذي له جزاء وقضاء، وذلك أن " غيراً" أعطت "إلا" الصفة، فوقعت "إلا" صفة كما تقع "غير"، وأعطت "إلا" "غيراً" الاستثناء، فوقعت "غير" استثناء .

---

[١] المفصل / ٣/ ١٠٣٨ - ١٠٣٩

[٢] المفضل شرح المفصل / ٥/ ٢١٦ أ-ب

[٣] المفصل / ٣/ ١٠٥٢

[٤] المفضل شرح المفصل / ٥ / ٢٣١ب

[٥] المفصل / ١/ ١٨٥

وقد اعترض السخاوي على هذا النص بقوله:"ولايكون" إلا"صفة إلا حيث يصح الاستثناء، فاذا قلت: جاءني رجل غير زيد، ولم يصح أن نجعل "إلا" هاهنا في مكان "غير"، لأن الاستثناء هاهنا لايصح، ولا يجوز أن يكون "غير"هاهنا استثناء أيضا، لأنهما لم يجتمعا في هذا الموضع، لأن هذا موضع تنفرد به"غير"، ولاتدخل فيه "إلا" .. واذا لم يكن "غير" استثناء في كل موضع،ولا "إلا" صفة في كل موضع، لم يستقم قوله: " يتقارضان مالكل واحد منهما "..

ذلكم هو موقف ابن يعيش والسخاوي من اراء الزمخشري النحوية، عرضناه بإيجاز شديد، وبينا أنهما وافقاه في أغلب الآراء التي أدرجها في كتاب " المفصل"، وعارضاه في آراء أخرى لاتعد شيئا إذا ما قورنت بما وافقاه فيه، وسقنا لذلك بعض الأمثلة التي تعطي فكرة عن أسلوب معالجة كل منهما للمسائل النحوية في "المفصل" فما موقف لبن الحاجب ياترى ؟

• ابن الحاجب[1]

اما ابن الحاجب فكان اكثر التصاقا، وأبعد تأثراً، وأشد تمسكا من سابقيه بآراء أبي القاسم ، ذلك ان شرح " المفصل" كما شرحاه، وزاد عليهما في آنه أفرد قسما كبيرا من كتابه: " الاماني النحية" لشرح بعض آراء الزمخشري في "المفصل" ، وفي انه انتفع بآراء الزخشري، ومنهجه، وطريقته في البحث فألف كتال "الكافيه" ثم ألحق به كتاب "الشافي" . يقول طارق الجنابي[2]: "الكافيه: مقدمة موجزة في الحو، سار فيها ابن الحاجب على نهج الزمخشري في مفصله، وقفى على آثاره وتتبعه. ولا أظن هذا نقصاً في المنهج ، لان تقسيم الزمخشري كتابه على اربعة أبواب: الاسماء، والافعال ، والحروف ، والمشتركات ، انما هو منهج سديد ن بالاضافة[3] الى ما اتبعه المصنوفون في النحو من قبله. ولما كان ابن الحاجب متأثرا بصاحب المفصل تأثرا كبيرا، اذ قام على مفصله بالشرح ، فانه ليس بالغريب ان يقوم عليه بالتخيص، أو اتباعه من حيث: المنهج ، وطريقة البحث " ، ويقرر أن تأثير الزمخشري البارز في ابن الحاجب من حيث المنهج وطريقة البحث، قد وضع "الكافية" في اسار "المفصل" ، بيد أن هنالك فروقا قليل[4] وقد نظرت في كتاب "الكافيه" نظرة مستأنية، ثم وازنت وبين "المفصل" فتكشف لي ان ابن الحاجب قد اقتفى اثر

---

[1] هو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر المالكي، ولد في "إسنا" بصعيد مصر، سنة: ٥٧٠هـ، وكان أبوه حاجبا بقوص للامير: عز الدين الصلاحي

[2] ابن الحاجب الانحوى/ ٦٨

[3] السوار ان يقول: .. ولعله سهو.

[4] ابن الحاجب النحوى/ ٦٩

الزمخشري في كل شئ: في المنهج ، وفي طريقة البحث، وفي الموضوعات وترتيبا ن وفي الاستعانة بالامثلة التي استعملها ابو القاسم ، وهذا كله يمنحنى الجرأة في القول: إن كتاب "الكافية" يعتبر نسخة ثانية من الاقسام الثلاثة: الاسماء والافعال والحروف ، من كتاب "المفصل" ، اللهم الا بعض الفروق الشكلية في التقديم والتأخير ، وما الى ذلك[1] ، كما ان ابن الحاجب لم يستوف قسم الحروف كما استوفاه الزمخشري، فأهد ومنه: حروف الاستقبال ، وحرفي الخطاب، وحرف التقليل، واللامات، وتاء التأنيث الساكنة، وهاء السكت ، وحرف الانكار وحرف التذكير[2]: " ومن هنا ، لم يعد هنالك أمر – بعد هذه الاستبانة- يدفعنها الى القولك انه وافق الزمخشر ي في اكثر آرائه، بعد ان عرفنا ما عرفنا ما عرفنا. ولذلك ن فسوف ننصرف الى ايراد بعض الشواهد النصية على موافقاته على سبيل التمثيل ، من ذلك مثلا:

- قول الزمخشري في باب "المثنى" [3]وقد جمع على تأ ويل الجماعتين والفرقتين ..ز " فتباعد ابن الحاجب بقوله:"تثنية الجمع قليل ، وسبب قتلع ان مفرده لايعطي التثنية ، فيقع الذكر ضائعا... [4]

- وقال ازمخشري في الباب نفسه[5]: "ويقع الاسم على الجميع لم يكسر عليه واحده ، وذلك نحو: ركب .." فاقروه ابن الحاجب على مذهبه بقوله [6]: "هذا فيه خلاف، والصحيح ما ذكره.."

- وذهب في باب "المبنى للمفعول" الى ان: "المفاعيل معه.." ، فذهب ابن الحاجب المذهب نفسه ثم فصل القول فيه فقال: "لم يبين " لامفعول له" لما لم يسم فاعله لامرين.. وامتنع" المفعول منه "لامرين ايضا.."[7]

---

[1] انظرك ابن الحاجب النحويى/ ٦٩- ٧٣

[2] المفصل/ ٢/ ٤٧٣

[3] الايضاح شرح المفصل/ ٨٥أ

[4] المفصل/ ٢/ ٤٩٧

[5] الايضاح شرح المفصل/ ٨٥ب

[6] الايضاح شرح المفصل/ ٨٧

[7] اا المفصل/ ٢/ ٧٧٠- والايضاح / ١٢٥ب

• ابن هشام الانصاري[1]

وقد اهتم بآراء الزمخشري اهتماما كبيرا، فتعقب هذه الآراء في "المفصل" وفي الكشاف" وغيرهما ، ولكل اهتمامه كان منصبا بصفة خاصة على اعراب الزمخشري للايات القرآنية في تفسير "الكشاف فيحن تنظر في كتاب: "مغنى البيب" تجده حافلا بآراء الزمخشري هذه ، اذ تراه ينص احيانا على ان الرأي: اختيار الزمخشري [2] . وتراه في احيان اخرى يرجح مذهب الزمخشري في المسالة ويتبناه ، ويتولى الدفاع عنه [3] ، ويشفعه بالشواهد القرآنية التي تعضده. ومع هذا ، فان موقفه من آراء أبي القاسم بصفة عامة، لم يختلف عن مواقف سابتية، فهو قد تناول هذه الاراء بالقبول والرفض كما تناولوها، فمن امثلة موافقاته له:

- ذهب الزمخشري الى ان "السين" حرف استقبال يختص بالفعل المضارع، فتابعه ابن هشام بقوله: "السين المفردة حرف يختص بالمضارع ، ويخلصه للاستقبال ، وينزل منه منزلة الجزء، ولذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به... ومعنى قول المعربين فيها، "حرف تنفيس": حرف توسيع ، وذلك انها نقلت المضارع من الزمن الضيق وهو الحال، الى الزمن الواسع وهو الاستقبال ، واوضح من عبارتهم قول الزمخشري وغيره: حرف استقبال.."[4]

- وقال الزمخشري في باب "حرف التقريب " ان [5] " قد: يقرب الماضي من الحال اذا قلت: قد فعل .. ولا بد فيه من معنى التوقع . ويجوز الفاصل بينه وبين الفعل بالقسم ، كقولك: قد والله احسنت ، وقد لعمري بت ساهرا، ويجوز طرح الفعل بعدها اذا فهم .ز " فتابعه ابن هشام بأن [6]: " قد: مخصه بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرفتنفيس ،وهي معه كالجزء فلا تفصل منه بش، اللهم الا في القسم ... وسمع: قد لعمري بت ساهرا، وقد والله احسنت .. "وذكر من معانيها: التوقع ، وتقريب الماضي من الحال، ثم قال: "ومقتضى كلام الزمخشري انها في نحو: "والله لقد كان كذا ": للتوقع ، وتقريب الماضي من الحال ، ثم قال: "ومقتضى كلام الزمخشر ي انها في نحو: "اللاه لقد كان كذا وكاذ " للتوقع لا للتقريب فان قلت:

---

[1] هوجمال الدين ابو محمد ،عبدالله بن يوسف بن احمد ين هشام الاناصري المصري ، ولد بالقاهرة سنة: ٧٠٨ وتـوفي بهـا سنة:٧٦١هـ.

[2] المعني / ٥٤، ٦١٣ ، ٦٣٥،٦٥٥ ـ ٦٨٩

[3] المغني / ١٨، ١٢٣، ٣٩٩، ٤٨٩

[4] المفصل/ ٣/ ٩٧٧٧- والمعنى / ١/ ١٣٧

[5] المفصل/ ٣/ ٩٧٤- ٩٧٦

[6] المغنى / ١/ ١٧١- ١٧٣

فما بالهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع "قد: .. قلت لان الجملة القسمية لا تساق الا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها ، فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى" قد" عند استماع الخاطب كلمة القسم".

- وذكر الزمخشري أن "لات" كلمتان:"لا" النافية المشبهة ب " ليس" والتاء، وأنهم اشترطوا وأن يكون المنصوب بها حينا واستشهد بقوله تعالى:"ولات حين مناص "أي: ليس الحين مناص [1] .قال ابن هشلم:".. والمذهب الثاني أنها كلمتان: لا النافية، والتاء التأنيث اللفظة .. وانما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين، قاله الجمهور .. ويشهد الجمهور أنه يوقف عليها بالتاء والهاء، وأنها رسمت منفصلة عن الحين وأن التاء قد تكسر على اصول حركة التقاء الساكنين، وهو معنى قول الزمخشري: وقرئ بالكسرة على البناء كـ"جير" .... وأنها تعمل عمل "ليس" .. قال الزمخشري: زيدت التاء على "لا" وخصت بنفي الأحيان .." [2]

- وذهب الزمخشري الى جواز حذف فعل الفاعل، فقد جاء في "المفصل" [3]:" وقد يجيء الفاعل ورافعه مضمرا، يقال: من فعل ؟ فتقول:زيد، بإضمار "فعل" .. ومنه قوله تعالى: وإن أحد من المشركين استجارك ".." فواقفه ابن هشام على مذهبه حيث قال [4]:" يطرد حذفه مفسراً نحو:" وان أحدٌ من المشركين استجارك ".. فلما حذف الفعل انفصل الضمير، قاله الزمخشري، وأبو البقاء، وأهل البيان .." الى غير ذلك من الآراء التي واقه فيها [5].على ان ابن هشامقد خالف الزمخشري في آراء كثيرة، منها:

- منع الزمخشري العطف على معمولي عاملين فقال في " المفصل ": والواو الاولى في نحو:" والليل إذا يغشى " للقسم وما بعدها للعطف ..". وذهب إلى مثل هذا التفسير "الكشاف" حين فسر الآيات الأولى من سورة الشمس، وأجاز ابن هشام هذا العطف، قال:"واعلم أن الزمخشري ممن منع العطف المذكور، ولهذا، اتجه له أن يسأل في قوله تعالى:" والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها "الآيات، فقال: فان قلت: نصب "إذا" معضل، لأنك إذا جعلت الواوت عاطفة، وقعت في العطف على عاملين، يعني: أن أذا عطف على "إذا" المنصوبة ب"أقسم"، والمخفوضات عطف على "الشمس"

---

[1] المفصل / ١/ ٢١٥

[2] المغني / ١/ ٢٥٣- ٢٥٤

[3] المفصل / ١/ ٤٩، ٥١

[4] المغني / ٢/ ٦٣٢

[5] انظر: المغني / ٢ / ٣٢، ٣٩، ٤٧، ١١٦، ١٩٤، ٣٢٣-٢/ ٣٩٩، ٤٥٦، ٤٨٩، ٥٥٣

المخوضة بواو القسم، قال: وان جعلتهن للقسم، وقعت فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه، يعني: أنهما استكرها ذلك، لئلا يحتاج كل قسم الى جواب يخصه، ثم أجاب بأن فعل القسم لما كان لايذكر مع واو القسم، بخلاف الباء، صارت كأنها هي الناصبة الخافضو، فكان العطف على مصمولي عامل . قال الحاجب: وهذه قوة منه واستنباط لمعنى دقيق .. وبعد، فالحق جواز العطف على معمولي عاملين، في نحو:" في الدار زيد، والحجرة عمرو" ولا إشكال حينئذ في الآية .."[1] .

- وجعل ابو القاسم الجملة على أربعة أضرب: فعلية، واسمية، وشرطية، وظرفية . وجعلها ابن هشام ثلاثة: اسمية، وفعلية، وظرفية، وعرف كل ضرب منها، وأعقب كل تعريف بالأمثلة، ثم قال:" وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية، والصواب أنها من قبيل الفعلية "[2].

- وذهب الزمخشري في باب "فعلا المدح والذم" الى أن "ما" في قوله تعالى:" فنعماهي ":نكرة لا موصولة ولا موصوفة في محل نصب على انها تمييز، والتقدير عنده: فنعم شيئا هي . وذهب ابن هشام الى انهامعرفة تامة تبعا لسيبويه، وهي وعاملها صفة لشيء في المعنى، ففي نحو قوله تعالى: "إن تبدوا الصدقات فنعماهي" أي: فنعم الشيء هي، والأصل: فنعم الشيء إبداؤها، لأن الكلام في الأبداء لافي الصدقات، ثم حذف المضاف، وأنيب عنه المضاف إليه، فانفصل وارتفع [3] .وأوجب الزمخشري أن يكون خبر"أن" الواقعة بعد "لو" فعلا، ورده ابن هشام بقوله:" وقد وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر اسما مشتقا، ولم يتنبه لها الزمخشري .. وهي قوله تعالى:"يودوا لو أنهم بادون في الأعراب.."[4]وذهب الزمخشري في باب " المنصوب على الاستثناء"، إلى: أن:" قوله تعالى:" إلاامرأتك " فيمن قرأبا النصب، مستثنى من قوله تعالى:" فأسر بأهلك "..، ورده ابن هشام بقوله:" قول الزمخشري في "ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك ": إن من نصب قدر الاستثناء من:" فأسر بأهلك"، ومن رفع قدره من:" ولا يلتفت منكم أحد "، ويردباستلزامه تناقض القراءتين: فان المرأة تكون مسرى بها على قراءة الرفع، وغير مسرى بها على قراءاة النصب، وفيه نظرة... وبعد، فقول الزمخشري في الآية خلاف الظاهر .."واستعمل أبو القاسم كلمة "كافة" مجرورة بالباء حين قال في مقدمة "المفصل":.. لإنشاء كتاب في الأعراب محيط بكافة الأبواب ..، فاستنكر ابن

---

[1] المفصل / ٣/ ١٠٨٠- والمغني/ ٢/ ٣٧٦

[2] المفصل / ١/ ٥٥- والمغني / ٢ / ٣٧٦

[3] المفصل / ٢/ ٨١٧- والمغني / ١/ ٢٩٦، ٢٩٨

[4] المفصل/ ٣/ ٨١٧-والمغني / ١/ ٢٧٠-٢٧١

هشام هذا الاستعمال بشدة، بقوله:" من الحال م يحتمل كونه من الفاعل، وكونه من المفعول نحو: ضربت زيدا ضاحكا، ونحو:" وقالوا المشركين كافة ". وتجويز الزمخشري الوجهين في:" ادخلوا في السلم كافة" وهم، لأن "كافة " مختص بمن يعقل، ووهمه في قوله تعالى:" وما ارسلناك إلا كافة للناس" إذ قدر "كافة" نعتا لمصدر محذوف – أي: إرسال كافة – أشد، لأنه أضاف إلى استعماله فيما لا يعقل، إخراجه عما التزم فيه من الحالية، ووهمه في خطبة المفصل إذ قال:" محيط بكافة الابواب " أشد وأشد، لإخراجه إياه عن النصب البته ".ولم يكن ابن هشام أول من عاب على الزمخشري هذا الاستعمال، بل سبقه إليه ابن يعيش والصغاني، يقول ابن يعيش:" وقوله كافة الابواب " شاذ من وجهين:أحدهما: أن"كافة" لاتستعمل إلاحالة، وههنا قد خفضها بالباء، على أنه قدور منه شيء في الكلام عن جماعة من الكتأخرين، كالفارقي الخطيب والحريري، وقد عيب عليهما ذلك، والذين استعملوه لجأوا الى القياس . والوجه الثاني: أنه استعمله في غير الأناسي، والكافة: الجماعة من الناس لغة"ونحن نظن أن هذا الاستعمال قد قصد إليه أبو القاسم قصدا، وذلك أنه عالم لغوي نحوي واسع الاطلاع متعدد جوانب المعرفة، متقن لأدلة الصناعة وآثار في اللغة والنحووالفقه، تشهد على دقة حسه النحوي وسعةالامامه بطرق استعمالات اللخة، واساليب التعبير فيها، ويبدو من تعبيره في مقدمة كتاب "المفصل" ومن موافقه المتشابهة من مسائل لغوية ونحوية، أنه مدرك لهذاالاستعمال ، ومصر عليه ، ومقدر لمسئوليه. يقول حسن عون اننا "نجد في بعض النصوص المروية عن عمر بن الخطاب أنه استعمل كلمة"كافة" مجرورة بحرف الجر "على": "على كافة بيت مال المسلمين" ، كما نجد في كتاب "الالفاظ الاعجمية" للهمداني ، وهو العالم اللغوي المشهور ت: ٣٢٧هـ– أي قبل الزمخشري بأكثر من قرنين – نقول: نجد عنده استعمال كلمة "كافة" مجرور، يقول: "أقبل في جمهور أصحاب وكافتهم ودهمائهم..." وموقف الزمخشري من هذه المسألة لا يخرج عن واحد من اثنين: اما ان يكون قد لجأ الى هذا الاستعمال فيها ، واما أن يكون قد طلع على استعمال هذه الكلمة لدى السابقين دون ان يتيسر ذلك لغيره من اللغوين ، فجاراهم في استعمالها مجرورة كما ذكر في مقدمة "المفصل" واثقا م صحة هذا الاستعمال[1]".وبعد فهذا هو موقف ابن هشام الانصاري من آراء صاحب "المفصل" واقفة في مسائل ، وعارضه في مسائل أخرى كما فعل من سبقوه ومن لحقوا به، ولكن جهد ابن هشام في تعقب آراء الزمخشري والافادة منها، كان منصبا في الاغلب الاعم على آرائه التي وردت في تفسير الكشاف

[1] تطور الدرس النحوي / ١٠٣، ١٠٤– ١٠٥– وانظر:درة الغواص للحريري / ٤٣، ١٧٦

كما ذكرنا. على ان هناك علماء آخرين قد وقفوا من آراء الزمخشري في "المفصل" موقف من ذكرنا، قوافقوه في آرائه وخالفوه في آراء اخرى ، من هؤلا ء مثلا: أبو البقاء العكبرى، والحسن بن محمد الصغاني ن وابن القواس ويحيى بن حمزة العلوي ، وغيرهم . ولكننا نكتفى بما عرضنا من موافق، لانها فيما نظن تعتبر كافيه لتشخيص موافق العلماء المهتمين بأمر علم النحو من آراء جار اللهن تشخيصا واضحا . ونمضي بعد هذا الى الفصل .

الفصل الخامس
أثر كتاب المفصل
في الدرس النحوى

- شرح المفصل
- مختصرات المفصل
- التحية والتعليق على المفصل
- الامالي على المفصل
- شروح اللغة والآيات
- نظم المفصل
- تقويم بعض شروح المفصل

شروح المفصل:

يعتبر كتاب "المفصل" انموذجا متكاملا لجميع سمات وخصائص الدرس النحوى وخصائصة في القرن السادس الهجرى من حيث الابداع الذي لم يسبق اليه احد قبل الزمخشري في ترتيب الموضوعات النحوية في منهج منظم ، وهو يمثل في نظر علماء مستويات التبويب والتنسيق [١] .ويعده النقاد ثاني كتاب في علم النحو بعد كتاب سيبويه[٢]، اذ ليس في الكتب النحوية التي بينه وبين كتاب سيبويه – مما وصل الينا- كتاب عالج المباحدث النحوية علا جاكا ملاشاملا ، فانما هي مؤلفات في موضوعات نحوية خاصة، او في مباحث صرفية أقرب الى الصيغية الغوية، فهو بهذا ، يعتبر مرحلة تامة النحمون وحلقة كاملة الوضع في سلسلة البحوث النحوية [٣] .

وليس بغريب بعد هذه الشهرة ان يلقى من عناية وتقدير ائمة النحو المتأخرين وتقديرهم ما لقي كتاب سيبويه ، فهم قد تناولوه بالدرس والحفظ ، واعطوه من جهودهم الشئ الكثيرن فعقدوا عليه الشرح المتنوعة التي تناولت ما بين دفتيه جميعا، فهم قد شرحاوا مادته النحوية والصرفية، واختصروها ، وعلقوا عليها، ونظموها شعراً، وشرحوا أبياته وأعربوها. وقد كثرت هذه الشروح كثرة تلفت النظرن وشاعت في الامصار ، وغزت المكتبات الخاصة والعامبة، فلا تكاد تخلو مكتبة من مكتبات المخطوطات في العالم من شرح او اكثر من هذه الشروح [٤] ، منها:

أولا: شروح المفصل:

١- شرح الزمخشري نفسه[٥]. وسماه البغدادي[٦]: المناهي على المفصل، وسماه السيوطي: شرح بعض مشكلات المفصل. منه: نسخة في ليدن برقم: ١٦٤، ونسخة في فيينا برقم:١٥٤، ونسخة في مكتبة دياربكر العمومية برقم: ٢٢١٦، ونسخة في مكتبة: **chesten beatty** بدبلن تحت رقم: ٣٦٥٥.

---

[١] والمفصلشرح المفصل / ق١ / ١٠١

[٢] عبد الله درويش المعاحم العربية/ ١٢٦

[٣] عبد الحميد حسن / القواعد النحوية/ ٢٦٧، وانظر: ابن الحاجب النحوى/ ١٤، ٩٠

[٤] ذكرله فاضل السامرائي في كتابه: الدراسات النحوية واللغوية عنج الزمخشري: ٣٨ شرحا، وذكر عبد الكريم جواد كاظم في كتاب المفصل وأثره في الدراسات النحوية: ٤٦ شرحا ، واثبت له: عبد اللطيف محمد الخطيب في رسالته: ابن يعيش وشرح المفصل: ٥٢شرحا.

[٥] بروكلمان / ١/ ٢٩٠- وابن الحاجب النحوى / ٥٦- ٥٧- والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٠٢

[٦] شح شواهد الشافيه / ٣٨٤- وبغية الوعاة / ٢/ ٢٨٠

٢- شرح المفصل[1] للامام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمرو بن الحسين بن علي التميمي الرازي المعروف بابن الخطيب ت: ٦٠٦هـ قال حاجى خليفة: وعليه تعليقة لابي على الشلوبين عمر بن محمد الاشبيلي الاندلسي. منه نسخة في: دمشق / الزيات / خزائن الكتب/ ص:٨٦.

٣- المحصل في شرح المفصل[2] لمنتجب الدين أبي الفتح ، محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي. ت: ٦٠٩هـ. قال القفطى: "قال لي ياقوت الحموي: لما دخلت مرو ، حضرت الجامع فرأيت به خزائن كتب .. خزانها قال القطفى: "قال لي ياقوت الحموي: لما دخلت مرو، حضرت الجامع فرأيت به خزائن كتب .. خزائنها ختن هذا الرجل، فذاكرته بتصنيفه فقال: قد كان صنف شرحا للمفصل ، فطلبته منه فقال لي: لم يأت فيه بغريب، ولم يتكلم على عباراة المصنف، وانما أتى بنفس النحو. قال: فسألته ان يريني منه ، فأراني كراسة بخط المصنف من مسوداته ، واحضرها الى حلب في صحبته فرأيتها ، فكان الامر كما قال". والمروزي هذا ، لقي الزمخشري ، وقرأ على تلميذه البقالي. من الكتاب نسخة في: تركيا / بايزيد/ ولي الدين أفندي، برقم: ٣٠١٤، ونسخة في:بريل أول: ١٣٤، وثان: ٣٠٧، ونسخة بمكتبة السليمانية/ ينى جامع ، برقم:١١٠٢.

٤-المحصل في شرح المفصل[3] لمحب الدين أبي البقاء ، عبد الله بن الحيسن بن عبد الله بن الحسين العكبى البغدادى الضرير، ت: ٦١٦هـ قال حاجى خليفة:"سماه الايضاح ، وهو شرح كبير، وفي أسانيد خواجه محمد انه سماه: المحصل" ، وسماه السيوطي في بغية الوعاة: ايضاح المفصل.منه نسخة في دبلن برقم: ٣١٢٨/١، ومنه نسخ في: جاريت برقم: ٣٢٧، وسبه سالار/ ٢/ ٣٧٢- ٣٨٤، وقد صورت بعثة: معهد المخطوطات العربية المصورة الجزء الاول والثاني من نسخة: سبه سالا الاربطهران، وقد وصل المعهد الميكروفيلم الخاص بذلك ، وادرج في فهارس المعهد بعنوان: "المحصل في شرح المفصل لأبي البقاء العكبري" . قال عبد الكريم جواد: "وقمت بالاطلاع على الجزء الاول من النسخة المصورة عن سبه سالارا ، فوجدت من خلال قراءتي له ان الكتاب للاندلسي علم الدين قاسم ين احمد اللورقى وليس للعكبيري، ويذكر

---

[1] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٤- ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٦- ومحمد حسين الذهبي/ التفسير والمفسرون/ ١/ ٢٩٠

[2] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥- وبغية الوعاة / ٢/ ٣٨- ونظر ايضا: البداية والنهاية / ١٣/ ٨٥- وجرجى زيدان / تاريخ آداب اللغة العربية / ٣/ ٤٣- ودائرة المعارف الاسلامية/ ١٠/ ٤٠٥

[3] المفضل في شرح المفصل/ ق١/ ٥٠

مؤلفة انه التقى بالعكبري ، كما انه ينتقل في مواضع كثيرة عن السخاوي من كتابه: المفضل في شرح المفصل. ومن كتاب نسخة في دار الكتب المصرية برقم: ٢٩٢- نحو ، وهو الجزء الثاني من كتاب"المحصل" ، وعندي نسخة مصورة منه ن وأوله: باب الصفة: "وصاحب القوم . وقلت: منهمن من قال يوصف بمثله وبجميع المضاعفات .. وآخره: "آخر المجلدة الثانية من كتاب: "المحصل في شرح المفصل" يتلوه ان شاء الله تعالى في المجلدات الثالثة: المركبات والحمد لله حق حمده.."

٥- المسترشد شرح المفصل[١] لابي البقاء العكبري أيضا. منه نسخ بتركيا – مكتبة أحمد الثالث / طوبوقبو، برقم ٢١٦١

٦- التخمير في شرح المفصل[٢])بسيط لمجلد الدين ابي محمد، القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي المعروف بصدر الافاضل ، ت:٦١٧هـ منه نسخة في:دمشق / دار الكتب الظاهرية برقم:١٧٢٨- عام ، يقع في:٢٣٢ ورقة، نسخ: احمد بن محمد ابي السعود بتاريخ: ٦٧٦هـ ، ونسخة في مكتبة: تورهان سلطان باستانبول برقم: ٣٠٥ ، ونسخة ثالثة في المتحف البريطاني: ثان ٩٢٧.

٧- السبية في شرح المفصل) متوسط لصدر الافاضل

٨- الجمرة في شرح المفصل، صغير لصدر الافاضل ايضا. قال السيوطي في البغية[٣]: "انه صنف التخمير في شرح المفصل وهو متوسط ، والجمرة في شرحه ،وهو صغير".

٩- شرح المفصل[٤]لابي الفضل،أحمد بن ابي بكر بن ابي محمد الخاورانين المشهور بلقب:المجد ت: ٦٢٠هـ

١٠- شرح المفصل[٥] لابي العباس، احمد بن محمد المقدسى القاضي ت: ٦٣٨هـ

١١- شرح المفصل في النحو[٦] لتاج الدين ابي العباس، احمد بن محمد بن خلف البكري ت: ٦٤٠هـ

١٢ – شرح المفصل لموقف الدين أبي البقاء، يعيش بن علي بن يعيش بن ابي السرايا بن محمد الاسدي، المعروف بأبن يعيش، ت: ٦٤٣هـ . مطبوع، منه نسخ خطية كثيرة في مكتبات العالم،

---

[١] الدراسات النحية واللغوية والنحوية عند الزمخشري / ١٠٣

[٢] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥- والخزانة / ٤/ ٣٥٨. وفي بغية الوعاة / ٢/ ٢٥٣: التجميد بالجيم

[٣] بغية الوعاة / ٢/ ٢٥٣

[٤] الصفدي / الوافي بالوفيات / ٦/ ٢٦٨- وبغية الوعاة/ ١/ ٢٩٩- وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٤

[٥] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٤

[٦] بغية الوعاة / ١/ ٣٦١

منها مثلا: استانبول / السليمانية / أيا صوفيا برقم: ٤٥٤٠،و ينيّ جامع برقم: ١١٠١، ومكتبة الفاتح برقم: ٥٠٥٢ – ٥٠٥٣ . ومكتبة لاله لي برقم ٣٤٤٤-٣٤٤٥، و منه نسختان بدار الكتب المصرية: برقم: ٢٢٧ق (٣٨١ – نحو)، ورقم: ٣٧٩ق (٣٧٨ – نحو)، وثلاث نسخ بمكتبة بايزيد وليّ الدين أفندي بأستانبول من: ٣٠٠٩ – ٣٠١٢ .

١٣- المفضل في شرح المفصل [1] لعلم الدين أبي الحسن، علي بن محمد بن عبد الصمد، الهمدانيّ المصري السّخاويّ، ت:٦٤٣ هـ. منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ١٨٠ ق (هـ ٤٩٥٤)، ونسخة في رامبور بالهند، برقم: ك / ٣٩٤٠، ومنه نسخة في ليدن برقم: ٢٥٥٥ / ٢٧٢٩، تقع في: ٢٥٤ ورقة، وقد اطلعت على هذه النسخة و أفدتُ منها إفادة جليلة . ومنه نسخة قيمة باستانبول / طوبوقبو/ مكتبة احمد الثالث، وهي نسخة كتبت في سنة ٦٣٢ هـ بقلم نسخ نفيس، بخط: عبدالله شرف بن عمربن حسين القزويني الدمشقي، و عليه اجازة بخط المؤلف لبدر الدين ابي زكريا يحيي، ورقمها: ٢١٥٨، ومنه نسخة بجامهة الازهر برقم: خصوصية ١٩ نحو – ش عمومية: ٤٢٧٦٤ .

وقد اهتمت جامعة الازهر بهذا الكتاب اهتماما كبيرا، حيث وزعته على ثلاثة من طلابها ليقوموا بتحقيقه، فقام عبد الكريم كاظم جواد بتحقيق الجزءين: الاول و الثاني، ونال على تحقيقه درجة الدكتوراه بتاريخ: ١٢/ ٨ / ١٩٧٩م، و تولى يوسف محمد محمود عبد الغني تحقيق الجزء الثالث و حصل على درجة الدكتوراه في شهر يونيه: ١٩٨٢، و يقوم أحمد رشيد سعيد محمود حاليا بتحقيق الجزء الرابع من الكتاب، ولما يفرغ بعد من تحقيقه . و يبدولي ان كتاب المفضل هذا يزيد عن أربعة أجزاء، و أن النسخة الخطية التي تحتفظ بها مكتبة الازهر ليست مكتملة، ذلك أن الجزءين الاول و الثاني اللذين حقّقهما عبد الكريم جواد ينتهيان الى قول صاحب المفصل: " ومن أصناف الاسم: المبني [2] .ويبدوأ الجزء الثالث الذي حققه: يوسف عبد الغني من قوله: " ومن اصناف الاسم: المبني " و ينتهي بقول الزمخشري في باب الجموع ":" و امتنعوا فيما اعتلت عينيه من أَفَعُل .. [3] .

---

[1] البداية و النهاية / ١٣/ ١٧٠ – و كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٥ – و الخزانة / ١ / ٤٥ – ودائرة المعارف الاسلامية / ١٠ – ٤٠٥ .

[2] المفصل / ١ / ٣٠٥

[3] المفصل / ٢ / ٤٩٤

أما الجزء الرابع الذي يقوم بتحقيقه: أحمد رشيد، فأنه يبدأ بقول الزمخشري: [1] " ومن اصناف الحرف: حرف التذكر " الى آخر الكتاب . وقد تبين لي أن النسخة التي تحتفظ بها مكتبة ليدن، هي الجزء الخامس من الكتاب، و تبدأ بقول الزمخشري [2] " ومن أصناف الفعل: فعلا المدح و الذم " الى قوله:" ومن أصناف الحرف: حرف التذكر " ومعنى هذا ان الكتاب " المفضل في شرح المفصل " يتألف من ستة أجزاء، منه أربعة أجزاء في مكتبة الازهر، و جزء في مكتبة ليدن كما بينا.

١٤ شرح المفصل [3] لمجيب الدين، و قيل: مُحبّ الدين، أبو عبدالله محمد بن محمود، المعروف بأبن النجّار البغدادي، ت: ٦٤٣هـ .

١٥ –شرح المفصل [4] المنتخب بن ابي العز رشيد، الامام منتخب الدين، ابو يوسف الهمداني، نزيل دمستق ت: ٦٤٣ هـ، لُمنتجب الدّين أبي يوسف، يعقوب بن أبي العزّ بن رشيد الهمداني المقرئْ، ت: ٦٤٣ هـ . قال حاجي خليفة:" و شرحه مفيد جداً . التنكيت على المفصل (مآخذ على المفصل)، لعمر بن محمد بن عمر بن عبدالله، الاستاذ علي الاشبيلي الازدي المعروف بالشلوبني و معناه بلغة الانهدلس: الابيض الاشقر ت: في العشر الاخير من صفر سنة: ٦٤٥ هـ - الجني الداني / ٣٢٥ – بغية / ٢ / ٢٢٤ .

١٦ - الايضاح في شرح المفصل [5] لجمال الدين ابي عمرو، عثمان بن أبي بكر يونس الكردي المعروف بابن الحاجب، ت: ٦٤٦ هـ . منه نسخ كثيرة في مكتبات راغب باشا برقم: ١٣٠٥ – ١٣٧٢، و مكتبة : ينّي جامع برقم: ١١٠٠، و احتَفِظُ بنسخة مصورة منها، و منه نسخة بدمشق / دار الكتب الظاهرية برقم: ١٧٢٩ – عام، و نسخة بحلب / المكتبة العثمانية / برقم: ٩٠٨، و نسخة بتونس / المكتبة الاحمدية برقم: ٣٩٧٥ و نسخة ببغداد / مكتبة الاوقاف العامة / برقم: ١٦٥٠، ونسخة اخرى بمكتبة المتحف العراقي برقم: ٥٣٣ . وقد حققه: موسى بَنّايّ عُلوان العُلَيْليّ . و نال به درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة [6] .

---

[1] المفصل / ٣/ / ١٠٣٥

[2] المفصل / ٢ / ٨١٤

[3] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٤

[4] كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٥ و اظر: شذرات الذهب / ٥ / ٢٢٧ – بغية الوعاة / ٢ / ٣٠٠ .

[5] بغية الوعاة / ٢ / ١٣٥ – و كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٤ .

[6] المفضل شرح المفصل / ق ١ / ٢٢٧

١٧ – شرح المفصل [١] لجمال الدين، علي بن يوسف القفطيّ ت: ٦٤٦ هـ .
١٨- شرح المفصل [٢] لمحمد بن محمد بن عليّ، المعروف بابن عمرون الحلبيّ ت: ٦٤٩ هـ، قال صاحب البلغة:" صنّفَ شرح المفصل، و لم يتمّه .
١٩ – شرح المفصل [٣] لأبي محمد الضرير هو عبد الظاهر، محمد بن ابي علي بن ابي سعيد بن عمرون، الشيخ جمال الدين، ابو عبد الله الحلبي النحوي ت: ١٣ ربيع الاول سنة ٦٤٩ هـ.
٢٠ – شرح المفصل : عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجده السعدي المصري الرّوحي، ابو محمد الضرير ت: بالقاهرة يوم الاربعاء سابع عشر جمادي الاولى سنة ٦٤٩ هـ
٢١- شرح المفصل [٤] لعبد الظاهر بن بشران الروميّ الجذاميّ الضّرير ت: ٦٤٩ هـ . قال حاجي خليفة:" شرح المفصل، و لم يكمله
٢٢- المُفضّل في دارية المفصل [٥] لكمال الدين، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصاري، ت: ٦٥١ هـ .كمال الدين، ابو المكارم، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصاري، ابن خطيب زَمَلْكا ت: بدمشق في محرم سنة ٦٥١ هـ .منه نسخة في مكتبة الإسكوريال / ثان: ٦١، و قد وصلت منه نسخة مصورة الى معهد المخطوطات العربية المصورة، و عدد أوراقه: ١٧٨ .
٢٣-المُكمّل في شرح المفصل [٦] لمظهر الدين، ابراهيم بن محمد ت: ٦٥٩ هـ . فرغ من تأليفه سنة ٦٥٩ هـ . منه نسخ كثيرة في مكتبات العالم، منها: مكتبة الإسكوريال برقم: ثان ٦٠ نحو، و الجزائر برقم: ٤٣، و باريس برقم:٦٤٣٨، و المتحف البريطانب برقم: ٦٥٢٠ (ثالث ٥٠) ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٩٤ نحو، والمكتبة الأحمدية بتونس برقم: ٣٩٧٤، ودار الكتب الظاهرية بدمشق برقم: ١٧١١، ودار الكتب المصرية برقم: ٦٥٩ نحو، و مكتبة: فيض الله / مللت / استانبول برقم: ٢٠٠٨ .

---

(١) كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٥
(٢) البلغة في تاريخ أئمة اللغة / ٢٤٧ – و انظر: بغية الوعاة / ١ / ٢٣١ – و كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٤ – و الأشباه و النظائر
(٣) إنباه الرواة / ٢ / ١١٧ – و بغية الوعاة / ٢ / ٩٧ .
(٤) كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٥ .
(٥) دائرة المعارف الاسلامية / ١٠ / ٤٠٥ – و المفضل شرح المفصل / ق ١/ ٥٣ – ٥٤ – بغية الوعـاة / ٢ / ١١٩ – الاشباه و النظائر / ٣ / ٦١
(٦) كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٦ .

٢٤- غاية المحصل في شرح المفصل [1] للإمام علم الدين، ابي محمد، قاسم بن احمد بن الموفق بن جعفر الاندلسي المرسي اللورقيّ النحوي ت: ٧ رجب سنة ٦٦١ هـ بدمشق . قال صاحب بغية الوعاة / ٢ / ٢٥٠: " صنف شرح المفصل في اربعة مجلدات . لعلم الدين ابي محمد، قاسم بن أحمد بن الموفقي اللورقيّ الاندلسي المرسيّ ت: ٦٦١ هـ . قال حاجي خليفة:" و سماه الموصّل ". منه نسخة باستانبول / السليمانية / مكتبة شهيد أسعد أفندي برقم: ١٦٦ وعدد اوراقه ٢٥٢ .

٢٥ – شرح المفصل[2] لأحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن أبي الحجاج ت: ٦٩١ هـ بتونس .

٢٦- المقتبس في توضيح ما التبس[3] لابي عاصم، علي بن عمر بن الخليل بن علي الفقيمي، المعروف بالفخر الاسفندرى، ت: ٦٩٨هـ. قال حاجي خليفة: "أوله: ايها احمد على ان خواني بطوله الجسيم.. وسماه: المقتبس في توضيح ما التبس مقتبسه مواده من كتب جرت مجرى الشروح للمفصل، كالتخمير والايضاح والعقارب والمحصل، واستصفى أيضا ما أثبته في نسخة من الحواشي الصحاح ، واعلم التخمير والايضاح والعقارب والمحصل ، واستصفى أيضا ما أثبته في نسخته من الحواشي الصحاح ، واعلم التخمير بصدر الافاضل بعلامة: تخ ، والايضاح بعلامة: شج ، والعقارب للامام المحقق: نجم الدين عثمان بن الموفق الاذكاني بعلامة، والمحصل لمتجنب الدين محمد بن سعد المروزي الديباجي بعلامة: شم:.منه نسختان في استانبول:الاولى في مكتبة ولي الدين جار الله برقم: ١٩٤٨، والثانية بمكتبة: مللت برقم ٨٩٩/ ١

٢٧- الموصل في شرح المفصل [4]لحسام الدين ،حسين بن علي السغناقي الحنفي ت:٧١٠هـ، جاي في حاشية بغية الوعاة / ١/ ٥٣٧: ذكلاه عبد الحي الكندي في طبقات الحنفية باسم الحسن بن علي بن حجاج بن علي ، حسام الدين السنغاتي – بالنون قبل العين – وقال: نسبته الى سنغاق – يكبر الدين لمهمة وسكون العين المعجمة ثم نون بعدها الف بعد قاف ، بلوة في تركستان وقد ذكر حسام الدين في او ل شرحة انه قرأة على حافظ الدين البخاري ينة: ٦٧٦هـ.

---

[1] كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٥ – وانظر: البداية و النهاية / ١٣ / ٢٤١ – و إنباه الرواة / ٣ / ٤٢ – و بغية الوعاة / ٢ / ٢٥٠ .

[2] البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٣٥ – البغية / ١ / ٤٠٢ .

[3] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٧

[4] بغية الوعاة / ١/ ٥٣٧- وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥

٢٨- شرح المفصل [١] للشيخ فخر الدين ، احمد بن الحسن الجار بردي ، ت: في رمضان سنة: ٧٤٦ هـ بتبريز الاشباه والنظائر/ ٤/ ٢٦

٢٩- المجمل لابي المفصل : الشريف مظهر الدين، الحسين بن محمود الزيداني ت: ٧٢٧هـ

منه نسخة بمكتبة الاوقاف العامة / بغداد ، برقم: ٢٥٥٥

٣٠- شرح المفصل[٢]

٣١- الاقليد في شرح المفصل[٣] لتاج الدين ، احمد بن محمود بن قاسم بن عمر الخجندي الاندلسي توفي في القرن الثامن وقد قال بعض الدارسين: الجندي ، والصواب ما اثبتناه من مخطوطات الكتاب التي اطلعنا عليها، منه نسخة بتونس / دار الكتب الوطنية/ مكتبة حسن حسني عبد الوهاب برقم: ١٨٧٠٤، ونسخة بمكتبة ايا صوفيا بالسليمانية رقم: ٤٥٣٩، ونسخة بمكتبة العثمانية بحلب برقم: ٩٠٩، ونسخة بدبلن برقم: ٣٦٠٩/ ٣.

٣٢- المكلل بفرائد معنى المفصل[٤] للامام، احمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور اليمني. منه نسخة في المتحف البريطاني – ملحق:٩٢٨ن باسم: "التاج المكلل" .

٣٣- التاج المكلل بجواهر الاداب على كتاب المفصل في صنعة الاعراب[٥] لجمال الدين ، علي بن محمد بن سليمان ، المعروف جده بهيطل من عليماء القرن التاسع ألفه سنة: ٨٠٥هـ. من علما ءالقرن التاسع، واسمه في مجلة اخبار التراث:"التاج المكمل في شرح المفصل". منه: نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ١٩٥ نحو / تيمورية، كتبت سنة: ٩٠٥، ونسخة اخرى بمكتبة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الانصاري بالمبرز/ الاحساء/ السعودية برقم: ٥٨، كتبت سنة: ٨٧٧هـ.

٣٤- العقاررب[٦] لمحمد بن محمد بن الخطيب فخر الفسرخاني منه نسخة في المتحف البريطاني برقم: ٧٤٧٢ .

---

[١] المزهر/ ٢/ ٤٢٨، ٤٥٦- والاشباه والنظائر / ١/ ٥٧-٣ / ٦٣- وهدية العارفين / ١/ ٦٣٥ والتمهيد لكتاب البرهان لكشاف عن اعجاز القرآن / ٢٣

[٢] بغية الوعاة / ١/ ٥١٧- وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥- ونشأة النحو الطنطاوي / ٢٣٣- والدارس النحوية/ ٣٥٢

[٣] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥- وانظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشريم١٠٥

[٤] البدر الطالع / ١/ ١٢٣- وان الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٠٦

[٥] المفصل شرح المفصل / ق١ / ٥٦- ومجلة اخبار التراث العربي/ عدد: ١٤٥/ ١٤

[٦] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٧

٣٥- شرح المفصل لضياء الدين محمد بن حسين الحلبي منه نسخة في مكتبة يني بالسليمانية/ استانبول، برقم: ١١٠٢

٣٦- شرح المفصل[1]لمحمد بن محمد بن الخطيب فخر الفرسخاني منه نسخة في المتحف البريطاني برقم: ٧٤٧٢ .

٣٧- الوشاح الحامدي المفصل على مخدرات المفصل[2] لمحمد الطيب المكي الهندي منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ١٥٣٦- نحو ن وطبع في المطبعة السعيدية بالهند سنة: ١٣١٨هـ

٣٨- المؤول في شرح المفصل[3] لمحمد عبد الغني كلكتا بالهند ن سنة:١٣٢٢هـ.

٣٩- المكمل شرح المفصل الشريف مظهر الدين ، الحسين بن محمود الزيداني ت: ٧٢٧هـ، منه نسخة مكتبية الاوقاف العامة / بغداد ن برقم: ٢٥٥٥.

٤٠- المجمل في شرح مشكلات المفصل لابي المعالي ، عبد الوهاب الروزراوري منه نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

٤١- شرح المفصل[4] لعبد الله العمادي

٤٢- مقاليد شرح المفصل[5] للتهامي منه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، برقم: ١٨١٢- عام يقول في مقدمته: انه بعد ان وعى العربية لغة وأدبا نحوا ن وتصفح المفصل وحواشيه ، رأى منه بعض مسائله غموضا ن وتتبع جميع ما رأى أن يظهره ويوضحه من غوامضه ، وجمع نخب ما في: الايضاح والمقتبس والمحصل والعقارب والاقليد، ، وصادف أن كان أبو المكارم علاء الدين ابن السلطان شمس الدين ابي جعفر طاهر الحسيني شغوفا بهذا الموضوع، خاصض غمار بحار واسرار المفصل، وشرح في لباب حواشيه من الاقليد والمحصل ، ولم يسكن مع ذلك أوامه ن ورغب في زيادة التوضيح ، لذا نظم من اجله الفرائد ، وجمع الفوائد ، وطرح الزوائد ، فكان

---

[1] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري/١٠٦

[2] الدراسات النحوية والغوية عند الزمخشر ي/١٠٦

[3] دائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٤- ٤٠٥- وانظر:الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري / ١٠٦

[4] دائرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٦

[5] المفضل شر حالمفصل / ق١/ ٥٦

من ذلك هذا الكتاب الذي سماه المقاليد ، وهو شرح: يقال وقلت...[1]

٤٣- شرح المفصل: لابن الشاني ، ولعله: ابو اسعد احمد ين محمود الشاشي ، وقيل: الشاني ، وهو من تلاميذ صاحب المفصل منه نسخة محمد الفاتح برقم:٥٠٥٢، ٥٠٥٣، ونشخة في مكتبة يني جامع برقم: ١١٠١.

٤٤- الاقليد على المفصل: لاين عيسى الحلبي منه نسختان بمكتبة دولت / بايزيد ، برقم: ٦٤٦٧، ٦٤٦٨.

٤٥- شرح المفصل لمحمد بن حسام الهروي منه نسخة بمكتبة: لاله لي باستانبول برقم: ٣٤٤٩

٤٦- شرح المفصل: لمحمد بن الحاج ابي بكر الهروي ، ولعله: محمد بن حسام المذكور . منه نسخة بمكتبة: لا له لي باستانبول تحت رقم: ٣٤٤٧.

٤٧- شرح المفصل: لشرف الدين الحميدي طمنه نسخة بمكتبة فيض الله/ مللت/ استانبول، برقم: ٢٠١١.

٤٨- غاية المحصل في شرح المفصل[2] لمجهول

قال حاجي خليفة: "ومن شروحه: غاية المحصل في شرح المفصل ، اوله: الحمد لله المرتفع بالفاعلية قبل تعلق الافعال.. ذك رفيه أن المترجم بالمفصل على المفصل في دراية المفصلن بحر متلاطم الامواج بما أودعه من النصوص والحجاج ، لكنه يستدعي همما عالية ، وقد احتوى منه هذا الكتاب على المقاصد، لا يغادر من المتن شيئا الا أحصاه".ولعل هذا الشرح لكمال الدين الانصاري، أو لعلم الدين الاندلسي.

٤٩- شرح المفصل: لمجهول، منه نسخة في مكتبة: دامادزادة قاضي عسكر محمد مراد باستانبول ، تحت رقم: ١٦٨٥

٥٠- شرح المفصل لمجهول، منه نسخة في مكتبة أحمد عزت قويون أوغلو الخاصة بمدينة قونية / تركيا، والمكتبة غير مفهرسة.

٥١- شرح المفصل: لاحد الفضلاء، منه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، تحت رقم: ٩٨٥٢- عام وناسخ الكتاب: عبد الله بن احمد بن يوسف، الخطيب بمسجد القاضي حلبي.

---

[1] اسماء الحمثى / فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية / ٤٩٢- ٤٩٣

[2] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٦

ثانياً: مختصرات المفصل:

٥٢. التحرير المفصل في اختصار المفصل[(١)] لعبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمن بن عبد الله المالكي الجذامي منه نسخة في المكتبة لاحمدية بتونس ، برقم: ١٦١٧٨، واحتفظ بنسخة مصورة منها ن وتقع النسخة في: ٨٨ ورقة . وأول الكتاب: "هذا الكتاب بخط الاستاذ النحرير ، صاحب الخط الفائق ، الشيخ: عماد الدين محمد بن هبة الله الشيرازي .. بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي، قال الشيخ الفقيه الامام .. عبد الكريم بن عطا الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن الحسن المالكي الجذامي رحمه الله: الله أحمد حق حمده على سوابغ نعمه ورفده .. وآخره: كتبه العبد الفقير الى الله تعالى: عبد الكريم بن عطاء الله.. بثغر الاسكندرية..."

٥٣. اختصار المفصل[(٢)] لشمس الين محمد بن يوسف القونوي

٥٤. تلخيص المفصل: لمجهول منه نسخة في مكتبة: محمد الفاتح بالسليمانية / استانبول، برقم: ٥٠٦٥.

ثالثاً: التحية والتعليق على المفصل :

٥٥. حواشي المفصل[(٣)] لابي علي، عمر بن محمد بن عمر الشلوبين ت: في حدود / ٦٤٥هـ

٥٦. حواشي شرح المفصل الشيخ فخر الدين الجار بردي ت: ٧٤٦هـ، الاشباه والنظائر/ ٤/ ٢٦

٥٧. حواشي على المفصل: لمجهول منه نسخة في دبلن برقم: ٥٠٢٦/ ٦

٥٨. حاشية على المفصل مع شرح المصباح لمجهول منه نسخة في مكتبة أيا صوفيا بالسليمانية / استانبول، برقم: ٤٥٣٣ .

٥٩. تعليق على المفصل للزمخشري لمجهول .. منه نسخة في المكتبة الأحمدية بتونس، برقم: ٣٩٧٦. وقد حصلتُ على نسخة مصورة من الكتاب، وحين نظرت فيه وجدته ناقصاً، و يقع الموجود منه في: ٦٤ ورقة . وأول الكتاب بعد البسملة: " قوله: الله أحمد: بدأ بالاسم فلم يذكر الفعل .. ففي التقديم محلّ هذه الفائدة، ولو قال: أحمد لله، لكان خبراً

---

(١) كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٦

(٢) كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٦ن بغية الرعاة / ١/ ٢٨٧

(٣) المغنى / ١/ ٩٢- والاشباه والنظائر / ٣/ ٦٣، وبغية الوعاة / ٢/ ٢٢٤

ساذجاً بلا تخصيصٍ و تأكيدٍ .. و آخره: " حاشية: قال .. أدلَق وهي أصلية، واذا جَعلته من أذلق فهو ما ذلقَ، وهي زائدة ..

رابعا : الأمالي على المفصل :

٦٠. كتاب الأمالي على المفصل [١] لجمال الدين أبي عمرو، عثمان ين عمربن أبي بكر المعروف بابن الحاجب ت: ٦٤٦هـ، قال السيوطي: "هو مجلد ضخم في غاية التحقيق، بعضها على مواضع من المفصل، ومواضع من كافيته ، وأشياء نثرية". ومنه نسخ خطية كثيرة ن وقد ذكر طارق الجنابي: ثماني عشرة نسخة في كتابه: ابن الحاجب النحوي[٢] .

٦١. الاملاء على المفصل: لشرف الدين ، ابي عبد الله محمد بن عبد الله المرسي الضرير ت:٦٥٥هـ، بغية الوعاة/ ١/ ١٤٥.

٦٢. املاء المفصل [٣] لابي علي ، عمر بن علي بن عمر الشلوبين.

خامساً : شروح اللغة والآيات :

٦٣. سفر السعادة وسفير الافادة[٤] لعلم الدين أبي الحسن، على بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ت: ٦٤٣هـ، منه نسخة في برلين برقم: ٧٠٩٤، ونسخة في مكتبةعارف حكمت بالمدينة المنورة برقم:٨١ نحو ، وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة عدة نسخ منها: نسخة برقم: ٢٣ لغة تيمور ، ونسخة مصورة منها، ناسخها: عبد الملك بن يوسف الشهرزوري الباقلاني سنة: ٦٣٧هـ من أصل المصنف الذي بخط يده. وقد جعل السخاوي كتابه هذا على الشهرزوري الباقلاني سنة: ٦٣٧هـ من أصل المصنف الذي بخط يده. وقد جعل السخاوي كتابه هذا على سبعة أقسام: الاول في شرح الكلمات العربية التي مثل لها صاحب المفصل مرتبة ترتيبا هدائيا، والثاني: في ذكر مناظرات جرت بين النحاة في مسائل نحوية ولغوية، والثالث ك في ذكر شئ من ابيات المعاني اللغوية ، وابيات المعاني المشكلة في الاعراب ، والرابع: في ذكر الشياء من النحو ، والخامس في ذكر المسائل العشر لابي نزار الملقب بملك

---

[١] بغية الوعاة / ٢ / ١٣٥ – وانظر: الخزنة / ١ / ٥٣٢ – ٢ / ٤٠٦ – و ابن الحاجب النحوي / ٩٥ – ١٠٨.

[٢] ابن الحاجب النحوية/ ٩٦- ٩٨

[٣] عمدة الحافظ وعدة الافظ / ٦٠٢

[٤] انباه الرواة / ٢/ ٣٣١- والمفضل في شرح المفصل/ ق١/ ٥٢- وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية/ ٢٢١

النحاة، والسادس: في ذكر اشياء من أحكام المبنيات ، بدأه في البناء والاعراب ، والسابع: في ذكر من علم القوافي.

٦٤. ذكر معاني ابنية الاسماء الموجودة في المفصل لجمال الدين أبي عبد الله ،محمد بن عبد الله بن مالك ت: ٦٧٢هـ، منه نسخة في دمشق / الزيادات / خزائن الكتب/ ٥٥، ٦٤ رقم٢.

٦٥. شرح الايات التي وردت في المفصل، لفخر الدين الخوارزمي منه نسخة في دمشق / الزيات / خزائن الكتب/ ص:٨٦س ٣٤.

سادسا : نظم المفصل :

٦٦. نظم المفصل لابي نصر نجم الدين ، فتح بن حماد بن عبد الله بن علي بن يوسف ، ولد بالجزيرة الخضراء ، سنة: ٥٨٤هـ وقيل: ٥٨٨هـ الاموي الجزري القصري ت: ٦٦٣ بغية الوعاة / ٢/ ٢٤٢

٦٧. نظم المفصل[1]لابي نصر ، فتح بن موسى الخضراوي القصيري ت: ٦٦٣هـ

٦٨. نظم المفصل[2]لشهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان الدمشقي الشافعي المشهور بابي شامة ت: ١٩ رمضان سنة: ٦٦٥هـ

٦٩. المؤصل في نظم المفصل[3] لجمال الدين ، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني البشاخصي النحوي، تنزيل دمشق ت: في ١٢ شعبان سنة ٦٧٢هـ، قال الشاعر: وقد نظم تصانيفه في ابيات:

وجاء بنظم للمفصل بارع رفيع على المنظوم يجعى المؤصلا

جاء في مقدمة الالفية: "وقد حل هذا النظم فسماه: "سبك النظوم وفك المختوم" ومن قال ان اسمه: "فك المنظوم وسبك المختوم" فقد خالف النقل والعقل".

سابعا : تقليده :

٧٠. المفصل[4] لاحمد بن بهرام بن محمود جاء في دائرة المعارف أ، ابن بهرام هذا كتب كتابا سنة: ٦٧٠هـ قلد فيه "المفصل" وسماه بالاسم نفسه، والكتاب مخطوط في المتحف البريطاني ...".

---

(١) بغية الوعاة / ٢/ ٢٤٢- وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٦

(٢) بغية الوعاة / ٢/ ٧٧- وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٦

(٣) بغية الوعاة / ١/ ١٢٣- وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥- ومقدمةألفية ابن مالك / ٤- والمدارس النحوية / ٣١٠

(٤) داشرة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٦

ثامنا: المآخذ على المفصل

٧١. تنبيهات على اغلاط الزمخشري في المفصل، وما خالف فيه سيبويه ليوسف بن معزوز القيسي الاندلسي ابو الحجاج من اهل الجزيرة الخضراء ت في حدود سنة: ٦٢٥هـ الرد على الزمخشري فصله بقية الوعاة / ٢/ ٣٦٢

٧٢. تعليفه على كتاب: يوسف القيسي [(١)]لابي الفضل ، محمد بن عبد الله بن ابي الفضل المرسي ، الشرير أبو عبد الله شرف الدين النحوي الاديب الزاهد المفسر المحدث الفقيه الاصولي، ت: في ربيع الاول سنة: ٦٥٥هـ ، في بغية الوعاة / ١/ ١٤٤وتعلم على المفضل كالزمخشري واخذ عدة مواضع بلغني انها سبعون مصنفاً، اقام على خطئها البرهاني واستدل على سعتها بالبيان..."

٧٣. شرح ابيات المفصل[(٢)]لرضى الدين ابي الفضائل ن حسن بن محمد بن حيدر القرشي العدوي الصفاني ت: ٦٠٥هـ. قال في حاشية الاصل/ ١٧١ب في معرض تعليقه على احد الشواهد الشعرية في المفصل: "وهو من ابيات الكتاب ، وقد شرحته في شرح ابيات هذا الكتاب من جمعي "

قال اثناء تخريجه لقوله الراجز: فيها عيائيل اسدٌ ونُمُر

والرجز لحكيم بن معية الربعي التميمي ، وهو من ابيات الكتاب والرواية " فيه " ، وقد شرحته في: شرح ابيات هذا الكاب من جمعي.

٧٤. اثبات المحصل في نسبة ابيات المفصل[(٣)] لابي البركات، مبارك بن احمد بن أبي البركات ابو عنيمة بن علي الصاحب شرف الدين ابو البركات الاربيلي، المعروف بابن المستوفي الاربلي ت: ٦٣٧هـ.

٧٥. شرح ابيات المفصل [(٤)] لعبد الظاهر بن بشران الرومي الجذامي الضرير

٧٦. شرح ابيات المفصل لابي نصر، فتح بن موسى الخضراوي، منه نسخة في مكتبة: ولي الدين أفندي / باريزيد/ استانبول ، برقم: ٢٩٣٣، ونسخة أخرى في مكتبة: ولي الدين جار الله أفندي باستانبول ، برقم: ١٩٠٣ .

---

(١) بغية الوعاة / ١/ ١٤٤– وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٦

(٢) انباه الرواة / ١/ ٥٢٠– بغية الوعاة م١/ ٥١٩ وكشف الظنون/ ٢/ ١٧٧٦

(٣) بغية الوعاة / ٢/ ٢٧٢– والدرر واللوامع / ٢/ ٣٠– وكشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥– والخزانة / ٢/ ١٩+٤، – ٤٢٥

(٤) كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٥

٧٧. شرح ابيات المفصل لعفيف الدين ، ربيع محمد بن منصور الكوفي ، توفي في حدود: ٦٨٢هـ منه نسخة في مكتبة: يني جامع بالسليمانية / استانبول، برقم:١٠٦٤، ونسخة دار الكتب المصرية برقم:٢٩٩ق خط ١٣٠٥هـ نحو ش١١.

٧٨. شرح ابيات المفصل للزمخشري لعلي بن محمد علي، المعروف بالشريف الجرجاني ، منه نسختان بدار الكتب المصرية، الأولى: برقم: ١١٧ق (هـ٥٢٤٦)، والثاني برقم: ٧٤٠-٨١٦هـ

٧٩. شرح ابيات المفصل [1] لفخر الدين الخوارزمي ، منه نسخة في مكتبة: رامبو بالهند برقم: ك/ ٣٩٣٢، ونسخة في: دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم: ٣٣٤٣- عام (ضمن مجموع)، وقد حصلت على نسخة مصورة منها، واعتمدت عليها في اثناء تحقيق لكتاب المفصل، وبقع هذا الكتاب في:١٦٦ ورقة، وأوله:"أحمد الله وهوبالحمد جدير، علىأن يسر على ما عسير ..."، وآخره:" .. لما ذكر من معنى البيت أنه أهلك هؤلاء، وقصد إلى قتل أولئك، والحمد الله رب العالمين".

٨٠. شرح أبيات المفصل للزمخشري لمحب الدين، فضل الله بن محب الله بن محمد بن أبي بكر الدمشق ت:١٠٨٢هـ، منه نسختان في: دار الكتب المصرية، أولا هما برقم: ٣٢٨ص (نحو تيمور – ٥٢٣)، والثانية برقم: ٢٣٧ص (نحو تيمور – ٦٣٠).

٨١. شرح أبيات المفصل لاحمد بن أحمد عطا البخاري . منه نسخة في مكتبة: حكيم أوغلى علي باشا / استانبول، برقم: ٨٨٥، ونسخة في: دار الكتب المصرية برقم: ٣٤٨ص (نحو تيمور – ٣٨٧).

٨٢. شرح أبيات المفصل للزمخشري [2] لمحمد بن سليمان بن محمد الخطيب منه نسخة في:دار الكتب المصرية برقم: ٣٩٧ص، خط ٣٥٦ هـ (نحو تيمور –٥٨٨).

٨٣. المفضل فس شرح أبيات المفصل [3] لبدر الدين أبي فراس، محمد بن بدر الدين النعساني الحلبي، طبعته دار الجيل بذيل كتاب "المفصل" طبعة غير محققة .

٨٤. شرح ابيات المفصل ليوسف بن علي، منه نسخة في مكتبة: دولت / بايزيد العمومية / استانبول، برقم ٦٢٨٦

---

[1] كشف الظنون / ٢ / ١٧٧٦

[2] المفضل شرح المفصل / ق١/ ٥٧.

[3] كشف الظنون / ٢/ ١٧٧٦ – ودائر ة المعارف الاسلامية / ١٠/ ٤٠٥.

٨٥. شرح أبيات المفصل لأبي بكر بن محمد الشيرازي، منه نسخة في الكتبة الأحمدية بتونس، برقم: ٤٤٠٩ (ضمن مجموع)، يقع في: ٩٦ ورقة، وناسخة: إبراهيم بن مصلح الدين العينابي .

٨٦. شرح شواهد المفصل لبعض فضلاء العجم .

٨٧. شرح أبيات المفصل لمجهول، منه نسخة في مكتبة: دار الكتب الظاهرية بدمشق، برقم: ١٨٢٢- عام، أول الكتاب بعد البسملة:" والحمد الله الذي فضل الانسان بفضيله البيان، وشرفه بشرف النطق وفصاحة اللسان ..."، وآخره:".. الاستشهاد على أن قوله: "علماء " أصله: على الماء على أنه جار ومجرور، وذلك لغة فيه، والله أعلم وأحكم بالصواب، وإليه المرجع والمآب ".

٨٨. شرح أبيت المفصل: لمجهول، منه نسخة في ليدن برقم: ٢٧٢٩وأوله:" الحمد الله الذي فضل الانسان بفضلية البيان .." وآخره:".. النيام: أصله النوام، فانقلبت الواو ياء، وقساسه أن لا يقلب، والله أعلم ".

٨٩. شرح أبيات المفصل: لمجهول، منه نسخة بمكتبة: لاله لي يالسليمانية / استنبول، برقم: ٣٢٥٤ (ضمن مجموع)، يقع في: ١٤٣، وتاريخ نسخة: ٨٤٧هـ، ولم يذكر اسم ناسخه، وقد حصلت على نسخة مصورة منه، وأفدت منها .

٩٠. شرح أبيات المفصل للزمخشري: لمجهول، منه نسخة في: دار الكتب المصرية برقم: ١٠٥- مجاميع .

٩١. شرح أبيات المفصل للزمخشري: لمجهول، منه نسخة في: دار الكتب المصرية برقم: ١٨٦ق (نحو طلعت - ٣٧٢).

٩٢. شرح ابيات المفصل: لمجهول، منه نسخة في: دار الكتب المصرية برقم:٧٠ق (١٧٦).

٩٣. شرح أبيات المفصل: لمجهول، منه نسخة في مكتبة: يوسف آغابا لسليمانية / استانبول، برقم: ٦٩/ ٢ (ضمن مجموعة) من ورقة: ١٦٧- ٢٧٨ .

٩٤. شرح ابيات المفصل: لمجهول، منه نسخة في مكتبة: أيا صوفيا بالسليمانية / استانبول، برقم ٤٤٤٨ .

٩٥. شرح أبيات المفصل: لمجهول، منه نسخة في مكتبة: شهيد علي باشا بالسليمانية / استانبول، برقم: ٥٢٠٨ / ٢ (ضمن مجموع) .

تاسعا : إعرابُ أبياتِ المفصل:

٩٦. المُنخّل في إعراب أبيات المفصل لعزّ الدين، حسن بن عبد المجيد المراغيّ النحويّ .منه نسختان في مكتبة: راغب باشا باستانبول، أولاهما برقم: ١٣٠٥، و الثانية برقم: ١٣١٨ . ومنه نسخة في مكتبة: ولي الدين أفندي / بايزيد العمومية / استانبول، برقم: ٢٩٣٢ . وأول ُ الكتاب بعد البسملة: و الحمدلله المترى بالعظمة والجلال، المتصف بالإنعام والإفضال .." وآخره:".. والحمدلله على اتمام هذا الدفتر، بعون الله الواحد الأكبر .." وناسخة: محمود بن خليفة بن محمد الحنبلي .

٩٧. إعراب أبيات المفصل [(١)]لبعض فضلاء العجم .

وبعد ، فهذا ما استطلعنا ان نثبته من شروح لكتاب، المفصل في صنعه الاعراب" لكتاب، المفصل في صنعه الاعراب "ل جار الله الزمخشري، بعد أن بذلنا جهداً أي جهد في استقراء عدد وفير من فهارس مكتبات المخطوطات ، وكتب التراجم ، وغيرها من المصادر التي عنيت بالتراث وربما تسنح الظروف العلمية لغيرنا من الباحثين فيستطيعون ان يكشفوا الحجاب عن شروح اخرى لهذا الكتاب.

علة كثل هذا العدد من الشروح، يدل دلالة واضحة على ان كتاب "المفصل" هذا ، كان ظاهرة نحوية جديرة بالعناية والاهتمام ، وانه استطاع فعلا ان يشد اليه انظار العلماء في القرون المتعاقبة، وان بستأثر بجزء من جهودهم ودراساتهم.

ونحن لا نجانب الحق البتة حين نقول:اننا لا نكاد نعثر على كتاب نحوى- بعد كتاب سيبويه- لقي من الحظوة لدى العلماء والدراسين مثلما لقي كتاب "المفصل" اذ اصبح النحاة عالة عليه، ياخذون منه ، ويستندون اليه، ويستأنسون بالاراء التي وردت فيه، ويشرحون متونه، ويقيمون عليه الدراسات الى يومنا هذا ، حتى كثرت شروحة هذه الكثرة، وانتشرت في مكتبات العالم انتشارا واسعا .

وحتى تكتمل ملامح الصورة لاثر كتاب "المفصل" في الدرس النحوى ، رأينا ان نخص بعض شروحه بوفقة قصيرة ، نتعرف من خلالها على مناهج هذه الشروح في تناول نصوصه، ومعالجة مسائله.

---

(١) الخزانة / ٢/ ١٩٤، ٤٠٦.

تقويم بعض شروح المفصل:

لعل اهم شروح "المفصل" التي اشتهر أمرها، وشاع ذكرها ، وكثر الاعتماد عليها، هي تلك التي تم تأليفها في القرن السابع الهجري، اما الشروح التي ألفت بعد ذلك ، فان شراحها قد اعتمدوا في الاغلب الاعم على شروح القرن السابع . ومن هنا ، فان تقويم بعض هذه الشروح، بعرض منهج كل شارح وبسط اسلوبه في الشرح ن وربما يكون فيه غناء عن الاطالة والاستقصاء . ولذلك فقد رأيت أن أعتمد في هذه الدراسة على ثلاثة من شروح "المفصل" ، وهذه الشوح المعتمدة هي: شرح المفصل لابن يعيش، والمفضل في شرح المفصل لابي الحسن السخاوي، والايضاح في شرح المفصل لابن الحاجب. ويرجع سبب هذا الاعتماد الى شرح المفصل لابي الحسن السخاوي ، والايضاح في شرح يعتبرون من النحاة المشهورين الذين ذاع صيتهم ، وعرفت اقدارهم العلمية ، واثنى عليهم من جاء وابعدهم . اما اولا : فلأن مؤلفي هذه الشروح يعتبرون من النحاة المشهورين الذين ذاع صيتهم ، وعرفت اقدارهم العليمية، واثنى عليهم من جاء وابعدهم . واما ثانيا فلان شروحهم قد اشتهرت واشتهرت وكثر تداولها في حلقات الدرس النحوي حتى يومنا هذا ، فشهرة شرح الين يعيش مثلا قد بلغت حدا فرضت على من يعنيهم امر هذا العلم ان يوصوا بطبعة وطرحه بين ايدي الدارسين ، لتتحق الفائدة منه ، ولاتكاد تخلو مكتبة نحوية من هذا السفر الضخم [1]

ولم يكن المفضل والايضاح اقل شهرة من سابقهما، فقد أكثر علماء النحو من الاشارة اليهاما في مؤلفات ، وربما يشيرون الى ذلك بقولهم: "قال السخاوي في شرح المفصل" ، " وقال ابن الحاجب في شرح المفصل"، وقد شجعت شهرة الكتابين بعض الباحثين على القيام بتحقيقهما ونشرهما ، كما بينا من قبل.

وأما ثالثا: فلأن هذه الشروح الثلاثة قريبة عهد بالمفصل وصاحبه من جهة ، ولان الشراح انفسهم قد عاشوا في حقبة زمنيه واحدة من جهة اخرى ، اذ مات ابن يعيش والسخاوي في سنة واحدة (٦٤٣هـ) ، ومات ابن الحاجب بعدهما بثلاث سنوات (٦٤٦هـ) ت وهذا من شأنه – فيما نرى- أن يعين على تكوين فكرة واضحة عن اسلوب تناول شرح المادة النحوية في العصر الواحدن ومدى الاختلاف والاتفاق في هذا التناول.

---

[1] المفضل شرح المفصل/ ق١/ ٢٢٧- وابن الحاجب النحوي / ٩٠

أولا: ابن يعيش.. ومنهجه في شرح المفصل

١- اعتمد ابن يعيش في شرحة على عدة أصول من كتاب "المفصل" ، وكان يقابل فيما بين نصوصها ويقيم دراسته على ما يغلب ظنه انه أصحها، فكثيراً ما تراه يقول: "وقع في نسخ المفصل" أو" وقع في نسخ الكتاب"[١] .

٢- يثبت الفصل أو قسما منه، ثم يعود الى تناول ما أثبته جزءاً جزءاً ، كلمات وتراكيب حسب ما تستدعي ظروف الشرح، أو تبعا للقاعدة التي يبغي ايضاحها، فاذا ما فرغ منها انتقل الى غيرها، وهكذا ن حتى يستعمل سائر أقسام الفصل.

٣- وقد يثبت الفصل فينظر فيهن فاذا تبين له أن بعض عباراته عنية عن الشرح او التعليق ، تجاوزعنها الى غيرها بعد ان ينص على ان عبارة"المفصل" واضحة ، وليست بحاجة الى مزيد من البيان[٢] . وليس هذا فحسب ، بل تراه احيانا يثبت عدة فصول من "المفصل" ويتركها غفلا من الشرح والايضاح ، ثم ينتقل الى فصول أخرى غيرها[٣] ، وربما يعود ذلك الى وضوح نصوص "المفصل" فيها.

٤- وربما يضع حدا للباب ، ثم يستحضر حدود العلماء الذين سبقوه له ، وينض على الاصح منها ، من ذلك مثلا انه حين عرض لشرح باب "الاسماء " بادر الى تعريف "الاسم" ثم سرد تعريفات: سيبويه والمبرد وابن السراج له ، ووقف على تعريف صاحب "المفصل" فشرحه كلمة كلمة ، ثم بسط رأيه فيه[٤] .

٥- وقد يحيل على ما سبق ان شرحة من مسائل "المفصل" احالة مجهولة، فلا يحدد الموضوع الذي احال عليه[٥]

٦- وتراه احيانا يتناول المسألة فيجمل الحديث فيها ، ثم ينص على انه سيعيد شرحها في مكان آخر يراه مناسبا اكثر من هذا الموضع[٦] ، ويسهب في شرح المسألة في احيانا اخرى قيذكر من اوجهها

---

[١] شرح المفصل/ ٣/ ٢٥- ٥/ ١٢٩

[٢] شرحالمفصل/ ٢/ ١١٤

[٣] شرح المفصل/ ٧/ ١٥٨، ١٥٩

[٤] ابن يعيش وشرح المفصلم٤٥

[٥] شرحالمفصل/ ٣/ ٣٦، ٥٥

[٦] شرح المفصل/ ١٠/ ٩٩- ١٠٠

اكثر مما ذكر الزمخشري[1]

٧- وربما يستدرك على صاحب "المفصل" ما يراه جديرا بالذكر لتحقيق الفائدة ن من ذلك قوله [2]: "انما بدأ الزمخشري بحصر الفاظ بالتفصيل على وفق الترجمة .. ونحن نجمع بينهما ، لان الفائدة مرتبطة بهما.

٨- وقد يشير احيانا الى عبارة"المفصل" التي يرى ان الزمخشري قد تسمح فيها فبدت مقتفرة الى الدقة التي عرف بها ، فحين قال الزمخشري في باب "الحال": "شبه الحال بالمفعول من حيث انها فضلة مثله جاءت بعد مضي الجملة ،ولها باظرف شبه خاص من حيث انها مفعول فيها ، ومجيئها البيان هيئة الفاعل أو المفعول وذلك قولك: ضربت زيداً قائما ، بجعله حالا من أيهما شئت " قال ابن يعيش " وقوله: تجعله حالا من ايهما شئت: يعني انك قلت: ضربت زيدا قائما، ان شئت جعلته حالا من المفعول الذي هو زيد ، وهذا فيه تسمح ، وذلك انك اذا جعلت الحال من التاء ، وجب ان تلاصقه فتقول: ضربت قائما زيدا ، فاذا ازلت الحال عن صاحبها فلم تلاصقه، لم يجزيذ لك ، لما فيه من اللبس، الا ان يكون السامع يعلمه كما تعلمه ، فان كان غير معلوم ، لم يجز ، وكان اطلاقه فاسداً" [3] وينبه في احيان اخرى على ما يمكن ان يوقع في الوهم من نص "المفصل" ، فحين قال الزمخشري في باب "المفعلو المطلق ": " ومن اضمار المصدر قولك ..."

قال ابن يعيش:" قوله: إضمار المصدر: يُوهم أنه قد تقدّم إضمار مصدرٍ حتى عطف عليه، و الذي تقدّمَ إضمارُ فعلٍ عاملٍ في المصدر " [4] .

١٠- ولم يقف نشاطُ ابن يعيش في شرح " المفصل " عند الجانبين: النحوي و الصرفي، بل إتسعت دائرة هذا النشاط لتشمل الجانب اللغوي أيضاً [5]، وبرز جهده اللغوي – أكثر ما برز – في بابي: أبنية الأسماء و أبنية الأفعال و في ابواب: المثنى و المجموع و المصغّر و المنسوب .

١١- و قد أولى الشواهد التي وردت في " المفصل " اهتماما بالغاً، فتراه يقف عند الشاهد الشعريّ فينسبه في أغلب الاحيان، إذا ورد في الكتاب – موضوع الشرح غُفلاً من النّسبة، وقد يصوّب

---

[1] شرح المفصل/ ٣/ ٧٢

[2] شرح المفصل/ ٥/ ١٤

[3] المفصل/ ١/ ١٤٨- وشرح المفصل/ ٢/ ٥٥/ ٥٦

[4] المفصل / ١ / ٨٣ – وشرح المفصل / ٢ / ١٢٣

[5] شرح المفصل / ٢ / ١١٦ / ١٢٣ – ٤/ ٥-٦ / ٧٥-٦ / ١١٠ .

خطأ الزمخشري في النسبة، ثم يفسّر الألفاظ الغريبة التي وردت، ويسوق معناه، ثم يشير بعد ذلك الى موطن الشاهد فيه . و يبين في الأغلب موطن الشاهد في الآية القرآنية التي استشهد فيها الزمخشري، و ينبّه على ما في الآية من أوجه القراءة و يقف عند الأمثال و الأقوال فيشرحها، و يبين موطن الشاهد في كلّ منها في أكثر الأحيان .

١٢- و اعتمد ابن يعيش في أثناء شرحه لكتاب " المفصّل " على مصادر كثيرة، فعمله في شرحه يدلّ: على أنه اطلع على آراء من سبقوه من النّحاة اطّلاعاً واسعاً دقيقاً، و انه رجع الى: كتاب سيبويه، و كتاب المقتضب للمبرد، و كتاب المنصف لابن جني، وشرحي: ابن السيرافي و الاعلم الشنتمري لأبيات كتاب سيبويه، ووقف على آراء: الكسائي و الفراء و الأخفش الأوسط و غيرهم، و عرف مذاهب النحو و أصحابها معرفةً جيدة [1] .

و تراه في الوقت نفسه يكثر من النقل عن اللغويين المتقدمين، ومن أمثال: الأصمعي و أبي زيد و ابن الأعرابيّ و ابن السكيت و الجوهري، فانعكس هذا الجهد كلّه على شرحه، فبدا شرحاً مفيداً، جليل القدر، و قد دفع ذلك شوقي ضيف الى القول إنّ شرح ابن يعيش لكتاب " المفصّل": اشبه بدائرة معارف لآراء النحاة من بصريين و كوفيين ، حتى كأنه لم يترك مصنّفاً لعلمٍ من أعلامهم إلا استوعبه، و تمثل كلّ ما فيه من آراء تمثّلاً منقطع النظير "[2] .

١٣- يمكن اعتبار الفصول النحوية التي أثبتها ابن يعيش في شرحه، نسخةً أخرى من كتاب " المفصل " و قد اعتمدنا على هذه الفصول في أثناء التحقيق، و أفدنا منها فائدة جليلة .

و صفوة القول، فان شرح ابن يعيش هذا قد بلغ الذروة بين شروح " المفصل "، ووجد في نفوس الدارسين قبولا ورضا، و أثنى عليه الباحثون في مواطن شتى، لأنهم قد ظفروا منه بما لم يظفروا به من غيره من الشروح، وهو شرحٌ قد أماط اللّثام عن مشكلات النحو بأسلوب سهل بعيدٍ عن التعقيد و التمحّل في أغلبه، وان يكن المنطقُ قد أسره في أحيانٍ كثيرة، [3]، حتى قال عنه يوهان فك في كتابه " العربية "[4]: .. وحتى النحوي ابن يعيش يتَنازَل في شرحه عن التظاهرُ بالآدب ، فيكتبُ في اسلوب عاديّ ركيك " .

---

[1] انظر مثلا: شرح المفصل / ١/ ٩، ٣٩ – ٢ / ١١١ – ٣ / ٢٩ – ٦ / ٧٣ -٧ / ٥٢، ٩٩ – ٨ / ٢٧، ١٢٩ – ١٠ / ١١٤، ١٤٢ .

[2] المدارس النحوية / ٢٨٠ – و انظر ايضا: ابن يعيش و شرح المفصل / ٤٤ – ٧٠

[3] ابن الحاجب النحوي / ٩٠ – ٩١

[4] العربية / ٢٢٨ – ٢٢٩ .

على أن ما أخذه " فك" على ابن يعيش في شرحه يفتقر الى الدّقة، فثمّة فرقٌ كبيرٌ بين الركاكة و البساطة، و ذلك أن البساطة تعني: الوضوح في تناول المادة، و قرب المأخذ، وهذه سمةٌ في الاسلوب، تدلّ على مهارة الكاتب و تمكنه من مادته العلمية، و قدرته عرض هذه المادة بأسلوبٍ ميسور الفهم، فتمكنّ ابن يعيش من علم النحو، وعلو كعبه في اللغة، يسّر له سبيل الإطناب في شرحه، ليحيط بمسائل النحو عن تدبرٍ ودرايةٍ وفهم

يقول طارق الجنابي [1] ولا أكون بعيدا عن الواقع حين أزعم أن ابن يعيش كان دقيقاً في التقصّي، ثاقبا في التحري، متتبعاً اللفظة و الشرود، و المشكلة النافرة . فلا يدعها حتى تكون مَغَاليقها مفتّحة ، و اسبابها موصولةً، و عباراتها واضحةً، و يكثر من الشواهد، من أجل هذا، و يصحُّ اعتبار شرح ابن يعيش ، كتابا ذا فوائد جمّة في اللغة و النحو بما تضمنه من مسائلهما التي تناولها بروحِ الباحث الجاد .

ثانيا : أبو الحسن السخاوي، و منهجه في المفضل

صدّر ابو الحسن شرحه بمقدمة أطال فيها، فبيّن مكانة علم النحو من العلوم الأخرى، و أبرز فضله عليها جميعا، و أنها تفتقر اليه، و تعتمد عليه، ثم أشار الى قيمة كتاب " المفصل " الذي يضطلع بأمر شرحه فنصّ على أنه أنفع ما الّف و جيزا مضبوطا لمن استغنى بمختصر و اقتصر عليه .. وسردنا تاريخ علم النحو سرداً تاريخياً مفصلاً، بدءاً بأبي الأسود الدؤلي، و انتهاء ً بأستاذه: أبي اليُمن زيدُ بن الحسن الكندي . و جعل نُحاةَ المدرستين في طبقات: طبقات نحاة البصرة ، و طبقات نحاة الكوفة، وقد عدّ عبد الكريم جواد مقدمته هذه: أحسن مقدمات شروح المفصل على الاطلاق [2] .

و قد التزم ابو الحسن بمنهج محدّد في شرح المفصل على النحو التالي:

١- يورد الفصل دون ان يُنقِص منه شيئا، و يذيله بالحرف "ش" الذي سماه: شين الشرح " ثم يشرع في شرح ما أورد . و ربما يورد في بعض الاحيان فصلين، و قد لاحظت أنه يلجأ الى ذلك اذا كان الفصلان قصيرين [3] .

---

[1] ابن الحاجب النحوي / ٩١ .

[2] انظر: المفضل في شرح المفصل / ق١ / ١٠٢ – ١٠٥

[3] المفضل في شرح المفصل / ٣ / ١٧ ب

و قد أجمل منهجه في شرح المفصل حين قدّم لكتابه بقوله: .. وقد بذلت الجهد في التفهيم .. و أوردتُ المفصل فصلا مفصلاً، فإذا أنهيتُ كتابة الفصل، رسمت شيناً حمراء، وهي شين الشرح، ثم شرحت الفصل حرفا حرفا، شرحا مرتبا، وفسراً مستوعباً ..[1]

٢- يحدّ من الموضوعات التي وردت في المفصل " ما يراه بحاجةٍ ماسة الى حدّ، لتفسير الموضوع و تمييزه عن غيره، دفعا لما يمكن ان يقع من لبس و إبهام، و يبدو أنه يميل في منهجه العام الى تجنب الاكثار من هذه الحدود، ويولي اهتمامه بابراز المعنى اللغوي لها في أغلب الاحيان، من ذلك مثلا: قال الزمخشري في باب المفعول فيه": هو ظرفا الزمان و المكان .. " فقال السخاوي في شرحه: " الظرف في الاصل: الوعاء و سُميت هذه ظروفاً لأنها أوعية للأحداث ..[2]

ومن ذلك أيضا قوله في أثناء شرحه لباب" التمييز:" التمييز في اللغة: عدل شيء عن غيره وإفراره منه، وقيل لما نحن فيه: التمييز، لذلك .. "[3]

وعلل عبد الكريم جواد تجنب السخاوي الإكثار من الحدود، بأنه يحاول أن يبتعد بالنحو عن المنطق وأصول الفقه ما استطاع إلى ذلك سبيلا [4]

٤- ويركز عنايته في شرحه على الجانب اللغوي، ويبرز ذلك – أكثر مايبرز- في أثناء تناوله للشواهد الشعرية، فتراه يفسر ألفاظها الغريبة، ويسوق معانيها، ويذكرتصاريفها واستعمالاتها عند العرب، ويسهب في ذلك كثيرا . وهذه العناية واضحة في كتاب "لمفصل " فهي تكاد تشمل سائر الشواهد الشعرية التي تضمنها الكتاب المشروح . وقد حفزه اهتمامه بهذا الجانب أن يعتمد اعتمادا مباشرا على بعض كتب اللغة ككتاب "الصحاح" للجوهري، وعلى طائفة من اللغويين كالأ صمعي والجرمي وغيرهما.

٥- ويقف على الشاهد الشعري الذي أورده صاحب "المفضل" وقفة طويلة، فيكمله إذا كان ناقصاً وكثيراً ما يسنده ببيتٍ آخر وبعدّة أبيات من القصيدة التي ورد فيها.ويجتهدُ في نسبة الى قائله إذا ورد في "المفضل" غفلاًمن النسبة، ويصّوب ما أخطأ الزمخشريُّ في نسبته، وأذا وجد أ، البيت يتنازع نسبته أكثر من شاعرٍ، فأنه لآ يترددُّ في ذكرهم، ويجد في البحث عن قائلي

---

[1] المفضل في شرح المفصل / ق١ / ١٠٤

[2] المفصل / ١ / ١٣٣ – و المفضل / ٢ / ٥٩٩ .

[3] المفضلفي شرح المفصل / ٧١٦/٢

[4] انظر: المفضل شرح المفصل / ق١/ ١٠٦

الشواهد التي لم يعرف قائلوها، وهكذا. وتجد هذا النهج متبعاً في أكثر الشواهدالشعرية التي استوعبها"المفضل".

٦- ويبين في الاغلب الاعم موطن الشاهد في الايات القرآنية التي استشهدبها الزمخشري، واذا كانت الآية تقرأ على وجهٍ نبه على ذلك، وخاصة اذا كان وجه القراءة يتعلق بموطن الشاهد.

٧- ويتجّه في شرحه الى الاستقصاء و الشمول، إذ يتناول مسائل الفصل وعباراته وحتى كلماته، ولايدعُ منه شيئا إلا وقف عليه وأعطائه من جهده. وظاهرة الالمام بأوجه المسألة الواحدة جميعاً، تعتبر ظاهرة عامة في شرحه لمسائل "المفضل"، فهو يحاول أن يحفط بكل جوانب المسألة، ويستوعب جميع تشعباتها، فيوردُ آراء النجاة فيها، ثم يبدي رأيه بعد ذلك. وقدخ يسرف في الاستقصاء أحياناً فيخرج عن جادة القصد[١]

٨- ويحرص على إيراد الفصول التي يتولى أمرشرحها كما وردت في كتاب "المفضل"تماما، وهو بعمله هذا يختلف مع بعض شراح"المفضل"، في أساليب شروحهم لفصول الكتاب، الي تقوم على أساس الاختيار الذي يحكمه غموض الفصل أووضوحه[٢].

ومن هنا،يمكن اعتبار مجموع الفصول التي تضمنها كتاب"المفصل في شرح شرح المفضل" نسخة أخرى قيمة من ومن كتاب "المفضل" للزمخشري،وذلك يرجع الى حرصه على ايراد الفصل كاملا كمابيننا. وقد أـاح لنا عمله هذا أ، نعتمد على كتابه في أثناء تحقيق "المفضل" وأن ندرجه في قائمة النسخ التي أقمناها عليها العمل.

٨-وأعتمد في شرحه على مصادر كثيرة في: النحوواللغة وغيرهما،ككتاب سيبويه، والمقتضب، وشرح السيرافي لأبيات "الكتاب"، والانتصارلابن ولاّد،وتفسير الكشاف لصاحب "المفضل"، واستفاد من آراء كثيرةمن النجاة كالخليل وسيبويه والأخفش الأوسط و الكسائي والفراء و المازني و الفارسي وابن جنى والزجاج وابن السراج وغيرهم[٣] ويعتبر شرحه من أكثر شروح "المفضل" احتفاء بآراء النحاة وأقوالهم،فتراه يكثر من سرده هذه الأقوال وينقل النصوص الككثيرة عنهم، مع حرص ملموسٍ،على نقل النص كاملا دونما تغير في ألفاظه، أوتقديم أو تأخير وهو لايجد ثمة حرجا في إيراد النص ولو طال واستوعب صفحات عديدة[٤]

---

(١) المضل شرح المفصل\ق١\١٠٦

(٢) المفضل شرح المفصل\ق١\١٠٩

(٣) انظر مثلا: المفضل شرح المفضل\٥\٣١ب،٤٥ب،٥٦أ،٧٧أ، ١٢٢أ،٢٠٨ب،٢٤٨أ.

(٤) المفضل شرح المفصل\ق١\١١٥

٩- ويستدرك على صاحب "المفصل" أحيانا،وينبه على ماوقع فيه سهوٍ أو خطأ في أحيان أخرى.
١٠-ويؤخذ عليه أنه يخلط في بعض الاحيان بين الفصول، من ذلك مثلا، أنه حين أورد الفصل: وينقسم إلى مفردٍومركبٍ ومنقولٍ."خلط بينه وبين الفصل الذي يليه، وهو قوله:"والمنقول على ستة أنواع .."[١] كما أنه اهمل قول الزمخشريفي باب "النصوب على الاستثناء": و المشبه بالمفعول هو هو اللأول منها، والثاني في أحد وجهيه، وشبهه به لمجيئه فضله، ووله شبه خاصٌ بالمفعول معه، لأن العمل فيه بتوسط حرف فلم يشرحه، وشرحه ابن يعيش[٢].

ثالثاً :ابن الحاجب،ومنهجة الايضاح :

إن منهج كتاب "الايضاح" بوجه عام هو منهج"المفصل" نفسه،إذ واكب ابن الحاجب فيه آراء الزمخشري في "المفصل"،شارحاً الكتاب فقرة، إلا أنه قد خالف صاحب "المفصل" في مواضع، ردّ فيها على بعض آرائه، ونستطيع أن نستبين منهجه في الشرح من خلال الملحوظات التالية:
١-اعتمد في شرحه على عدة أصول من كتاب "المفصل"، وكان فيما يبدو يقارن بينها بينها في أثناء شرحه، فأنه وجد اختلافا بين نسخةٍ وأخرى نبه إليه،وصوب ما تطرق إليه الخطأ، مثال ذلك قوله في أثناء شرحه لقسم المشترك[٣]: "وقع في بعض النسخ المشبرك – بكسر الراء – وليس بصواب...".
٢- ولا يسير على نهج واحد في شرحه ، فهو في الاغلب الاعم يثبت اول عبارة من الفصل الذي هو في صدد شرحه، ثم يذله بقوله: "... الى آخره "أو" .. الى آخر الفصل"، ثم يشرع بعد ذلك في الشرح.
وكثيرا ما تمتزج عبارات كتاب "المفصل" بشرحه امتزاجا يصعب فيه التفريق بينهما الا بأمرين:
أولهما: الرجوع الى كتاب "المفصل" والوقوف على ما نص الزمخشري فيه.
والثاني: تتبع بعض العبارات التي يستخدمها في شرحه تتبعا دقيقا ، فهو حين يذكر نص "المفصل" يصدره في الاغلب بقوله" قال الزمخشري ، قال صاحب الكتاب ، ما ذكره الامام ، قال المصنف ، ثم قال ، قوله " ، ويصدر شرحه بقوهل: "قال الشيخ ، قال رضي الله عوه"[٤] وتراه يهمل شرح بعض الاعبارات باعتبارها- في نظرة واضحة لا تحتاج الى مزيد من الايضاح، وقد يورد "المفصل"

---

[١] المفصل شرح المفصل\ق١١\١١٠
[٢] المفصل ١\١٨٣-والمفصل شرح المفصل ٢\٧٥٧-وابن يعيش\شرح المفصل٢\٨٧
[٣] الايضاح / ١/ ١٨٣- والمفصل شرح المفصل / ٢/ ٧٥٧- وابن يعيش / شرح المفصل/ ٢/ ٨٧
[٤] انظرالايضاح / ٤أ ، ٩ب ، ٥٥ب ، ١٦٦أ

وافيا في حالات نادرة، فيعالجه ، وربما يكتفي بالاشارة احيانا، فيوضح ويعقب دون أ، يثبت النص.

٣- وقد افرط في ايراد الحدود ، ولشدة عنايته بها، فانه جهد في ان يجد كل موضوع يعرض له، حتى ما لا يحتاج الى حد من الموضوعات الموضوعات لوضوحه ، فتراه يتعقب الزمخشري في تعريفاته، فما وجده مستقيما من هذه التعريفات اقره، والا بادر الى تقويمه بعد التنبيه على أنه "غير مستقيم" أو ليس بسديد "أو" ليس بجيد" ، واذا ما أهمل المصنف حد موضوع ، وضع له حداً يبين سبب اهما المصنف له[١] .

٤- وربما يغفل شرح بعض الموضوعات، كموضوع "اسم" ما و" لا " المشبهتين بـ" ليس"[٢] وموضوع: "ومن أصناف الاسم: المعرفة والنكرة"[٣]. قد يهمل بعض الفصول فلا يعرض لها البته[٤].

٥- ولما كان ابن الحاجب أصولياً، فانه نحافى كتاب "الايضاح" ، بل وفي سائر مؤلفاته منحى الاصوليين ، فبدا اسلوبه شديد الصعوبة، بالغ التعقيد، بعيد المأخذ ، يتجه الى التشبت بأهداب المنطق وعلم الكلام. ويلوح للدارس أن عقلية الاصولي هي الطاغية في مباحثه ، حتى لا تكاد تسلم مسألة من مسائل كتاب الايضاح من التأويلات والتعليلات والترجيحات التي تخضع خضوعا تاما لاساليب الاصوليين . من ذلك مثلا قوله في اثناء شرح باب "النداء" [٥]: ".. ومن النحويين من يقتصر على العلة المعنوية، فاذا اورد عليه: يا عبد الله، ويا رفيقا بالعباد ، وشبه ، أجاب بأن فيه مانعا مع السبب ، وقد ينتفي الحكم لانتفاء السبب، وقد ينتفي لوجود مانع ، ويجعل المانع وجود الاضافة من البناء"[٦] . والسبب والمانع من احكامن الوضع عند علماء الاصول، كما أن عبارة انتقاء الحكم لانتفاء السبب ، وغيرها مما أورد ناه هنا ،قد وردت في كتب الاصول.

٦- ويبدو ان ابن الحاجب قد اعتمد في اثناء شرحه لكتاب "المفصل" على بعض شروح الكتاب التي سبقته ، وأخذ منها دون أن يشير الى ذلك ن فلدى قراء تنا الجزء الثاني من كتاب "المحصل في

---

[١] المفصل شرح المفصل/ ق١ /١٠٦- ١٠٧- وانظر: الايضاح / ٥٣أ، ٦٧أ، ١١٦أ

[٢] الايضاح / ٢٩ب

[٣] الايضاح/ ٨٧أ

[٤] الايضاح/ ١٤٤أ

[٥] الايضاح / ٣٦أ- وانظر أيضا: ١٠ب، ١٣أ، ٢٣أ

[٦] لمحصل/ ٢/ ٥٢ب – والايضاح / ٧٢أ ايضا:المحصل / ٢/ ١٧أ ، ٨٧ب- والايضاح / ٦٩أ، ٧٤ب.

شرح المفصل" لابي البقاء منها دون أن يشير الى ذلك ، فلدى قراءتنا الجزء الثاني من كتاب "المحصل في شرح المفصل" لابي البقاء العكبري تبين لنا ان ابن الحاجب قد رجع اليه، واعتمد عليه عبارات كثيرة، من ذلك مثلا، قال العكبري في اثناء شرحه باب "المضمرات ":.." لان "افعل مع تخصصه أشبه المعرفة شبها قويا من حيث قولك: زيد أفضل من عمرو بمنزلة: زيد الافضل من عمرو بمنزلة زيد الافضل، لان الفضيلة معهودة، ولذلك اقيم مقامه". وقال ابن الحاجب في اثناء شرح الباب نفسه:"والفرق بينهما أن "افعل " من طذا يشبه المعرفة شبها قويا من حيث المعنى حتى ان معنى قول: أفضل من كذا: الافضل، باعتبار فضيلة معهودة ن ولذلك قام مقامه "

٧- اه يعير الخلافات النحوية أهمية بالغة ، فحين يقع على مسألة نحوية من مسائل الخلاف يقف عليها وقفة طويلة فيعرض الآراء المختلفة في المسألة، ثم يبادر الى مناقشتها والرد عليها، ونقضها أو تأييدها ، وغالبها ما يرجح آراء نحاة البصرة ، ويعضد رأيه بالامثلة والشواهد القرآنية ، وربما استعان بالشواهد الشعرية ،وهو لا يفتر في النقاش والاسهاب ، وفي التفريعات والتعليلات ، ويذهب في ذلك كله مذاهب شتى.

وقد يعرض المسألة موضوع الخلاف ، وسوق حجة كل فريق في الوجه الذي يراه ، ثم يدلي برأيه في كل حجة منها على حدة ، ويترك تحديد موقفه أخيرا، فيصمت عن ابداء الرأي اذا لم يكن ثمة وجه ترجيح واضح يعينه على فصل القول فيها[1] .

٨- ويأخذ بجوانب الموضوع العارض، ويشبعه بالتدقيق والنقاش، ويؤكد على المعاني، ويجعلها متميزه على اللفظ، وذلك في غمره التعليلاتل لمسائل النحو، وهذه سمة عامة في الكتاب.

٩- ويجري حديثة في اثناء شرحه على استراساله، فليس ثمة فصل بين كثير من ابواب وموضوعاته ، ويلجأ الى التعميم احيانا ، ففي اثناء شرحه لباب "المفعول فيه" اقتصر في حديثه على ذكر الاحكام والاختلافات وصمت عن ذكر انواع الظروف: متصرفة وغير متصرفة، وعددها ، وما الى ذلك من تخصيص[2] .

١٠- وقلما يعير الشاهد الشعري اهتماما كما رأينا عند ابن يعيش والخاوي، فربما قطعه من البيت وينبه على موطن الشاهد فيه، وقد يجتزئ بشطر من البيت الشاهد ويتجاوز عن الشطر موضع الاستشهاد ، أما اذا كان البيت موضع خلاف بين النحاة ، فانه يورده، ويسوق آراء النحاة فيه، ويرجع رأيا على غيره ويعلل سبب هذا الترجيح.

---

[1] انظر: الايضاح / ٨ب، ٩أ، ٣٥ب ، ٧٣ب، وانظر ايضا: ابن الحاجب النحوي / ٩٣

[2] ابن الحاجب النحوي / ٩٤- وانظر ايضا:الايضاح/ ٤٥ب

١١- ويستدرك على الزمخشري ما فاته احيانا، ومن أمثلة ذلك قوله اثناء شرحه لأبنية الثلاثي: "وبقي عليه من أمثلة هذا الفصل ..."[(١)] .

١٢- ويستند في شرحه الى مصادر كثيرة في النحو واللغة، ولكنه يعول غالبا على آراء النحاة واللغويين المتقدمين كالخليل وسيبويه وأبي زيد والكسائي وأبي عبيدة والفراء وأبي علي الفارسي ، وغيرهم ، وقلما تجده ينسب الآراء النحوية التي يستند اليها الى ذويها[(٢)]

وبهذا نكون قد استوفينا البحث في عرض مناهج الشراح لكتاب "المفصل" ومع اننا قد بذلنا الجهد في تلمس منهج كل شارح منهم، وتعقبنا سيره في اثناء شرحه، ووقفنا على اسلوبه في تناول شرح متون الكتاب، حتى ننقل صورة تتسم بالدقة والموضوعية لعمل كل منهم، الا ان حرصنا على أن تبدو صورة عمل كل شارح منهم أكثر إشراقاً ووضوحا للدارسين ، دفعنا الى أن نختار موضوعاً قصيراًمن موضوعات كتاب "المفصل" كالمفعول له مثلا، ثم نفسح المجال لكل منهم أن يدلي بدلوه ، ليطلعنا هو نفس على المهج الذي سار عليه في اثناء شرحه.

- قال الزمخشري في "المفصل" [(٣)] : المفعول له: هو عله الاقدام على الفعل وهو جواب: لمة، وذلك قولك: فعلت كذا مخافة الشر ، وادخار فلان،وضربته تأديبا له ، وقعدت عن الحرب جبناً ، وفعلت ذلك أجل كذا ، وفي التنزيل "حذر الموت".

- فصل: وفيه ثلاث شرائط: ان يكون مصدراً، وفعلا لفاعل الفعل المعلل ، ومقارناً له في الوجود، فان فقد شئ منها، فاللام ، كقولك: جئتك للسمن واللبن ولاكرامك الزائر ، وخرجت اليوم لمخاصمتك زيد أمس،

- فصل: ويكون معرفة ونكرة ن وقد جمعهما العجاج في قوله:

يركب كل عاقر جمهور   مخالفة وزعل المحبور

والهول من تهول الهبور

- قال ابن يعيش في شرح المفصل[(٤)] : " المفعول له:

(١) الايضاح / ١١ب ، ٤٥ب، ٦٣أ ، ٧٢ب ، ١٥٢أ ، ١٦٩أ.

(٢) انظر:الانضاح / ١٦أ، ٢٩أ ، ٣٦ب، ٥٩ب.

(٣) المفصل/ ١/١٤٦- ١٤٧

(٤) شرح المفصل/ ٢/ ٥٢- ٤٥

- فصل: قال صاحب الكتاب: "هو علة الاقدام على الفعل ، وهو جواب: لمة وذلك قولك: فعلت كذا مخالفة الشر، وادخار فلان ، وضربته تأديباً وله ، وقعدت عن الحرب جبناً، وفعلت ذلك أجل كذا ن وفي التنزيل: "حذر الموت".

- قال الشارح: العلم ان المفعول له لا يكون لا مصدرا، ويكون العمل فيه من غير لظه ، وهو الفعل الذي قبله ، وانما يذكر عله وعذر الوقوع الفعل، وأصله ان يكون باللم ، وانما وجب أن يكون مصدرا لانه علة وسبب لوعوع الفعل وداع له ، والداعي انما يكون حدثا لاعينا ، وذلك من قبل ا، الفعل: اما ان يجتذب به فعل آخر كقولك احتملت لاستدامة مودتك، وزرتك لابتغاء معورفك ، فاستدامه المودة معنى يجذب بالاحتمال ، وابتغاء الرزق معنى يجذب بالزياؤة،وماما ان يدفع بالفعل ااول معنى خاصل كقولك: فعلت هذا حذر شرك ، فالحذ معنى حاصل يتوصل بما قبله من الفعل الى دفعة ، والمصادر معان تحدث وتنقضي ، فلذلك كانت علة بخلاف العين الثابتة ، وانما وجب ان يكون العامل فيه من غير لفظه نحو قولك: زرتك طمعا في برك ، وقصدتك رجاء خيرك ، فالطمع ليس من لفظ: زرتك، والرجاء ليس من لفظ: قصدك ، ولا تقول: قدتك لقصد، ولا: زرتك للزيارة ، لان المفعول له: علة لوجود الفعل ، واشىء لا يكون علة لنفسه ، انما يتوصل به الى غيره وانما قلنا انه علة وعذر لوعوع الفعل ، لانه يقع في جواب: لم فعلت ، كما يقع الحال في جواب: كيف فعلت . وانما كان أصله ان يكون باللام ، لان اللام: معناها العلة والغرض ، نحو: جئتك لتكرمني، وسرت لادخل المدينة، اي:الغرض من مجيئي الاكرام ، والغرض بالسير دخول المدينة.

والمفعول له: علة الفعل والغرض به ، والفعل يكون لازما ، أو منتهياً في التعدي ، فعدي باللم. وقد تخذف هذه اللام فيقال: فعلت ذاك حذرا الشر، وأتيتك مخافة فلان ، وأصله: لحذار الشر ، ولمخافة فلان، فلما حذفت اللام، وكان موضعها نصباً، تعدى الفعل بنفسه فنصب ، كما يقال ، كما يقال: واختار موسى قومه سبعين رجلا، واستغفرت الله ذنباً، فاللام هنا بخلاف واو المفعلو معه ن فنه لا يسوغ حذفها ، لا تقول: استوى الماء الخشبة ، وذلك لان دلالة الفعل على المفعول له أقوى من دلالته على المفعول معهن وذلك لأنه لابد لكل فعل من مفعول له سواء ذكرته أم لم تذكره ن اذا العاقل لا يفعل فعلا الا لغرض وعلة، وليس كل من فعل شيئا يلزمه ان يكون لمشريك أو مصاحب.

وقد يحذف المصدر، ويكتفى بدلالة اللام على العلة فيقال: زرتك لزيد، وقدتك لعمرو، ولا يجوز حذف اللام والمصدر معا، فتقول في: قصدتك لاكرام زيد ، وانت تريد: لزيد ، لزوال

معنى العلة، وربما أوقع في بعض الاماكن لبسا بالمفعول به، ألا ترى انك اذا قلت: جئت زيدا، وانت تريد: لزيد ، التبس بالمفعول به، وقوله تعلى: "يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت" ، فحذر الموت نصب لانه مفعول لهن وكذلك من اجل زيد، ومن اجل ابتغاء الخير، واحتملت من خوف الشرن قال الشاعر:

يغضي حيا ويغضي من مهابته   فلا يكلم الا حين يبتسم

فقوله: من مهابته في موضع المفعول له ، واسم مالم يسم فاعله: المصدر المقدر، ولا يكون من مهابته في موضوع اسم مالم يسم فاعله، لان المفعول له لا يقام مقام الفاعل ، لئلا تزول الدلالة على العلة، فاعرفه.

- فصل: قال صاحب الكتاب" فيه ثلاث شرائط": ان يكون مصدرا ، وفعلا لفاعل الفعل المعلل ، ومقارنا له في الوجود ، فان فقد شئ منها فاللام ، كقولك: جئتك للسمن واللـن، ولا كرامك الزائر، وخرجت اليوم لمخاصمتك زيداً أمس".

- قال الشارح: اعلم انه لا بد لكل مفعو له من اجتماع هذه الشرائط الثلاث، أما " كونه مصدراً" فقد تقدم الكلام عليه لم كان مصدرا، وأما اشتراط "كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل، فلانه علة وعذر لوجود الفعل ، واللعة معنى يتضمنه ذلك الفعل، واذا كان متضمنا له ، صار كالجز منه يقتضي وجوده ن فاذا كان ذلك كذلك ، فاذا فعل الفاعل هذا فقد فعل ذلك، نحو: ضربته تقويما له وتأديبا، فكما أن الضرب لك ، فكذلك التقويم والتأديب لك اذ هو معنى داخل تحته. ولو جاز ان يكون المفول له لغير الفعل، لخلا الفعل عن علة ، وذلك لا يجوز ن لان العاقل لا يفعل فعلا الا لعلة ، ما لم يكن ساهيا أو ناسياً.

وأما اشترط كونه " مقارنة له في الوجود "فلانه علة الفعل، فلم يجز أن يخالفه في الزمان ، فول قلت: جئتك اكرامك الزائر أمس ، كان محالا ، لان فعلك لا يتضمن فعل غيرك. واذا قلت: ضربته تأديبا له ن وقدته ابتغاء معروفه ، فقد جمع هذه الشرائط الثلاث ، فان فقد شئ من هذه الشرائط ن لم يحسن انتصابه ، ولم يكن بد من اللام فلا تقول: جئتك زيداً ، ولا اكرامك الزائر، ولا: حرجت اليوم مخاصمتك زيداً امس ، وانما تقول: جئتك لزيد، ولاكرامك الزائر ن ولمخاصمتك زيدا أمس.

وانما وجب النصب فيما اجتمع الشرائط الثلاث المذكورة، وامتنع فيما خرج عنه ، من قبل أن لفعل بما تضمن المفعول له، ودل عليه، وكان موجوداً، أشبه المصدر الذي يكون من لفظ الفعل، نحو: ضربت ضربة وضرباً فكما نصبت ضربةً وضرباً بـ " ضربت" من حيث أن الفعكان

متضمناً ضروب المصادر رود الاعليها، فكذلك نصبت المفعول به من المصادر ، اذا كـان نوعـا من الاول ، وان لم يكن من لفظه نحو: رجع القهقري، وعد الجمزي . فأما اذا فقد منه شرط من هذه الشروط ، خروج عن شره المصدر ، وجرى سائر الاسماء الاجنبية ، فم يتعد اليـه العفـل الازم والمنعهي في التعدي الا بحرف جر،وخص بـاللام ، لانهـا تـدل علـى الغـرض والعلـة ، فاعرفه .

فصل: قال صاحب الكتاب: "ويكون معرفة ونكرة، وقد جمع العجاج في قوله:

يركب كل عاقر جمهور مخالفة وزعل المحبور
والهول من تهول الهبور"

قال الشارح: انما قال ذلك رداً على من زعم أن هذه المصادر التي هي: المفعـول لـه ، نحـو: ضربته تأديباً له ، من قبيل المصادر التي تكون حالا، نحو: قتلتـه صـبراً ، وأتيتـه ركـضاً ، أي ك صابراً وراكضاً، حكى ذلك ابن السراج وغيره ، وهو مذهب أبي عمر الجرمي والراشي ، فهو عندهم نكرة ، ومخافة الشر ونحوها مما هو مضاف من قبيل:
مثلك ، وغيرك ، وضارب زيداً غداً ، في نية الانفصال.

قال الو العباس: أخطأ الرياشي أقبح الخطأ ، لأن بابنا هذا يكون معرفة ونكرة ، قال سيبويه: وحسن في ذلك الالف واللام، لأنه ليس بحال ، فيكون في موضع فاعل، فمما جاء فيـه نكـرة، قول النابغة:

وحلت بيوتي في يفاع ممنـــــع تخال به راعي الحمولة طائــــــرا
حزارا[1] على أن لا تصاب مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائــــــرا

وقال الحارث بن هشام:

فصددت عنهم والاحبة فيهـــم طمعا لـــهم بعـقــاب يوم مفســـد

ومما جاء فيه معرفة، قوله تعالى: "يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت" ، فقوله: حذر الموت: منصوب ، لانه مفعول له، وهومعرفة بالاضافة ، ومثلة قوله حاتم:

وأغفر عوراء الكريم ادخـــاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

فأتى بالمعرفة والنكرة في بيت واحد.

---

[1] كذا في شرح ابن يعيش" حزاراً" بازاي ، ولعله خطأ مطبعي ، وصوا به: حذارا – بالذال– انظر: ديوان النابغة الذبياني / ١٣٣– وكتاب سيبويه/ ١/ ١٨٥– والمفصل في شرح المفصل/ ٢/ ٦٥٧

فأما" قول العجاج الذي أنشده " فشاهجد لصحة ما ادعاه من ان المفعول له يكون معرفة فالنكرة قوله: مخافة، والمعرفة قوله: وزعل المحبور، تعرف بالاضافة، والهول: معطوف على كل عاقر، ولذلك نصب ثورا وحشيا ، يقول: يركب كل عاقر لنشاطه، والعاقر من الرمل: الذي لا ينبت وذلك لخوفه من الصائد ن فهو لزعله وسروره ن والزعل: المسرور المحبور، والهبرو: جمع هبر، وهو المطمئن من الارضن لانها مكمن الصائد من الارض ، لانها مكمن الصائد، فهو يخافها فيعدل عنها الى كل عاقر، ويجوز أن يكون الهول أيضا مفعولا له، أي: يركب ذلك لهول يهوله كهول القبر على من روى: القبور".

- وقال أبو الحسن السخاوي[1] : المفعول له: هو علة الاقدام على الفعل ، وهو جواب: لمه ، وذلك قولك: فعلت كذا وكذا مخافة الشر، وادخار فلان، وضربته تأديباً لهن وقعدت عن الحرب جبنا ، وفعلت كذا مخافة الشر، وادخار فلان، وضربته تأديبا له، وقعدت عن الحرب جبنا ، وفعلت ذاك وذاك أجل كذا ن وفي التنزيل: طحزر الموت" .

ش: معنى مفعول له ، اي: لاجله ، فهو علة اصدار الفعل ، ولذا يسمى الغرض ايضا، وعلة الفعل في عذر الفاعل لقبة بذلك كله البصريون . واما الكوفيون فانه عندهم من جملة المصادر ، واذا كان علة الفعل والحامل للفاعل عليه ، صح أن يكون جواب: لم فعلت ؟ . قال سيبويه – رحمة الله – كانه قيل لم فعلت كذا وكذا، فقال: لكذا ، ولكنه لما طرح اللام عمل فيه ما قبله.

قلت: ولهذا سموه مفعولا له ولذلك ايضا قال النحاة: ان اللام معه محذوفة، فقولك: خرجت ابتغاء الرزق: التعدية ، فاللام متعلقة بالفعلن والفعل عامل فيها ، وفيما اتصلت به، اعني: ان الجارو المجرور في موضع نصب بالفعل ، واذا لم تأت باللام ، وصل الفعل الى ما كان مجرورا بها وانتصب به، فمن هذه الجهة انتصاب المفعول له . وتقول: فعلت أجل كذا أجله أجلا: اذا جنيه ، قال خوات بن جبير:

وأهل خباء صالح ذات بيهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله

أي: أنا جانيه، فاذا قلت: أجل كذا ، فمعناه: جناية كذا ومن جزائه ، أو يكون مصدر: أجل يا جل ، أي: كسب، وفيه لغتان: فتح الهمزة وكسرها ، وكذلك قول عدي بن زيد:

أجــل ان الله قد فضلنـــــا فوق من أحكا صلبا بـــــإزار

يروي بفتح الهمزة وكسرها ، يقال:أحكأت العقدة وأحكيتها: اذا شددتها

[1] المفصل في شرح المفصل/ ٢/ ٦٥٥- ٦٦٣

ومن المفعول له قوله عز وجل: "ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر المـوت" ، أي: خوف الموت، وقا ل النابغة:

وحلت بيوتي في يفاع ممنع   تخال به راعي الحمولة طائرا
حذرا على أن لا تنال مقادتي   ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا

وقال الله عز وجل[1] : "كالذي ينفق ماله رئاء الناس" ،وتقول خرجـت ادخـار فـلان ، أي: لأجل ادخاره، وضربته تأديبا له ، أي: من أجل التأديب ن وقعدت عن الحرب ، أي: من اجل الجبن.

– فصل: "وفيه ثلاث شرائط: ان يكون مصدرا ن وفعلا لفاعل الفعـل المعلـل ، ومقارنـا لـه في الوجود فان فقد شئ من ذلك[2] فاللام ، كقولك: جئتك للسمن واللبن، ولاكرامـك الزائـر ، وخرجت لمخاصمتك زيدا أمس".

– ش: قوله ان من شرط المفعول له: "أن يكون مصدرا" يوهم ان كل مـصدر يـصلح ان يكـون مفعولا له ، وليس كذلك ن فنك لوقلت: جئت جلوسـاً، وخرجـت قعـودا، لم يجـز ن لانـه لا يدري ما أردت من كراهة الجلوس، أو إرادته ، أو: خيفته . وكذلك لوقلت خرجت ولاية، بل لابد أن يكون من المعاني النفسية كالابتغاء والارادة والمخافة والرداء والطمع ، ويجوز أن تقول: لابتغاء الجلوس، وطلب الجلوس، وخيفة الجلوس ، وكراهة الجلوس، وارادة الجلوس، فلذلك لزم الامر ان يكون مصدرا من هذه المصادر.

ولو قلت: خرجت زيدا ، لم يجز، اذ كان الحامل لك على الخروج ، انما هو:طلبه ، او خيفته ، او ابتغاؤه ونحو ذلك الفعل علامة فيه على التشبه بالمفعول، فيحصل الفرق بينـه وبـين مـصدر ذلك الفعل، فاذا قلت: جئتك ابتغاء فضلك ، فالابتغاء علة مجيئك ، وليس هو من لفظ الفعل، ولا من اشتقاقه ، فأشبه المفعول به من جهة المغايرة للفعل. واما المصدر في قولك: جئتك مجيئا، فالمجئ من جئت، ولا يكون الشئ علة لنفسه، واذا قلت: جئتك ابتغاءك الخير ، لم يجز بل لابـد من اللام، وكذلك: جئتك لـضربك عمـرا، ولقعـودك عـن زيـد ، لانـك لـو حـذفت الـلام، لاستعملت حذفا بعد حذف ، لان اصل: جئتك طلبا لابتغائك الخير، أي: أردت ان تبتغي الخير وجئتك ابتغاء واقمت ما كان مضافا اليه مقامه، ألزمته اللام، وكذا اذا قلـت: جئتـك ابتغـاءك الخيرأمس ، ولقعودك عن زيد أمس ، ولمخاصمتك زيد ا امس، فلما حذقت "أجل" اتيت بـاللام

---

[1] سورة البقرة/ ٢٦٤

[2] في المفصل/ ١/ ١٤٦" منها" بدلا من: "من ذلك"

لئلا تحذف حذفين .وكذلك لو قلت: جئتك السمن واللبن، لم يجز لان الاصل: لاجل السمن واللبن، لان السمن ليس بمصدر، وذا لم يكن مصدرا، لم يصح أن يكون علة للمجيئ فلا بد ان يكون الاصل ما ذكرته ، فلما حذفت "أجل" ، وأقمت المضاف اليه ، لم يجز حذف اللام.

فان قلت: فما الفرق بين قولك: خرجت ابتغاء الرزق؟ قلت: الفرق بينهما ان الابتغاء في الصورة الاولى قد وقع ابتغاء زيد"، لم يقع وانما خرجت لابتغاء الرزق؟ قلت: الفرق بينهما أن الابتغاء في الصورة الاولى قد وقع ، وابتغاء زيد لم يقع وانما خرجت لابتغاء ابتغائه الرزق ، اي: اي انك ابتغيت بخروجك أن يبتغي زيد الرزق ، فشرائطه على ما شرحته ست:

- ان يكون مصدرا مما ذكرته
- وان يقع بعد الفعل لا يتعدى ، او قد انتهى تعديه
- وان يكون معمولا لذلك الفعل
- وان يكون غرضا لفاعل ذلك الفعل
- وان يكون مخالفا للفظ ذلك الفغل
- وان يكون منه لام الاضافة

* فصل:"ويكون معرفة ونكرة ، وقد جمعها العجاج في قوله:

يركب كل عاقرجمهور   مخالفة وزعل المحبور
والهول من تهول الهبور"

- ش: اتفق النحاة على ا، المفعول له يكون نكرة ومعرفة الا الرياشي والجرمي ، فانهما ابيا ان يكون معرفة، قياسا على الحال والتمييز ، وقد قال الله تعالى(١): "رئاء الناس" ، وقال حاتم:

واغفر عوراء الكريم اذخاره   واعرض عن شتم اللئيم تكرما

فقال: "ادخاره " وتكرماً" فجمع الامرين ،وقال عز وجل(٢): "أن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي" ، فأما " جهاداً" فانه مصدر في موضع الحال، و"ابتغاء مرضاتي " مفعول من أجله. وأما قول العجاج يصف ناقته ويشبهها بالثور الوحشي:

عالبت أنساعي وجلب الكور   على سراه رائح ممطور
أمسى بذات الحاذ والجدور   من الدبيل ناشطا للدور
يركب كل عاقر جمهور   مخافة وزعل المحبور

(١) سورة البقةرم٢٦٤- سورة النساء/ ٨٣- وسورة الانفال/ ٤٧

(٢) سورة الممتحنة/ ١

والهول من تهول الهبور

فان سيبويه أورده مستشهدا على المفعول له، كما أورد قبله بيت حاتم: وأفعر عوراء الكريم ادخاره

وبيت النابغة: حذاراً على أن لا تصاب مقادتي

وبيت الحارث بن هشام:

فصددت عنهم والاحبة دونهم   طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

ثم قال بعد هذا البيت ، وقال الراجز ك

يركب كل عاقر جمهور   مخافة وزعل المحبور

والهول من تهول الهبور

ولم يورده في استشهاده على انه يكون معرفة ولا نكرة، فيجوز ان يكون استشهد بقوله" مخافة " لا غير ، الا انه قال بعد ذلك: فهذا كله ينتصب ، لانه مفعلول له، كانه قيل له: لم فعلت كذا وكذا. فقال: لكذا وكذا، ولكنه لما طرح اللام، عمل فيه ما قبله، كما عمل في "دأب بكار " ما قبله ، حين طرح، مثل: وكان حالا . وحسن في هذا الالف والالم، لانه ليس بحال ، فيكون في موضع فاعل حالا" . فلما قال: وحسن في هذه الالف واللام، توهم قوم انه اراد قوله: والهول من تهول الهبورن وظن قوم انه اورده مستشهدا به على انه يكون نكرةومعرفة.

قال الشيخ ابو بكر بن السراج: أي: يركب خوفا ونشاطا " ، والزعل: النشاط وأورد الشيخ أبو علي هذا الشعر، ثم قال عقيبة: ويجوز أن يكون هذا المصدر معرفة ونكرة، وما انشده قد جاء فيه الامران جميعاً، فقال قولم: انه اراد النكرة في قوله: "مخافة" ، والمضاف في قوله: "وزعل المحبور" ،وما فيه الالف والالم في قوله: و"الهول" وانا اشرح بعو الله هذا شرحا مستقصى.

السراة: الظهر، والجلب: احناء الرحل، وقيل: هو خشب الرحل بغير اداة ، والرائح الممطور: الثور الوحشي، أي: على مثل سراة رائح ممطور، أي: اصابته الريح والمطر، فرائح كـ"لابن وتامر" أي: ذي ريح، والعاقر من الرمل الذي لا ينبت ، والجمهور منه: المجتمع المشرف على ما حوله، وجمهور كل شئ وجمهرته: معظمه ، والزعل والعلز: القلق من النشاط ن والحاذ والجدور: نبتان ، وذات الحاذ والجدور: الارض التي تنبت هذين ، وتلك الارض من جملةالدبيل: وهو موضع ، وكذلك الدور: موضع ن وناشطا معناه: خارجا ن وقوله: مخافة ، أي:مخافة الرماة والقناص ن والهبور: جمع هبر، وهو ما اطمأن من الارض.

فأما اعرابه، فان مخافة: مفعول من اجله، بلا خلاف ، واما قوله: وزعل المحبـور، فيجـوز ان يكون معناه ويزعل زعل المحبور ، اي: وينشط نشاطه، والمحبور المسرور الفرح، ولكن فيه نشاط المسرور الفرح ، فهو الحامل له على الركوب. واما قوله: "والهول": الفزع أي: لاجل ذلك جميعا يركب كل عاقر جمهور ، وقد يكون" من" وما جربه مفعولا به ، كقوله: من تهور الهبور ن وقال الله عز وجل "من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل"

وكذلك الباء، قال الله عز وجل[1] : " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيراً، وقال تعالى[2] : "فبما رحمه من الله لنا لهم" ،وكذا الكاف، قال سيبويه: كما انه لا يعلم فغفر الله له ، أي: لانه لا يعلم ، و"ما" زائدة في الموضعين.

ويجوز تقديم المفعول له ، فتقول: ابتغاء الخير خرجت، لان العامل فعل متصرف ، ولا يجوز ان يقام المفعول له مقام الفاعل، كما يقام المصدر ظرف الزمان والمكان ، فلا يقال: سير زيد ابتغاء الرزق ، كما تقول: سير بزيد فرسخان ، وسير بزيد سير شديد، وسير بزيد يوم الجمعة ، لان اقامته مقام الفاعل تخرجه عن كونه علة وغرضا للفاعل ن بخلاف الظرفين والمصدر، فان اقامتها مقام الفاعل لا يخرجها عن ان تكون زمانا او مكانا او تأكيدا يستفاد منه كونه غرضا وعلة الفعل ، فاذا بطل ذلك ، بطلت فائدته".

الفصل الاول: ابن الحاجب[3]: "المفعول له":

- قال صاحب الكتاب: هو علة الاقدام على الفعل.

- قال الشيخ: قياس قوله في المفعول معه ان يقول ههنا: هو المنصوب لعلة الاقدام على الفعل ، لانه اذا لم يقل المنصوب ، دخل تحته كلما يكون علة ، ومن جملته المخفوض فيفسد الحد ن لان كلامنا في المنصورات .

قال رضي الله عنه [4] : كلما يذكر مفعولا من اجله ، فهو علة الاقدام على الفعل ن فاذا قلت: ضرته تأديبا، فالتأديب سبب الضرب، فان قلت: وكيف يكون الضرب سبب الشئن وذلك الشئ سبب له، ونحن نقطع بان الضرب سبب للتأديب، فالجواب أن التأديب له جهتان: هو باعتبار احدهما سبب ، والاخر مسبب، فباعتبار عقليته ومعلوميته وفائدته: سبب للضرب ،

---

[1] سورة تالنساء / ١٦٠

[2] سورة آل عمران / ١٥٩

[3] الايضاح شرح المفصل/٤٦ب- ١٤٧أ

[4] يعني بالعلارة نفيسه.

وباعتبار وجود: مسبب للضرب، فالوجه الذي كان فعل هو سبب من وجه لوجود ام رن فان، معقوليةن دخول الجنة وفائدته، سبب للاقدام على الاسلام، وكذلك قولهم: ابن بناء تستظل به فالبناء سبب للاستظلالن ومعقولية الاستظلال هو الحامل على البناء.

- قال صاحب الكتاب: وله ثلاث شرايط الى اخره

- قال الشيخ: انما اشترط ذلك ن ليقوي معنى التعليل، فيصح حذف الحرف الدال عليه، فوازنه وزان الظرف باعتبار حذف فيه ، فشرطه أن يكون اسما ظاهرا، ليقوي أمر الظرفية فيصح حذف فيه ، ووجه قوة التعليل عند هذه الشراط ، انها الغالب في التعليلات ، فكان فيها تنبيه على التعليل، فصح حذف اللام، لما فيها من القوة فاذا فات شئ منها، ضعف دلالة التعليل، واحتيج الى حرف التعليلن كما انه اذا غير اسم الزمان الظاهر بمضمر أو أشارة ، وجب الاتيان بجر ف الظرف ، كقولك: يوم الحمعة خرجت فيه ، وخرجت في هذا ، اذا كانت بمضمر او اشارة، وجب الاتيان بحف الظرف ، كقولك: يوم الجمعة خرجت فيه ، وخرجت في هذا ، اذا كانت الاشارة الى زمان ، ولو قلت: يوم الجمعة خرجته، لم يستقم "إلا على الاتساع لا على الظرف".

وأهمل الفصل الاخير الذي تضمن الشاهد الشعري، فلم يشرحه.

على ان شرح ابن يعيش والسخاوي وابن الحاجب لموضوع قصير" كالمفعول له" وان كان لا يتمثل الواقع الدقيق لمنهج كل منهم في شرح متون" المفصل" جميعا، إلا انه على كل حال يعرض صورة تكاد تكون مكتملة الملامح والابعاد ، اذا نحن عززناه بما سبقه من الملحوظات التي اجتهدنا في تسجيلها بعد جد في المتابعة والاستقراء لاسلوب كل منهم في شرحه.

وبعد ، فقد آن لنا ان نستريح قليلا من عناء البحثن بعد أن وقفنا من جار الله الزمخشري موقفين:

موقفا تابعنا فيه سيرتك وثقافته وأبعاد شخصيته، ونشاطه العلمي، والمكانة التي يستحقها بين العلماء ، وموقفا آخر تناولنا فيه كتاب هذا الرجل: "المفصل في صنعه الاعراب" فأنفذنا عدة سنوات في تحقيقه، وضبط متونه واجلاء غامضه، ثم اتبعنا هذا التحقيق بدراسة استهدفت الجهد الذي بذله الزمخشري في تصنيفه، والأثر الذي احدثه هذا التصنيف في أوساط الدرس النحوي.

الخاتمة

لقدتناول هذا البحث كتاب المفصل " في صنعة الإعراب: تحقيقاً و دراسةً، وفرضت طبيعته أن يتمّ تقسيمه الى قسمين: يتناول القسمُ الاول منهما دراسة كتاب المفصل " و التعرف على سيرة حياة مصنفه، و يتخصّص الثاني بتحقيق متون الكتاب تحقيقاً يرقى به الى الصورة التي خطّته عليها يد صاحبه .

وينتسب الزمخشري الى بلدة زمخشر في اقليم خوارزم، ذلك الاقليم الذي كان ينعم بالخيرات و العمران و انتشار الثقافة، وكثرة العلماء و المفكرين، و يشيع فيه مذهب الاعتزال الذي تمتد جذوره الى أصول فكرية مستمدة من العقيدة الاسلامية، و يستند الى سلطان العقل وقوة الحجة التي اكتسبها من الفلسفة والمنطق اليونانيين .

ويبوح شعره بأنه نشأ في أسرة متواضعة فقيرة، قست عليها ظروف الحياة الاقتصادية فألرهقتها، و تواطأت عليها الاوضاع السياسية فآلت بعائلها الى السجن، و كانت ثروتها الوحيدة في هذه الحياة: الورع و التقوى . و أحدث هذا المستوى المتدني من المعيشة وضيق ذات اليد شرخاً عميقاً في نفسه، فأخذ يتلمّس الوسائل و الاساليب التي يمكن أن تنقذه و تنقذ اسرته من براثن هذه الظروف القاسية . ووجد أن النبوغ في العلم يعتبر وسيلة العصر لنيل المال و الحاه جميعا، فجدّ في طلبه، و ارتحل من اجل تحصيله، فنبغ في كثير من العلوم في سن مبكرة، حينئذ، وجدت لديهآمالٌ كبارٌ، و مطامحُ فسيحة المدى، و يستشرف بعينيه مستقبلا ينعم فيه بسلطانٍ و مرتبةٍ عاليه، فاتصل بنظام الملك و بغيره من أصحاب النفوذ يمدحهم، و يُنشدُ في بلاطهم تحقيق ما تتطلع اليه نفسه .

وفشل ابو القاسم في توثيق صلته بنظام الملك، و يرجع سبب هذا الفشل الى تشبثه بمذهب الاعتزال الذي كان يجاهر به و يعمل على نشره ، و الى غروره و تعاليه و تنويهه بعلمه و فضله، و تعريضه بالعلماء الذين نالوا حظوةً لدى الوزير .

وصاحب هذه المعاناة النفسية معاناة أخرى جسدية، ذلك أن إحدى رجليه كانت مقطوعة، فكانت هذه العاهة سبباً قوياً لعزوفه عن الزواج، فكأنما رأى أن الزواج سيكون عبئاً ثقيلاً يُضاف الى حصيلة أعبائه فتخفّف من مسئوليته، و أراح نفسه من عناء تربية الأبناء .

وأحدثت تلك المرضة الناهكة التي ألّمت به تحولا خطيراً في حياته، إذ أخذ على نفسه الميثاق – إن هو شفي منها – أن يقطع صلته بالسلاطين و رجالهم، و أن يقلع عن مديحهم، و يعفّ عن إرتزاق عطيّاتهم، و اعتبر عهد مدائحه لهم عهد جاهليةِ حياتهِ، فلما شفي زار مكة، و جاور بها زماناً، انقطع فيه للعبادة، و سمى نفسه: جار الله .

وكانت الفترة الزمنية التي ثاب فيها الى نفسه فترة غنية في التصنيف و التحصيل العلمي ّ، فقد صنّف بها كتابيه: الكشاف َ و المفصلَ اللذين أشهراه وأعليا ذكره بين علماء عصره ومن بعدهم، و صنّف فيها ايضا جُلّ مؤلفاته وأشهرها كالمقامات و أطواق الذهب ومقدمة الأدب و الرسائل وغيرها، و قرأ فيها كتاب سيبويه على البابري في مكة، و بعض كتب اللغة على أبي منصور الجواليقي في بغداد .

واصبح جار الله شخصيةً إسلاميةً متميزة، أتّخذ من العقيدة الاسلامية قاعدة فكرية بنى عليها أفكاره، وكوّن على اساسها مفاهيمه عن الحياة، فتكونت عقليته على أساس هذه العقيدة، ووجد لديه مقياسٌ صحيحٌ للأفكار ثم جعل ميوله كلها على اساس المبدأ الاسلامي . و تمكن الإسلام من شغاف قلبه وتحكّم في سلوكه و تصرفاته . فكان من الورع و قيام الليل و تدريس العلم في الرتبة العليا .

ووقعت بعض آرائه النحوية تحت تأثير مذهب الاعتزال، إذ وجّه هذه الآراء توجيهاً يتفق مع وجهة نظره الاعتزالية، و تظهر على كتاب " المفصل " مِسحة من منهج المعتزلة في البحث العلمي، و يتضح ذلك في مقدمة الكتاب، و في تنظيمه وتقسيمه ومنهجيته و اعتماد ه على القياس وغيره من أدلة الصناعة في أثناء معالجة المسائل النحوية .

وأخذ ابو القاسم العلم عن بعض اعلام العلماء في عصره، وقد وَهِمَ ياقوت في معجم الأدباء وتبعه السيوطي في بغية الوعاة حين ذكرا أن الزمخشريّ أخذ عن: أبي الحسن، علي بن المظفر النيسابوري، ذلك أن هذا العالم مات سنة: ٤٢٢ هـ، بينما ولد الزمخشري سنة: ٤٦٧ هـ . ووهِما في اسمه أيضا، فهو يذكر في ترجمة الزمخشري باسم: أبي الحسن علي بن المظفر، ثم يترجم باسم: الحسن المظفر.

ومثل هذا الوهم وقع فيه السيوطي مرة أخرى في بغية الوعاة حين ذكر أن أبا الفتح، ناصر بن عبد السيد بن علي المطرّزيّ قد أخذ عن الزمخشري، وكان يقال: هو خليفة الزمخشري، مع أنه ذكر أن المطرّزيّ ولد في رجب سنة: ٥٣٨ هـ، وهي السنة التي توفي فيها ابو القاسم، و لعلّ

مصدرهذا الوهم أن الخلافة قد اقترت بالتلمذة، ومما عزز هذا الوهم أنّ المطرّزي قد سار على نهج الزمخشري، فكان مثله،: خوارزميا معتزليا على مذهب ابي حنيفة.

وامتنع الزمخشري عن إجازة بعض العلماء المشهورين كأبي طاهر السلفي الشافعيّ، و القاضي عياض أحد علماء المالكية في المغرب، بينما أجاز غيرهما من العلماء الذين لم يبلغوا مبلغهما من العلم والشهرة، وربما كان سبب ذلك مخالفتهما له في المذهب الفقهيّ، ووقوفهما جميعا من المعتزلة موقفا عدائيا، فالحنابلة الشافعية كانوا من أشد أهل السنة معارضةً لمذهب الاعتزال، وكان الزمخشري يقف من رجال المذهبين موقفا مشحوناً بالعداء .

وخلّف الزمخشري ثروة علمية ضخمة، إذ جادت عليه ثقافته الواسعة بمؤلفات تكاد تستوعب سائر النشاطات العقلية التي عرفها في عصرة، وتعتبر ذات قيمة كبرى في آداب اللغة العربية على اختلافها، و أتخذّ من مؤلفاته أبناءه"، و استعاض بها عن النسل و العيال، لأنها كما يفصح شعره: تحفظ الودّ وتحمي العِرض، ولا تعرف العقوق .

وعنى بعض اللذين ترجموا له بذكر بعض هذه المؤلفات و الثناء على قيمتها العلمية، ومنهم من أجهد نفسه في استقصائها، وكان ياقوت أكثر أولئك احتفالا بهذه المؤلفات، إذ أثبت له: واحداً و خمسين مؤلفاً و ذيّلها بقوله: " و غير ذلك " . و أثبت له بعض الباحثين المحدثين: سنة و خمسين، وقد دفعني ذلك الى بذل مزيد من الجهد في البحث و الاستقصاء، فتبين لي أن مؤلفات أبي القاسم تزيدعما ذكروا بكثير، اذ استطعتُ أن تثبت له: خمسة وثمانين مؤلفاً عَرّفت بكثير منها،و ذكرت، و أشرت الى أماكن وجودها، وذكرت العلماء الذين نصّبوا على نسبتها للزمخشري، و عززت ما شُرح منها ببعض الشروح و المختصرات، و عثرت على بعض ما نصّ بعضُ الباحثين على ضياعة منها، وذكرت هذا كله في مواضعة من البحث .

وتنبيء آثارُ أبي القاسم و أخباره أنه كان رأساً من رؤوس العلم في عصره، جمعت له مناقب العلوم كلها وهو حدث، فكان في الحادي و العشرين من عمره ينادم الملوك و الوزراء و يمدحهم، و أجمع الذين تحدثوا عن مكانته العلمية – حتى خصومه – انه كان فريد عصره، وإمام وقته، ووحيد دهره، تشد اليه الرحال و تضرب اليه اكباد الإبل، و يضرب به المثل في علمي: الأدب و النحو، حتى لقب: فخر خوارزم . و اصبح العلماء الذين جاءوا بعده عالةً على مصنفاته فأنشغلوا بدراستها و فهمها و شرحها .

وأثنى العلماء على مصنفاته ، فذكروا انه ليس لاحد مثلها في فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني مع ايجاز اللفظ حتى لو أن أحد أراد ان ينقص من كلامه حرفا أو يزيد فيه، بان الخلل.

ويحتل كتاب "أساس البلاغة" مكان الصدارة بين المعاجم العربية ، فهو قد التزم فيه ترتيب الحروف الهجائية بدءاً من الحرف الاول فالذي يليه. وأبرز سماته: اقراد الحقيقة عن المجاز، التي تشيع في الكتاب شيوعا ظاهرا ، ولو كان فيه شئ من التوسع، لما فضله معجم من المعاجم التي سلك فيها مؤلفوها المسلك اللفظي.

وتضافرت عوامل عديدة مكنت جار الله من أن يبدع في تفسيره للقرآن ، وفي تعليل ما يفسر:

أولها: أنه معتزلى قوى في اعتزاله.

وثانيها: انه أديب ذواقه، يحسن التعبير عما يعتمل في نفسه في ثقة وقوه .

وثالثها: أنه شخصية اسلامية قوية، فقه الاسلام فقها يتيح له الاجتهاد فيه، حتى أصبح من أئمة الحنفية.

ويعتبر تفسير"الكشفا" خير تطبيق على ما اهتدى اليه عبد القاهر الجرجاني من قواد المعاني والبيان ، اذ اتخذ أبو القاسم من آي الذر الحكيم أمثلة وشواهد يوضح بها كل قواعد عبد القاهر البلاغية .

وبرزت براعته اللغوية في دقة اختيار الكلمة من حيث دلالتي: مادتها وصيغتها ، واضحة جلية، فكان لها تأثير السحر على العلماء الذين جاؤا بعده، وعلى الدارسي الذين اكبو على تفسيره وانتفعوا به. وعلى الرغم من الخصومة العلمية التي كان يفقها ابو حيان الاندلسي من أبي القاسم، فانه كان يشيد بماله من مهارة فائقة في ابراز بلاغة القرآن وقوة بيانه ، ويصفه بأنه أوتي من علم القرآن بأوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ.

وقفت في الباب الثاني على كتاب "المفصل" للتعرف على براعة أبي القاسم في تقعيد قواعد علم النحو، بحث مسائلة وقضاياه ومهدت لذلك بتمهيد للتطورين: التاريخي والموضوعي للنحو العربي حتى عصره، فتبين لي أن الروايات التي وصلتنا عن يشأة النحوالعربي ووضعه، مضطربه، يعبث بها التناقض والخيال عبثا طاهرا، وبدالي انه قدتم حبكها واخراجها في مدينة البصرة . وقد امتدت ذيول هذا التناقص الى العصر الحديث فبينها ينسب بعض الباحثين وضع أسس هذا العلم الى أبي الايود، يرى اخرون أن تاريخ النحو سبيل الى تحقيقة البتة.واتضح لي ان: أبا لاسود قد وضع قواعد النحو وتأصيل اصوله.

وكشف البحث أن أول النحاة البصريي بالمعنى الدقيق للكلمة، هو: عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي فهو أول من حمل راية علم النحو بحقن ثم تقدم به خطواط فساحا، فلم يعد هذا العلم مجرد ملحوظات عابرة بل اخذت جذوره تمتد وتتفرع في حياة اللغة العربية، ونتسرب اليه

شعاع من النشاط الفكري الذي الم بالفقة اصوله ن فظهر القاس على يديه حتى قيل عنه: انه اول من بعج النحوومد القياس والعلل.

وتعتبر الاثار النحوية التي وجدت قبل كتاب سيبويه قضية يكتنفها الغموض ن وقد شغل العلماء بتدوين طائفة من الملحوظات النحوية والقواعدالتي نتظم النطق والتعبير.

وتدرح التأليف في علم النحو حيث بدأ من غير تنسييق او تنظيم في كتاب سيبويه، ثم تعهده حشد هائل العلماء المتخصصين الذين كرسوا مجهودهم العقلي وشاطهم الذهني من اجل خدمة هذه اللغة،مخطوا به خطوات واسعة نحو التطوير والترتيب والتنسيق ، الذي بلغ ذروته على يدي الزمخشري، اذا باشر امر التجديد فيه ، واعمل في مباحثة ما يشبه عملية الهدم والبناء.

وكان ابو القاسم فريدا في اتجاهه العلمي بين معاصريه، فلأول مرة نجد مؤلفا يعرض منهجه التأليف في مقدمة كتابه، ويتعهد كتابه بالتنسيق والتنظيم والترتيب، ويبسط موضوعاه مجملة ثم يشرع في تفصيلها فصلا فصلا، دون أن يشغل نفسه بالتوسع والاستطراد والتعريفات، ويغرق كتابه بالخلافات . واستطاع بهذا المنج أن يسهم في تطور الدرس النحوي، وأن يؤسس مدرسة نحوية لها أصالتها ولها منهجيها وطلابها، وأخذت هذه المدرسة تنمو ويتسع نفوذها، ويزداد عدد الدارسين فيها حتى استطاعت أن تفرط نفسها على البيئات العلمية بعد وفاته بقليل، وأن تحل محل مدرسة سيبويه، وكان موضوع الدرس فيها مؤلفات الزمخشري وعلى رأسها جميعا كتاب "المفصل" .

ويمثل كتاب " المفصل " مرحلة تامة النضج في الدرس النحوي، إذا يعتبر من حيث: مادته وتصنيفه وطريقتة معالجته للقضايا النحوية،اعظم كتاب ظهر بعد كتاب سيبويه .ولعل أهم ما يمتاز به: وضوح عباراته وعرضها عرضاً موجزاً،وتجنُب التعليلات العقلية أو المنطقية الكثيرة، والآصالة التي تُتمثل في مخالفاته لسيبويه وغيره في كثير من المسائل النحوية. ولهذا،فقد عكف عشرات العلماء على دراسته واقرائه وروايته وشرح مادته، واصبح محوراً يدور حوله المجهود الذهبي والنشاط العقلي لقطاع كبيرٍ من العلماء، وأدى تأثر هؤلاء جميعاً بمدرسة جار الله الى خدمة المادة النحوية خدمة جليلة، إذ قصروا جهودهم على دراسة هذه المادة: تحليلاً وتركيباً وفهماً.

وعلى الرغم مما أحرز "المفصل" من المكانة العالية والشهرة الواسعة، فانه لم يسلم من ألسنة الناقدين له، والمنافسين لصحابه . ولعل أخطر ما أخذه عليه بعض العلماء، أنهم اعتبروه

تلخصاً لكتاب سيبويه، كما اتهموا سيبويه من قبله بأن مجهود لم يزد عن تسجيل ماكـان يـدور بين العلماء في مجالسهم وحلقات دروسهم .

صحيح أن الزمخشري قد ألم بما في كتاب سيبويه إلماما شاملا، ولكنه هذا الألمام لنظام علمي واضح، ولأسلوب أقرب إلى ما نعرف اليوم من تقسيم وتعبير واصـطلاحات في هـذا العلـم . وكان هو نفسه يفخر بهذا الألمام ويعتز به، ويعد شمول مفصله للمادة النحويـة الـتي تـضمنها "الكتاب" أمارة من أمارات النضج .

وسار أبو القاسم على نهج العلماء المتقدمين من البصريين في الاستشهاد بالقرأن، إذا جهعله سنام الشواهد النحوية على الاطلاق، واحتكم إلى آياته في أثناء تصنيف مادته، وصياغة مسائله، وصدر عنها في تقرير أحكامه وتسجيل آرائه . أما موقفه من القراء والقراءات فمختلف، فهـو يرى أن القراءة تؤدى حسب المعنى والرأي، وهو بهذا قد جارى أكثر النحاة وانساق في تيارهم، فما وافق القراءات القواعد النحوية التي قعدها أو أسهم في توثيقها، أوأتاح له اثبات رأي نحـو أولغوي، أو انسجم مع القياس العقلي الذي أقام عليه أحكامه أخذ به وارتضاه . أما ما خالف مذهبه فإنه يرده أو يضعفه ويقلل من قيمته العلمية، وربمايتطاول على القارئ فيخطئه وبرميـه بالجهل، وقد يتهمه بالغفلة واللحن.

وكان جار الله رائداً من رواد الاحتجاج بالحديث النبوي في النحو واللغة، إذا كان مـن أوائـل العلماء الذين اعتدوا به، وخطأ في جادة الاحتجاج بـه خطـوات جريئـة، فـاحتج بـه في سـائر مؤلفاته، وخص "المفصل" بأحديث كثيرة تبعاً لواقع المسألة النحوية التي يسوقها . وهو بهـذا قـد نبه حواس معاصريه، وفتح عيون من جاءوا بعده على قيمة الحديث، وضرورة غلإفادة منه في أثناء تصنيف المادة النحوية واللغويـة، فأقبـل عليـه الـبن خـروف مـن بعـده، ثـم توسـعوا في الاحتجاج به بعد ذلك على مسائلهم حتى وصل هذا الاحتجاج ذروتهفي كتب ابن مالك وابن هشام وغيرهما .

وجرى في الاستشهاد بكلام العرب – شعرهم ونثـرهم – علـى سـنة أصـحابه البـصريين، فحرص مثلهم على أن يكثر من الشواهد الشعرية والنثرية للمسألة الواحدة، وأخذ بالـضرورة الشعرية وبالرخصة كما اخذوا، واستشهد ببعض الأبيات المصنوعة التي استـشهدزابها، وكـان يستأنس بما يسمعه من الاعراب في زمانه للوصول إلى معنى وتثبيت حكم كما كانوا يستأنسون، وزاد عليهم أنه لاكان يميل إلى الاستشهاد بأشعار المولدين كأبي تمام . وعلى الـرغم مـن سـعة

ثقافته، وتمكنه من اللغة – شعرها ونثرها – فإنه قد أخطأ في نسبة عدد من الشواهد الشعرية غلى قائليها كما اخطأ في نصوص عددٍ آخر منها أيضاً.

واستخدم الزمخشري أدلة الصناعة كأصحابه البصريين، فكتاب "المفصل" يزخربأقيسة الخليل وسيبويه ويونس والاخفش الاوسط والمبرد وغيرهم من نحاة البصرة، يضاف إليها أقيسة الزمخشري نفسه، واهتمام أبي القاسم بأمر القياس والمقيس عليه والمقيس حقيقة غنية عن الدليل، فالرجل كان رأسا في الاعتزال، ومنهج المعتزلة في البحث العلمي، أساسا على العقل ، وقد ذكرنا ذلك في مواضعه من البحث .

وتعتبر ظاهرة التعليل من أهم مظاهر التطور في الدرس النحوي،إن لم تكن أهمَّها على الإطلاق،حيث استَحوَذت على عقلية النحاة،واستنفذت الكثير من طاقاتهم،وتغلغلت في المسائل النحوية كليّة كانت أم جزئية. ولم يكن جار الله مُقصِراً عن أقرانه النحاة في هذا المجال،بل اهتم بأمر العِلةِ كما اهتمَّ بها مَن سبقوه ومَن عاصروه،فَحفِلت أبوابُ"المفصل" وفصوله بأنواع كثيرة منها،ذكرنا شواهد منها في مواضعها .

وتأثر الزمخشري بنظرية العامل في أثناء بحثه النحوي،شأنه في ذلك شأن غيره من نحاه مدرستي:البصرة والكوفة،والتزم بأقسام العوامل وأنواعها وشروطها التي تواضع عليها النحاه من قبله،ورجَّحَ وجَوَّزَ ورَدَّ على اساس هذه النظريه،ولو استطاع أن يُحرّرَ مسائله من قفيودها،وأن يتجاوزها إلى الاهتمام بالمعنى دون غيره،لأمكن أن يُسديَ للعربية ولطلابها خدمة أجل مما قدمه لهم ولها.

وكان أبو القاسم بصرى الاتجاه،إذ ارتضى لنفسه صحبة نحاة البصرة:يرى رأيهم، ويستخدم مصطلحاتهم وينهج نهجهم في القواعد العامة والأسس التي أقام عليها صرح مادته النحوية. ومن هنا،فقد بعض الباحثين المحدثين زعموا أن الزمخشري يعتبر من نحاة المدرسة البغدادية،إذ لا توجد ثمَّةَ مدرسة نحوية بهذا الاسم .

وتوزعت آراءَهُ النحويةَثلاثةُ اتجاهات:آراء تابع فيها نحاة البصرة،وهي أكثر آرائه،وآراء وافق فيها نحاة الكوفة،وهي قليلة،وآراء تفرد بها وهي كثيرة، وقد ذكرناها جميعا في موطنها من البحث .

ويعتبر جار الله شخصية علمية قوية،تتضح ملامحها وأبعادها من خلال البحث والتصنيف،وتتمثل قوة هذه الشخصية بما يلي:

- الآراء النحوية المبتكرة التي توصل اليها باجتهاده وسعة اطلاعه، وتمكنه من ناصية اللغة.

- إِفراغــه طاقــة عقليــة ممتــازة في الاســتنباط والتعليــل والتوجيه،مــستدركاً علــى مــن سبقوه،ومبتكراً عِلَلاً جديدة.
- إبداء وجهة نظره في الآراء التي يعرضها،مُبّيناً قوتها وضعفها، ومدى انسجامها مـع واقـع القياس، وتدعيم وجهة النظر هذه بالأدلة النقلية والعقلية التي اكتسبها من جـراء اطلاعـه على التراث وعلم المنطق.
- طريقة عرضه لمادته العلمية،وبراعته في تنسيقها وتنظيمها بحيث تبدو سهلة لتناول،ميسوره الفهم.
- قدرته على تحليل مادته النحوية والصرفية،وبراعته في إصدار الأحكام وتقعيد القواعد.
- موقفه من سيبويه والأخفش والخليل ويونس والمبرد وغيرهم،واستدراكاته عليهم.
- أمانته العلمية التي تجلت في نسبة الآراء التي يسوقها الى اصحابها في الأغلب الأعم.
- اتفاق آرائه النحوية في سائر مؤلفاته مع آرائه التي أثبتها في "المفصل" ولقى "المفصل" من عناية وتقدير النحاة المتأخرين ما لقى كتاب سيبويه،فهم فد تناولوه بـالقراءة والحفـظ وخـصوه بالدراسة والجهد،حتى أصبحوا عالة عليه،يأخذون منه،ويستندون اليه، ويستأنسون بالآراء التي وردت فيه، ويعقدون عليه الشروح التي استهدفت مابين دفتيه جميعا،فهم قد شـرحوا مادته النحوية والصرفية، واختصروها وعلقوا عليها،ونظموها شعرا، وشـرحوا شـواهده الشعرية واعربوها،فكثرت شروحه، وانتشرت في مكتبات العالم انتشارا واسعا، فعمت بها الفائدة.

وحرص بعض الباحثين المحدثين على أن يثبتوا ماتناهى اليهم من هـذه الـشروح، واسـتطاع أوفرهم حظاً، وأكثرهم بذلا للجهد أن يثبت أثنين وخمسين شـرحا منهـا . وتـبين لـي البحـث والتنقير أن الشروح التي حظي بها "المفصل" تزيد عن ذلك بكثير، فقد جاء على الجهد الذي بذلته بأربعة وتسعين شـرحاً لهـذا الكتـاب، وربمـا تـسنح الظـروف العلميـة لغـيري مـن البـاحثين، فيستطيعون أن يعثروا على شروح أخرى .

ووجدت أن شروح "المفصل" التي اشتهر أمرها، وشاع ذكرها، وكثر الاعتماد عليها في الدرس النحوي، هي تلك الشروح التي تم تأليفها في القرن السابع للـهجري، فرأيـت أن أعتمـد علـى ثلاثة منها هي: شرح المفصل لابن يعيش، والمفضل في شرح المفصل للسخاوي، والايـضاح في شرح المفصل لابن الحاجب .

ولدى تقويم هذه الشروح، تبين لي أن شرح ابن يعيش قد بلغ الدورة بين شروح المفـصل، إذا وجد في نفوس الدارسين قبولا ورضا، وأثنى عليه جمهرة البـاحثين في مـواطن شـتى، لانـه استطاع أن يميط اللثام عن مشكلات النحو بأسلوب سهل بعيد عن التعقيد والتمحل، وأن يحيط بمسائل هذا العلم عن تدبر ودارية وفهم.

أما القسم الثاني فقد تناولت فيه تحقيق الكتاب،وحرصت أن أعتمـدت علـى نـسخ خطيـة كثيرة، وعلى ما توفر لي من النسخ المطبوعة والشروح حتى أخرجت المفصل في صـورة مماثلـة للصورة التي ألف فيها، وعرضت منهجي في التحقيق في صدر الكتاب، والله الموفق لما فيه الخير والسداد، وحسبي الله ونعم الوكيل .

الزمخشري

سيرته - آثاره - مذهبه النحوي

الدكتور كمال جبري عبهري

عمان - العبدلي - مركز جوهرة القدس التجاري
تلفاكس: ٤٦٣٢٤٩٥ - خلوي: ٠٠٩٦٢-٧-٩٥٧٤٧٤٦٠ - ٠٠٩٦٢-٧-٩٦٢٩٥٤٥٧
ص.ب ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: dar_jenan@yahoo.com

الزمخشري سيرته - آثاره - مذهبه النحوي
الدكتور كمال جبري عبهري

